

تقديم وتحقيق

محمد كامل حسين

بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



القاهرة

دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

١٩٤٩

الطبعة الأولى . . . يناير ١٩٤٩

اهــــداء

إلى أستاذى الأكبر حضرة صاحب العزة

الدكتور طه حسين بك

الذى غذيت بعلمه ، ورويت بخلقه ، ونمو[illegible] صله

فهرس

صفحة

صفحة

الباب الثانى — عقائد الفاطميين فى شعر المؤيد

الباب الثالث — نظرة فى شعر المؤيد

صفحة

صفحة

صفحة

من البشر وأن الإمامة انتقلت بعده إلى محمد بن اسماعيل ثم فى أولاده من بعده فمن هذه الناحية قرب الفاطميون من فرقة المباركية وبعدوا عن الاسماعيلية ، ومع ذلك كله نجد من ورث الدعوة الفاطمية لا يزالون يلقبون أنفسهم إلى اليوم بالاسماعيلية .

ولكى يطمئن الباحث إلى حقيقة مذهب الفاطميين وحياتهم العقلية والأدبية عليه أن يتجه إلى النظر فى كتب الفاطميين أنفسهم وأن يلتمس بعد ذلك ما قاله خصومهم عنهم وبذلك فقط يستطيع الكاتب أن يتحدث عن الفاطميين . وعلى هدى هذه القاعدة سميت منذ بدأت دراسة عهد الفاطميين وسهل الأستاذ إيفانوف المستشرق الروسى هذا الطريق الوعر بأبحاث وضعها عن عقائدهم ومن هذه الكتب كتاب سماه (المرشد إلى أدب الاسماعيلية *A Guide to Ismaili Literature* [1] جمع فى هذا الكتاب فهرست كتب الفاطميين ومن تبع مذهبهم فى اليمن والهند وأثبت فى هذا الكتاب أن بعض الكتب الفاطمية التى وضعت بعصر لا تزال موجودة يتداولها أتباع المذهب فقط . وكان من حظى أنى استطعت أن أجمع عدداً من المخطوطات وضعها دعاة المذهب الفاطمى وبها حديث طويل عن حقيقة المذهب ونرجو أن نوفق لنشرها فى هذه السلسلة ، واليوم ننشر « ديوان داعى الدعاة » ليكون الحلقة الرابعة من هذه السلسلة ، وإنما وقع اختيارى عليه لأن داعى الدعاة صاحب هذا الديوان معروف فى تاريخ الأدب العربى بمناظرته مع أبى العلاء المعرى وكان الفضل فى تعريفنا بهذه المناظرة للأستاذ مارجوليوث فقد نشر هذه المناظرة عام ١٩٠٢ فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عن نسخة خطية بمكتبة أكسفورد ، وحدثنا الناشر أنه لم يوفق إلى معرفة شىء عن حياة هذا الداعى وظلت حياة الداعى وشخصيته مجهولتين وإن كانت مناظرته هذه قد تداولتها الأيدى وأعيد طبعها مراراً . وفى سنة ١٩٣٣ م نشر الأستاذ إيفانوف كتابه الذى تحدثت عنه وذكر فى أسطر قليلة شيئاً عن المؤيد داعى الدعاة وسرد مؤلفاته ولكن حديثه لا يعرفنا المؤيد تعريفاً صحيحاً ولا قريباً من الصحيح ونشر الدكتور حسين همدانى مقالا بعنوان « تاريخ وأدب الدعوة الاسماعيلية فى أواخر أيام الفاطميين[2] » وتعرض فى هذا المقال إلى المؤيد داعى الدعاة ولكنه لم يحدثنا طويلا عنه كما أن الباحث لم يكن دقيقاً من الناحية التاريخية كما سيظهر ذلك فى حديثنا عن حياة المؤيد .

---

(١) W. Ivanow, *A Guide to Ismaili Literature*, R.A.S. Vol. XIII, 1933

(٢) *The History of the Ismaili Dawat and its Literature during the Last Phase of the Fatimid*, J.R.A.S., Part. I, p. 26.

دفعني هذا كله إلى أن أدرس حياة المؤيد داعى الدعاة بشيء من التفصيل وأن أعرف فيقة الدعوة الفاطمية وأن ألم بالدعوة الفاطمية نفسها . ومما حبب إلى نشر دت الشعر فى نظم العقائد الفاطمية وبه كثير من المصطلحات الفاطمية بذلك يكاد يكون هذا الديوان فريداً فى بابه ، كما أن الشاعر صور فى ديوانه اختلاف زاء المسلمين فى عصره ، ورد على مخالفى مذهبه ، فالديوان على هذا النحو تاريخ تجاهات العقلية والتيارات الفلسفية التى كانت تسود العالم الإسلامى فى القرن الخامس لهجرى ، ولذلك كان هذا الديوان جديراً بأن ينشر وأن يعرفه المتخصصون فى الدراسات لاسلامية والآداب العربية .

نسبة الديوان الى المؤيد

هناك مسألة اثارت اهتمامى عند ما بدأت فى دراسة هذا الديوان تلك هى نسبة هذا الديوان الى المؤيد داعى الدعاة ، وقد سهل المؤيد نفسه علىّ مشقة البحث ، فقد اتبع فى شعره الطريقة الفارسية المعروفة باسم (التخلص) أى أن الشاعر يذكر اسمه أو لقبا يختاره لنفسه فى آخر كل قصيدة . ثم إن حياة المؤيد وما قاساه من محن وآلام وصفها المؤيد نفسه فى كتاب عرف باسم السيرة المؤيدية وبمقابلة ما جاء فى هذا الكتاب بما جاء فى الديوان نجد المؤيد قد وصف حياته بالنثر فى السيرة المؤيدية وبالشعر فى ديوانه ، وقد حدثنا فى السيرة عن شعره بقوله فى خطاب منه إلى قريش بن بدران « لما ورد الخبر بما ورد على مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام حملتنى حرقة القلب على نظم الأبيات على أنى لست بشاعر ولا متشاعر (١) . وهذا الشعر الذى أشار إليه بهذا القول هو ما جاء فى القصيدة الثالثة والعشرين ، فقد أنشأها المؤيد لمناسبة نبش قبر موسى الكاظم سنة ٤٤٣ هـ وبهذه القصيدة أشار إلى آل قريش بن بدران ، ونجد بعض دعاة اليمن مثل إبراهيم الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ ذكر فى كتابه كنز الولد عدة أبيات نسبها إلى المؤيد وهذه الأبيات موجودة فى ديوان المؤيد أيضاً كقوله مستشهداً ببيت المؤيد :

وكم من غشاوة جهل كشفت ورُوح نفخت بها فى بدن .

(١) السيرة المؤيدية ص ٢٥٠ نسخة خطية عندى .

وفى موضع آخر ذكر الحامدى قول المؤيد :

أبيت من الأحجار أعظم حرمة أم المصطفى الهادى الذى بنى البيتا

وهذا البيت فى القصيدة السادسة والأربعين من الديوان .

وسيتضح من تعليقاتنا على الشعر ان أكثر شعر المؤيد يكاد يتفق تمام الاتفاق فى اللفظ والمعنى مع ما أورده المؤيد فى المجالس المؤيدية . وإذن نستطيع أن نطمئن إلى أن هذا الشعر الذى ورد فى الديوان هو لصاحب السيرة المؤيدية وهو أيضاً لصاحب المجالس المؤيدية أى أنها كلها لمؤلف واحد هو المؤيد داعى الدعاة . وجميع النسخ الخطية التى بين يدى قد جمعت فى آخر الديوان عدة قصائد ليست للمؤيد فى شىء ، وأجمعت هذه النسخ أيضاً على أن هذه القصائد لأشخاص آخرين غير المؤيد ، ولذلك رأيت أن لا أضيفها الآن واحتفظت بشعر المؤيد فقط . بيد أننى عثرت فى السيرة المؤيدية على قصيدة للمؤيد لم تذكر فى نسخ الديوان التى معى ، وأكبر الظن أنها ليست فى نسخ الديوان الأخرى التى لم أطلع عليها لأن هذه القصيدة مع ما فيها من بعض العقائد الفاطمية إنما قيلت فى مدح الملك أبى كاليجار البويهى والاعتذار إليه عن خطأ نسب إلى المؤيد . أما باقى شعر الديوان فهو وقف على مدح الأئمة الفاطميين ، فلم يضف جامع شعر المؤيد هذه القصيدة إلى باقى شعر المؤيد لهذا السبب فلم أجد بدا من إضافتها إلى الديوان ؛ ووجدت قصيدة أخرى فى المجالس المؤيدية لم تذكر فى نسخ الديوان التى بين يدى فأضفتها فى هذه الطبعة ومن يدرى لعل للمؤيد قصائد أخرى لم تصلنا

لم أعتمد على ما جاء فى ديوان هذا الداعى لمعرفة المذهب الفاطمى ولكنى استطعت الحصول على كتب فاطمية أخرى وقرأت كتباً فاطمية استطعت الوصول اليها ومن الخير أن أذكر شيئاً وجيزاً عن هذه الكتب الفاطمية مرتبة حسب الترتيب الزمنى للمؤلفين .

١ — الامام أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل يقال إنه ثانى الأئمة المستورين قيل إنه كان يعيش فى أوائل القرن الثالث الهجرى وزعموا أنه صاحب «رسائل إخوان الصفا» ويشير إليه دعاة اليمن «بصاحب الرسائل» وهو رأى لا نصيب له من الصحة ، لأن الواضح أن كاتب إخوان الصفا ليس بشخص واحد بل هم جماعة من الدعاة قاموا بوضعها فى القرن الرابع كما يظهر من أسلوبها . وكذلك نسبوا إليه رسالة الجامعة ورسالة جامعة الجامعة وهما من المخطوطات التى أحضرتها وحفظت صورتها الفوتوغرافية بمكتبة الجامعة برقم ٢٤٠٧٢ وقد

تحدث فيهما واضعهما عن شرح بعض الأسرار الدينية التى فى رسائل إخوان الصفا نفسها ، ولكنه شرح أقرب إلى الغموض منه إلى أى شىء آخر فكأنهم أرادوا أن يوضحوا ما فى الرسائل فأزادوها تعقيداً . والنسخة التى بين يدى حديثة ولكنها مشوهة جداً وينقصها أكثر من مائة صحيفة فى أولها وقطع كثير من أوراقها من الداخل ولكن هناك نسخة أخرى خطية بالمكتبة التيمورية رقم ٤٠٧ تكمل الجزء الناقص من هذه النسخة كما أنه سقط عدة فصول من النسخة التيمورية تكملها هذه النسخة التى بمكتبة الجامعة .

٢ — فصل من رسالة الرشد والهداية فى الدين للحسين بن فرح بن حوشب المعروف بمنصور اليمن وقد طبعنا هذه الرسالة فى مجلة الجمعية الاسماعيلية بالهند .

٣ — جعفر بن منصور اليمن من دعاة المنصور بالله . قيل إنه كان فى أواخر القرن الرابع الهجرى وهو ابن الحسين بن فرح بن حوشب الذى نشر الدعوة الفاطمية فى اليمن وملكها باسمهم وأحضرت من كتبه .

ا) سرائر النطقاء ، وهو يتحدث عن قصص آدم وإدريس ونوح وهود وإبرهيم بعد أن قدم لهذا كله بكلمة موجزة عن الابداع .

ب) أسرار النطقاء . ذكر فيه قصص إبرهيم ولوط وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى ويوشع وداود وسليمان وعيسى وزكريا ويحيي ومحمد واتبع ذلك بفصل عن من أنكروا إمام الزمان وآخر عن الفرق الاسلامية بمد جعفر الصادق ليستدل بها على صحة الأئمة من نسل محمد بن اسماعيل .

حـ) كتاب الكشف وهو كتاب فى تأويل بعض آيات القرآن الكريم ابتداه بمقدمة تحدث فيها عن ضرورة حفظ ما فى هذا الكتاب وعدم إذاعة سره ثم دحض بعض أقوال الغلاة والاضداد ولا أجد نظاما لترتيب الآيات التى أولها جعفر فى هذا الكتاب بل هو يذكر الآية فيؤولها ثم يأتى بأخرى لا صلة بينها وبين الأولى ويخيل إلىّ أن بهذا التأويل من الغلو ما لم أجده فى تأويل النعمان أو المؤيد كقوله فى تأويل والتين والزيتون أنهما الحسن والحسين وطور سنين أنه محمد وهذا البلد الأمين (١) على إلى غير

(١) ص ١٤٢ .

ذلك من التأويلات التى ترجح أن تعاليم الفاطميين ابتدأت بشىء من الغلو ثم عادت إلى الاعتدال بعد أن تم لهم الأمر فى مصر . وطبع هذا الكتاب أخيراً الأستاذ ستروتمان المستشرق الألمانى على نفقة جمعية الدراسات الاسلامية بالهند .

د) الفترات والقرانات ويسمى « بالجفر الأسود » وهو الذى قيل إن عليا هو الذى وضع أصوله واستبقى هذا العلم فى أهل بيته حتى وضع فيه جعفر الصادق كتابا صار مصدراً للعلماء والمؤلفين من بعده . ومما أشك فيه أن هذا الكتاب لجعفر بن منصور اليمن بل هو لأحد الدعاة فيما بعد القرن الخامس الهجرى إذ نرى صاحب هذا الكتاب يتحدث عن أشياء فى أواخر القرن الخامس وادعى انه علم هذا من قران الكواكب ثم إن أسلوبه ليس هو أسلوب جعفر الذى عرفناه فى كتبه المتقدمة . وهذا الكتاب الذى نحن بصدده يبحث فى بعض حوادث حدثت للأئمة والأنبياء مع الاضداد وتاثير الكواكب فى الدعوة وفى تاريخها .

٤ — القاضى أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمى — ويسمى فى الدعوة باسم سيدنا القاضى النعمان ولا يقال له أبو حنيفة خيفة الالتباس بأبى حنيفة النعمان صاحب المذهب السنى المعروف — خدم المهدى أول الأئمة الفاطميين نحو تسع سنوات ثم خدم القائم وفى أيام القائم عين قاضيا فى طرابلس الغرب ولما بنيت المنصورية أيام الخليفة المنصور صار النعمان قاضيا لها وما زال مقربا للأئمة حتى صار قاضى القضاة فى عهد المعز وحضر معه إلى مصر حتى توفى النعمان سنة ٣٦٣ هـ بمصر وقيل إن المعز جعله داعى الدعاة وتوفى وهو فى هذه المرتبة ، ويعد النعمان واضع فقه المذهب الفاطمى وأكثر التأويل منقول عنه إذ أن المعز أمره أن يقرأ كتب الأئمة أسلافه وأن ينشر علومهم وفلسفتهم فجد فى التأليف حتى كتب آلاف الصفحات كما قال ابن خلكان وأحضرت من كتبه .

ا) « دعائم الاسلام فى ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام » فى جزئين الجزء الأول يبحث فى العبادات ويبدأ بكتاب مهم عن الإيمان والثانى يبحث فى المعاملات وقيل إن الامام المعز هو الذى أمر النعمان بوضع هذا الكتاب ورسمه له ثم راجعه المعز بعد إتمامه فصلا فصلا ومقالا مقالا ويعد هذا الكتاب أقوم كتاب فى فقه المذهب وعليه الاعتماد إلى الآن وقد ذكره الكرمانى فى أول كتابه راحة العقل من الكتب التى يجب أن تقرأ فى أول دخول الدعوة وكذلك قرأ المؤيد الشيرازى هذا الكتاب مع الملك أبى كاليجار عند ما دخل هذا الملك فى الدعوة .

ب) كتاب تأويل دعائم الاسلام وهذا هو العنوان المتداول لهذا الكتاب ولكن اسمه تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين وهو تأويل الدعائم المعروف والكتاب فى مجلدين فى التأويل الباطنى للاحكام التى جاءت فى الدعائم وإن كان النعمان لحقته المنية قبل إتمام الكتاب وهو يعد ثانى كتاب هام بعد الدعائم .

حـ) كتاب المجالس والمسايرات ويعتبر سجل للأخبار والأحاديث التى سمعها النعمان من إمامه المعز فى المغرب ومصر وبه كثير من المعتقدات الفاطمية فى الإمامة وفى تربية المؤمنين متفرقة فى هذه الأحاديث .

ء) كتاب الهمة فى آداب اتباع الأئمة ويتعلق بالإمامة ووجودها وما يجب أن يتبع نحو الأئمة من وجوب اعتقاد ولايتهم والتدين بإمامتهم وذكر وجوب مودة الأئمة وطلب الحوائج منهم واستشهد فى ذلك كله بآيات قرآنية أولها كما شاء وبأقوال مأثورة عن على وعن جعفر الصادق . وقد طبع هذا الكتاب فى سلسلة مخطوطات الفاطميين التى نقوم بنشرها .

٥ — أحمد بن إبراهيم (أو محمد) النيسابورى لا نعرف شيئاً عن هذا المؤلف ، وقد ذكر إيفانوف أنه عاش فى القرن الرابع أيام المعز .

استتار الإمام عبد الله بن محمد بن اسماعيل وتفرق الدعاة فى الجزائر لطلبه واستقامته وهو كما يتضح من عنوانه قصة قصيرة عن اختفاء الامام والبحث عنه حتى عثروا عليه أما كتاب سيرة جعفر الحاجب فهى لمحمد بن محمد اليمانى ولا نعرف شيئاً عنه أيضاً ولكن يظهر أنه كان خادما فى بلاط الفاطمى ويفهم من مقدمة الكتاب أنه جمعها برغبة العزيز بالله وفى هذا الكتاب حديث فرار المهدى من سلميه وخروج بعض الدعاة عليه ويغلب على ظنى أنهم هم القرامطة الذين خرجوا عليه (وقد نشره الأستاذ ايفانوف فى مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٦) .

٦ — الأمير تميم بن معد ثانى أبناء الخليفة المعز لدين الله ولد سنة ٣٣٧ هـ وتوفى سنة ٣٧٤ هـ .

ديوانه : وأكثره فى مدح المعز والعزيز وبه القصيدة التى أشار إليها المؤيد ورد عليها فى شعره . وسينشر هذا الديوان قريباً بدار الكتب المصرية .

٧ — منصور الجؤذرى الكاتب ؛ كان كاتب الأستاذ جوذر الكاتب وعاش إلى أيام العزيز بالله الفاطمى .

كتاب سيرة الأستاذ جوذر جمع فيه المؤلف شيئاً من حياة سيده وتوقيعات الأئمة له

٨ — سيدنا حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى داعى الدعاة للحاكم ولم يصلنا الشىء الكثير عن حياة هذا الرجل ولكن إيفانوف يرجح أنه مات بعد سنة ٤٠٨ بقليل [١]

ا) راحة العقل « فى مجلدين ومقسم إلى سبعة أبواب ويعد أكبر كتاب من كتب الحقيقة ونجد فى المقدمة أسماء الكتب التى أشار بقراءتها الكرمانى قبل أن يقرأ كتابه هذا الذى يتحدث أكثره عن الابداع والانبعاث والعقول وتطبيق نظرية « المثل والممثول » أى تطبيق ما فى العالم العلوى على العالم السفلى هذا الكتاب سادس حلقة فى سلسة مخطوطات الفاطميين ويشترك فى نشره الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمى .

ب) مباسم البشارات بالامام الحاكم : وهى رسالة صغيرة فى الإمامة وما جاء فى الأثر عنهم عامة وعن الإمام الحاكم خاصة ويتضح من مقدمتها أنه كتبها بعد أن حضر إلى مصر لزيارة إمامه وستنشر ويشترك فى نشرها الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين .

حـ) الرسالة اللازمة فى الصوم وهو بحث قصير عن الصوم وعدم الأخذ برؤية الهلال وضرورة الصوم برؤية الإمام صائماً .

ء) رسائل الكرمانى : وهى مجموعة تضم عدة رسائل مما ألفه الكرمانى وفيها الرسالتان المذكورتان سابقا (ب ، حـ) والرسالة الدرية فى التوحيد . ورسالة النظم فى مقابلة العوالم بعضها ببعض . والرسالة الرضية فى الرد على من يقول بقدم العالم . والرسالة المضيئة فى الأمر والآمر والمأمور ، ورسالة الروضة فى الأزل والأزلية ، والرسالة الزاهرة فى جواب بعض مسائل . والرسالة الحاوية . والرسالة الواعظة فى الرد على الفرغانى . والرسالة الكافية فى الرد على الهارونى . فهذه المجموعة من أقوم الكتب التى حصلت عليها وسنعمل على نشرها .

(١) *A Guide to Ismaili Literature*, p. 43

٩ — المؤيد فى الدين :

ا) ديوان المؤيد

ب) المجالس المؤيدية .

حـ) السيرة المؤيدية .

وسنتحدث عنها فيما بعد .

١٠ — الداعى ثقة الإمام عالم الإسلام ، وكان من دعاة المستنصر بالله الفاطمى .
كتاب المجالس المستنصرية ، وقد طبع هذا الكتاب فى سلسلة مخطوطات الفاطميين .

١١ — ابراهيم بن الحسين الحامدى ثانى دعاة اليمن فى دور الستر الثانى المتوفى فى شعبان سنة ٥٥٧ هـ .

ا) كنز الولد من الكتب التى يحافظ عليها الاسماعيلية فى الهند ويحافظون على سريتها حتى لا يتسرب إلى غيرهم وأسلوبه من أصعب أساليب اللغة تعقيداً قد ملىء بالمصطلحات الفاطمية والفلسفية ويشتمل على أربعة عشر بابا ، أولها التوحيد من غير تشبيه ولا تعطيل ، والثانى القول على الإبداع ، والثالث على المنبعثين عن المبدع الأول ، والرابع عن المنبعث الأول ، والخامس عن المنبعث الثانى ، والسادس عن الهيولى والسابع عن ظهور المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان ، والثامن فى القول على ظهور الشخص البشرى ، والتاسع فى القول على ظهور الشخص الفاضل ، والعاشر فى القول على الصعود إلى دار المعاد ، والحادى عشر فى معرفة الحدود العلوية والسفلية ، والثانى عشر فى الثواب والارتقاء إلى الجنة ، والثالث عشر فى اتصال المستفيد بالمفيد ، والرابع عشر فى العذاب وكثيراً ما اقتبس بعض أقوال الكرمانى والمؤيد وأشعار المؤيد ليقوى بها حجته .

١٢ — محمد بن طاهر بن ابرهيم الحارثى المتوفى فى شوال سنة ٥٨٤ هـ .

ا) الأنوار اللطيفة — وقد قسمه المؤلف إلى خمسة سرادق فى كل سرادق خمسة أبواب وفى كل باب خمسة فصول ابتدأها بمقدمة عن سبب جعل هذه العلوم سرية ثم بالحديث عن التوحيد وما جاء فى ذلك عن المؤيد والكرمانى ثم عن الابداع والانبعاث وتطبيق الحدود السفلية على العلوية وترتيب الحدود إلى غير ذلك من العقائد .

١٣ — على بن محمد بن الوليد الداعى الخامس من دعاة اليمن توفى سنة ٦١٣ هـ .
الذخيرة : لم يقسمه المؤلف إلى أبواب أو فصول وهو كتاب يبحث عن التوحيد والإبداع والإمامة والنبوة ويختمه بالمعاد .وهو من الكتب السرية التى لا يطلع عليها إلا بأذن داعى الدعاة كما قيل فى مقدمته .

١٤ — الشيخ عبد الله بن المرتضى . كتاب الفلك الدوار فى سماء الأئمة الأطهار وهو مطبوع بحلب سنة ١٩٣٣ وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين القسم الأول فى الإمامة والوصاية والقسم الثانى وهو أكبر القسمين فى تاريخ الاسماعيلية حتى فى الوقت الحاضر ويخيل إلى أن المؤلف إنما أراد أن يصف الاسماعيلية بكل الصفات الحميدة وأن يضم إلى الاسماعيلية جميع العلماء والفلاسفة والشعراء الذين ظهروا فى العصور الإسلامية فلا بد لمن يقرأ هذا الكتاب أن يحتاط فى قبول رواياته .

وقد اطلعت بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن على الكتب المحفوظة هناك ولكنى لم أستطع الحصول على نسخ منها من ذلك .

١ — كتاب الأزهار [٢٥٨٤٩] ومجموع الأنوار الملقوطة من بساتين الأسرار ومجامع فواكه الروحانية والثمار . لحسن بن نوح بن يوسف بن محمد المتوفى سنة ٩٣٩ هـ (١٥٣٣ م) .

قال الأستاذ ايفانوف عن هذا الكتاب إنه سبعة أجزاء ولكن الموجود منه ثلاثة أجزاء فقط ، الأول يتحدث المؤلف فيه عن أساتذته ودراسته ثم سير بعض الأنبياء والأئمة والدعاة ، وفى الجزء الثانى حديث طويل عن دعاة اليمن بعد موت الآمر حتى عهد الداعى إدريس ، وعن الصفات التى يجب أن يتصف بها الدعاة ، وقد أخذ المؤلف أكثر حديثه عن رسالة تحفة القلوب وفرجة المكروب فى تركيب الحدود والدعاة لحاتم بن ابرهيم (ج ٢ ص ٧٤) والرسالة الموجزة الكافية فى شروط الدعوة الهادية عن الداعى أحمد بن محمد النيسابورى (ج ٢ ص ١٠١) والجزء الثالث جمع فيه بعض أقوال الدعاة وتواريخهم وفى هذا الجزء حديث طويل عن علاقة المؤيد بالداعى لمك بن مالك .

٢ — كتاب أساس التأويل (رقم ٢٥٧٣٤) للنعمان وهو فى جزء واحد وقد جمع فيه تأويل قصص الأنبياء وقدم له بفصل طويل عن شروطه ووجوبه .

٣ — سجلات وتوقيعات المستنصر إلى دعاة اليمن (رقم ٢٧١٥٥) لا أعرف جامعه وهى مجموعة رسائل قيل إن المستنصر الفاطمى أرسلها بخطه إلى دعاة اليمن وأكثرها لعلى ابن محمد الصليحى والملكة الحرة أروى .

٤ — مجموعة رقم (٢٥٧٣٣) ضمت رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول لعلى بن الوليد ورسالة زهر بذر الحقائق لحاتم بن ابرهيم . والرسالة الأولى تتحدث عن التوحيد ثم الإبداع والخلق .

نسخ الديوان

أما النسخ الخطية لديوان المؤيد التى اعتمدت عليها فهى :

١ — نسخة خطية محفوظة بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن جاء فى أولها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . قال سيدنا الأجل داعى الدعاة المؤيد فى الدين عصمة أمير المؤمنين ووليهم أبو نصر هبة الله بن سلمانى قدس الله روحه ورزقنا شفاعته . بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . »

وكتب فى آخرها « تمت سنة ١٣٠٩ هـ تاريخ ٥ من شهر شعبان يوم الجمعة وقت الصبح كتبه لنفسه ولأبناء جنسه هدية لكل خير العبد الضعيف عبد الحسين بن ملا هبة الله رامپورى فى وقت سيدنا برهان الدين أطال الله عمره إلى يوم الدين فى المدرسة آدم جى فيرتها فى بمبى . بحق محمد وآله الأطهار صلى الله عليه وعليهم ما جن الليل وأضاء النهار وعلى النبى وآله صلى الإله الواحد الأحد البديع الصانع .
والنسخة فى ١٣٩ صفحة وتشمل أشعار المؤيد وأشعاراً أخرى ليست للمؤيد . وفى كل صفحة ١٦ سطراً وهى بخط بين النسخ والرقعة وبها كثير من الأخطاء الإملائية والتحريف وهى التى أشرت اليها بحرف « ل » .

٢ — نسخة خطية بمكتبة الأستاذ محمد حسن الأعظمى الهندى . لم يكتب فى أولها ولا فى آخرها شىء بل بدأت بالشعر مباشرة وهى نسخة حديثة جداً فى نحو ١٤٥ صفحة وهى

بخط رقعة ولكنه ردىء جداً بحيث يصعب قراءته وبهذه النسخة أخطاء كثيرة جداً . وهى التى رمزت اليها بحرف « ح » .

٣ — نسخة خطية أخرى بمكتبة الأستاذ محمد حسن أعظمى الهندى جاء فى أولها « هذا ديوان سيدنا المؤيد شيرازى صاحب » وقد شطب ما جاء فى آخرها وأثبت من ملك هذه النسخة « مالك الشيخ الفاضل سيدى ميانصاحب سيدى محمد بن الماجد سيدى نصاحب سلطان على الكركوىء من ادعى هذا الكتاب فهو كاذب فلعنة الله على الكاذبين . »
وهذه النسخة قديمة جداً يتضح من خطها أنها كتبت فى نحو القرن الحادى عشر الهجرى وبها خروم كثير مما أضاع من هذه النسخة كلمات كثيرة ولذلك يصعب الاعتماد عليها وحدها ، وتكاد تكون أصح النسخ التى بين يدى وهى فى نحو ٢٠١ صفحة وفى كل صفحة ١١ سطراً ، وخطها بين النسخ والرقعة ورمزنا إليها بحرف (ق) .

٤ — نسخة خطية تفضل باعارتها الىّ الأستاذ و . ايفانوف . جاء فى أولها بالمداد الأحمر « هذا ديوان سيدنا المؤيد الشيرازى أعلى الله قدسه » ثم جاء بعد ذلك بالقلم الرصاص « المتوفى فى عاشر شوال سنة ٤٧٠ صلى عليه الإمام المستنصر بالله الخليفة ودفن فى دار العلم » ولا يعرف ناسخها ولكن يتضح أنها حديثة جداً وكتبت بالخط النسخ ولكنها مملوءة بالأخطاء الإملائية والتحريف . ورمزنا إليها بحرف (ف) .

هذه هى النسخ الخطية التى اعتمدت عليها فى تصحيح ونشر هذا الديوان ، ونلاحظ أن هذه النسخ كلها تتفق على ترتيب القصائد على النحو الذى أنشر به الديوان الآن ، وهذا الترتيب غريب حقاً فان القصائد لم ترتب حسب تاريخها الزمنى ، ولم ترتب حسب القوافى ، ولا أدرى على أى أساس رتبت قصائد الديوان على هذا النحو الذى نراه ولا أعرف من الذى جمع هذا الديوان ورتبه . ويغلب على ظنى أن هناك سراً باطنياً فى ترتيب الديوان على هذا النحو ، فنحن إذا استعرضنا القصيدة الأولى نجدها مكاسرة — على نحو ما اصطلح الفاطميون — للمخالفين ، وتهجيناً لآراء الفرق الأخرى ، وتحبيباً للناس فى معرفة أسرار المذهب الفاطمى ، ثم نجد القصيدة الثانية ابتداء مفاتحة المستجيبين أى إلقاء بعض عقائد فاطمية أولية حتى يقبل المستجيبون على المذهب وطلب المزيد من أسرار الدعوة ، ثم تحدث المؤيد بعد ذلك عن العقائد شيئاً فشيئاً . فقد يكون الديوان على هذا النحو قد رتب على حسب ما فى القصائد من معتقدات أو حسب ترتيب الدعوة نفسها .

ومن يدرى لعل المؤيد نفسه هو الذى جمع شعره ورتبه على هذا النحو كما كتب سيرته بنفسه أيضاً .

[وبعد] فقد أعددت هذا الكتاب للنشر منذ عشر سنوات ، ولكن لم تسنح الظروف بطبعه إلا الآن وقد طبع قبله ثلاث حلقات من سلسلة مخطوطات الفاطميين وسيتبعه حلقات أخرى ، وأرجو أن أكون وفقت فى هذا العمل إلى تغيير بعض ما كتبه المؤرخون السابقون عن الفاطميين وعقائدهم ، وليس لى الآن إلا أن أتقدم بجزيل شكرى إلى حضرات الذين أعانونى فى هذا العمل ، وأخص بالشكر أستاذى الأكبر حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك ، والصديق الكبير الأستاذ و. إيفانوف ، والأستاذ آصف فيظى ، والأستاذ لويس ماسينيون ، والأستاذ محمد حسن الأعظمى الهندى ، فقد كانوا أصدق عون لى فى نشر هذه المخطوطات ، وفى شرح ما غمض علىّ من نصوصها .

محمد كامل حسين

الباب الأول

حياة المؤيد فى الدين

داعى الدعاة

الفصل الأول

المـــــؤيد فى فارس

اسمه ولقبه وأسرته

عرف شاعرنا فى التاريخ بلقبه « المؤيد فى الدين » وعرف أحيانا بالمؤيد فقط ، لجميع كتب الدعوة التى أشارت إليه تعرفه بذلك ، ولا نستطيع أن نحدد متى أطلق عليه هذا اللقب فى أول الأمر ، ولا نستطيع أن نعرف من الذى أطلقه عليه فالمصادر التى بين أيدينا لم تحدثنا عن ذلك ، وأقدم نص عرفناه عن هذا اللقب هو ماذكره المؤيد نفسه فى السيرة المؤيدية أن الملك أبا كاليجار البويهى المتوفى سنة أربعين وأربعمائة من الهجرة أرسل إلى الشاعر خطابا ابتدأه بقوله : لشيخنا وظهيرنا ومعتمدنا المؤيد فى الدين عصمة أمير المؤمنين أبى النصر أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده[1] ، وتاريخ هذا الخطاب هو — كما أرجح — عقب وصول المؤيد مصر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة كما سنذكر بعد .

وفى مناظرة أبى العلاء المعرى مع داعى الدعاة خاطب أبو العلاء الداعى بلقبه فقال فى الرسالة الأولى « أول ما أبدأ به أنى أعد سيدنا الرئيس الأجل المؤيد فى الدين أطال الله بقاءه . . .[2] » وفى الرسالة الثانية قال المعرى « سيدنا الرئيس الأجل المؤيد فى الدين عصمة أمير المؤمنين[3] » وسنذكر أن هذه المناظرة كانت حوالى سنة تسع وأربعين وأربعمائة .

وذكر ناصرى خسرو المؤيد — وكان معاصراً له — فى ديوانه فقال :

كه كرد ازخاطر خواجه مؤيد درحكمت كشاده برتويزدان[4]

---

(١) السيرة المؤيدية ص ١١٤ .
(٢) معجم الأدباء ج ٣ ص ١١٨ طبعة فريد رفاعى .
(٣) معجم الأدباء ج ٣ ص ١٩٤ .
(٤) ص ٣١٣ بيت ٢٤ ديوان ناصرى خسرو طبع طهران سنة ١٣٠٧ .

أى : فقد فتح الله من خاطر الخواجه المؤيد باب الحكمة عليك[١] .

ومن تحدث عن المؤيد من المؤرخين ذكره بعضهم بلقبه فقط فابن ميسر قال فى تاريخه إنه فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة من الهجرة جهز الوزير اليازورى خزائن الأموال على يد المؤيد فى الدين لأبى الحارث البساسيرى[٢] بينما ذكره ابن منجب بلقبه واسمه[٣] وذكره صاحب مرآة الزمان بكنيته[٤] .

على أن الشاعر لم يذكر لنا هذا اللقب فى شعره أو فى كتبه التى بين يدى إلا فى خطاب أبى كاليجار .

أما اسمه فهو « هبة الله » ويكنى بأبى نصر ، ولم أجد خلافا فى اسمه أو كنيته كما لم أجد خلافا فى لقبه ، أما اسم أبيه فقد اختلف فيه فالاستاذ ايفانوف قال مرة إنه الحسين أو موسى[٥] ، ثم قال فى كتاب آخر إن اسم أبيه الحسين[٦] كأنه رجح أخيراً هذا الاسم ، وهذا ما لم يحدثنا به أحد غيره لأن جميع النصوص التى وصلتنا تدلنا على أن الشاعر هو هبة الله بن موسى بن عمران ، ويكفى أن نقرأ ديوان المؤيد لندرك ذلك فقد ذكر المؤيد اسم أبيه فى الشعر :

نظم ابن موسى وهو عبد الظاهر ذاك الإمام بن الإمام الطاهر[٧]

وقال فى قصيدة أخرى يذكر كنية أبيه :

لابن أبى عمران فى الموالى نظم كنظم الدر واللآلى

واختلف أيضاً فى اسم جد المؤيد فذهب إيفانوف إلى أن اسم جده على[٨] وخالفه

(١) تفضل بترجمة هذا البيت عن الفارسية الأستاذ الدكتور ابرهيم أمين .
(٢) تاريخ مصر لابن ميسر . ص ٥٨ (طبعة المعهد الفرنسى) .
(٣) الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٦٩ .
(٤) مرآة الزمان « حوادث عام ٤٤٨ هـ » .
(٥) *A Guide to Ismaili Literature*, p. 47
(٦) *The Creed of Fatimide*, p. 5
(٧) القصيدة الاولى .
(٨) *A Guide to Ismaili Literature*, p. 47

الدكتور حسين همدانى فقال بل (داود)[١] . وجاء فى كتاب الأزهار لحسن بن نوح ، « وكفى بما أورده سيدنا المؤيد فى الدين صفى أمير المؤمنين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازى[٢] » وفى رسالة مباسم البشارات للكرمانى أن الإمام الحاكم أرسل سجلا إلى موسى بن داود . مما يرجح ان اسم جده « داود »

وتتفق جميع النصوص على تسميته « بالسلمانى » نسبة إلى سلمان الفارسى فمن المؤرخين من ذهب إلى أن المؤيد من نسل سلمان الفارسى من ذلك ما قاله صاحب عيون المعارف : هبة الله بن موسى من ولد سلمان الفارسى[٣] . ولكن الخطاب بن حسن الداعى اليمنى المتوفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة من الهجرة قال[٤] : والمؤيد فى الدين إذا انتسب كان من أهل البيت سلمانيا وقد قال المؤيد موضحاً لرتبته التى هى رتبة سلمان ومبينا أنه قائم بما قام به فى ذلك الأوان حيث يقول :

لو كنت عاصرت النبى محمدا ما كنت أقصر عن مدى سلمانه
ولقال «أنت من أهل بيتى» معلنا[٥] قولا يكشف عن وضوح بيانه[٦]

مما يدلنا على أن الداعى الخطاب لم يثبت للمؤيد نسبا جسمانيا إلى سلمان الفارسى بل ذهب إلى أن مرتبة المؤيد فى عصره تماثل مرتبة سلمان فى عصره ، وهذا ما قاله أيضا الداعى إدريس المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فى كتابه زهر المعانى[٧] . ولعل السبب الذى من أجله ادعى صاحب عيون المعارف أن المؤيد من نسل سلمان هو ما دان به الفاطميون من النسب النفسانى أو الروحى وأنه كالنسب الجسمانى ؛ ففى ذلك قال إخوان الصفا « النسبة الجسدانية تنقطع اذا اضمحلت الأجسام وبقيت النسبة النفسانية لأن جواهر النفوس باقية بعد فراق الأجساد . وإن كان يظن أن الابن الجسدانى يحيى ذكر أبيه بعد موته فالابن النفسانى أيضا ، إن عاش أحيا ذكر أبيه فى مجالس العلماء كما نذكر نحن معلمينا

(١) J.R.A.S. 1932, Part I, p. 129
(٢) الأزهار ج ١ ص ٢ نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ٢٥٨٤٩ .
(٣) عيون المعارف لعلى بن صالح ص ٤٥٨ .
(٤) غاية المواليد الثلاثة لسيدنا الخطاب على هامش جامع الحقائق ج ١ .
(٥) يشير المؤيد إلى الحديث النبوى « سلمان منا اهل البيت » المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٢٧ .
(٦) هذان البيتان من قصيدة المؤيد الثامنة والثلاثين .
(٧) Hamdani : J.R.A.S. 1932, Part I, p. 129

وأستاذينا أكثر مما نذكر آباءنا الجسدانيين (١) وقولهم أيضا « واعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة حياتها (٢) ومن ذلك أيضا ما رواه الفاطميون أن النبى قال لعلى : أنا وأنت أبوا هذه الأمة (٣) .

وأغلب الظن أن المؤيد لم يسم بالسلمانى إلا لقوله هذا الشعر الذى تحدث فيه عن مرتبته التى كانت تماثل مرتبة سلمان الفارسى .

لم يصلنا شىء عن أسرة المؤيد ، ولا نكاد نعرف عن هذه الأسرة إلا ما ذكره المؤيد فى شعره كقوله :

يفديك مولى لم يزل آباؤه ... ناشين فى نعمائكم ولم يزل
ولم يحولوا ساعة عن طاعة ... محمودة لأمركم ولم يحل (٤)

وقوله :

فذاك ابن موسى الذى لم يزل ... إلى عز طاعتكم ذا انتساب
وما زال آباؤه فى العميد ... سراة العبيد وخير الصحاب (٥)

وقوله :

سل بقعة الأهواز عن ... فعلى بحبك معاهده
وحقوق آبائى فما ... ناف لها أو جاحد (٦)

وقوله :

وان ابن موسى وآباءه ... معاهد حقهم عامرة
فقد خدموكم وما نشرت ... لواء الفتوح يد ناشرة (٧)

وجاء فى السيرة المؤيدية على لسان المؤيد يخاطب وزير أبى كاليجار « إن والدى كان فى هذه البلاد متسما بهذا الوسم (أى بالمذهب الفاطمى) مترسما بهذا الرسم ، وكان له من

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١١٦ . — (٢) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١١٣ .
(٣) المجالس المؤيدية فى مواضع متعددة . — (٤) القصيدة الرابعة ٥٩ و ٦٠ .
(٥) القصيدة الحادية عشرة ٤١ و ٤٢ . — (٦) القصيدة الأربعون ٣٥ و ٣٦ .
(٧) القصيدة الحادية والأربعون ٢٩ و ٣٠ .

المكنة والقدرة واليد ما كان يغنيه عن أن يطأ عتبة باب أو يقاسى ذل حجاب وكان الوزير أبو غالب الواسطى الملقب بفخر الملك وزير الوزراء الذى كان ما كان باتساع مكنته وانبساط يده نازلا فى هذه الدار التى تنزلها فلم يعهد والدى قط داخلا إليه ولا مسلما عليه ووجد ذلك غير دفعة يزوره ليلا فى بيته ويغشاه فى منزله » (١)

من هذا كله نستطيع أن نثبت أن المؤيد كان من أسرة اتخذت التشيع دينا لها والفاطمية مذهبا وأن والده كان داعيا للمذهب الفاطمى بشيراز وكانت له حرمته ومكانته بين الناس حتى ان الوزير كان يزوره فى منزله دون أن يزور هو الوزير . ونعلم أن أباه كتب إلى الحاكم بأمر الله يطلب أن يقيم أحد ولديه فى الدعوة مكانه فأبى الحاكم عليه ذلك وأرسل إليه يوبخه (٢) هذا كل ما نعرفه عن هذه الأسرة التى نشا بينها المؤيد .

المؤيد فى شيراز

إن تكن لى شيراز دارا ومنها ... نشأ الجسم لى وليدا وشبا (٣)

هكذا قال المؤيد عن مولده ونشأته فقد ولد بشيراز فى سنة لم يحددها لنا المؤرخون ولم يحدثنا هو عنها ، وقد ظن الدكتور حسين الهمدانى أن المؤيد كان فى التاسعة والعشرين من عمره حين طلب إليه أن يغادر وطنه سنة تسع وعشرين واربعمائة من الهجرة (٤) أى أن الدكتور الهمدانى ذهب إلى أن المؤيد ولد سنة أربعمائة من الهجرة ولكنى أخالفه فى هذا الرأى وأذهب إلى أن المؤيد ولد قبل ذلك التاريخ وأستدل بشعر المؤيد على أنه ولد حوالى سنة تسعين وثلثمائة فقد قال المؤيد فى ديوانه يحدث إمامه المستنصر :

لى فى هجرة إليك تمن ... وقد تمنيته وإنى غلام
وتدانى من أربعين لى السن ... ولم يقض للتمنى ذمام (٥)

(١) السيرة المؤيدية ص ٢٠ .
(٢) رسالة مباسم البشارات لحميد الدين الكرمانى الفصل الثامن (نسخة خطية عندى) .
(٣) ق ١٥ بيت ٢٧ .
(٤) J.R.A.S. 1932, Part I, p. 130
(٥) ق ١٢ / ٣٧ — ٣٨ .

وهذان البيتان من قصيدة أنشدها المؤيد بعد وفاة الإمام الظاهر وبعد أن تولى المستنصر الخلافة سنة سبع وعشرين وأربعمائة أى أنه حوالى هذه السنة كان فى الأربعين من عمره. وأنشد المؤيد مرة أخرى أثناء محنته وقبل أن يصل مصر سنة ثمان وثلاثين واربعمائة :

غـدا باع آمالى قصيرا من الورى   جميعـا وفى عفو الإلـه ممددا
وأيقنت أنى بعد خمسين حجة   من العمر قربت المنية مقصدا (١)

أى أن المؤيد كان فى الخمسين من عمره قبل أن يصل مصر ، وقال مرة ثالثة حين عودته من مؤامرة البساسيرى سنة خمسين وأربعمائة :

هـذا جزاء من قضى   سـتينها من حجج (٢)

فهذا كله يدلنا على أن المؤيد ولد حوالى سنة تسعين وثلثمائة من الهجرة .

لانعرف شيئا عن نشأة المؤيد كما لم نعرف تاريخ ميلاده ، ولـكن يتضح من شعره أنه مرت عليه أيام بؤس وشقاء قاسى فيها ألوان الذلة والمسكنة ، واضطر إلى أن يسافر مرارا وإلى أن يصاحب قوما لا يضمرون له سوى الحقد والكراهية (٣) ، ألم بذلك فى شعره ، ولـكنه لم يصف لنا هذا الشقاء الذى قاساه ، ولا الذلة التى منى بها ، وإن كان قد حدثنا كثيرا بأنه كان مضطهداً أ كثر أيام حياته بسبب مذهبه الذى كان يخالف مذهب أهل بلدته .

وكل ما نعرفه عن المؤيد قبل سنة تسع وعشرين وأربعمائة أنه ما زال يرقى فى مراتب الدعوة الفاطمية حتى صار إليه أمر المذهب فى شيراز إذ أصبح حجة جزيرة فارس ولا ندرى متى صار حجة فارس وكل ما وصلنا أن جمهور أهل مذهبه قالوا عنه للوزير العادل بهرام بن ماقيا (٤) فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة « إنهم قوم يعتقدون اعتقادا تقرر فى نفوسهم حقه وتأكد عليهم بعهود ومواثيق أخذها فرضه وأنهم يتخذون هذا الرجل المقيم به (أى المؤيد المقيم بالمذهب الفاطمى) أبا لهم وأخا وصاحبا ومحلا لـكل سر ومفزعا فى كل خير وشر (٥) » أى أن المؤيد كان زعيما للمذهب الفاطمى وشيخه فى فارس فى هذه السنة .

(١) ق ٣٩ / ٦ — ٧ . — (٢) ق ٢١ / ١٠ . — (٣) ق ٥٧ .
(٤) هو الوزير العادل أبو منصور بهرام بن ماقيا بن شهد ولد سنة ٣٦٦ وتوفى سنة ٤٣٣ [ابن الأثير ج ٩ ص ٣٤٤] .
(٥) السيرة ص ١٣ .

ولا ندرى شيئا عن الخطوات التى سلكها المؤيد قبل ن يصل إلى هذه الدرجة الرفيعة لاننا نجهل تاريخه قبل هذه السنة ، ويعد آخر شهر رمضان من سنة تسع وعشرين وأربعمائة مبدأ علمنا بأخبار المؤيد فقد اتخذ هذا التاريخ ابتداء سيرته التى كتبها عن نفسه ، أما قبل هذا التاريخ فحياة المؤيد غامضة أشد الغموض ، ولو لم يكتب سيرته لبقيت حياته كلها مجهولة بالرغم مما فيها من أحداث كان لهـا أ كبر أثر فى تاريخ مصر الإسلامية بل فى تاريخ العالم الإسلامى فى القرن الخامس الهجرى .

اتخذ المؤيد آخر رمضان من سنة تسع وعشرين وأربعمائة مبدأ ما كتبه لسيرته لأن هذا التاريخ يعد مبدأ محنته التى ظل يعانى أثرها حتى وفاته وإن كان قد تحدث فى قصيدته السابعة أنه كان مضطهداً من جمهور أهل السنة بشيراز قبل هذا التـاريخ ولـكن شقاءه بعد ذلك التاريخ كان قاسيا عنيفا .

حدثنا المؤيد انه عمل على الاحتفال بعيد الفطر سنة تسع وعشرين وأربعمائة (١) ولما كان العيد عند الفاطميين قبل عيد أهل السنة بيوم فقد كثر حديث أهل شيراز عما عمله المؤيد وزعموا أن المؤيد انما أراد باحتفاله بعيـد الفطر إقامة الدعوة للخليفة المستنصر الفاطمى وأرجف أنصار المؤيد أن العامة رادوا سوءا به ، فتردد عليه شيعته للاستفسار عن أمره وجاء العيد وأقبل عليه خلق كثير ، فصلى بهم ووعظهم كعادته ولم يحدث شىء مما توهمه الناس ولـكن الوزير العادل استدعاه ثلث يوم ونصحه بالخروج من البلد لأن السلطان توعد المؤيد بالقتل وأن علماء المدينة استعدوا عليه (٢) السلطان ، فأجابه المؤيد بأنه لا مصلحة له مادية فى مقامه بشيراز وما أقام بها إلا عصبية للدين الذى كان يدين به ومحافظة عليه ووعد الوزير بأنه سينظر فى أمر خروجه من البلـد (٣) وترك الوزير إلى داره وهو يفكر إلى أين يقصد وجميع الطرق قد اكتظت بأعدائه ، وبات ليلته يفكر دون أن يهتدى إلى رأى.

(١) نلاحظ أن الفاطميين لم يتفقوا مع جمهور أهل السنة فى الصيام برؤية الهـلال ورووا أن قوله صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » إشارة من النبى إلى على بن أبى طالب وأمر من النبى أن يصوم المسلمون اذا رأوا عليا يصوم ولذا ظهر عند الفاطميين موكب ركوب الخليفة فى أول رمضان ، وشهر رمضان عند الفاطميين ثلاثون يوما دائما ولذا اعتبروا السنة القمرية ٣٥٤ يوما وأرستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة أى أن الشهور العربية شهر تام يليه شهر ناقص [راجع كتاب عيون المعارف وكتاب المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٨ والسيرة المؤيدية فى فصل مناظرة المؤيد مع العلوى والرسالة اللازمة لشهر الصوم للحكيم الكرمانى] .
(٢) السيرة ص ٧ . — (٣) السيرة ص ٩

يعمل به ؛ وفى الصباح ذهب إلى الوزير وقال له إنه ليفضل أن يقتل فى شيراز أو يخرج منها قسراً مكبلا بالقيود والأغلال من أن يسير فيغتاله أحد السوقة فى الطريق[1] ، وخير الوزير بين هذين الامرين وبين أن يؤجله الوزير أياما ليعاود بيته ويحصل على نفقات سفره فيخرج خفية حتى لا يشعر بخروجه أحد ، فرضى الوزير بهذا العرض الأخير على أن يكون الأجل أسبوعا واحداً ، وهنا نرى دهاء المؤيد وحذره فقد كان رجلا يعرف كيف يقهر خصمه بمكره وسياسته ، نراه قد أجاب الوزير بقوله : « سمعا وطاعة . . . إلا أن فى الأمر حالة لا يسعنى إهمال ذكرها والاستئذان فى بابها . قال الوزير وما هى ؟ قال : معلوم ما بينى وبين الديلم من الأحوال الممهدة والأسباب المؤكدة وأن أحدهم إذا اختصم مع أهله ليلا فانه يباكرنى شاكيا ، وموردا جملة أمره وتفصيله علىّ ، ولا شك فى أنهم إذا عرفوا جلية أمرى ضجوا وصرخوا وقاموا وقعدوا فلا يكون ذلك منسوباً إلىّ ولا معتداً بجناية علىّ . . . فطلب اليه الوزير أن يمنع عن لقاء الناس هذا الأسبوع فوعده المؤيد بذلك وخرج ، فأغلق بابه ومنع الناس عن لقائه ، ولكن جمهور شيعته تحدثوا بذلك كله واجتمعوا فى سوق الدواب بشيراز[2] مظهرين سخطهم مهددين السلطان بثورة دامية لحماية أنفسهم ودينهم ، وخشى السلطان مغبة الأمر فطلب من الوزير العادل أن يتدارك الأمر ، فاضطر الوزير إلى استدعاء القاضى السنى والقصاص وهددهم جميعا بالقتل والمصادرة إن تعرضوا للشيعة واستدعى الديلم وسألهم عن سبب تجمهرهم وثورتهم فأجمعوا على أن نفى المؤيد هو سبب ذلك كله فأنكر الوزير قصة النفى « لأن المؤيد أجل قدراً وأبسط حشمة أن يتناول بشىء من ذلك[3] » ثم سمح للمؤيد بعد يومين بأن يفتح بابه للزائرين وأن يعقد مجالسه كالعادة ، ولكن المؤيد كان حذرا من الوقوع فى شرك ينصب له فاضطر إلى نقل بعض كتبه وأوراقه إلى مكان لم يذكره لنا وجلس مستسلما لما تأتى به المقادير فكان يسمع بين الفينة والفينة إشاعات عزم أهل السنة على الفتك به ففكر فى الخروج إلى الأهواز[4] وأن يقيم بها حتى يقضى الله أمره واتفق أن السلطان أبا كاليجار كان يستعد للسفر إلى الأهواز[5] أيضا فظن المؤيد أنه يستطيع السير فى صحبة الركب ولكنه فوجىء بأمر

(١) السيرة ص ١٠ .
(٢) كان هذا الموضع يختص بالديلم إذا شغبوا (السيرة) ص ١١ .
(٣) السيرة ص ١٣ .
(٤) وكان للديلم بها تجمع (السيرة) ص ١٤ .
(٥) السيرة ص ١٤ .

الوزير يمنعه من السفر فى ركب السلطان[1] فذهب المؤيد إلى الوزير محتجا على هذا التصرف فاعتذر إليه الوزير بأن السلطان لا يطيق سماع ذكر المؤيد ونظر المؤيد حوله ، فاذا به وحيد قد سافر أكثر شيعته من الديلم فى ركب السلطان وهم يعتقدون أن المؤيد معهم وخشى المؤيد أن يصاب بمكروه فى هذا البلد ، وبينما كان يفكر فى أمره علم بوجود قافلة على وشك المسير إلى بسا[2] فأسرع ورافق المسافرين إليها وهناك أخذ يبنى مشهداً مختصاً بالشيعة وأهل دعوته ولم يكن بها مبان للشيعة قبل ذلك[3] واجتهد معه الديلم فى بناء هذا المسجد فرماه الناس بالسحر لأنه استطاع أن يسخر الديلم الجبابرة كما سخر سليمان الجن .

المؤيد وأبو كاليجار[4]

عاد السلطان أبو كاليجار إلى شيراز فى نفس الوقت الذى عاد المؤيد فيه إليها ، ولكن المؤيد لم يكن مطمئناً من وجوده فى هذا البلد بل كان خائفاً يترقب ، وكان أن خرج ذات يوم إلى طريق القوافل لاستقبال صديق من الديلم فى طريقه من الأهواز ، وكان مع الركب أحد ندماء السلطان المقربين إليه ، فسار المؤيد معه طول طريقه إلى شيراز يبثه شكواه وطلب إليه أن يحدث السلطان فى أمره حتى يقلع عن اضطهاده ، وبينما المؤيد والنديم فى هذا الحديث إذ جاء رسول من قبل السلطان يدعو هذا النديم لمقابلة السلطان ، وعاد الرسول إلى السلطان يحدثه أن النديم كان يساير المؤيد ويتحدث إليه ، فلما أن مثل بين يدى السلطان سأله عما كان بينه وبين المؤيد من حديث ، فأورد إليه الرجل ما وعته ذاكرته ، فحمله السلطان رسالة إلى المؤيد على أن يؤديها له خارج منزله ، فقابله المؤيد خارج المدينة بعيداً عن الرقباء وأبلغه النديم رسالة السلطان وهى أن المؤيد يسعى بالفساد فى المملكة حتى قيل عنه إنه يريد البروز إلى المسجد لاقامة الصلاة والخطبة باسم المستنصر الفاطمى ولولا ذلك لشمله السلطان بعنايته . لم يشأ المؤيد الا أن يجيب عن هذا كله بل نرى فى جواب هذه الرسالة شيئاً من شجاعته وإقدامه مع حذر وتلطف فى الحديث إذ قال[5] : « إن هذا الأمر الذى أتولاه ما أنا أبدعته

(١) السيرة ص ١٥ .
(٢) موضع على بعد أربع مراحل من شيراز وأهلها من أهل السنة ولكن كان بها بعض الديلم (ص ١٦ السيرة المؤيدية) .
(٣) السيرة ص ١٧ . — (٤) السيرة ص ١٨ وما بعدها . — (٥) السيرة ص ١٨ – ١٩ .

ولا فى أيامى أحدثته فإنه قديم تقضت عليه السنون واندرج فى معرفتـه ومشاهدته الملوك ولو علم أنه يحدث فساداً لما نامت عيون لحولة بنى بويه عن إحالته وتغييره ، ولما كان أكثرهم يؤثره لنفسـه ديناً لقى الله تعالى به ، ولـكن المقبحين قبحوا الصورة بحضرة الملك ولو أنه استقصى الأمر لوجد قدماء أكثرهم بذلك دائنين » وأنـكر المؤيد ان يكون قد عزم على الخطبة فى المسجد باسم المستنصر وإن كان فى صميم نفسه يرجو أن يتم هذا الأمر فى أيام الملك أبى كاليجار ، واتبع هذا بأن السلطان اعتاد أن يستمع لخصوم المؤيد وكان يجب أن يعرف أقواله أيضاً حتى يميز بنفسه بين القولين . ونفذ النديم بهذا القول إلى السلطان . ثم عنّ للمؤيد أن يكتب رسالة إلى السلطان فنمق خطابا أصدره إليه فأعجب أبو كاليجار (١) بأسلوب المؤيد وبيانه فطلب السلطان إلى الوزير أن يستدعى المؤيد ويكرمه على أن يستمر المؤيد فى دعوته دون أن يجهر بها أمام العامة .

استطاع المؤيد بدهائه وحجته أن يكسب عطف السلطان أبى كاليجار ، وأن يبقى فى شيراز يقيم مراسم دعوته ، ولـكن نفسه طمحت إلى لقاء السلطان وإلى أن يجعله يعتنق الدعوة الفاطمية ولم يكن السلطان قد رأى المؤيد من قبل ، وسنحت له الفرصة ، ذلك أن المؤيد وقف فى الصحراء (٢) معترضا لركب السلطان فى طريقه للصيد ، فلما دنا منه السلطان نزل المؤيد وخضع ودعا له ، فلما سأل السلطان عنه سر به وأمر بأن تقدم له دابته ، ولما عاد السلطان من الصيد تلقاه المؤيد أيضاً فى الطريق ، فـكان نتيجة ذلك أن أمر السلطان بأن يحضر المؤيد المجلس السلطانى متى شاء ، فتردد المؤيد على المجلس وأخذ يتقرب إلى السلطان والسلطان يزداد إعجابا به ومحبة له ، وطلب إليه أن يناظر مخالفى دعوته كتابة حتى يتسنى للسلطان أن يقرأ بنفسه هذه المناظرات ويميز بينها ، فاستطاع المؤيد بقوة حجته وبلاغته أن يقهر خصومه حتى اضطر السلطان إلى أن يقول له « إنى أسلمت نفسى ودينى إليك وإننى راض بجملة ما أنت عليه (٣) » وهكذا دخل السلطان أبو كاليجار الدعوة الفاطمية دون أن يعلن ذلك فى الناس أو أن يدعو للخليفة الفاطمى على المنابر ، واتفق السلطان والمؤيد على أن يجتمعا مساء كل يوم خميس للمذاكرة فـكان السلطان يسأل المؤيد عن شئون المذهب ، وحدثنا المؤيد عن إجابته بقوله : « وكنت أجيب عنه جوابا يظهر أكثره تباشير الفرح فى وجهه ، واسأله كيف وقع هذا الجواب منك فربما حرك رأسه يعنى أنه جيد فلا أرضى دون أن أقرره بلسانه أنه ما دخل فى مسامعه مثله ، قصدا منى لتندمه على فرطاته وإقامة الحجة عليه بكون الحق فيما يحسبه ضلالا

(١) السيرة ص ٢٠ . — (٢) السيرة ص ٢١ . — (٣) السيرة ص ٦١

والرشد فيما كان يظنه غيا (١) » كان يبدأ مجالسه مع السلطان بقراءة شيء من القرآن الـكريم ثم بباب من كتاب « دعائم الاسلام » للقاضى النعمان ثم يسأله السلطان عما غمض عليـه من أمر المذهب ويختمها بالحمد والدعاء للخليفة الفاطمى ثم لأبى كاليجار .

استمر المؤيد على هذا المنوال فى علاقته مع السلطان وهذا يزداد إعجابا به ومحبة له ، فلما وثق المؤيد من هذا كله أخذ فى تهجين الشراب والخلاعة إلى السلطان ، وكان ذلك سببا فى غضب ندماء السلطان على المؤيد ومحاولتهم الايقاع به حتى لا يستأثر به السلطان دونهم وكان أشدهم حقداً على المؤيد نديم ادعى للسلطان انه كان قد اعتنق الدعوة الفاطمية ولـكنه عاد فتحول عنها ورمى الفاطميين بالـكفر والالحاد ، فتحدث السلطان إلى المؤيد بهذا القول أمام النديم فاضطر المؤيد إلى أن يدافع عن دينه وأن يقيم البرهان على كذب النديم وافترائه وبذلك اتخذ المؤيد من هذا النديم الذى لا نعرف اسمه — خصما عنيدا (٢) جعل يلقى المؤيد بكل مكيدة ويرميه هو والمستنصر الفاطمى بكل فاحشة ، واشتدت الخصومة بين المؤيد وندماء السلطان أبى كاليجار حتى قامت بينهم منافرة قوية أمام السلطان ، فاضطر المؤيد أن يخاطب السلطان بقوله « ما ينجينى منك لا سخط ولا رضى ، فقد كنت قبل المعرفة قاصداً لروحى بلا بصيرة ولا بينة وكان يتجافى جنبى عن المضجع رهبـة من بغتاتك وخوفا من سطواتك فلما سهل الله تعالى وأدنانى من رقدتك وجمع بينى وبينك فعلمتُ بك ما لم يفعل بك والدك صرت لا أتخلص من أذى من هم حولك ولقائهم إياى بالخدع والمخاتل (٣) » فـكان هذا القول سببا فى ازدياد الوشايات ضده إذ هول الندماء الأمر فى نفس السلطان مدعين أن المؤيد خاطب السلطان بما لم يخاطب بمثله سلطان من قبل ، وما زالوا بالسلطان حتى أظهر موجدته ، فأمر بقطع المجالس الليلية مع المؤيد مدة طويلة وعوتب المؤيد على ما تفوه به فاعتذر المؤيد بمثل ضربه عن ابن الاسكندر (٤) فـكان هذا الحادث سـببا فى أن ينظم أرجوزته التى سماها « المسمطة (٥) » وكان ذلك حوالى عام ٤٣٣ هـ أى فى السنة التى توفى فيها الوزير العادل وتولى الوزارة مهذب الدولة أبو منصور هبة الله بن احمد الفسوى (٦) وكان هذا الوزير الجديد يبغض المؤيد ومذهبه وكان يتوهم أن المؤيد إنما يسعى لتولى الوزارة فقوى بذلك أعداء المؤيد وأكثروا فى الطعن عليه .

(١) السيرة ص ٦٢ . — (٢) السيرة ص ٦٤ .
(٣) السيرة ص ٦٧ . — (٤) السيرة ص ٦٨ .
(٥) السيرة ص ٧٠ . — (٦) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٤٤ حوادث سنة ٤٣٣ .

نكبة المؤيد (١)

توجه المؤيد إلى الأهواز واحتوى بطريق لا نعلمه على مسجد مهدم كان يأوى إليه بعض رجال الصوفية فجدد عمارة هذا المسجد وكتب على محرابه أسماء النبى وعلى والحسن والحسين حتى اسم محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ووصلها بأسماء الخلفاء الفاطميين من المهدى إلى المستنصر (٢) بالمذهب على ألواح ساج ثم أقام الأذان « بحى على خير العمل » ولم يكتف بهذا بل طلب ممن حضره من الديلم أن يقيموا صلوات الجمعة مشفوعة بالخطبة للمستنصر الفاطمى صاحب مصر (٣) قال المؤيد « فلما كان يوم الجمعة أمرت عشرين نقيبا يصعدون إلى سطح المسجد ويؤذنون « بحى على خير العمل » فقامت ضجة فى المدينة شغلت الناس عن المسجد الجامع وفاض الديلم على الموضع فيضا وكان الأمر جاريا على هذه المثالة فى كل جمعة والدنيا تموج بأهلها خوضا وكلاما كيف كان سبب هـذا و كيف تم (٤) ؟ وهذا ما أشار إليه المؤيد فى ديوانه مفتخرا بجرأته وإقدامه :

وانشأت فى داره دعـوة بذكرك مكشوفة ظاهرة (٥)

وقوله :

سـل بقعـة الأهواز عن فعـلى تجبك معـاهد (٦)

كتب قاضى الأهواز (٧) ابن المشترى إلى الخليفة العباسى ببغداد ينعى حلافه العباسيين وطلب إلى الخليفه أن يصانع أبا كاليجار وأن يقبض على المؤيد وأن يهدد أبا كاليجار إن لم يسلم المؤيد الى رسول الخليفة العباسى .

علم المؤيد بهذا كله كما تطايرت الإشاعات بعد قليل بوصول ابن المسلمة (٨) إلى البصرة رسولا من قبل الخليفة العباسى إلى أبى كاليجار ، وتناقل الناس سبب مجىء هذا الرسول

(١) السيرة ص ٨٠ وما بعدها . — (٢) نلاحظ أنه لم يذكر أسماء الأئمة المستورين .
(٣) السيرة ص ٨١ . — (٤) السيرة ص ٨١ .
(٥) ق ٣٦ ـ ٤١ . — (٦) ص ٣٥ ـ ٤٠ .
(٧) هو أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشترى قاضى خوزستان وفارس وكان شافعى المذهب فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة (ابن الأثير ج ٩ ص ٣٦٠) .
(٨) هو أبو القاسم على بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء (ص ٩ تاريخ سلجوق . ج ٥ ص ٦ النجوم الزاهرة . ج ١٢ ص ٥٤ مرآة الزمان وص ٣٩٦ الفخرى) .

تخاف هذا من أن يصيبه مكروه من شيعة المؤيد فاضطر ابن المسلمة إلى أن يكاتب المؤيد على لسان بعض الرؤساء نافيا عن نفسه ما أرجف به الناس وزاعما أنه إنما ورد إلى البصرة لتعهد اقطاع الخليفة . ولـكن المؤيد فطن إلى خديعة ابن المسلمة وكذبه ولذلك أطلق عليه فى ديوانه لقب «ابن دمنة» وعلم المؤيد أيضا أن ندماء ابى كاليجار اغتنموا هذه الفرصة للايقاع بعـدوهم فاضطر المؤيد إلى الاسراع بالعودة إلى شيراز فاراد السلطان أن يتدبر الأمر حتى لا يثور الديلم وشيعة المؤيد ولا سيما أن ابن المسلمة رسول الخليفة العباسى كان فى طريقه إلى شيراز أيضا ، فاقترح النـديم عدو المؤيد أن يعقد السلطان مناظرة بين المؤيد وشريف علوى على مذهب الزيدية على أن يعد النديم قوما يقطعون على المؤيد خاطره حتى يغضب ويخرج عن أدب المناظرة فيكون حجة عليه فى الوضع منه ، وسلامة من ثورة أتباع المؤيد لأن المناظر له علوى مشهور بالسداد والتقوى معا (١) فاعجب الملك بهذا الرأى وأرسل إلى المؤيد يدعوه لمناظرة العلوى واتفق أن كانت المناظرة فى أوائل شهر رمضان (٢) فبدأ المؤيد المناظرة بأن قص على العلوى قصة انبه فيها لأن المؤيد إنما كان يدافع عن العلويين ويعمل على تأييد سلطانهم بينما العلوى كان يمالىء خصوم العلويين ويناظر من يدافع عن عقيدتهم ، ولـكن السلطان أمرهما بترك اللوم والتأنيب ورغب أن تكون المناظرة فى موضوع الصيام أهو برؤية الهلال كما قال جمهور أهل السنة والجماعة أم بغيره كما قال الفاطميون (٣) وتجلت فى هذه المناظرة العنيفة حجة المؤيد وفصاحته مما أفحم به مناظره العلوى وأخرجه من الميدان بين ضحك الملك وسخرية الحاضرين حتى من كان خصما للمؤيد (٤) وفشل النديم فى مؤامرته هذه فازداد غضبا على المؤيد وأ كثر من وشاياته ضده ، فادعى ان المؤيد أغرى جمهور الديلم للبطش به وأن الديلم تناولوه بألسنتهم ومجالسهم بالقبيح ، وكان السلطان أبو كاليجار بين أمرين كان يريد أن يرضى الخليفة العباسى وفى الوقت نفسه « كان يخاف الله فى المؤيد ويحتشم من فعله به بلا ذنب ولا جرم . . ومن بعد أن عاهد الله على حفظ المؤيد والممانعة عنه (٥) » غير أن كفة الهوى كانت أرجح من كفة العقل اذ قرر السلطان أن يصانع الخليفة العباسى ولو كان فى ذلك القضاء على المؤيد ، وقامت بشيراز ضجة بحديث المؤيد وذكره وتباشر أعداؤه فى كل بقعة وأرسلت الـكتب إلى البلدان المجاورة بالتهنئة برجوع

(١) حاولنا معرفة هذا العلوى فلم نوفق .
(٢) أرجح أن ذلك كان عام ٤٣٥ هـ لأن المؤيد حدثنا فى سيرته أنه عاد إلى الأهواز بعد ذلك وقابل القاضى ابن المشترى والقاضى توفى سنة ٤٣٦ .
(٣) عيون المعارف ص ٣٣٧ . — (٤) السيرة ص ٨٧ . — (٥) السيرة ص ٨٩ .

السلطان عما كان عليه وأن الملك قتل المؤيد ، وسمع المؤيد واحدا يهنىء الآخر بأن المؤيد فعل به كذا حتى قطعت البغلة التى كان يركبها قطعة قطعة فقال المبشر : « ناولنى يدك أبوسها » فقال الآخر « بل هات صدرك فامسحه على صدرى لتدمر قلوبنا التى فى الصدور بانكشاف هذه الغمة عن الاسلام والمسلمين (١) .

وكان من عادة السلطان أبى كاليجار أن يذهب إلى المسجد الجامع كل يوم جمعة من رمضان فأراد النديم أن يقذف المؤيد بآخر سهم فى كنانته ، فجمع عدداً كبيرا من وجوه المدينة الذين نقموا على المؤيد وطلب إليهم جميعاً أن يفرقوا أتباعهم فى السوق وأن يصطفوا يوم الجمعة من باب دار الملك حتى المسجد الجامع ويضجوا بالشكر والدعاء للملك الذى كفى الاسلام عادية المؤيد ، وهنا وصف لنا المؤيد ما كان فى هذا اليوم بقوله « فاما كان يوم الجمعة سمعت فى منزلى ما لم أشبهه إلا بنفخ الصور حقيقة ، وما حسبت الا أن السيوف تأخذنى من أقطارى والنار تحرق إلى جوانب دارى وقعدت مستسلماً لأمر الله سبحانه وتعالى وحكمه . . . فلو لم أقاس من الشدائد غير تلك الساعات لكان كثيراً (٢) ووصف ذلك فى ديوانه بقوله :

وهاج على الناصبون بأسرهم   تموج بهم شيراز هيج ذوى لوتر
وأجلب من بغداد طاغوت دينهم   علىَّ بخيل الشك والشرك والكفر
وصار دمى يغلى لنذرهم دمى   وأحشاؤهم تغلى ببغضى غلى القدر (٣)

وبعد الصلاة أرسل السلطان إلى المؤيد وطلب إليه أن ينجو بنفسه إلى أى صوب شاء وبعد يومين أرسل السلطان مرة أخرى بخطاب ورد إلى السلطان من الخليفة العباسى بالوعيد والتهديد والقدح فى نسب الفاطميين وأن دعوتهم كانت فى الخفاء والستر وأن أحداً لم يقدم على مثل ما أقدم عليه المؤيد وعلى السلطان أن يسلم المؤيد إلى رسول الخليفة وإلا اضطر الخليفة إلى أن يستنصر بطغرلبك التركمانى (٤) فوعده المؤيد بالخروج من المدينة ولكن النديم أشار عليه بأن يحبس المؤيد فى داره ولا يسمح له بالهرب خشية أن يثور الديلم ويشتد الفساد ، فاستمع السلطان إلى هذه النصيحة وأمر المؤيد بأن يغلق عليه داره ولا يخرج منها حتى يرى الملك رأيه (٥) .

وبعد أيام قليلة قدم ابن المسلمة رسول الخليفة إلى شيراز وسلم هدية الخليفة إلى أبى كاليجار ثم أرسل إلى المؤيد بأن يترك مذهبه ويعدل عن رأيه حتى يفوز برضاء الخليفة

(١) السيرة ص ٩٢ . — (٢) السيرة ص ٩٣و٩٤ . — (٣) ق٥٣ – ١٤و١٥و١٦ .
(٤) السيرة ص ٩٥ . — (٥) السيرة ص ٩٦ .

العباسى ويستعيد مكانته فى بلاط السلطان أبى كاليجار (١) فأجابه المؤيد : إن الأمر الذى أنا بصدده أمر دعانى إليه التدين به . واعتقادا لكتاب مرضاة الله فيه وليس اعتقادى فى هذا الانسان الذى هو بمصر. وقلت إنه لا يضرنى ولا ينفعنى كاعتقادك فى من أرسلك ولست بالذى يقف موقف المعتذر إليه ولو قتل ألف قتلة ، ولم يكن فى خدمة الملك فائدة فيصبو قلبى إلى الرجوع إلى تلك الفائدة (٢) . وبالرغم مما أظهره المؤيد من شجاعة وجرأة فى جوابه هذا فانه كان يخشى أن يقبض عليه وأن يسلم فى يد ابن المسلمة حتى ترك هذا شيراز ومع ذلك فكان خوف المؤيد شديداً من المكايد التى كانت تنصب له ومن بغتات العوام ولا سيما وقد ثبت فى نفس جمهور الشعب أن السلطان خصم للمؤيد ، واستمر المؤيد على هذا النحو من حياة الاضطراب والخوف زهاء سبعة أشهر قال المؤيد « أبل بالدم ريقى ولا أعقل شيئاً من أمرى وأنا قاعد فى كن بيتى (٣) » .

هرب المؤيد من شيراز (٤)

شاء السلطان أبوكاليجار أن يرحل إلى الأهواز فى عامة العسكر ، ورأى المؤيد أنه فى مركز دقيق إذ كان لا يأمن غدر خصومه به ، فاستأذن السلطان فى السير مع الركب فلم يجب طلبه فأعمل فكره فى الهرب بحيلة ومكيدة ، فأشاع بين أصحابه أنه مسافر مع الجماعة متنكراً ، وأشعر المسافرين إلى الأهواز أنه مقيم بشيراز وإنما يحمل معهم شيئاً من رحله ودوابه وغلمانه وتنكر المؤيد فى زيه واشترى غلامين مجهولين وسلك بعض المجاهل ، فكان يكترى من مرحلة إلى أخرى دابة يركبها ، وتحمل خلال ذلك من المشى وخوض الأودية والصبر على البرد وكثيراً ما كان يحل بأقوام لاكته ألسنتهم وسبوه أقبح سب دون أن يشعر به أحدهم . قال المؤيد « وحسبك بمن يقطع طرقات هذه سبيلها ويسمع بنفسه فى نفسه مثل تلك العظائم (٥) » .

وصل المؤيد جنّابه فى يوم مطير فدخل مسجداً ملتجئاً إليه ، فقابله رجل عرفه فتقرب إلى المؤيد ونظر إلى هيئته فعلم أنه هارب ، فعرض عليه نفسه وماله فشكره المؤيد وطلب إليه ألا يفشى سره ، وجاءه إنسان علوى وذكر للمؤيد أنه رآه وهو يبنى مسجد الأهواز فأنكر المؤيد معرفة هذا المسجد وزيارته للأهواز

(١) السيرة ص ٩٧ . — (٢) السيرة ص ٩٧ و ٩٨ . — (٣) السيرة ص ٩٩ .
(٤) ص ١٠٢ وما بعدها . — (٥) السيرة ص ١٠٣ .

إلا جوازاً فى طريقه فصرح له العلوى أن أهل المدينة قالوا إنك المؤيد ! فأجابه المؤيد « قد سمعت باسم هذا الرجل أنه إنسان كبير الشأن متملك لقادة الديلم عظيم المنزلة إلا أنى ما رأيته ، وقد يشبه الناس الناس وربما يشبهنى به المشبه(١) » فذكر له العلوى أن بعض الناس أشاروا على والى جنابه أن يقبض عليه ، وهم الوالى بالفعل أن يعوق المؤيد عن السفر ولكن العلوى نصح الوالى أن يمتنع عن ذلك . ودخل على المؤيد ثالث حدثه بأن أهل البليدة أكثروا الخوض فى ذكره واحتاروا فى أمره فمن قائل إن هذا المتنكر هو ظهير الدين صاحب البصرة (٢) قد أفلت من سجنه وهو فى طريقه إلى البصرة وقائل إنه المؤيد ، فأنكر المؤيد أنه أحد الرجلين إنما هو علوى عابر سبيل وطلب المؤيد من الرجل أن يبحث له عن حمار يكتريه حتى يخرج من البلدة حالا فغاب الرجل عنه قليلا وعاد إليه ومعه المكارى دون الحمار ، ووعده المكارى بالحضور صباح اليوم ولكنه لم يعد فأيقن المؤيد أن الوالى منعه من الرحيل فأرسل فى طلب المكارى فعاد إليه قبيل غياب الشمس ومعه الحمار ، فسار المؤيد وهو لا يكاد يصدق بنجاته ، وسار مدة شهر كامل سفراً » فى مقاساة شظف العيش واشتمالا على ملبس الروع (٣) حتى دخل منزله بالأهواز قبل أن يصلها الملك إذ كان الملك يعرج فى طريقه على المنتزهات حتى أنه قام فى بلدة سابور(٤) شهراً وبلغ الملك وهو فى طريقه إلى الأهواز أن المؤيد خرج من شيراز وأنه مع الركب متنكراً نخشى الملك مغبة هذا الأمر وأقام العيون فى خيام الديلم ليعلم أين المؤيد وكان يتأمل الراكبين واحداً بعد واحد ويكشف وجوه الملثمين عساه يعثر على المؤيد ولكن خاب سعيه .

المؤيد فى الأهواز (٥)

كشف المؤيد القناع عن نفسه بعد أن وصل إلى الأهواز وقابل شيعته وزائريه ، وبلغ الملك وصول المؤيد إلى الأهواز واجتماع الناس به فامتلأ قلبه غيظا وحنقا ، ووجد ندماء الملك أعداء المؤيد أن الفرصة سانحة للقضاء على المؤيد فأبلغوا السلطان أن المؤيد خالف أمره وسابقه إلى الأهواز ليثير بها الفتن ويغرى الديلم بالعصيان ، واستمع الملك إلى هذا كله فازداد حقداً وأقسم لينتقمن من المؤيد ، وكان بين حاشية السلطان من كان يحب المؤيد فكاتبوه بهذا

(١) السيرة ص ١٠٤ . — (٢) السيرة ص ١٠٧ . — (٣) السيرة ص ١٠٧ .
(٤) على بعد ثلاث مراحل من شيراز . — (٥) السيرة ص ١٠٨ .

كله واستحلفوه بأن يترك الأهواز إلى حلة منصور بن الحسين(١) أحد أمراء الوادى حتى تهدأ ثائرة الملك ، فاضطر المؤيد إلى أن يستمع لنصحهم ورحل إلى حلة منصور فأكرمه أميرها منصور بن الحسين وسأله عن حاله فبسط له المؤيد قضيته فوعده منصور بأنه سيسعى لإزالة ما فى نفس أبى كاليجار وكادت تنجح وساطته لولا وفاة أبى طاهر (٢) البويهى ملك بغداد وطمع أبى كاليجار فى ملك بغداد ولا يتأتى هذا إلا برضاء الخليفة العباسى عن أبى كاليجار ، فصار أمر الصلح مع المؤيد مستحيلا ، ومكث المؤيد نحو سبعة اشهر فى حلة منصور(٣) فضاق صدره وعزم على أن يعود إلى الأهواز مهما كلفه ذلك وكاشف أمير الحلة بما عزم عليه وأشيع عنه ذلك ، فاذا بكتاب جاء من أبى كاليجار إلى الأمير وفيه . . . قد عرفت صورة أبى نصر أحسن الله توفيقه وإننا كل يوم فى صداع من جهة الديلم باحتجاجات باطلة يتشبثون بها ظاهراً وهو مغزاهم وغرضهم منها باطناً ، ثم إنه قامت رغبتنا فى بغداد وامتلاكها وليس يكاد يتم الغرض فيه إلا بالمجلس الخليفى الامامى إذا استقر به العلم أن هذا الانسان مقيم بفناء حضرتنا على جملته كان ذلك ردماً فى وجه ما نؤثر بلوغه وحاجزاً بيننا وبينه ، وقد انتهى إلينا انه على معاودة الأهواز فالله الله أن توجده سبيلا إلى ذلك فانه إن عاد وقعت فتنة نصلى بنارها (٤) ولكن المؤيد لم يعبأ بهذا القول وصمم على العودة إلى الأهواز ظاهراً أو متنكراً مهما كلفه ذلك ولكن بلغه أن المستنصر الفاطمى أرسل خلعاً وألقابا إلى قرواش بن المقلد(٥) صاحب الموصل والكوفة والأنبار فرأى المؤيد أن يذهب لزيارة قبر الامام على وقبر الحسين بن على ثم يواصل سيره إلى الموصل حيث قرواش وأحضر له منصور بن الحسين الدواب التى حملته فى سفرته هذه .

اتجه المؤيد إلى قرواش بالموصل ظنا منه أنه سيساعده فى نشر الدعوة الفاطمية فى البلاد

(١) هو منصور بن الحسين الأسدى الذى ملك الجزيرة الدبيسية بجوار خوزستان سنة ثمان عشرة وأربعمائة وقطع خطبة جلال الدولة البويهى وخطب للملك أبى كاليجار (ابن الأثير ج ٩ ص ٢٦٠) .
(٢) الأمير جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه ولد سنة ٣٨٣ ومات سادس شعبان سنة ٤٣٥ (ابن الأثير ج ٩ ص ٣٥٢ و ص ٣٢٠ من تاريخ مختصر الدول) ولكن الذى فى النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٧ انه مات خامس شعبان سنة ٤٣٦ .
(٣) ص ١١٠ .
(٤) ص ١١٠ .
(٥) هو أبو المنيع قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل ولقبه الخليفة القادر معتمد الدولة واستماله الحاكم الفاطمى فخطب قرواش ببلاده للفاطميين ثم رجع عن ذلك وتوفى سنة ٤٤٣ (النجوم ص ٤٩ ج٥-ص٣١١ تاريخ مختصر الدول) .

ولكن هذا الأمير كان مضطربا أشد الاضطراب كان يميل إلى العباسيين إذا أغدقوا عليه نعمهم ، وكان يخطب للفاطميين بمصر إذا وهبوه أموالهم وألقابهم وخلعهم لم يستقر على حال واحد لا خوفا من أحد الطرفين ولكن استهانة بكليهما وطمعا فى الألقاب والهدايا فلما وجده المؤيد على هذا النحو من التقلب اضطر إلى أن يتركه فى تخبطه وأن يتجه إلى مصر حيث إمامه المستنصر لدين الله الفاطمى

الفصل الثانى

المـــــؤيد فى مصر

المؤيد فى مصر [1]

سار المؤيد إلى مصر وهو بين عاملين كان عنده أمل فيما سيلقاه من نعيم وتقديم إذ كان وحيدا فى علمه وحجته ، خدم الدعوة وأيدها بمنطقه وبيانه ، وكان بجانب أمله هذا يائسا أشد اليأس لأنه كان يعلم أن إمامه غير متصرف فى شئون بلاده وأن هنالك قوة أخرى كانت تدير البلاد تلك هى أم الخليفة المستنصر وسنرى كيف خاب أمله وتغلب يأسه

لم يثبت لنا المؤيد ولا غيره من المؤرخين والكتاب متى دخل المؤيد مصر ولم يحددوا تاريخ دخوله مصر غير أن المستشرق ايفانوف صاحب المرشد إلى أدب الاسماعيلية قال إن المؤيد جاء مصر فى نفس العام الذى وصلها فيـــه ناصرى خسرو أى عام ٤٣٩ هـ ولا أدرى من أين أتى بهذا التاريخ ، أما الدكتور همدانى فزعم أن المؤيد وصل مصر سنة ٤٣٠ هـ قبل وصول ناصرى خسرو بتسع سنوات والظاهر أن الدكتور همدانى لم يكن دقيقا فى تحديد هذا التاريخ لأننا علمنا أن المؤيد كان بحلة منصور فى شعبان عام ستة وثلاثين وأربعمائة قبل أن يفكر فى زيارة مصر ، ومعنى هذا أن المؤيد جاء مصر بعد عام ٤٣٦ هـ وحدثنا المؤيد أنه لقى أبا سعيد التسترى بمصر والوزير الفلاحى وذكر المؤرخون أن أبا سعد التسترى قتل عام تسعة وثلاثين وأربعمائة وإذن فالمؤيد جاء إلى مصر بين سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وعقب وصوله أدخل توا إلى مقر الخلافة [2] ولكنه لم يتمكن من مقابلة الإمام المستنصر بل قابل الوزير الفلاحى [3] الذى أكرمه

---

(١) السيرة ص ١١٨ وما بعدها . — (٢) السيرة ص ١٢١ .

(٣) هو الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف قتل سنة ٤٤٠ وكان أول أمره يهوديا فاسلم واتصل بالدزبرى قائد الفاطميين بالشام فخدمه ثم خافه فعاد إلى مصر وخدم الجرجرائى الوزير فلما توفى هذا استوزر المستنصر الفلاحى .

ورحّب بوصوله وأمر بأن تجهز له دار وصفها المؤيد بقوله « فأخذونى إلى دويرة كانت فرشت لى هى من الكرامة فى الدرجة الوسطى من الحال لا بالاكثار ولا من الاقلال [1] » وعلم ممن حوله أن المتصرف فى البلاد كلها هو أبو سعيد التسترى فذهب المؤيد ثانى يوم لزيارة هذا الرجل الذى بالغ فى إكرام المؤيد وأحسن لقاءه ووهبه الأموال والخلع ثم زار القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن نعمان وكان يتولى القضاء والدعوة معا ولذا كان يخشى من حضور المؤيد إلى مصر خوفا من أن ينافسه المؤيد فى الدعوة، فكان القاسم يعمل دائما على ابعاد المؤيد من مصر .

أخذ المؤيد يتردد على أبى سعيد التسترى كان التسترى يعده ويمنيه، ونصحه ألا يتقرب إلى أحد من وجوه المصريين حفظا لمكانته فى النفوس، ورغب التسترى فى أن يختص بالمؤيد وبلغ ذلك جماعة من المصريين فحسدوا المؤيد ووشوا إلى التسترى بما أثبته المؤيد بقوله «كيف تطوع لك نفسك أن تأخذ هذا الرجل الأعجمى المقام الذى أنت مخصوص به، وما يؤمنك أنك إذا أدخلته أخرجك وإذا قدمته أخرك وهو أبسط منك لسانا وأقوى جنانا وهو يدل بعزة الاسلام والتخصص بالدعوة والخدمة [2] » فكان لهذا الكلام أثره فى نفس التسترى الذى قلب للمؤيد ظهر المجن فكان يقابله بكل جفاء وغلظة واشتد الأمر على المؤيد حتى أنه أصيب بالاغماء فى ليلة من ليالى رمضان كان يتناول فيها الطعام عند الوزير الفلاحى .

لم يستطع المؤيد أن يقيم فى مصر أكثر من ذلك، ففكر فى الرحيل عنها وذهب إلى التسترى يحدثه بما عزم عليه فظن التسترى أن المؤيد غير جاد فى هذا القول، ولذا سمح له التسترى بالرحيل ووعده بأن يرسل الكتب إلى الأمراء فى الطريق ليحسنوا إلى المؤيد ولكنه رأى المؤيد يستعد له حيل حقا فأرسل التسترى إليه يمنعه من السفر، فاضطر المؤيد إلى أن يغلظ للتسترى القول وأن يظهر ما فى نفسه من الحنق والغيظ وأن يكشف له القناع عما أراد التسترى أن يخفيه فذكر للتسترى وهو فى ثورة الغضب أنه لم يأت مصر طمعاً فى مال أو جاه إنما جاء لداعى الدين وللقاء الامام وحده دون الوزراء والوجوه ولكنه وجد الإمام محجوراً عليه وأمره ليس بيده، فاشتد حنق التسترى على المؤيد ولكن المؤيد كما كان فى فارس لم يأبه بوعيد ولم يعبأ بتهديد فأخذ يكيل للتسترى السباب فى المجالس والأندية مدة طويلة حتى قتل التسترى عام ٤٣٩ [3] .

---

(١) السيرة ص ١٢١ — (٢) السيرة ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٣) فى نهاية الأرب للنويرى . مخطوط رقم ١٥٧٧ بالمكتبة الأهلية بباريس ورقة ١٠٦ أن التسترى قتل فى جمادى الأولى سنة ٤٣٧ .

طابت نفس المؤيد بعض الشىء وطلب من الوزير الفلاحى أن يتشرف بمقابلة الإمام فساعده الفلاحى إلى ذلك حتى تمكن المؤيد من المثول بين يدى الخليفة فى آخر يوم من شعبان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة [1] . ووصف المؤيد مقابلته الأولى هذه للخليفة المستنصر فقال : « وكنت فى مسافة ما بين السقيفة الشريفة والمكان الذى ألمح فيه أنوار الطلعة الشريفة النبوية، فلم تقع عينى عليه إلا وقد أخذتنى الروعة وغلبتنى العبرة وتمثل فى نفسى أننى بين يدى رسول الله وأمير المؤمنين ماثل وبوجهى إلى وجهيهما مقابل، واجتهدت عند وقوعى إلى الأرض ساجداً لولى السجود ومستحقه أن يشفعه لسانى بشفاعة حسنة بنطقه فوجدته بعجمة المهابة معقولا وعن مزية الخطابة معزولا، ولما رفعت رأسى من السجود وجمعت علىّ ثوبى للقعود رأيت بنانا يشير إلىّ بالقيام لبعض الحاضرين فى ذلك المقام، فقطب أمير المؤمنين خلد الله ملكه وجهه عليه رجراً على أننى مارفعت به رأساً ولاجعلت له قدراً ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لسانى بنطق ولا يهتدى لقول، وكلما استرد الحاضرون منى كلاما ازددت إعجاما ولعقبة العىّ اقتحاما وهو خلد الله ملكه يقول : « دعوه حتى يهدأ ويستأنس » . ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عينى وصدرى ودعيت وخرجت [2] » .

فذهب المؤيد بعد خروجه من حضرة الإمام إلى الوزير الفلاحى ووصف له مقابلته لإمامه وكيف انحبس لسانه من شدة الرهبة، فطأمنه الفلاحى وعينه [3] استاذا على باب المجلس الذى يدخل منه إلى أم الخليفة حتى يكون المؤيد قريبا دائماً من الإمام متصلا به فى كل وقت، فسر المؤيد بذلك وقنع به ولكن أبا محمد الحسن اليازورى [4] المتصرف فى شئون البلاد إذ ذاك خشى مغبة شدة اتصال المؤيد بالمستنصر وأمه فعزله عن عمله هذا فى أواخر عام تسعة وثلاثين وأربعمائة، وبعد أشهر قليلة قبض اليازورى على الوزير الفلاحى وقتله فى المحرم سنة ٤٤٠، وتولى الوزارة أبو البركات الجرجرائى [5] ولكن ما لبثت أن تحولت علاقة اليازورى والجرجرائى من سوء إلى أسوأ وفسدت أشد الفساد، وكذلك كان أمر الجرجرائى مع المؤيد فقد كان الفلاحى سبب صداقتهما ولكن انقلبت هذه الصداقة إلى عداء

---

(١) السيرة ص ١٢٦ . — (٢) السيرة ص ١٢٧ . — (٣) السيرة ص ١٢٧ .

(٤) هو أبو محمد الحسن اليازورى بن على بن عبد الرحمن عهد إليه بالوزارة فى ٧ محرم سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) وسمح له بالبقاء فى منصبه الأول وهو مدير خاصة أم الخليفة وبقى فى منصبه حتى قبض عليه فى أول محرم سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) بتهمة مراسلته لطغرلبك السلجوقى (ابن منجب) .

(٥) ابن منجب ص ٣٧ — ٣٨ والذى فى ابن الأثير أن المستنصر استوزر اليازورى فى ذى القعدة (ج ٩ ص ٣٧٧) .

وبغض[1] وحدث أن أراد الجرجرائى أن يبطش بأصحاب أبى على بن الملك أبى طاهر بن بويه — وكان أبو على قد احتمى بمصر هو وصحبه — فاستنصر أبو على بالمؤيد ليحميه من الوزير فاحتال المؤيد حتى استصدر أمراً من أم الخليفة إلى الوزير بعدم التعرض لأبى على وأصحابه[2] فكان هذا الحادث وأمثاله مما ضاعف البغضاء بين المؤيد والوزير ، وعادت إلى المؤيد سيرته الأولى من كثرة الأعداء حوله حتى قال : « وتحيرت فى شأنى لا أفتح عينا إلا على عدو ولا أرى فى جهة من الجهات إلا ضمير سوء »[3] ففكر فى أن يبتعد عن مصر واستعد لذلك ولكنه سمع أن القاسم بن عبد العزيز بن النعمان عزل عن القضاء والدعوة[4] فطمع المؤيد فى أن يولى الدعوة ولكن أبا البركات الجرجرائى أراد أن يوقع بخصمه اليازورى وأن يبعده عن أم الخليفة ويشغله بالقضاء والدعوة فولاه هاتين المرتبتين معا فى المحرم[5] سنة ٤٤١ ؛ ولكن اليازورى دهاء منه لم يأبه للقضاء والدعوة بل جعلهما فرعاً على عمله فى خدمة أم الخليفة ، وغضب المؤيد لأنه لم يصل إلى مرتبة الدعوة فأتم استعداده للرحيل من مصر فاستدعاه اليازورى وأقنعه بالعدول عن عزمه فظن المؤيد أنه قد أوحى إلى اليازورى من الخليفة أو أم الخليفة أن يبلغ ذلك للمؤيد فاضطر المؤيد إلى الإذعان والخضوع[6] .

كان اليازورى كما وصفه المؤيد رجلا عاطلا من المواهب التى يصح أن يكون بها فى مرتبة الدعوة ، فأراد المؤيد أن يتقرب إليه « واجتهد أن يكون على كثير ممن سبقه إلى هذا المكان مبرزا وأن يكون ما يلفظ به من فوق هذا المنبر معجزا ليعلم أنى قد أمحضته ودى واجهدت فى تجميله وتحسينه جهدى فجعلت أحوك له وشيا من الألفاظ يقرأها فى الأندية لولا توقيعاته فيها بزيادة من عنده هى النقص بعينه »[7] واستمر الأمر هكذا عاما وبعض عام كان المؤيد يضع لليازورى مجالس الدعوة ، وكان اليازورى يقرأها على الناس كأنها من عنده والمؤيد فى هذا كله منقطع عن الجرجرائى ولم يزره إلا لماما ورأى الوزير شدة صلة المؤيد باليازورى فأراد أن يوقع بينهما أو كما قال المؤيد « ويصدم أحدنا بالآخر كما يفعله الدهاة الذين ليس هو منهم[8] » ولكن الوزير لم يفلح وأخيرا قبض على الجرجرائى عام ٤٤٢ وزج به فى السجن[9] وعهد بالوزارة إلى اليازورى فلم يشك الناس فى أن أمر الدعوة صار إلى المؤيد دون غيره ، ولكن خاب فألهم اذ ندب لها القاسم بن عبد العزيز

(١) السيرة ص١٢٩ . — (٢) السيرة ص١٣٠ — ١٣١ . — (٣) السيرة ص ١٣١ .
(٤) فى الكندى أن ذلك كان سنة ٤٤١ . — (٥) الكندى ص ٦١٣ .
(٦) السيرة ص ١٣٢ . — (٧) السيرة ص ١٣٣ . — (٨) السيرة ص ١٣٤ .
(٩) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٩١ .

ابن نعمان[1] مرة أخرى فذهب المؤيد إلى اليازورى معاتبا فاعتذر إليه الوزير بأن عجائز آل النعمان توسطن لدى أم الخليفة فى ذلك ، وأردف هذا بكلام خفف عن المؤيد آلامه[2] ووعده وعدا حسنا وانتظر المؤيد الوفاء بهذا الوعد ولكنه كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، فاشتد حنق المؤيد وأرسل إلى الوزير يشكو عدم الانصاف واخلاف الميعاد ويخيل إلى أن المؤيد هجا الوزير فى هذا الخطاب مما جعل الوزير يستشيط غضبا ويهدده ويتوعده فأجابه المؤيد بعدم المبالاة بوعيد أو تهديد[3] وامتنع المؤيد عن لقاء الوزير نحو سبعة أشهر حتى كانت ثورة بنى قرة وانتصار جيوش الخليفة فى قمع هذه الثورات[4] فى ذى القعدة سنة ٤٤٣ وسارت الوفود إلى الوزير لتهنئته فألح أصحاب المؤيد عليه فى أن يذهب للوزير للتهنئة أيضا فاضطر إلى الذهاب إرضاء لاصدقائه .

المؤيد فى ديوان الانشاء

بعد ذلك بقليل ولى المؤيد دار لانشاء وزيد فى رزقه فتحسن حاله ومع ذلك كانت أحواله مع الوزير بين الرضى والغضب ، وحدث أن أصيب القاسم بن عبد العزيز بن النعمان داعى الدعاة بالفالج فندب إليها[5] ابنه ويئس المؤيد من الوصول إلى مرتبة الدعوة فأظهر العداء للوزير وهجاه فى رسائله وأحاديثه فى المجالس فاضطر الوزير إلى أن يرسل إليه يوما « انى أخذتك من ثلثمائة دينار رزقا إلى ألف وزيادة[6] فلم لا تعرف الحق على نفسك » فأجابه المؤيد بقوله « لو علمت لحوى قولك هذا الذى قلته لقيدت لسانك عنه فإنك هجوت السلطان — خلد الله ملكه — به قبح هجو أن جعلت استحقاقى بحضرته ثلثمائة وفى دولته من لا يوزن ظفراً[7] من أظفارى فى خدمته من جنس المشرقى والمغربى وله المال الممدود من خزانته رزقا وما نكر أنك أخذتنى من قلة إلى كثرة ومن عطلة إلى عمل ولكنك إذ ذكرت ذلك فاذكر بذكره عن أى مكان قطعتنى . . . فلا تمن علىّ بما أعطيت فالذى منعت أكبر[8] »

(١) السيرة ص ١٣٦ . — (٢) السيرة ص ١٣٧ . — (٣) السيرة ص ١٣٨ .
(٤) راجع هذه الثورة فى ابن الأثير ج ٩ ص ٣٩٦ . — (٥) السيرة ص ١٣٩ .
(٦) من الطريف أن للمقريزى ذكر فى خططه أن داعى الدعاة وقاضى القضاة كان يتناول كل منهما مائة دينار رزقا بينما ذكر المؤيد أنه كان يتناول ألف دينار وزيادة وهو لم يبلغ بعد مرتبة داعى الدعاة أو قاضى القضاة .
(٧) هكذا فى الأصل والأصح يزن . — (٨) السيرة ص ١٣٩ — ١٤٠ .

الفصل الثالث

المؤيد ومؤامرة البساسيرى (١)

ظل المؤيد فى مصر بين خصومه وحساده يعمل فى ديوان الانشاء كغيره من كتاب الدولة الفاطمية حتى سمع بأن طغرلبك دخل مدينة الرى سنة ست وأربعين وأربعمائة بعد[٢] أن هادن البيزنطيين وعلم المؤيد أكثر من ذلك أن البيزنطيين اتفقوا مع السلجوقيين لغزو أملاك الدولة الفاطمية فى الشام وأعالى الجزيرة[٣] فعمد المؤيد إلى الحيلة والمكر لدفع هذا البلاء الذى سيحل بالفاطميين فكاتب الكندرى[٤] وزير طغرلبك باللغة الفارسية، كما كاتب أقواماً آخرين ممن كان يعرفهم وظن أنهم على اتصال بالسلجوقيين واجتهد فى أن يستميلهم جميعاً إلى الفاطميين، وكان يرمى بذلك إلى هدفين، الأول أن ينجح مسعاه فى دعوة القوم إلى الفاطميين، والهدف الثانى أن يصل إلى مسامع الخليفة العباسى أمر هذه المكاتبات فلا يطمئن إلى طغرلبك وصحبه، ولكن جيش طغرلبك زحف نحو العراق وخطب له على منابر بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة[٥] وكان البساسيرى قد هرب من بغداد لما علم بقرب وصول السلجوقيين[٦] فاتفق المؤيد مع أولى الأمر فى مصر على أن يكاتبوا البساسيرى ومن معه بأن الفاطميين على استعداد لتأييدهم ومدهم بالأموال والسلاح ضد السلجوقيين، وأرسلت هذه الكتب وسافر المؤيد إلى الحجاز للحج، وبعد عودته عرف أن الرسول الذى أوفد إلى البساسيرى توفى فى الطريق ولم تبلغ الرسائل البساسيرى وعسكره، فاضطر إلى أن يرسل كتباً أخرى وصلت البساسيرى فرحب بها[٧] وبالعمل للخليفة الفاطمى، فأخذ الفاطميون فى إعداد

(١) السيرة ص ١٤١ وما بعدها. — (٢) ابن الأثير ج ٩ ص ٤١١.
(٣) السيرة ص ١٤١ وفى ابن الأثير ج ٩ ص ٤١٨ انه كان يود المسير إلى الشام ومصر وازاله المستنصر العلوى صاحبها.
(٤) هو عميد الملك أبو نصر منصور بن محمد الكندرى (انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٧. دمية القصر للباخرزى ص ١٤٠. النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥) وفى السيرة يسمى بالكيدرى.
(٥) ابن الأثير ج ٩ ص ٤١٨ وما بعدها. — (٦) ابن الأثير ج ٩ ص ٤١٨.
(٧) السيرة ص ١٤٣.

الأموال والخلع والسلاح التى وعدوا بها البساسيرى وانتهز الوزير اليازورى هذه الفرصة لإخراج المؤيد من مصر، فعمد إلى الحيلة إذ سأل المؤيد مرة عمن يصلح لتولى هذا الأمر، ففطن المؤيد من أول وهلة إلى ما كان يرمى إليه الوزير، فدفع الوزير برفق وقابل مكر الوزير بمكر حتى اضطر الوزير إلى أن يصرح له بأن الخليفة نفسه أمر بأن يسافر المؤيد مع هذه الذخيرة[١] فاعتذر المؤيد حتى كان اليوم الذى حددوا فيه سفر الركب بالأموال تمسك الوزير بأذيال المؤيد وأخذ يستعطفه ويلح عليه بأن يكون على رأس هذا الركب، وقال له: افتقرنا إليك وافتقرت الدولة والإسلام والمسلمون وديانتك تقتضى أن تصرخ صريخهم وتجير مستجيرهم. فسخر المؤيد منه قائلا: سبحانى سبحانى إن كنت بهذه المثابة ومحلا لهذه المخاطبة![٢] وبعد إلحاح من الوزير ودفع من المؤيد قبل المؤيد أن يتولى هذا الأمر على ألا يوجه إليه لوم إن فشل فى مهمته فأجيب إلى ذلك وصدر توقيع الخليفة نفسه بقبول هذا الشرط، ودعى المؤيد للبس خلع الوزارة وما شاكلها فاعتذر[٣] عن ذلك مفضلا أن يظل فى زى أهل العلم، ورحل الركب بعد أن ودع المؤيد إمامه وسار بين جلبة عظيمة والناس فى عجب من أمر هذا الرجل الذى كان مقدما على خطر جسيم وهو قلب نظام الحكم فى العراق وإسقاط الدولة العباسية دون أن يتخذ معه جنداً بل كان اعتماده على الأموال والخلع التى كانت معه.

رسم للمؤيد أن يصطنع ثلاثة آلاف رجل من الكلابيين[٤] يسير بهم إلى الرحبة كما أمر بألا يتعرض لابن صالح صاحب حلب[٥] ولكن المؤيد أخذ يفكر فى أمر هؤلاء الكلابيين وقلب وجوه الرأى، فاستصوب أن يتصل بابن صالح مخالفاً فى ذلك ما أمر به، ولذلك لما وصل المؤيد دمشق كاتب ابن صالح وشرح له سبب خروجه وقبل أن يسلم نفسه وما معه من الأموال إليه، كما كاتب الوزير اليازورى وحدثه باتصاله بابن صالح دون اصطناع الكلابيين فأرسل إليه اليازورى يحذره ويتوعده فلم يعبأ المؤيد بنذيره أو وعيده وأطال المؤيد المقام بدمشق واليازورى يرسل إليه يعنفه لتثاقله ويحثه على الاسراع ويكرر له الحذر من دخول حلب ومعاملة ابن صالح[٦]، ولكن المؤيد لم يأبه به واضطر المؤيد إلى أن ينتظر عودة ابن

(١) السيرة ص ١٤٤. — (٢) السيرة ص ١٤٥.
(٣) السيرة ص ١٤٧. — (٤) السيرة ص ١٤٩.
(٥) هو ثمال بن صالح بن مرداس تاج الامراء ويخيل إلى أن السبب الذى من أجله أمر المؤيد بالابتعاد عنه كما يفهم من ابن الأثير أن معز الدولة صالحا استولى على حلب سنة ٤٣٣ هـ عقب وفاة انوشتكين نائب المستنصر بالشام وفى عام ٤٤٠ أراد المصريون الاستيلاء على حلب فلم يوفقوا إلا عام ٤٤١ ولكن ابن صالح ملكها مرة أخرى ولم يذكر المؤرخون متى استعادها ابن صالح.
(٦) السيرة ص ١٥١.

صالح من حروبه مع منيع بن شبيب النميرى صاحب حران وكانا يتحاربان على الرقة [1] حتى إذا انتهى ابن صالح من حربه واعد المؤيد على اللقاء بالروستان [2] فقـدم المؤيد جمال الخزائن وسار فى عقبها وأبى أن يسير بين يديه أحد حراسه فـكان عمله هذا من الأسباب التى طمأنت ابن صالح وجعلته يثق فى المؤيد ويلبى دعوته ويظهر رغبته لخدمة الفاطمين ، وسار المؤيد وابن صالح حتى بلغا معرة النعمان وهناك قابلا نخبـة وجوه العسكر البغدادى جاءوا لمقابلة المؤيد لمـا طال بهم أمد الانتظار وقد ظنوا أن ما وعدهم به الفـاطميون تغرير بهم فاطمأنت قلوبهم ورحلوا جميعاً إلى حلب ، وهناك أخذ المؤيد عليهم إيمان البيعة للخليفـة المستنصر وخلع على بن صالح ثم تأهبوا للسـفر إلى الرحبة حيث البساسيرى ، وبينما هو كذلك وصله خطاب من نصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر يحدثه بأنه شايع طغرلبك فلما رآه ظالماً شريراً ترك الخضوع له وأظهر فى خطابه رغبته فى معاونة المؤيد ، فرحب المؤيد بدخوله فى طاعته ودعاه إلى أن يدعو للمستنصر الفاطمى فى بلاده وأن يتصل بالخليفة الفاطمى فى مصر فـكان للمؤيد ذلك كله ، وكذلك أخذ المؤيد فى مراسلة القواد والـكتاب يستمليهم إليـه ويدعوهم إلى نصرته وتأييـده ويحذرهم من الخضوع لطغرلبك ، كما حاول أن يقابل ابن وثاب النميرى عدو ابن صالح ولـكنه لم يوفق لأنه خشى مكيدة من مكائده ونجد فى كتاب السيرة المؤيدية صور هذه الخطابات جميعا التى تعد من أقوم وثائق التاريخ الإسلامى فى القرن الخامس للهجرة ، وسار المؤيد إلى الرحبة للقاء البساسيرى .

مؤامرة البساسيرى

ليس لنا فى هذا المقام أن نتحدث عن قيام البساسيرى ضد العباسيين وطغرلبك ويكفى أن أقول إن جمعـاً كبيراً من العرب والاتراك والاكراد تجمعوا حول البساسيرى ولبوا نداءه ، وقوى شأنهم لما سرى فيهم نبأ ورود المؤيد بالأموال ، وخرج البساسيرى وجيشه للقائه على بعد مرحلتين من الرحبـة ووصف المؤيد هذا الجمع بقوله : « إلى أن لقينا أبو الحارث البساسيرى والعسكر البغدادى على رحلتين من الرحبة وإذا هم قد ضربوا مصافهم

(١) مرآة الزمان حوادث سنة ٤٤٨ .
(٢) موضع يلى حمص على جسر نهر العاص .

وضرب خيلنا مصافه فرأيت العسكر تلاحق ميمنة نحو الجبل وميسرة طرف الفرات ، وسمعت الابواق تخرق الحجب بالأصوات ورأيت أقطار الهواء كأنها صبغت حمراء وصفراء من أصباغ الرايات ودخلنا الرحبة دخولا عليه من آثار السعادة وسم ، وتجاوزناها إلى شاطىء الفرات فنصبنا الخيام ووسطت جمعاً جمع كل قاطع زقاق وكل جلال من الناس ودقاق تراموا لى تلك البقعة من كل آفاق تركى وكردى وعجمى على اختلاف الجنس وعربى من كل طـامع ذى ناب من الطمع حديد [1] » .

أخذ المؤيد بعـد ذلك العهود والمواثيق على أمراء العـرب والأكراد وخلع عليهم الخلع الفاطمية النفيسة التى لم يشاهدوا لها مثيلا ، ووهب كل فريق نصيبه من الأموال فكان بعضهم يأخذ نصيبه شاكراً وبعضهم كان يستقل القدر ويرده ، وتذمر أكثر الجند وثاروا مطالبين بزيادة العطـاء وانتشر دعاة السوء بينهم فحاول المؤيد أن يرضيهم بالحسنى فلم يوفق وأخيراً اضطر إلى أن يجمعهم وإلى أن يخاطبهم بشىء من العنف والتأنيب وأن يسامحهم باليمين التى أقسموها بين يديه ليكون طوق منـة الخليفة الفاطمى فى رقابهم [2] وامتنع عن تحليفهم فعاد الجميع يتضرعون إلى المؤيد أن يجدد عليهم العهد واعتذروا إليه وبعد أيام دعا أبا الحارث وخلع عليه وقرأ عهده على الناس .

ثم سمع المؤيد أن نور الدين دبيس بن مزيد الاسدى [3] قد اتفق وقريش بن بدران العقيلى [4] على الخضوع لطغرلبك طمعا فى أن يحمى بلديهما من نهب جنوده ، ولـكن طغرلبك أبى أن يقبل منهما هذا الخضوع إلا بعد أن يدفع كل منهما ولدا رهينة [5] عنده فعز ذلك على دبيس بن مزيد فانتهز المؤيد هذه الفرصة وكاتب ابن مزيد يحثه على اللحاق به فأسرع ابن مزيد إلى المؤيد ، ولـكنه علم بأمر الخلع والألقاب التى شرف بها البساسيرى فجرى الحسد فى عروقه وأخذ يملى على المؤيد شروط تضامنه معه فقبلها المؤيد كلها ، ثم أخذ ابن مزيد بعد ذلك فى مساومة المؤيد وأوعز إلى العلماء الذين أتوا معه أن يناظروا المؤيد فى بعض المسائل المذهبية ثم سألوا المؤيد عما يكون عليه أمرهم إذا تم له ملك بغداد إلى غير ذلك من الأمور التى إن دلت على شىء فإنما تدل على ضعف العزيمة والتردد ثم الطمع فيما كان يحمله المؤيد من أموال وألقاب وخلع ، ولما أراد المؤيد أن يأخذ أيمان البيعة على ابن مزيد أبى رجال ابن مزيد عليه أن يقسم قبل أن يطلعوا على صيغة اليمين وأخذوا فى تغيير اليمين

(١) السيرة ص ١٨١ وما بعدها . — (٢) شرحه ص ١٨٣ .
(٣) معجم البلدان « حلة دبيس بن مزيد فى أرض بابل » .
(٤) كان أميراً على الموصل فى ذلك العصر . — (٥) مرآة الزمان حوادث عام ٤٤٨ .

وتحويره يوما كاملا والمؤيد صابر أو هو مضطر إلى اصطناع الصبر حتى ضاق به الأمر فأراد أن يعفى ابن مزيد من اليمين جملة ولكن ابن مزيد وهو رجل العرب فى ذلك العصر وأكبر أمرائهم أبى إلا أن يقسم بين يدى المؤيد (١) فكتب له المؤيد العهد ولقبه (بالأمير سلطان ملوك العرب سيف الخلافة صفى أمير المؤمنين (٢)) وبعد ذلك كله أخذ ابن مزيد يطلب من المؤيد بعض أمور من شأنها أن تقسم جيشه وتبعد عنه ابن صالح ، فكان المؤيد يقابل هذا كله بمكر ودهاء وكان يحاول أن يسعى بين ابن مزيد وابن صالح ولكن كان سعيه سعى امرء بين ضباع تتهارش وذئاب تتجارح وتتخادش (٣) » . كان موقف المؤيد دقيقا حرجا إذ كان بين جماعة تختلف أجناسهم ومذاهبهم وكانوا متباغضين متشاحنين .
وحاول المؤيد مرارا أن يوفق بين هؤلاء الأقوام جميعا فكان يجد كل يوم صعوبة فى سبيل هذا التوفيق ، كما أصبحوا مصدر تعبه ، ووصف المؤيد حاله بقوله « وكنت أصبح وأمسى فى أثواب من انقطعت به الحبال وضاعت على يده الأموال ، وضاقت به من الهم السهول والجبال غير أنى أظهر فى خلال ما أقاسيه جلدا ولا أشعرت بحزازات صدرى أحدا (٤) »
كان هذا حال جيش البساسيرى الذى كان يدبره ويدير دفته المؤيد ، وازداد حال هذا الجيش سوءا بورود نجدة من دمشق من بعض الأمراء الكلابيين فلقيهم المؤيد بالابتهاج ولكن الكلابيين سرعان ما ضجوا وتذمروا لأنهم جردوا على أن يشهدوا جيش العرب من الكلابيين والعقيليين والنميريين خارجا عن جماعة الترك والأكراد ، وصمم الكلابيون على عدم المسير مع الجيش إلا إذا انفصل العرب عن غيرهم ، فازداد تعب المؤيد حتى قال عن ذلك « فما لى معهم من الصداع ما لو كنت بليت به وحده لكان كافيا (٥) » وأخيرا استطاع المؤيد أن يرضيهم بالمال فساروا مع باقى الجيش فى عاشر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (٦) ، وظل المؤيد يدبر شئون هذا الجيش ويرقب حركاته ويكاتب الأمراء حوله لنصرته ويدعو أعداءه لاعتناق المذهب الفاطمى حتى انتصرت جيوشه على جيوش طغرلبك فى الموقعة التى تعرف بموقعة سنجار (٧)

(١) السيرة ص ١٩١ . — (٢) شرحه ص ١٩٢ . — (٣) شرحه ص ١٩٤ .
(٤) السيرة ص ١٩٤ . — (٥) شرحه ص ١٦٥ .
(٦) مرآة الزمان المجلد السادس عشر ص ١٧ .
(٧) هذه الموقعة هى التى أشار إليها الشاعر ابن حيوس بقوله :

عجبت لمدعى الآفاق ملكا   وغايته ببغداد الركود
ومن مستخلف بالهون يرضى   يذاد عن الحياض ولا يذود
وأعجب منهما سيف بمصر   تقام به بسنجار الحدود

[الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٤] .

فأرسل المؤيد إلى مصر بالنصر وقال ابن الجوزى إنه أرسل إلى مصر ألفى رأس ومائتين (١) وبهذه الموقعة استطاعت جيوش المؤيد أن تدخل الموصل فى شوال (٢) وهنا توسل ابن مزيد إلى المؤيد أن يعفو عن قريش بن بدران وأن يخلع عليه ؛ وكان لهذا الانتصار ولكتب المؤيد إلى الأمراء أثر قوى فى نفوس أمراء العراق إذ أرسل محمود بن الاخرم الخفاجى إلى المؤيد أنه أقام الدعوة للمستنصر الفاطمى بالكوفة (٣) وأرسل ابن قائد بن رحمه أمير واسط أنه دعا للمستنصر بها وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمى (٤) .

فشل المؤامرة

إلى هنا كان المؤيد قد نجح نجاحا ملموسا فى مهمته إذ انتصرت جيوشه على جيوش طغرلبك واستمالت رسائله بعض أمراء العرب ، فسعوا إليه يؤيدونه للقضاء على الخلافة العباسية وقوة التركمانية ، كما انتشرت الدعوة للخليفة الفاطمى فى بعض البلدان العراقية ولكن النجاح الذى ظفر به المؤيد لم يدم طويلا ، لأن جيوشه كانت تجمع نفوسا متباغضة متشاحنة كما ذكرنا ، فسرعان ما دب فيها دبيب الفساد والانقسام فانفصل بنو عقيل عن الجيش (٥) وتبعهم عدد كبير من الجند ، فلما علم طغرلبك بانقسام جيوش عدوه سارع إليهم فوجل أهالى هذه الجهات ولا سيما أهل الرحبة وخشى المؤيد نفسه من مقامه بالرحبة ولكنه أظهر الجلد أمام الناس أما فى قرارة نفسه فكان كما قال « وأنا فى باطن أمرى متكفن متحنط أنتظر تخطف الأيدى لى من كل مكان وأجمع أمرى على أنه إن دهمنى ما احظره رميت بنفسى فى جانب البر فلا أزال أضرب فيه إلى أن يحضرنى حاضر الجوع والتعب والعطش فاهلك ، وان أدركنى طالب من جهة العدو أبيت أن أعطيه قيادى دون أن أقطع قطعة قطعة تفاديا من أن أقاد إليهم حيا (٦) » ولذلك اضطر إلى أن يبعد عنه كل أصحابه الذين كان يخشى عليهم من طغيان العدو ، وأكثر من إرسال الكتب إلى البساسيرى وغيره من الأمراء يشجعهم ويؤملهم فى النصر ، ولكن هذه الرسائل لم تفد شيئا لأن الأمراء لم يتحركوا عن موقفهم ، وازدادت الحال سوءا بان ادعى بعض المغرضين أن المؤيد اعتاد

(١) مرآة الزمان حوادث سنة ٤٤٨ . — (٢) شرحه .
(٣) السيرة ص ٢٠٤ ولكن فى مرآة الزمان ان الذى قام بذلك هو بدر بن على الأسدى .
(٤) فى مرآة الزمان ان ذلك كان فى ذى القعدة سنة ٤٤٨ .
(٥) السيرة ص ٢٠٩ . — (٦) شرحه ص ٢١١ .

أن يحتجز لنفسه بعض الأموال التى كانت ترد إليه من مصر باسم الأمراء وانتشر هذا المقال بين الجيش فثار القواد والأمراء، واضطر البساسيرى إلى أن يرجع إلى الرحبة ومعه من كل فرقة رسول، وطالبوا المؤيد بأن يدفع لهم مائتى ألف دينار فورا وهددوا المؤيد إن لم يدفع هذا المال فالجيش فى حل من قسمه وللأمراء أن يتفرقوا ليسلى كل منهم فى عمله فاضطرب المؤيد ودهش من ذلك وأجابهم بقوله «كلامكم هذا كلام من يبتغى حجة ويحاول تعلة وتظنون أنكم أخذتمونى فى مضيق لا مخاص منه وليس الأمر على ما تظنون، ومائتا ألف دينار التى تطلبونها فلم أطلع على معرفة الكيميا فأخرج ما تلتمسونه إليكم فإن على كل يد رد ما خذت والمحمول إلى يقترن به كتاب يدل على مبلغه فاذا أخرجت الكتاب وعرضته عليكم لم تبق على حجة بعده» (١) . فعاد البساسيرى ومن معه ولكن ذهاب البساسيرى إلى الرحبة أوقع فى جيشه أنه هرب، وسمع طغرلبك بذلك فبدأ الحرب وطال أمدها واشتد أمرها، فلما رأى المؤيد ذلك كاتب الكندرى وزير طغرلبك والمحرك الفعال للبلاد وأغراه هو ومليكه باعتناق المذهب الفاطمى ولكن الكندرى كان داهية فى سياسته فقابل مكر المؤيد ودهاءه بمكر ودهاء، اذ اتبع نفس الخطة التى اتبعها المؤيد فى مكاتبة أعدائه وخصومه وخدعهم بالولايات المختلفة فآمن بقوله أكثر الأمراء الذين كانوا فى جيش المؤيد واضطر البساسيرى إلى الهرب وتشتت شمل الجيش.

لم يجد المؤيد بدا من الهرب فسار إلى حلب. ولكنه فى سنة ٤٤٩ أرسل البساسيرى إلى المؤيد يظهر رغبته فى لقائه فاتفقا على أن يتقابلا فى دير حافر (٢) دون أن يفطن أحد إلى لقائهما وفى اجتماعهما أكد البساسيرى عهده للمؤيد (٣) واتفقا على الخطة التى تؤدى إلى نجاح سعيهما. وعاد المؤيد إلى حلب فوجد ابن صالح قد راسل الخليفة فى مصر يدعوه لأن يرسل أميرا من قبله ليتولى مدينة حلب ووصلت جيوش مصر لأخذ المدينة ولكن قوما من حلب يعرفون بالأحداث «هم لها أملك من مالكها وأكثر استيلاء عليها من واليها وبينهم وبين المغاربة من قديم الوقت إحن وطوائل (٤)» لهبوا فتنة فى حلب فتحصن ابن صالح بالقامة وأشار على المؤيد بالهرب من هذه الثورة العمياء ولكنه أظهر تجلدا ودعا

(١) السيرة ص ٢٣٠ .

(٢) قرية بين حلب وبالس يذكرها أبو عبد الله محمد بن نصر فى شعره :

لا كم ترامت بالس بمسافر   وكم حافر ادميت يادير حافر

(٣) السيرة ص ٢٥٦ . — (٤) شرحه ص ٢٥٨ .

أهالى حلب إلى سماع كلمة منه نخطبهم حاضا إياهم على السكينة وتحكيم عقولهم وأمنهم على حياتهم وأموالهم فنجح فى إخماد هذه الثورة ودخلت الجيوش المصرية حلب وتولاها أبو علم بن ملهم الخويلدى (١) .

عودة المؤيد

بعد أيام قليلة أرسل إبرهيم بن ينال من الموصل رسولا إلى البساسيرى ومن معه يدعوهم فى الظاهر إلى طاعة طغرلبك أما فى الباطن فكان يطلب إليهم أن يخاطبوا المؤيد لأن يخلع عليه ويلقبه من جانب الدولة الفاطمية إذا هو غدر بطغرلبك وملك البلاد باسم الفاطميين (٢) وسرعان ما سير البساسيرى رسول إبرهيم بن ينال إلى المؤيد بحلب؛ ومن الطبيعى أن يرحب المؤيد بمثل هذه الدعوة وأن يعاقد كل من يعمل لها فكان أن سلم المؤيد بكل ما طلبه ابن ينال (٣) . وأطال المؤيد المقام بحلب يراقب حركات ابرهيم بعد هذا الاتفاق الذى أبرم بينهما، ثم لأن المؤيد كلما هم بترك حلب تبعه البساسيرى بجيشه. فلما ورد الخبر بانفصال ابن ينال عن الموصل انتهز المؤيد هذه الفرصة وأمر البساسيرى بالرجوع إلى الرحبة واتجه هو إلى مصر (٤) . فلما بلغ المؤيد مدينة صور وجد بها بعض أمراء الاتراك البغداديين مقاطعين للبساسيرى وعازمين على أن يرحلوا إلى مصر (٥) وخشى المؤيد من هؤلاء الأمراء أن يصبحوا مصدر متاعب للخليفة فى مصر فأخذ يداريهم ويتلطف لهم حتى أقنعهم بالعدول عن عزمهم وأن يردهم إلى جيش البساسيرى وبذلك تخلص منهم ومن شرورهم.

أما هو فقد واصل سيره إلى مصر حتى بلغ موضعاً يسمى البواقير وهناك قابله بريد مصر يحمل إليه رسالة بأن الوزير البابلى (٦) قد عزل عن الوزارة وولى بدله الوزير المغربى، وأن الوزير المغربى يأمر المؤيد بأن يعود إلى حلب وأن يظل فيها حتى يرى الوزير رأيه بعد ذلك؛ فوقع المؤيد بين عاملين إما أن يخالف هذا الرأى ويواصل سيره إلى مصر، أو أن يصدع

(١) مرآة الزمان مجلد ١٦ ص ٤٤ . — (٢) السيرة ص ٢٦٣ .

(٣) السيرة ص ٢٦٤ . — (٤) شرحه .

(٥) هكذا فى السيرة ص ٢٦٥ ولكن الذى فى مرآة الزمان ج ١٦ ص ٢٤٥ ان المؤيد قابلهم فى دمشق وقد أخذنا برواية المؤيد .

(٦) هو أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى ولى الوزارة بعد اليازورى سنة ٤٥٠ وصرف عنها فى ربيع الأول وقرر مكانه أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين المغربى (ابن ميسر ص ١٠ وابن منجب ص ٤٦) .

بهذا الأمر ويعود إلى حلب، وقلب وجوه الرأى فوجد العودة إلى حلب ممتنعة عليه فصمم على مواصلة السير إلى مصر، ولكن وصله أمر آخر كسابقه، فلم يأبه به وواصل سيره حتى انتهى إلى الفرقان فوجد ثلاثة من النجابين برسالة ثالثة فى نفس المعنى مما ازدادت له دهشة المؤيد وجعله يصر على دخول مصر وهو فى عجب من أمر هؤلاء الذين يحاولون منعه من دخولها بعد هذه الخدمات التى اداها لهم، وخشى أن يتخذ فى سيره إلى مصر الطريق المالوف فيفاجأ بمثل هذه الرسائل فاجتنب هذه الطرق واتخذ لنفسه طرقا أخرى فى البرية والمجاهل متنكراً فى رحلته كما كان متنكراً فى رحيله إلى مصر لأول مرة فما شعر به أحد حتى رأوه على باب القاهرة.

المؤيد داعى الدعاة

يخيل إلىّ أن المؤيد لم يجد من الوزير المغربى ماكان جديرا بمثله من التكريم والاجلال ولم يجد من الخليفة المستنصر ماكان يتوقعه من وضعه فى المكانة التى كانت تليق به، أو قل إن الخليفة المستنصر لم يكن له من الأمر ومن النفوذ حتى يكافىء المؤيد على أعماله التى قام بها فى فارس والعراق والشام، فاضطر المؤيد إلى أن يشكو ما بنفسه مشيداً بفعاله مخاطبا المستنصر بقوله:

أقسم لو انك توجتنى	بتاج كسرى ملك المشرق
ونلتنى كل أمور الورى	من قد مضى منهم ومن قد بقى
وقلت أن لا نلتقى ساعة	جبت يا مولاى أن نلتقى
لأن ابعادك لى ساعة	شيب فودى مع المفرق

ويخيل إلىّ أيضاً أن المؤيد أرسل هذا الشعر إلى المستنصر فى وقت كان الوزير يعين فيه داعى الدعاة فبلغ هذا القول الخليفة وأدرك أنه لا يصلح لهذا الأمر غير المؤيد فقيل إن المستنصر أجاب المؤيد على هذا الشعر بشعر آخر بنفس الوزن والقافية ولقبه بالحجة وهى أسمى مرتبة فى الدعوة الفاطمية كما سنذكر فيما بعد.

يا حجة مشهورة فى الورى	وطود علم أعجز المرتقى
ما غلقت دونك أبوابنا	الا لأمر مؤلم مقلق
خفنا على قلبك من سمعه	فصدنا صد أب مشفق

ومهما يكن من شىء فان المؤيد صار إليه أمر الدعوة الفاطمية فى سنة ٤٥٠ هـ(١) وهى التى عاد فيها إلى مصر، وهى نفس السنة التى تم فيها الدعاء للخليفة الفاطمى على منابر بغداد فقد نجح المؤيد فى مؤامرته وتدبيره مع البساسيرى وابرهيم بن ينال لقلب نظام الحكم فى بغداد.

لا أستطيع أن أحدد تماما المدة التى مكثها المؤيد فى مرتبة داعى الدعاة ولم يحدثنا أحد من المؤرخين ولم يحدثنا هو نفسه عن حياته بعد عام ٤٥٠ إلا ما رواه لنا الحسن بن نوح عن علاقة المؤيد بامك بن مالك وسنذكر ذلك فيما بعد، كذلك لا أستطيع أن أعرف هل كان المؤيد أصلا فى الدعوة بعد ذلك أم كان ينوب عن داعى الدعاء لأن الصيرفى (٢) حدثنا أن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد تولى الوزارة والدعوة والقضاء عام ٤٥٣ هـ وتولى أخوه أبو على أحمد بن عبد الحاكم هذه المواتب سنة ٤٥٤ (٣) ثم ما حدثنا به ابن منجب الصيرفى أيضاً أن الوزير عبد الله بن يحيى بن المدبر (٤) الذى تولى الوزارة دفعتين إحداها فى صفر سنة ٤٥٣ وصرف عنها بعد شهور والأخرى فى ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وأربعمائة وتوفى فى جمادى الاولى من هذه السنة كان هذا الوزير قد اقترح إبعاد المؤيد من مصر فسير إلى الشام ثم عاد بعد مدة (٥) ولا أدرى فى أى سنة أبعد المؤيد من مصر ومتى عاد إليها. لا أشك أن المؤيد أصبح له بعض النفوذ فى البلاد حتى خشى الوزير سطوه ونفوذه فاقترح إبعاده عن مصر، ثم نرى بعد ذلك شيئاً من نفوذ المؤيد إذ تولى صنيعته ونائبه فى ديوان الانشاء أبو الحسن على بن الانبازى الوزارة سنة ٤٥٧ (٦).

ومع هذا فحياة المؤيد بعد عام ٤٥٠ غامضة أشد الغموض كما هى غامضة أيضاً قبل عام ٤٢٩ لا نستطيع أن نعرف عنها إلا ما قيل إنه توفى عام ٤٧٠ (٧) وذهب الحسن بن نوح إلى أنه توفى فى العشرة الأولى من شوال سنة ٤٩٠ (٨) ولكنى لا أوافق ابن نوح لأنه قال أيضاً إن المستنصر صلى عليه والمستنصر كما نعلم توفى سنة ٤٨٧، فكيف يتأتى للمستنصر أن يصلى على المؤيد عام ٤٩٠؛ ولم تختلف المصادر التى تحدثت عن وفاة المؤيد أنه دفن فى دار العلم بالقاهرة. فقد ذكر المقريزى فى حديثه عن دار العلم: وفيها مدفون الداعى المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الأعجمى(٩). ويؤيد هذا القول ما جاء فى كتاب الأزهار.

---

(١) ص ١٠ تاريخ مصر لابن ميسر. — (٢) ص ٤٨ ابن منجب.
(٣) ابن منجب ص ٤٩. — (٤) ابن منجب ص ٤٨.
(٥) انظر اتعاظ الحنفا ص ١٤٤ وابن ميسر ص ١٢.
(٦) ص ٥٢ ابن منجب وابن ميسر ص ٣٣. — (٧) ص ٤٧ ايفانوف.
(٨) ص ٨٩ ج ١ كتاب الأزهار. — (٩) ج ٢ ص ٣٣٧.

الفصل الرابع

مرتبـــــة داعى الدعاة

مرتبة داعى الدعاة

قال المقريزى « ووظيفة داعى الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية [١] » وقد صدق المقريزى فى هذا القول ، لأنى لا أكاد أعرف دولة من دول الاسلام كانت تفرد مرتبة خاصة لداعى الدعاة غير الدولة الفاطمية ، وإن كان للعباسيين نقباء كانوا يدعون لهم ، كما قيل إن المعتزلة كان لهم بعض الدعاة فى الأقاليم ، ولكن العباسيين بعد أن صار إليهم الأمر لم يولوا أحدا مرتبة الدعوة ولم تكن المعتزلة بدولة لها حكومتها ، أما الفاطميون فهم الذين اهتموا بأمر الدعوة ووضعوا لها نظما وقواعد دقيقة لأن دولتهم انما قامت على أساس هذه النظم التى وضعوها للدعوة ، وبالرغم من أن هذه الدعوة ومرتبة داعى الدعاة من الأهمية التاريخية بمكان فأنى لا أكاد أعرف كاتبا تحدث عن الدعوة أو عن داعى الدعاة حديث عالم بأسرارها التى وضعها الفاطميون ، فكل الذين كتبوا عن الدولة الفاطمية من مستشرقين وغير مستشرقين أخذوا ما ذكره المقريزى والقلقشندى من « أن داعى الدعاة كان يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيى بزيه فى اللباس وغيره [٢] » بينما نجد كتب الفاطميين ومن ورث دعوتهم تفرد فصولا طوالا عن الداعى والحدود .

أخذ الفاطميون لفظ «الداعى» من القرآن الكريم « يا أيها النبىُّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً [٣] » وأضاف الله تعالى الدعوة إلى نفسه بقوله « له دعوةُ الحقِّ [٤] » وقال تعالى «أدعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحكمة والموعظة

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٢٧ « ولعل الأصوب من مقررات الدولة الفاطمية » .
(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٢٧ وصبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٧ .
(٣) سورة الأحزاب : ٤٤ . — (٤) سورة الرعد : ١٤ .

الحسنة [١] « وادعُ إلى ربِّك إنَّكَ لعلى هُدًى مستقيمٍ [٢] » فمن هذه الآيات وغيرها أخذ الفاطميون هذا اللفظ الذى عده الفاطميون من الألفاظ الشريفة [٣] لأن الله تعالى سمى النبى داعيا وقال الله تعالى على لسان نوح رب « إنى دعوتهم جهارا [٤] » فالأنبياء فى الحقيقة ما هم إلا دعاة من الله تعالى إلى عباده . قال الفاطميون إن هنالك واسطة بين الله تعالى والنبى سماهم الفاطميون « بالحدود الخمسة الروحانية » ورووا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « بينى وبين الله خمس وسائط جبرائيل وميكائيل وإسرافيل واللوح والقلم [٥] » وأن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ولا اتصلت بهم المواد إلا عن طريق هذه الحدود الروحانية غير المجسمة ولا المتشخصة [٦] وفسر الكرمانى قوله تعالى « وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء [٧] » بان القسم الأول هو رتبة « الجد » الذى هو كلام الله وحيا فذلك هو السارى من روح القدس بلا واسطة ؛ متصل بالمبعوث المختار فى كل وقت وحين وهو أعلى الرتب ، أو (من وراء حجاب) هو إدراك الأشياء بالفكرة الصافية بالأمثال المضروبة وهو رتبة الفتح (أو يرسل رسولا) وهى الرتبة الثالثة رتبة الخيال الذى يتمثل له بشرا سويا أعنى القوة التى تواصله من دار القدس الذى هو الملك إما قولا بالسمع أو تشخيصا برؤية العين يراه هو دون غيره [٨] » فاستعمل الكرمانى فى تفسير الآية الاصطلاحات الفاطمية ، اذ أطلق الفاطميون على الحدود الروحانية أسماء خاصة وضعوها لهم فسموا « القلم » بالسابق « لأنه أسبق الحدود إلى معرفة الله وتوحيده وتبعه فى ذلك « اللوح » ولذا سمى « بالتالى » و « الخيال » واقع على اسرافيل لأنه أول عارض يتخيل فى الفكر لأنه النافخ نفخة البعث وسمى « ميكائيل » « بالجد » أخذت من قوله تعالى « وأنه تعالى جدُّ ربنا [٩] » واطلق « الفتح » على « جبرائيل » لأنه فتح بالذكر ماصح فى الفكر مما خفى [١٠] . ولكن لم يتفق كتاب الفاطميين على اطلاق هذه الأسماء على الحدود الروحانية على هذا النحو الذى ذكرناه فنجدهم أحيانا قد أطلقوا الخيال على جبريل والفتح

(١) سورة النحل : ١٢٥ . — (٢) سورة الحج : ٦٧ .
(٣) الأزهار ج ٢ ص ١٠١ . — (٤) سورة نوح : ٨ .
(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٤٣ .
(٦) سرائر النطقاء هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٥ .
(٧) سورة الشورى : ٥١ . — (٨) هامش جامع الحقائق ج ١ ص ١١٤ .
(٩) سورة الجن : ٣ . — (١٠) سرائر النطقاء على هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٦ .

على ميكائيل والجد على إسرافيل (١) وسمى المؤيد جبرائيل بالفتح وإسرافيل بالجد (٢) وفى كتاب الذخيرة « كل حد عال فهو خيال وكل عال على ذلك الحد فهو فتحه وكل عال على العالى على حده فهو جده (٣) » أى أنه اطلق اسم الخيال على جبرائيل « والفتح » على ميكائيل « والجد » على إسرافيل . وفى كتاب الفترات والقرانات (٤) » وأفضى السابق إلى تاليه المادة الارادية والمشيئة والقضاء فأفضى التالى إلى الجد ما يجرى فى العالم الروحانى وهو إسرافيل فأفضى به إسرافيل إلى الفتح وهو ميكائيل وانما سمى إسرافيل الجد لأنه لما انفرد الجد بالتنفيذ كان جدا بمعنى الجد فيما أهل له وفيما عزم التالى عليه فيه فيما أمضاه السابق من أمره فى تاليه وإليه أفضى به فأفضى به الجد إلى الفتح وهو ميكائيل ، وانما سمى ميكائيل الفتح لأنه أول من استفتح المواد من ثالث فوقه وفاتح ثلاثة حدود تحته روحانى وهو « الخيال » والناطق والأساس فصار بذلك الفتح إلى الخيال « جبريل » وإنما سمى خيالا لأنه تخلى من بين الحدود الروحانية لخلالة النطقاء والمرسلين عن أمر رب العالمين » .

من هذا كله نستطيع أن ندرك أن الفاطميين وضعوا هذه الاصطلاحات ثم اختلفوا فيما تدل عليه هذه المصطلحات ، كما اختلفوا أيضاً فى سبب إطلاق هذه الاصطلاحات كما هو واضح فى شرح جعفر بن منصور اليمن وشرح صاحب الفترات والقرانات ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات فان جميع المصادر تجمع على أن كل حد يعلو يمد من دونه فالقلم يمد اللوح واللوح يمد إسرافيل و إسرافيل يمد ميكائيل وميكائيل يمد جبرائيل وجبرائيل يمد النبى (٥) . ويروون قول النبى صلى الله عليه : « إنى آخذ الوحى عن جبريل وجبريل يأخذه عن ميكائيل وميكائيل يأخذه عن إسرافيل وإسرافيل يأخذه عن اللوح واللوح يأخذه عن القلم » فصار التأييد بالنطقاء عن خمسة حدود علوية ، ويتصل عنهم بالمستجيبين عن خمسة حدود سفلية هم الأئمة والأسس والحجج والنقباء وهم أصحاب الجزائر والأجنحة وهم الدعاة (٦) وإلى الخمسة الفاضلة من الملائكة أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « حدثنى جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم (٧) » . كما أول الفاطميون بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بأن الله تعالى والنبى الكريم أشارا إلى هؤلاء الحدود ، فالأبواب الثمانية التى لامدخل

(١) هامش جامع الحقائق ج ١ ص ٢٣ (كتاب الأنوار اللطيفة) .
(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٢٢ .
(٣) الذخيرة على هامش جامع الحقائق ج ١ ص ٦٤ . — (٤) ص ١٣٥ . ب .
(٥) المجالس المؤدية ج ١ ص ٢٢٢ . — (٦) اساس التأويل ص ٦١ — ٦٢ .
(٧) إخوان الصفاء ج ٤ ص ٢٢ (طبعة بمبى) .

إلى الجنة إلا منها إشارة إلى حدود روحانية وجسمانية بهم دخول الجنة ، فالروحانيون هم الوسائط الخمسة المتقدمة والثلاثة الباقية إشارة إلى مراتب جسمانية هى النبوة والوصاية والإمامة ، وهؤلاء الحدود أيضاً هم حملة العرش (١) . وقوله تعالى : « ورَتِّلِ القرآنَ تَرْتِيلاً (٢) » بأن الله تعالى أراد الإبانة عن مراتب الحدود العلوية والسفلية (٣) . وأولوا حروف أوائل السور بأن الحروف لم تزد على خمسة مثل كهيعص وحمعسق والله سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بأجل ما عنده ، وأن الاشارة إلى أجل حدود الله من الملائكة الروحانيين والحدود الجسمانيين فحيث ذكر حرفا واحداً مثل ق والقرآن المجيد ونون والقلم فهو مشار به إلى أعلى الحدود منزلة وأرفعهم درجة فى الحدود الروحانية وممثوله فى الحدود الجسمانية إلى أن تستكمل الحروف الخمسة (٤) .

وبتطبيق نظرية المثل والممثول — التى سنتحدث عنها فيما بعد والتى هى عماد عقيدة الفاطميين فى التاويل — يجب أن يكون فى العالم الجسمانى حدود جسمانية تماثل الحدود الروحانية ولذا قال الفاطميون إن الله سبحانه وتعالى أقام العالمين العلوى والسفلى بعشرة كاملة خمسة أنوار روحانية وخمسة جسمانية (٥) . واختلف كتاب الفاطميين ايضاً فى الحدود الأرضية التى تقابل الحدود العلوية ففى الفترات والقرانات (٦) أن الناطق والأساس والامام والحجة والداعى تدل على الخمسة الاشباح الروحانية . وفى سرائر النطقاء (٧) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب خمسة حدود بازاء الخمسة العلوية وهم الاساس والامام والباب والحجة والداعى أى أنه جعل الأساس يقابل السابق والامام يقابل التالى والباب يقابل الخيال والحجة فى مقابلة الجد والداعى فى مقابلة الفتح ، وفى المجالس المؤيدية (٨) أن الحدود الأرضية أو الجسمانية هم النبى والوصى والامام والحجة والداعى يقابل كل منهم على الترتيب السابق والتالى والجد والفتح والخيال ، ولا أدرى كيف ذهبوا الى هذا القول مع أن النبى هو الامام فى عصره والوصى إمام فى عصره فلا توجد مرتبة فى عصر النبى والوصى تلى

(١) المجالس ج ١ ص ٢٢٢ . — (٢) سورة المزمل : ٤ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٢٦ .
(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١٢ . ونلاحظ أن الفاطميين رمزوا إلى القلم بالكاف وإلى اللوح بالنون من قوله « كن » وإذن لا أستطيع أن أعلل قول المؤيد هنا فى تأويل « نون والقلم » إن الحرف مشار به إلى أعلى الحدود منزلة وأرفعهم درجة فى الحدود الروحانية وقد ذكرنا أن القلم هو أعلى الحدود .
(٥) الفترات والقرنات ص ٦٩ . — (٦) ورقة ١٠٨ .
(٧) هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ١٠٧ . — (٨) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٢٩ .

مرتبتهما تعرف بمرتبة الإمام، ومرتبة الامامة بعد عصر النبي والوصى فى مرتبة النبوة والوصاية فى عصر النبي والوصى وعندى أن الوضع الصحيح للحدود الجسمانية أن النبى مثل السابق والوصى التالى وفى عصر الأئمة الامام مثل السابق والحجة هو التالى كما يظهر من كلام أبى حنيفة النعمان المغربى (١) إن الحدود الجسمانية هم النبى أو الامام ثم الوصى أو الحجة ثم باب الابواب أو داعى الدعاة ثم النقباء وهم أكابر الدعاة أصحاب الجزائر ثم دعاة القبائل . وقريب من هذا ما أتى به حسن بن نوح فى كتابه الأزهار (٢) . ولكى نفهم هذه المراتب السفلية يجب أن نعرف أن لكل إمام فى عصره اثنى عشر حجة متفرقين فى جزائر الأرض إذ اعتقد الفاطميون أن الأرض مقسمة إلى اثنى عشر قسما على مثال الاثنى عشر شهراً من شهور السنة وسموا كل قسم من هذه الأقسام بالجزيرة ، فنصبوا لكل جزيرة حجة هو كبير دعاتها ويسمى أيضاً بصاحب الجزيرة (٣) ولكل حجة من هؤلاء الحجج ثلاثون داعياً ويسمى نقيباً أيضاً على مثال أيام الشهر ولكل داع أربعة وعشرون داعياً مأذوناً على عدد ساعات الليل والنهار (٤) وهؤلاء الحدود متصلون بالامام المطلق القائم ، وأدنى مرتبة من هذه المراتب متعلقة بأعلاها ، وعلى المؤمن أن يطيع هؤلاء الحدود فبطاعة الحدود يوحد الله (٥) جاء فى الفترات (٦) . فأول ما يجب لأبناء الحكمة معرفة هذه الحدود ومراتبها وما يوازنها إذ أن الوصى والامام والحجة والحدود القائمين فى الشريعة كالأعضاء (٧) . وعن المعز الفاطمى أنه قال : إن أكثر الناس يجهلون أمرنا ولا يظنون أنا نعنى إلا بمن شاهدناه وكان بحضرتنا ولو كان ذلك لكنا قد ضيعنا من بعد منا وقد أوجب الله على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا واتباع أمرنا والهجرة والسعى إلينا من قرب ومن بعد ولكننا للرأفة بهم ولما نرجوه ونحبه من هدايتهم قد نصبنا بكل جزيرة لهم من يهديهم إلينا ويدلهم علينا (٨) .

وحد المأذون المكاسر او الداعى المأذون هو أقرب الحدود إلى المستجيبين ، ومع ذلك فان مرتبته كبيرة لا تتوافر إلا فيمن كان على علم تام بمذاهب خصومه وموضع الضعف فيها . ويكون لسنا جدلا متمكنا من أصول مذهبه (٩) . حدد الفاطميون الصفات التى يجب

(١) تأويل دعائم الاسلام ج ١ ص ٣١٣ . — (٢) ج ١ ص ٤ .
(٣) تأويل دعائم الاسلام ص ٢٩٧ . ج ٢ ص ٢٤ سرائر النطقاء على هامش جامع الحقائق والمجالس المؤيدية ج ١ — ٢٢٩ .
(٤) شرحه . — (٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٢٠ — ٢٣١ ورسالة شرح المعاد .
(٦) ص ١٠٩ . — (٧) المجالس ج ١ ص ٢٥٣ .
(٨) المجالس والمسايرات للقاضى النعمان ص ١٠٥ . — (٩) الرسالة الحاتمية .

أن تتوافر فى الداعى نستطيع أن نلخصها فى ثلاثة أشياء (١) العلم والتقوى والسياسة فقسموا العلم بين الظاهر والباطن ، فعلم الظاهر هو علوم الفقه والحديث والتاريخ وعلوم القرآن ثم الجدل والكلام ، وعلم الباطن فهو تطبيق نظرية المثل والممثول أو المحسوس والمعقول ، أما التقوى فان يكون الداعى من أهل العلم والعمل بالدين الاسلامى الحنيف مع الاعتقاد وأن يجمع القيام بما جاء فى القرآن الكريم وما أمر الله ورسوله به ؛ أما السياسة فتكون أولا سياسة الداعى نحو نفسه فيصلحها ويمنعها عن الشهوات وعن جميع المنهيات ويحملها على اقتناء الفضائل وهذه تسمى السياسة الخاصة ، وأما السياسة العامة فهى أن يقوم الداعى بتدبير من هو سائسهم فى إصلاح دنياهم وآخرتهم ويمنعهم عن الرذائل وأن يعرف حقوق من يهاجر إليه وما احتملوا من مشقة ومحن وأن يقدر أهل العلم ومنازلهم ويجلهم ويكرمهم وأن يكون جلوسه معهم » أى أن جميع ما اشترطه الله تعالى فى القرآن الكريم لصفة المؤمن وما اشترط الأئمة فى كتبهم مما يكون فى المؤمن يجب أن يكون فى الداعى ويحتاج إلى زيادة فضائل بل تكون فى الداعى أوضح من ذلك (٢) مع وجوب أن يكون الداعى نسيباً فى قومه فان الشرف بالنسب والنسب يجلى فى أعين الناس وإذا كان الداعى من نسب دنىء يستنكف من يجلس بين يديه ويتعلم منه ويتذلل له (٣) .

والداعى هو الذى يندب لأخذ العهد ونشر الدعوة بين المستجيبين بخلاف المأذون المكاسر الذى ليس له إلا مجادلة أصحاب الفرق الأخرى وإظهار ما فى آرائهم من خطل وترغيب المستجيب إلى دخول الدعوة (٤) . أما الحجة وهو الحد الذى يعلو حد الداعى فهو زعيم دعاة الجزيرة والمشرف على الدعوة فى جزيرته (٥) وهو الذى يعقد مجالس الحكمة حيث يلقى المحاضرات فى المذهب ويختار الامام من حجج الجزائر الاثنى عشر واحداً يكون هو باب الأبواب أو داعى الدعاة ويسمى بالحجة فقط (٦) وهو المالك لجماعة الحجج (٧) وهو باب صاحب الزمان الذى يؤتى منه إليه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب دعوته (٨) فنسبة داعى الدعاة إلى الامام

(١) راجع تحفة القلوب وفرجة المكروب لحاتم بن ابراهيم الحامدى ضمن كتاب الازهار ج ٢ ص ٧٤ وما بعدها .
(٢) الأزهار ج ٢ ص ١١٠ . — (٣) الأزهار ج ٢ ص ١٢٥ .
(٤) المجالس ج ٢ ص ٢١١ .
(٥) « وفى كل جزيرة نقيب منصوب لاستخلاص من فيها من الغرق فى بحر الهيولى فهم إثنا عشر » ورقة ٤٠ B من كتاب مجموع التربية المنسوب لمحمد بن طاهر مخطوط رقم ٢٥٨٥٠ بلندن .
(٦) الرسالة الحاتمية . — (٧) تأويل دعائم الاسلام ص ٤٥ .
(٨) هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٩٣ — ٩٤ .

كنسبة الوصى إلى الناطق ، فكما أن للناطق التنزيل ولوصيه التأويل فحجة الامام هو صاحب التأويل فى عصره (١) . وحد الباب الذى هو من الحدود الصفوة واللباب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمه ولا ينتهى إلى ذلك إلا الآحاد والأفراد وذلك مجمع المنتقلين من الصور الشريفة المرتقية فى المعاد ولم يبق فوقه إلاحد الامام(٢) . وأوّل الفاطميون الملائكة «بالحجج» لان الملائكة سموا بذلك لكونهم مملكين من الله لما هم رعاته وحفظته والحجج كذلك لأن إمام زمانهم قد ملكهم نفوس شيعته وائتمنهم على أسرار دعوته فكل حجة فى مكانه ملك ولأن الحجج أيضاً مبلغون عن الإمام ومترجمون عن علمه وحكمته (٣) ولهذا نجد المؤيد فى شعره قد أشار إلى أنه ملك بقوله :

انا آدمى فى الرواء حقيقتى ملك تبين ذاك للمسترشد (٤)

أو :

وروائى جسم ومحصول جسمى ملك دونه الخطوب الجسام (٥)

وقال المستنصر فى خطابه إلى المؤيد :

يا حجة مشهورة فى الورى وطود علم أعجز المرتقى

أما عمل داعى الدعاة فهو الاشراف على كل شئ يختص بالدعوة وعقد مجالسها بالقصر أودار العلم ، فكان داعى الدعاة يكتب ما يلقى فى هذه المجالس ثم يوقع عليها الخليفة ويقرؤها الداعى على أنها صادرة من الخليفة نفسه ، وفى المجالس المؤيدية ما يثبت لنا ذلك فمثلا فى ذكر مناظرة المؤيد مع أبى العلاء المعرى نجد المؤيد قد قال فى المجالس مقدمة لذكر المناظرة (٦) « حتى توجه من وجهناه من داعينا للقاء التركمانية فانعقد بينه وبينه من المناظرة مكاتبة لا مشافهة ما نورده بنصه فينفع الله به السامعين قال داعينا » ثم ذكر المناظرة وكذلك فى رد المؤيد على الثغورى قال فى مقدمة هذا الرد « قد وقع إلى أحد دعاتنا كتاب يترجم

(١) المجالس ج ٢ ص ٢١١
(٢) من رسالة البيان لما وجب من معرفة الصلاة فى نصف رجب مخطوط رقم ٢٥٧٤٠ بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١٧ . — (٤) ق ٥ .
(٥) ق ١٢ بيت ٣ . — (٦) المجالس ج ٢ ص ٩٣ — ٩٤ .

بالاسترشاد للثغورى (١) مما يدل على أن هذه المحاضرات أو الدروس التى كانت تسمى « المجالس » كانت تصدر من قبل الخليفة الفاطمى ويقرؤها داعى الدعاة الذى أعدها (٢) .

اذن لا أستطيع أن أفهم ما رواه المقريزى والقلقشندى وتبعهما بعض المستشرقين أمثال (٣) أو ليرى من أن داعى الدعاة كان يلى قاضى القضاة فى المرتبة ، إذ أن لكل من قاضى القضاة وداعى الدعاة عملا مستقلا يختلف تمام الاختلاف عن عمل الآخر ، ثم إن مرتبة داعى الدعاة هى مرتبة روحية وهو أحد دعائم العقيدة الفاطمية ومرتبته الروحية تلى مرتبة الامام مباشرة .

ومن يدرى لعل الفاطميين فى حفلاتهم الرسمية كانوا يقدمون قاضى القضاة على داعى الدعاة وهذا مالا أستطيع أن أفهمه أيضا لأننا قد رأينا مرتبة داعى الدعاة أسمى بكثير مما توهمه المؤرخون والكتاب ؛ ومهما يكن من شئ فاننا نستطيع أن نعرف من هذا الفصل القصير مكانة المؤيد قبل وصوله إلى مصر فقد كان حجة لجزيرة فارس ثم وفد على مصر وطمع فى أن يكون داعى الدعاة فلم يوفق إلى ذلك إلا بعد عودته من مؤامرة البساسيرى أى عام ٤٥٠ هـ فنال بذلك أقصى ما يتمناه المستجيب من الترقى فى درجات الدعوة الفاطمية .

(١) المجالس ج ٢ ص ٩٩ .
(٢) جاء فى كتاب الفلك الدوار ص ١٦٥ إن الذين كان يعهد إليهم بالدعوة كانوا يتلقون علومهم فى النحو والفلسفة والمنطق والنجوم وأصول الفقه فى الازهر وحينما يلمون فيه أشدهم العلمى يغادرونه إلى دار الحكمة حيث تلق عليهم أصول القيام بمهام شئون المذهب وان هذا القسم من دار الحكمة كان يدعى إذ ذاك « بمائدة الرشد » أو بالاحرى بقبة الهدى .
(٣) O'leary : *History of the Fatimid Kalifate,* London 1923, p. 135

الفصل الخامس

مؤلفـــات المؤيد

مؤلفات المؤيد

قال صاحب عيون المعارف « وكان للمؤيد تصانيف جمة فى الحجج والسير والأخبار وله أدعية ومناجاة فى الأوراد مشهورة [1] » وقال الأستاذ إيفانوف ما ترجمته « كان المؤيد مؤلفا بارعا كتب بالعربيـة والفارسية ولا تزال كتبه من أمهات كتب الاسماعيليـة إلى الآن [2] » ثم سرد مؤلفات المؤيد على هذا النحو :

(١) المجالس المؤيدية .
(٢) المجالس المستنصرية .
(٣) ديوان المؤيد .
(٤) سيرة المؤيد فى الدين .
(٥) شرح المعاد .
(٦) الايضاح والتبصير فى فضل يوم الغدير .
(٧) الابتداء والانتهاء .
(٨) جامع الحقائق فى تحريم اللحوم والألبان .
(٩) قصيدة الاسكندرية وتسمى أيضا بذات الدوحة .
(١٠) تأويل الأرواح .
(١١) نهج العبادة .
(١٢) المسألة والجواب .
(١٣) أساس التأويل .

---

(١) ص ٤٥٨ .

(٢) Ivanow : *A Guide to Ismaili Literature*. p. 43

وقد وقفت على مجموعة خطية لأحد إسماعيلية الهند أثبت فيها فهرست كتب الاسماعيلية منذ العهد الفاطمى فوجدت الكتب التى تنسب إلى المؤيد تختلف بعض الشئ عما ذكره إيفانوف ، فلم أجد فى هذا الفهرست الذى فى المجموعة الكتاب الثانى والسادس والثامن والتاسع والعاشر والثانى عشر من الكتب المتقدم ذكرها وأضيف إلى كتب المؤيد كتابان آخران هما المسائل السبعون ونهج الهداية المهتدين ، واتفق إيفانوف وجامع المجموعة الخطية على أن الكتاب الثانى عشر ينسب إلى المؤيد أحيانا وينسب إلى على بن محمد الصليحى اليمنى أحيانا أخرى .

أما الكتاب الثانى وهو المجالس المستنصرية فنسبه صاحب المجموعة إلى بدر الجمالى كما ذكر إيفانوف أن لبدر الجمالى مجالس تسمى بالمجالس المستنصرية غير التى تنسب للمؤيد . وقد ذكرنا فى مقدمة المجالس المستنصرية أنها ليست للمؤيد وليست لبدر الجمالى إنما هى لداعية آخر لقب بعلم الإسلام ثقة الإمام ولم نستطع إلى الآن معرفة اسمه [1]

وذكر إيفانوف أن كتاب « أساس التأويل » هو الكتاب الفارسى الوحيد المعروف للمؤيد وأن المؤيد ترجم هذا الكتاب عن العربية لكتاب لأبى حنيفة النعمان المغربى يعرف « بأساس التأويل » وهكذا قال أيضا صاحب المجموعة الخطية وقد قدر لى أن أقرأ كتاب « أساس التأويل » للقاضى النعمان وهى نسخة خطية محفوظة بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن برقم ٢٥٧٣٤ فوجدته يبحث فى تاويل قصص الأنبياء بعد أن قدم فى عدة صفحات قليلة بوجوب التأويل ومعرفة الظاهر والباطن .

أما قصيدة الاسكندرية أو ذات الدوحة التى نسبها ايفانوف [2] إلى المؤيد فهى بلا شك ليست للمؤيد فى شئ . وقد ذكرت هذه القصيدة فى جميع نسخ ديوان المؤيد التى بين يدى فى القسم الذى يلى أشعار المؤيد فقد جاء فى نسخة (ل) هذه قصيدة الاسكندر رحمه الله . وفى نسخة (ق) هـذه القصيدة للاسكندرانى رحمه الله وفى نسخة (ف) هـذه قصيدة الاسكندرانى رحمه الله عليه وهى الموسومة ثم إن القصيدة فى مدح العزيز بن المعز لدين الله الفاطمى والمؤيد فى جميع شعره لم يذكر العزيز ولم يمدحه لأن العزيز أقدم عهدا من المؤيد والأسلوب فى هـذه القصيدة يختلف اختلافا تاما عن أسلوب المؤيد الشعرى لهذا كله لا أستطيع أن أوافق إيفانوف على نسبة هذه القصيدة إلى المؤيد وأرجح أنها لشاعر من الشعراء الذين كانوا فى عهد العزيز .

---

(١) راجع كتاب المجالس المستنصرية من مطبوعات دار الفكر العربى . — (٢) ص ٤٩ .

المجالس المؤيدية

لعل أكبر أثر تركه المؤيد هو كتاب المجالس المؤيدية وهو مجموعة محاضراته التى ألقاها فى مجالس الدعوة وتجمع مذهب الفاطميين كله اذ لم يترك المؤيد شيئا عن هذا المذهب دون أن يتحدث عنه فى محاضراته هذه التى بلغت الثمانمائة محاضرة ، ولا أدرى تماما متى جمعت ومن الذى أطلق عليها هذا الاسم ولكن الذى لا شك فيه أن الداعى اليمنى حاتم ابن ابرهيم الحميدى المتوفى سنة ٥٩٦ رتب هذه المحاضرات بحسب موضوعاتها ونشرها باسم « جامع الحقائق » فأدى بذلك خدمة جليلة لمن يبحث فى « المجالس المؤيدية » ويجب أن نلاحظ أن كثيرا جدا من الكتب الفاطمية ولا سيما كتب الدعاة أطلق عليها اسم المجالس وقد ذكر إيفانوف نحو ستة عشر كتابا باسم المجالس لدعاة مختلفين وقال إن أغزرها مادة هى المجالس المؤيدية .

لا أستطيع أن أجزم إذا كان المؤيد ألقى بمصر محاضراته الثمانمائة التى يضمها كتابه المجالس المؤيدية وإن كنت أرجح أنه ألقى بعضها بمصر بعد أن تولى مرتبة داعى الدعاة عام ٤٥٠ هـ فإنه أشار فى بعض مجالسه (١) إلى الوشايات التى كانت تحاك ضده بفارس والتى تحدثنا عن شئ منها فى حديثنا عن حياته ، وأشار فيها إلى بعض أحاديثه الدينية مع أبى كاليجار (٢) وإلى مناظرته مع المعرى (٣) أى أن هذه المجالس ألقيت بعد ذلك كله وقد أذهب إلى أبعد من ذلك فأزعم أنه ابتدأ فى القاء مجالسه فى أوائل ذى القعدة من عام لا أستطيع تحديده اذ نرى المجلس الرابع والخامس عن الحج وقال إنه ألقاها فى أيام الحج (٤) والمجلس السادس عن غدير « خم » وهو فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة .

قسم حاتم بن إبرهيم المجالس المؤيدية إلى ثمانية عشر بابا جمع فى الباب الأول ما ذكره المؤيد عن التوحيد وفى الباب الثانى ما اختص بالابداع والمبدع الأول وفى الثالث ما ذكر عن الناطق السادس وهو النبى محمد صلى الله عليه وسلم وفى الرابع عن النبى والوصى على بن أبى طالب وأفرد الباب الخامس لعلى بن أبى طالب وجمع فى الباب السادس ما قيل فى إثبات الإمامة فى ولد على وأن الإمامة تنتقل من والد إلى مولود لاتنقطع إلى يوم القيامة وفى الباب

(١) المجالس ج ٢ ص ١١٣ . — (٢) المجالس ج ٢ ص ١٢٢ .
(٣) المجالس ج ٢ ص ٩٣ . — (٤) المجالس ج ١ الورقة الرابعة وما يليها .

السابع حديث عن الحدود وفضلهم وما يجب نحوهم وفى الباب الثامن (١) ما قيل فى المادة والتأييد والوحى المتصل بالأنبياء ثم الحديث عن النطقاء والأوصياء وفى الباب التاسع والعاشر ذكر وجوب أخذ العهد ووجوب التأويل وصحته وفى الباب الحادى عشر نجد رد المؤيد على غلاة الشيعة وعلى أهل التناسخ والباب الثانى عشر يتضمن رد المؤيد على الفلاسفة والمعطلة والمنجمين ثم فى الباب الذى يليه الرد على المعرى وهى المعروفة برسائل المعرى مع داعى الدعاة ولكننا لا نجد فيها رسائل أبى العلاء بل ذكر فقط رسائل المؤيد إليه ونجد فى هذا الباب أيضاً رد المؤيد على المعتزلة والسنة واليهود ولا سيما رده على ما كتبه ابن الراوندى فى كتابه الزمردة الذى يحتج فيه على الرسل ويبرهن على أبطال الرسالة (٢) وفى الباب الرابع عشر جمع الحديث من الاضداد فى عهد الوحى والأئمة وأضداد كل ناطق وإبليس كل عصر . وفى الباب الخامس عشر جمع بعض مناجاة المؤيد وخطبه ومواعظه وجعل الحديث فى الباب السادس عشر فى ذكر فضل قائم القيامة والباب السابع عشر عن المعاد والثواب وذكر أهل العذاب وختم الكتاب بالباب الثامن عشر وهو الخاص بأهل العذاب أيضاً .

هذه هى الموضوعات التى تحدث عنها المؤيد فى مجالسه وهى ان دلت على شىء فانما تدل على أن المؤيد كان رجلا واسع الاطلاع عالماً بمذهبه وبآراء جميع الفرق الاسلامية الأخرى وبما نقل إلى العربية من مذاهب الفلاسفة الأقدمين ، والمؤيد فى كثير من مجالسه كان يأخذ آية من القرآن أو قولا مأثوراً عن النبى صلى الله عليه وسلم أو عن أحد أئمة الفاطميين ويشرحه شرحا يتفق مع ماكان يدعو إليه فهى « مجالس تاويل » إن صح أن نسميها بهذا الاسم وهنا تتجلى لنا شخصية المؤيد إذ أن « حجة الامام هو صاحب التأويل فى عصره (٣) » كما أن الوصى هو صاحب التأويل فى دور الناطق وأكثر كتب الفاطميين التى بين يدى يغلب عليها تأويل القرآن والأحاديث المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم ككتاب الكشف وسرائر النطقاء وأسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن الفاطمى وكتاب أساس التأويل وتأويل دعائم الاسلام للقاضى النعمان .

(١) يبدأ القسم الثانى من جامع الحقائق المخطوط بمكتبة الجامعة المصرية بالباب الثامن بينما نجد ايفانوف ص ٥٥ قال إن القسم الثانى يبدأ بالباب التاسع ولم يحدثنا ايفانوف عن موضوع الباب الرابع والتاسع .
(٢) انظر الدكتور بول كراوس فى مجلة *Revista degli Studi Orientali* وكتاب الانتصار ص ٢٦ و ٢٧ وابن خلكان ج ٦ ص ٣٧ .
(٣) هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ١٥٣ .

ولكن هذه الكتب تختلف بعضها عن بعض فى التأويل وسنعرض لذلك فى حديثنا عن التأويل .

وكان من عادة المؤيد فى مجالسه أن يبدأها بمقدمة يحمد فيها الله ويثنى بالصلاة على النبى وعلى وصيه ثم يخاطب السامعين بقوله : « معشر المؤمنين (١) » « معلوم أن » أو « اعلموا أن » وكثيراً ما كان يدعو لمؤمنين بالصلاح والتقوى والتقرب إلى الامام . كما كان يختم كل مجلس بالدعاء أيضاً للمومنين الذين استمعوا إليه ثم يعقبها بحمد الله والصلاة على النبى والوصى والأئمة من ذريته . وأسلوبه فى هذه المجالس هو نفس أسلوبه فى مؤلفاته الأخرى بل أستطيع أن أقول إنه نفس أسلوبه فى نظمه فقد كان المؤيد كاتباً أجهد نفسه فى تنميق اللفظ واختياره محاولا السجع فى كل عباراته كأنه كان يكتب مقامات .

لم يحدثنا المؤيد عمن استقى علومه التى أودعها هذه المجالس فلم يذكر عن أى عالم من علماء مذهبه أخذ علومه ، ولكنه كثيراً ما كان يشير إلى كتاب دعائم الاسلام (٢) وإلى عالم من أهل البيت وقصد به جعفر الصادق وصرح باسم جعفر الصادق مراراً (٣) وفى رده على المفسرين ذكر اسم ابن جرير الطبرى (٤) وليس معنى ذلك أنه أخذ عن النعمان أو جعفر الصادق أو عن الطبرى فان المؤيد لم يعاصر هؤلاء الاعلام وإن كان قد استفاد بما تركوه كما كان يشير إلى نفسه بقوله : « وقع فى أيدى أحد دعاتنا » (٥) سئل العالم « قال العالم » لأنه كان يستر نفسه موهما جمهور المستمعين أن هذه المجالس إنما هى صادرة من الامام نفسه .

السيرة المؤيدية

وهذا كتاب آخر من مؤلفات المؤيد قدر لى أن أستفيد منه ففيه ترجمة حياة المؤيد منذ عام ٤٢٩ هـ وعلى هذا الكتاب اعتمدت فى كتابة الجزء الخاص بحياة المؤيد كما اعتمد الداعى إدريس فى كتابيه « عيون الأخبار » وزهر المعانى » (٦) ويخيل إلىّ أن المؤيد ابتدأ فى كتابة هذه السيرة بعد أن هرب من فارس واستقر بمصر فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام ففى القسم الأول تحدث عما كابده من المشاق فى فارس وعن الدسائس التى

(١) المجلس الاول . — (٢) المجالس ج ١ ص ١٥٦ .
(٣) المجالس ج ١ ص ١٥٤ وفى مواضع كثيرة أخرى . — (٤) المجالس ج ١ ص ٢٢٢ .
(٥) المجالس ج ٢ ص ٩٦ . — (٦) الهمدانى .

كانت تحاك ضده فى بلاط أبى كاليجار وما كابده من المشاق فى مسيره إلى مصر وبينما المؤيد فى هذا القسم الأول قال : « فان بعض الناس خاضوا فى حديث الثورة التى جرت بشيراز مما ألف بين عزيمة السلطان الذى كان بها المكنى أبا كاليجار وقصد العوام لرفع الدعوة العلوية . قائلين إن دون ذلك مما لم يهل وقوعه كهوله ولم يرع مسموعه كروعه دوّن فى الكتب وأودع بطون الصحف ليكون للمستبصر تبصرة وللمذكر تذكرة فما يمنع أن يكون هذا الأمر الهائل مثبتاً كثبوت الغير ليكون فى الغابرين باقى الذكر فاستخرت الله تعالى فى اقتصاص ذلك وشرح ما تبعه . . . الخ (١) أى يدلنا على أن المؤيد إنما أراد أن يكتب هذه السيرة على هيئة كتاب تاريخ كالكتب التاريخية الأخرى ، نجده فى أول القسم الثانى قال « وصل كتابك يا أخى أطال الله بقاءك ترثى لى عن محن تشرق معى إن شرقت وتغرب معى إن غربت (٢) » فكأنه على هذا النحو قد كتب القسم الثانى على هيأة خطاب منه إلى شخص نجهله ويخيل إلى انه كتب القسم الأول من سيرته بعد مقامه فى مصر ثم أخذ فى كتابة القسم الثانى فى أوقات متفرقة ، وتحدث فى هذا القسم عما كان عليه بلاط الخليفة الفاطمى المستنصر بالله من اضطراب وكيف تلاعب الوزراء وأم الخليفة بالبلاد وبالخليفة نفسه كما أورد فى نهاية هذا القسم صور الخطابات التى تبودلت بين المؤيد وأمراء العرب ثم التى تبودلت بين المؤيد والوزراء فى مصر إبان مؤامرة البساسيرى ، أما القسم الثالث فقد حدثنا فيه عن خروجه من الرحبة وما حدث له فى حلب ووصوله إلى مصر وما كان من نجاح البساسيرى .

وقد بدأ كل قسم من هذه الاقسام بالبسملة لحمد الله والصلاة على النبى والوصى وبها اختتم أيضاً كل قسم . وتعد السيرة المؤيدية وثيقة تاريخية من أهم الوثائق التى عرفها التاريخ وتاريخ القرن الخامس خاصة إذ أن جميع المؤرخين الذين تحدثوا عن قيام الدعوة الفاطمية فى بغداد عام ٤٥٠ هـ لم يحدثونا طويلا عن كيفية قيام هذه الدعوة ولا عن المحرك لها بل جعلوا كل حديثهم منصبا على علاقة البساسيرى بالقائم بأمر الله وابن المسلمة وطغرلبك ، أما المؤيد فقد أعطانا فى هذا الكتاب صورة حقيقية عن كل دقائق هذه المؤامرة أثبت فى هذا الكتاب كل الرسائل التى تبادلها مع أمراء العرب من ناحية ومع وزراء مصر من ناحية أخرى وفى هذه الرسائل تظهر لنا بجلاء حالة العالم الاسلامى فى القرن الخامس للهجرة واتجاهات أمرائه وتلاعبهم بالعباسيين تارة وبالفاطميين تارة أخرى ، فلا غرو إذا قلنا إن

(١) السيرة ج ١ و ٢ . — (٢) السيرة ص ١١٩ .

هذا الكتاب فريد فى بابه ، وحيد فى نوعه ، يحتاج إليه كل مؤرخ إسلامى وأديب عربى ، هذا الكتاب القيم خامس حلقات سلسلة مخطوطات الفاطميين (١) .

رسائل المؤيد وأبى العلاء المعرى

رجح إيفانوف أن الكتاب الثامن من كتب المؤيد وهو جامع الحقائق فى تحريم اللحوم والألبان مستخرج من المجالس المؤيدية (٢) وهو المعروف الآن برسائل المعرى وداعى الدعاة . وذكر ياقوت هذه الرسائل فى معجم الأدباء ونشرها الأستاذ مرجوليوث بمجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة ١٩٠٢ م (٣) وذكر لنا الناشر أن هذه المكاتبات كانت فى سنة ٤٣٨ هـ (٤) ولكنى أخالفه فى ذلك وأذهب إلى أنها كانت سنة ٤٤٩ هـ إذ تجمع المصادر التى تحدثت عن أبى العلاء على أن رسالة داعى الدعاة الأخيرة وصلت معرة النعمان بعد وفاة أبى العلاء الذى توفى سنة ٤٤٩ هـ وهناك بعض نصوص تدلنا على أن المؤيد داعى الدعاة كان فى حلب أثناء هذه المناظرة فقد نقل ياقوت عن كتاب فلك المعانى : لما كانت المناظرة بين أبى العلاء وبين داعى الدعاة بمصر فى ذبح الحيوان أمر داعى الدعاة بأن يوتى بأبى العلاء إلى حلب .

وفى الرسالة الثالثة والأخيرة من رسائل داعى الدعاة تصريح بأنه كان فى الشام أثناء هذه المناظرة ، وهناك نص آخر ورد فى المجالس المؤيدية على لسان الخليفة المستنصر حتى توجه من وجهناه من داعيتنا للقاء التركمانية فانعقد بينه (أى بين الداعى) وبينه (أى بين أبى العلاء) من المناظرة مكاتبة لا مشافهة (٥) . هذا كله يدل على أن المؤيد كتب هذه الرسائل وهو يدبر مؤامرة البساسيرى وقد ذكرنا أنه خرج من مصر سنة ٤٤٨ هـ وانه كان **بحلب سنة ٤٤٩ .**

يخيل إلىّ أن المؤيد لم يسرف فى الحكم على أبى العلاء إسراف معاصريه ، ولم ير فى عقيدة أبى العلاء ما رآه غيره وقد ذكر المؤيد فى مجالسه : قد انتهى إليكم خبر الضرير الذى نبغ

(١) راجع السيرة المؤيدية من مطبوعات دار الكاتب المصرى .
(٢) *A Guide to Ismaili Literature*, p. 49 .
(٣) *J.R.A.S. (1902)* p. 280-290 .
(٤) *J.R.A.S.* p. 290 .
(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٩٣ .

بمعرة النعمان وما كان يعزى إليه من الكفر والطغيان على كون الرجل متقشفا وعن كثير من المآكل التى أحل الله له متعففا ، وقد كان خبره يصل إلى كل صقع بما يحرك النفوس للفتك به حمية بزعمهم للدين وغيرة على الاسلام والمسلمين (١) .

وكان سبب هذه المناظرة كما حدثنا المؤيد أنه جرى ذكر أبى العلاء فى مجلس الناظر فهجاه الحاضرون وأغروا الناظر بدمه ودعوا أن الغيرة على الدين تبيح قتل المعرى ولكن أحد الحاضرين اقترح أن يجرد لأبى العلاء من يحاجه ويناظره حتى ينكشف عواره وينحط قدره (٢) ويفهم من رسالة المؤيد الثالثة أن المؤيد نفسه هو الذى اقترح ذلك وأنه كان فى ذلك المجلس .

وكان غرض المؤيد من هذه المناظرة أن يعرف حقيقة مذهب أبى العلاء وأن يستوضح سره ولذلك بدأ المؤيد رسالته الأولى بشىء من الظرف والاعجاب بأبى العلاء بينما نجده فى الرسالة الثانية قد سخر بأبى العلاء وأنه لم يجد عند أبى العلاء ما كان يأمله . أما أبو العلاء فقد سمع من قبل بأمر المؤيد داعى الدعاة وكان يعرف مقدرته وحجته ولذلك بالغ فى تعظيم داعى الدعاة وتفخيمه حتى قال إنه لو ناظر أرسطاطاليس لجاز أن يفحمه وأفلاطون لنبذ حججه . والواقع أن المؤيد ضيق الخناق على أبى العلاء وكان أبو العلاء يتلمس الطريق للهروب من خصمه فأخذ يحاوره ويحاول الفرار من موضوع المناقشة والمؤيد يجذبه نحو الموضوع ولو طالت حياة أبى العلاء لظفر الأدب العربى بثروة عظيمة المناظرة بين هذين الفحلين .

أما ما قيل إن المؤيد داعى الدعاة أمر بأن يحمل إليه المعرى ليخيره بين الاسلام والموت وأن المعرى خاف فسم نفسه فهذا ما لم يقبله أحد من القدماء ولا المحدثين الذين سمعوا هذه الرواية .

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٩٣ . — (٢) شرحه .

الباب الثانى

عقائد الفاطميين فى شعر المؤيد

الفصل الأول

الولاية والتوحيد

الولاية

لن أتحدث فى هذا البـاب عن جميع عقـائد الفاطميين وما يتمايزون به عن غيرهم من أصحاب الفرق الإسلامية ، وإنما يقتصر حديثنا عن العقائد التى ورد ذكرها فى شعر المؤيد . وسيكون حديثنا عن هذه العقائد نقلا عن كتب الفاطميين أنفسهم .

اعتقد الفاطميون أن النبى صلى الله عليه وسلم أبان لهم ست دعائم للإسلام بغيرها لا يكون الإنسان مسلما مؤمنا وهـذه الدعائم هى على الترتيب الذى ذكره صاحب عيون المعارف [١] الصلاة — والزكاة — والصوم — والحج — والجهاد — والولاية . وأضاف بعض علماء المذهب إلى هذه الدعائم الطهارة أو الوضوء [٢] فتكون دعائم الاسلام عندهم سبعة أولها الطهارة وآخرها الولاية ؛ ومن قال إن دعائم الاسلام ستة جعل الطهارة إحدى أركان الصلاة [٣] ولـكننا نجد فى كتاب دعائم الاسلام — وهو أول كتاب نعرفه فى فقه المذهب الفاطمى وعليه عماد جميع كتاب هذا المذهب إلى الآن — نجد أبا حنيفة مؤلفه جعل الطهارة دعامة مستقلة عن الصلاة [٤] وكذلك فى الرسالة الوزيرية ليعقوب بن كلس [٥] أى أن المؤلفين اختلفوا فى أمر الطهارة بينما أجمعوا على غيرها من الدعائم ، إلا أن صاحب أسرار النطقاء قال « ومما جاء فى هذه الستة الفصول التى هى دعائم الاسلام مثل الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وأن سابعها الولاية [٦] فكأنه كان يقول طورا بأن الطهارة إحدى الدعائم [٧] ثم عاد فقـال بل الشهادتين ولم أجد « الشهادتين »

---

(١) عيون المعارف ص ٥ . — (٢) سرائر النطقاء ص ٥٠ .
(٣) عيون المعارف ص ٦ . — (٤) دعائم الاسلام ج ١ ص ٨ .
(٥) انظر مقال الأستاذ آصف فيظى فى *J.R.A.S.* P. I 1934 .
(٦) أسرار النطقاء ص ١٣٣ . — (٧) سرائر النطقاء ص ٥٠ .

دعامة من دعائم الاسلام فى أى كتاب من كتب المذهب الفاطمى إلا فى أسرار النطقاء.

واختلف علماء هـذا المذهب أيضا فى ترتيب الولاية، فالقاضى النعمان وضع الولاية فى أول الدعائم، بينما نجد عالما معاصره وهو جعفر بن منصور اليمن جعل الولاية آخر هذه الدعائم [١] والمؤيد الذى أتى بعد النعمان قال «إن الله أوجب طهارة وصلاة وزكاة وصوما وحجا وجهادا، وجعل ماسك الجميع ورابطه والمانع من اختلاله ولاية الوصى والأئمة التى هى آخر فرض الدين، واذا بطلت من الدين ولاية الوصى بطلت الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعاد الدين جاهلية والولاية من الدين العمدة [٢] وقال مرة أخرى «رتب النبى للدين ست دعائم بإزاء الستة أيام (التى خلق الله فيها العالم) طهارة وصلاة وزكاة وصوما وحجا وجهادا، وكما أن الله حفظ نظام الأيام الستة باليوم الذى هو الاستواء على العرش كذلك جعل النبى حفظ نظام الوضائع الستة بوصيه الذى آخى بينـه وبين نفسه فأظهر ولايته [٣] وكذلك قال صاحب عيون المعارف إن الولاية خاتمة دعائم الإسلام [٤] وعن الباقر «بنى الاسلام على سبع دعائم الولاية هى أفضلها [٥]. والولاية عند الفاطميين هى اعتقاد وصاية على وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذرية على بن أبى طالب وفاطمة بنت الرسول ووجوب طاعة الوصى والأئمة. وأوّل الفاطميون قوله تعالى «أَطِيعوا اللهَ وأَطِيعوا الرسولَ وأُولِى الأمرِ مِنكُم [٦]» بأن أولى الأمر هم الأئمة من ذرية الرسول [٧] وأن الله تعالى قرن طاعته بطاعة رسوله وطاعة الأئمة، ولن يقبل الله من مطيع طاعته إلا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه الذين هم الأئمة من أهل البيت [٨]، وهذا المعنى كثير جدا فى كتب الفاطميين ومن ورث مذهبهم أفردوا فيه فصولا طوالا، لأن الولاية كما رأينا أقوى دعائم الاسلام فى عقيدتهم، لذلك لا نجد كتابا من كتبهم يخلو من حديث طويل عن طاعة الأئمة، من ذلك قول القاضى النعمان «فإن أطاع المرء الله ورسوله وعصى الإمام أو كذب به فهو آثم فى معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله [٩]» وقال جعفر بن منصور «لا دين إلا بطاعة على وولايته ولا نعمة تامة الا مودته ومحبته ولا قبل للأمة فرض ولا سنة ولا عمـل مفترض إلا بطاعة زوج البتول وموالاته ومحبته والأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله [١٠] وقال المؤيد «فلو أن رجلا عمل بفرائض الله وسننه التى جاء بها

(١) سرائر النطقاء ص ٥. — (٢) المجالس ج ١ ص ١٥٦. — (٣) عيون المعارف ص ٥.
(٤) المجالس ج ١ ص ٢١. — (٥) تأويل دعائم الاسلام ج ١ ص ٧ و ٨.
(٦) سورة النساء: ٥٩. — (٧) كتاب الهمة ص ١٧. — (٨) الهمة ص ٧٢.
(٩) كتاب الهمة ص ١٣. — (١٠) سرائر النطقاء ج ٢ ص ٣٨.

رسوله كلها ثم لم يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الآتى بها لم يغن عنه ما عمل فتيلا ولم يتبع غير اهل النار سبيلا إذ ولاية الرسول كالمركز الذى تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده وإذا كانت هذه نسبة الرسول فى حياته كانت نسبة من يوليه أمر دينه مثلها وكمثل ذلك نسبة من يليه ومن يلى من يليه ما انتقلت الولاية من واحد إلى واحد وورثها ولد عن والد إذ الولاية هى الأصل الذى يدور عليه موضوع الفرائض [١]. وروى عن المعز لدين الله أنه قال «إن الله قد فضلنا وشرفنا واختصنا واصطفانا وافترض طاعتنا على جميع خلقه وجعلنا أئمة لجميع عباده [٢]» وفسر المعز قول الله تعـالى «أطيعوا الله... الآية، بقوله فنحن والله أولو الأمر الذين تعبد الخلائق بطاعتنا [٣].» ونسبوا إلى جعفر الصادق أنه قال «بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله فمن طاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله [٤]». وليست الولاية رأيا خاصا بالفاطميين بل هى عقيدة الشيعة على اختلاف فرقهم [٥] قال بها الغلاة المتطرفون فى التشيع، كما قال بها المعتدل الذى لم يفرط فى تكفير سواه، والفاطميون ما هم إلا فرع من فروع الشيعة فلا غرابة إذا رأينا شاعرا كالمؤيد يكثر من ذكر الولاية فى ديوانه فلا تـكاد تخلو قصيدة من قصائده دون الاشارة إلى وجوب طاعة الأئمة بنفس المعنى الذى ذكرناه آنفا كقوله:

وهم أولو الأمر أئمـة الهدى عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضـة طاعتهم على الأمم قاطبة من عـرب ومن عجم
اقرأ أطيـعوا الله والرسولا ثم أولى الأمر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معـلومه فى آية واحـدة منظومه [٦]

وأهم شروط الولاية وجوب معرفة الإمام، واستدل الفاطميون على وجوب معرفة الامام بحديث قيل إنه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» [٧] وروى عن جعفر الصادق أنه فسر الجاهلية بقوله «الجاهلية جاهليتان جاهلية

(١) المجالس ج ١ ص ٥. — (٢) المجالس والمسايرات ص ٨٥.
(٣) دعائم المجالس والمسايرات ص ٨٣. — (٤) دعائم الاسلام ص ٣٩.
(٥) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٦ – ٢٠ ومقالات الاسلاميين للاشعرى ج ١ ص ٤٩.
(٦) القصيدة الثانية ١٢٥ – ١٣٠. — (٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٦.

كفر وجاهلية ضلال لجاهلية الكفر ما كان قبل مبعث النبي ، وجاهلية الضلال ما يكون بعد مبعثه فيمن ضل عن إمام زمانه [١] ونجد هذا الحديث عن النبي مرويا فى كتاب بحار الأنوار [٢] مما يثبت أن الشيعة الاثنى عشرية اشتركوا مع الفاطميين فى هذه العقيدة ونجد حديثا آخر عن النبي « معرفة الله معرفة إمام الزمان [٣] » ونظم المؤيد هذه العقيدة فى شعره [٤] .

ولنتحدث الآن عن عقيدة الفاطميين فى على وذريته من الأئمة بعد أن علمنا أن ولاية هؤلاء الأئمة هى قوام عقيدة الشيعة .

قال الفاطميون إن لكل نبى وصيا يكل إليه أمر المؤمنين بعد النبي وأن الله تعالى هو الذى يوحى إلى النبي بإعلان الوصى الذى اختاره الله [٥] فكان وصى آدم هابيل [٦] ووصى نوح ابنه سام ووصى إبرهيم إبنه اسماعيل ووصى موسى أخاه هارون ووصى المسيح شمعون الصفا [٧] .

وكما أن لهؤلاء النطقاء أوصياء خلفوهم فى هداية الناس وجب أن يكون لخاتم الأنبياء وصى ، وهذا الوصى هو على بن أبى طالب وأن الله تعالى أمر نبيه أن يبلغ وصاية على إلى الناس إذ أولوا قوله تعالى « يأيها الرَّسُولُ بَلِّغ ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ وإن لم تَفْعلْ فما بَلغْتَ رسالتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [٨] » بأن هذا أمر من الله تعالى إلى نبيه الكريم للنص على وصاية على بن أبى طالب فنزلت فريضة ختم الله بها فرائض الدين وأوضح معها نهج الهدى للمهتدين [٩] ورووا انه نقل إلى جعفر الصادق أن الحسن البصرى روى عن النبي أنه قال : « إن الله أرسلنى برسالة فضاق بها صدرى وخشيت أن يكذبنى الناس

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٤ . — (٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢١ .
(٣) كلامى پیرس ٢١ . — (٤) القصيدة الثانية والثالثة .
(٥) الفترات ص ١٢ ب .
(٦) فى رسالة البيان لما وجب من معرفة الصلاة فى نصف رجب (مخطوط رقم ٢٥٧٤٠) أن آدم كان له وصيان هما هابيل وشيث .
(٧) أما شمعون فهو سمعان بن يونا وقد سماه المسيح صفا الذى معناه بطرس (راجع الاصحاح الأول ٤٢ من إنجيل يوحنا) وفى الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة (ص ٣٥ طبع مطبعة عين شمس سنة ١٩٢٣) أن بطرس الرسول دعى إلى تلمذة المسيح قبل جميع الرسل ولذلك سمى رأس الرسل أو أولهم . كما نجد فى العهد الجديد ولا سيما فى إنجيل يوحنا فى مواضع متعددة أن سمعان بن يونا هو الذى سماه المسيح بطرس أو صفا وأمره أن يرعى بعده خرافه أى المؤمنين به .
(٨) سورة المائدة : ٦٧ .
(٩) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٥ .

فتوعدنى إن لم أبلغها أن يعذبنى » فقال الصادق لمن نقل إليه ذلك : فما حدثكم البصرى بالرسالة ؟ قيل له : لا ، قال : والله إنه ليعلمها ولكنه كتمها متعمداً . قيل : يا ابن رسول الله فما هى ؟ فقال : إنها فى شأن ولاية على [١] ؛ ومعنى هذا أن النبي كان فرقا من تبليغ رسالة النص على على حتى أمره الله بذلك يوم غدير خم [٢] ومن الطريف أن صاحب سرائر النطقاء قال فى هذا الشأن « إن النبى لما علم أنه لا ولد له يرث مقامه وخاف أن تخرج الإمامة من عقبه زوج لعلى ابنته لتكون الإمامة والوصاية باقية فى عقبه [٣] » فكأنه أراد أن يثبت الوصاية لعلى قبل أن يتزوج على من فاطمة ، ولكنه أظهر النبي الكريم فى صورة لا تتفق مع ما كان عليه النبي من سمو فى الخلق وانصراف عن مطامع الملك ، ومهما يكن من شيء فقد اعتقد الفاطميون بوصاية على ، وأن الله تعالى لم يبعث نبيا ولا إماما إلا وهو ينصب له خليفة يخلفه فى حياته ويقوم بأمر الأمة بعد وفاته [٤] فإن الرسول من البشر والبشر محتاج فى إقامة مصلحته إلى وزير يستشيره فى أسبابه ، وأسباب الدين أعلى من أسباب البدن ، وهذا تأويل قول الله تعالى « ولقد آتَينا موسى الكِتابَ وَجعَلنا مَعهُ أخاهُ هرُونَ وزيراً [٥] » فكل دور من أدوار الأنبياء لا يكمل إلا باثنين ناطق وهو النبي وصامت وهو الوصى [٦] وهذه العقيدة أيضاً من العقائد التى اشترك فيها الفاطميون مع غيرهم من فرق الشيعة المختلفة كما ورد ذكر على بن أبى طالب ملقبا بالوصى فى الشعر العربى منذ صدر الاسلام ، وبذلك أيضا تحدث المؤيد فى شعره :

لو أرادوا حقيقة الدين كانوا تبعا للذى أقام الرسول
وأتت فيه آية النص « بلغ » يوم « خم » لما أتى جبرايل [٧]

وفرق الفاطميون بين الوصاية والإمامة ، فلم يكن على بن أبى طالب إماما من أئمتهم كما قال بعض الكتاب المتأخرين إن عليا كان أول أئمتهم ، بل ذهب الفاطميون إلى أن « الإمامة فى الرتبة دون الوصاية » [٨] فعلى كان وصى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت الإمامة بعده إلى الحسن

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٧ . — (٢) المجالس ج ١ ص ٥ .
(٣) سرائر النطقاء ص ٣٩ . — (٤) أسرار النطقاء ص ١٣٠ .
(٥) سورة الفرقان : ٣٥ . — (٦) الفترات والقرنات ص (٥٤) و (٥٥) .
(٧) القصيدة الخامسة . — (٨) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٩١ .

ابن على وهو أول أئمتهم وبعده كانت الإمامة فى الحسين والامامة بعد الحسين (١) لا تكون إلا فى ولد بعد والد ، وهذا أصل من أصول الكلام على انتقال الإمامة فى الأئمة من ذرية على ، وهذا هو التأويل الباطنى لقوله تعالى « وجعلها كلمةً باقيةً فى عقبه » إلى يوم الدين (٢) .

ولكى يثبتوا وصاية على لجدهم قد رووا أحاديث كثيرة عن النبى كقوله « على منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى (٣) » وأخذ المؤيد هذا المعنى ونظمه فى قوله :

ولكم يشد قوى بنى هارونه   ولكم يهد بنا بنى هامانه (٤)

كما أولوا كثيراً من الآيات القرآنية قالوا إن بها إشارة إلى على بن أبى طالب كقوله تعالى « إنما أنتَ مُنذرٌ ولِكلِّ قومٍ هادٍ (٥) » فرووا أن رسول الله قال فى شرح هذه الآية الكريمة « أنا المنذر وعلى الهادى من بعدى (٦) » وجاء فى الدعائم عن بعض الأئمة الفاطميين أنه قال : — المنذر رسول الله وفى كل زمان إمام منا يهديهم إلى ما جاء به رسول الله فأول الهداة بعده على ثم الأئمة من بعده (٧) » وفى ذلك قال المؤيد :

ولآبائه عنى الله إذ قا   ل تعالى « لكل قوم هاد (٨) »

وفسروا قوله تعالى « ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيه (٩) » بأنه « اقسام بما هو غاية القسم أن ذلك الكتاب الناطق المترجم عن هذا الكتاب الصامت لا ريب فيه أنه مختار من الله لمحمد وصيا كاختيار محمد من الله سبحانه نبياً (١٠) » وأكدوا هذا التفسير بقصة رووها عن على

---

(١) الفترات ص ٨٠ .

(٢) سورة الزخرف : ٢٨ . — المجالس والمسايرات ٧٦ ومن الطريف أن الاسماعيلة الأغاخانية اليوم لا يعتبرون الحسن بن على إماما من أئمتهم وذهبوا إلى أنه كان مستودعا لأخيه الحسين بن على .

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٦ ورواية كلامى بر ص ٢٠ أن النبى قال لعلى : أنت منى بمنزلة هارون من موسى .

(٤) قصيدة ٣٨ — ١٠ . — (٥) سورة الرعد : ٧ .

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٩ وجاء فى المجلد السابع ص ٢ من بحار الانوار . — قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله : « أنا المنذر وعلى الهادى من بعدى . يا على بك يهتدى المهتدون » .

(٧) دعائم الاسلام ص ١٧ . — (٨) ق ٣٦ .

(٩) سورة البقرة : ٢ ونلاحظ أنه لا يوجد فى هذه الآية قسم ولكن تأويل الفاطميين جعلوها قسما .

(١٠) المجالس المؤيدية ج ١ ض ٤١ .

نفسه أنه كان يتلو فى بعض الأيام القرآن الكريم فانتهت به القراءة إلى قوله تعالى : « هذا كِتابُنا ينطقُ عليكمْ بالحقِّ (١) » فترك على المصحف على رأسه وقال له : « يا كتاب الله انطق » وكررها ثلاث مرات فأشار بهذا إلى أنه هو الكتاب الناطق وأن القرآن هو الكتاب الصامت (٢) وفى حديث عن النبى أنه قال لعلى « أنت كتاب الله تعالى (٣) » فالكتاب هو الوصى الكتاب الحى الناطق المعبر عن الكتاب الصامت الذى هو القرآن وكما أن الكتاب كتابة رب العالمين فالوصى كذلك كتابة رب العالمين بمعنى أنه خلقه الشريف وصفوته والمؤيد بروح القدس من أمره (٤) » وفى ديوان المؤيد :

والكتاب النطوق بالحق والصد   ق وعنه يكشف المحجوب (٥)

وقوله :

وأنتم كتاب الله يثبت راشدا   محقا ويمحو مبطلا عنه غاويا (٦)

ونلاحظ فى هذا البيت الأخير أن المؤيد قال : « وأنتم » يخاطب الأئمة ولم يخاطب عليا وحده فكأنه أشرك الأئمة فى صفة من صفات الوصى وسترى كيف أن صفات النبى تطلق أيضاً على الوصى كما تطلق على الأئمة ، فمن ذلك قولهم : الكتاب دليل على إمام كل عصر (٧) . وقالوا أيضاً إن الوصى هو المقصود بقوله تعالى « الذكر » فى قوله تعالى : « وهذا ذِكْرٌ مباركٌ أنْزلْناهُ أفأنْتُمْ لهُ مُنْكِرونَ (٨) » قالوا يعنى الوصى عليه السلام وهذا وصى مبارك وقوله : « أنزلناه يعنى أقمناه فى منزلة الأوصياء (٩) وقوله تعالى : (وإنَّه لذِكْرٌ لكَ ولِقوْمِكَ وسَوْفَ تُسْئَلون (١٠)) أى يسأل محمداً صلى الله عليه وسلم عما أمره الله من إقامة الوصى وإقامة الشريعة فإذا قال قد نصبه فأصحابه وقومه يسألون (١١) » .

وقال المؤيد :

هو الذكر الحكيم الحى قامت   دلائله من الذكر الحكيم (١٢)

---

(١) سورة الجاثية : ٢٩ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) كلامى بر ص ٨٣ .

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٩٩ وفى أساس التأويل ص ٨٧ والكتاب فى الباطن هو الامام .

(٥) القصيدة الثالثة . — (٦) القصيدة السابعة عشر . — (٧) الفترات ص ٢٢٢ .

(٨) سورة الأنبياء : ٥٠ . — (٩) الفترات ص ٩١ — (١٠) سورة الزخرف : ٤٤ .

(١١) الفترات ص ٨٩٢ . — (١٢) القصيدة الحادية والخمسون .

وفى الفترات أن « الزبور » هو الأساس ففى تأويل قوله تعالى : « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فى الزَّبُورِ مِنْ بَعدِ الذِّكرِ أنَّ الأرضَ يَرِثُها عِبادىَ الصَّالِحونَ [١] » انه قصد الوصى وهذا ما أشار إليه المؤيد بقوله :

لهم معانى الزبر وفضل آىَ الزمر [٢]

والوصى والأئمة من بعده هم الذين أقسم الله بهم [٣] بقوله تعالى « فلا أُقسمُ بِمَواقعِ النُّجومِ . وإنَّهُ لَقَسَمٌ لوْ تَعْلَمونَ عَظِيم [٤] » وبذلك تحدث المؤيد فى شعره .

وبه فى القرآن قد أقسم الله وحق بمثله الاقسام
ان معنى مواقع الأنجم الزهـ ـر هم العترة الهداة الكرام [٥]

ووضح صاحب الفترات هذه العقيدة بقوله : « فكما أن النجوم أمان أهل السماء فكذلك الأئمة أمان لأهل الأرض [٦] . ورووا عن النبى « أهل بيتى أمان لأهل الأرض [٧] .

وقال الفاطميون إن منزلة على بن أبى طالب من النبى كمنزلة اللوح المحفوظ من القلم فى عالم الأمر [٨] وقد ذكرنا أنهم اعتقدوا أن القلم أو السابق هو أقرب الحدود الروحانية إلى الله تعالى ، وأن اللوح أو التالى هو الحد الذى يلى القلم ، وسنذكر أن الله أبدع القلم واللوح من نوره وذكرنا أيضاً أن القلم ممثول للناطق واللوح ممثول للوصى ، ولهذا قال الفاطميون إن محمداً وعليا خلقا من نور واحد ورووا أن عليا قال : « أنا ومحمد من نور واحد من نور الله تعالى [٩] » وأنه قال أيضاً : « نحن نور من نور الله وشيعتنا منا [١٠] » وبهذا نستطيع أن نفهم قول المؤيد :

(١) سورة الأنبياء : ١٠٥ — (٢) القصيدة :
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠ وعيون المعارف ص ٦ .
(٤) سورة الواقعة : ٧٥ و ٧٦ . — (٥) القصيدة الثانية عشرة
(٦) الفترات والقرانات ص ٦٦ .
(٧) فى بحار الانوار ج ٧ ص ٥ . — النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الارض وعن على زين العابدين « نحن أمان أهل الارض » كما أن النجوم أمان لاهل السماء ج ٧ ص ٣
(٨) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠ .
(٩) الانوار اللطيفة بهامش جامع الحقائق ج ١ ص ٢٣ .
(١٠) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٣ .

يا لوح دين الهدى ويا قلما ناسب لوح الإله والقلما [١]

وقوله :

من نور ربى خلقوا طابوا وطاب الخلق [٢]

وقوله :

غصن من القلم الممد وصنوه ومن النبى الأبطحى وحيدر [٣]

ومع هذا كله نجد المؤيد مرة أخرى قد قال « إن الأئمة خلقوا من الطين كغيرهم من البشر فذكر فى مجالسه « أن أولياء الله من طينة الأرض معجونون وللكون والفساد من حيث أجسامهم مضمونون يمسكهم الشراب والطعام وتلحقهم الأمراض والآلام ويقضى عليهم عند استيفاء أيامهم الحمام [٤] » وقال فى ديوانه :

قد خلقتم من طينة وخلقنا نحن منها ولكن بدى ترتيب [٥]

ولكنه عاد فقال فى ديوانه أيضا :

إن أجسامكم لناشئة الطين الذى منه شق منا القلوب [٦]

فكأنه ميز الطين الذى خلق منه الأئمة عن طين سائر البشر ، فجعل طين الأولياء أعلى قدرا من طين غيرهم من البشر ، بأن جعل أجسام الأئمة عقلا خالصا [٧] ومهما يكن من شئ فالمؤيد نفى الألوهية عن الوصى والأئمة بخلاف ما دان به كثير من فرق الغلاة الذين اضطروا المؤيد فى كثير من مجالسه وأشعاره إلى الرد عليهم وتفنيد ترهاتهم فى تأليه على والأئمة من ذريته بل نراه قد صرح بلعن هؤلاء الغلاة ورماهم بالضلال والكفر .

(١) القصيدة التاسعة عشرة . — (٢) القصيدة الخامسة والعشرون .
(٣) القصيدة السابعة . — (٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦١ .
(٥) القصيدة الثالثة . — (٦) القصيدة الثالثة .
(٧) قال المؤيد عن ذلك فى مجالسه : إن نفس الانبياء والاوصياء والأئمة المفتقرة إليها نفوس الخلق بما لها من المنزلة العلية والرتبة السنية أشرف النفوس وكانت جسمه من جهة المجاورة لنفسه الزكية أشرف الاجسام (المجالس ج ٢ ص ١٥) .

والعن إلهى غاليا وقاليا ولا تذر فى الأرض منهم باقيا [١]

وقوله :

قد حاز غايات العلا حتى غلا قوم وضلوا فيه مرضى السبيل
قالوا هو الله الذى يأتى كما أخبرنا من الغمام فى ظلل [٢]

فقد رد على الغلاة الذين ألهوا عليا وفسروا قوله تعالى « هَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ أنْ يأتِيَهُم اللهُ فى ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ [٣] » بأن الله أراد بذلك عليا فهو الذى يأتى فى ظلل الغمام والذى قال هذه المقالة أتباع بنان بن سمعان النهدى كما حدثنا بذلك الشهرستانى [٤] والبغدادى وغيرهما من مؤرخى الفرق . وشبه المؤيد هؤلاء الغلاة الذين ألهوا عليا بالنصارى الذين ألهوا المسيح عيسى بن مريم :

ومَنْ قال قوم فيه قولا مناسبا لقول النصارى فى المسيح مضاهيا [٥]

وقال فى مجالسه : وتأملنا حال النصارى وبحثنا عن اعتقادهم فاذا هم يدينون بإلهية البشر فى أصل الاعتقاد وإن اختلفوا فى الفروع ، ونظرنا من يشبههم من هذه الأمة فاذا هم الغلاة الذين يدينون مثلهم بإلهية البشر فمنهم من يغلو فى على وحده ويجعل النبى رسوله [٦] ومنهم من يغلو فيهما جميعا ولكن يقدم عليا وهؤلاء يسمون العينية ومنهم من يقدم محمدا وهؤلاء يسمون الميمية ومنهم من يقول بإلهية محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ويراهم شيئا واحدا كما أن النصارى يرون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة وهؤلاء يسمون المخمسة [٧] فهذه الفرق على اختلافها هى نصارى هذه الأمة وسمة الرفض لازمة لهم لزوم القلادة للعنق وشيعة الحق متزهون عن سماتهم وأوصافهم [٨] » فالفاطميون اذن لم يغالوا

(١) القصيدة الثالثة . — (٢) القصيدة الرابعة . — (٣) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٤) الشهرستانى ج ١ ص ١٥٨ وفى الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ اسمه بيان بن سمعان التميمى وهو الأصح .
(٥) القصيدة السابعة عشرة .
(٦) قال بهذا الرأى فرقة الذمية إذ زعموا أن عليا هو الله وأنه هو الذى بعث محمدا فادعى الأمر لنفسه (الفرق ص ٢٣٩) .
(٧) هذه الفرقة التى سماها البغدادى بالشريعية (الفرق بين الفرق ص ٢٣٩) .
(٨) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٦ .

فى الأئمة كما ذهب بعض الشيعة ثم إن المؤيد كان يرى الرافضة هم الغلاة وجاء أيضا فى ديوانه :

دعنى من الرفض وأصحابه إنى برئ منهم دعنى [١]

ومع ذلك كله فالمؤيد سمى عليا بمسيح هذه الأمة « وشبهه بالمسيح » .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى : لولا أنى أتخوف عليك أن يقول الناس فيك ما قالت النصارى فى المسيح لقلت فيك قولا لا تمر بملأ منهم إلا ويأخذون من تراب تحت قدميك ويشربون من فضل طهورك [٢] » وأن عليا قال يوما بمسجد الكوفة « أيها الناس اعلموا أننى المسيح الذى أبرئ الأكمه والأبرص [٣] » ، وأجرى المؤيد التشبيه بين المسيح وعلىّ أن المسلمين اختلفوا فى على كما اختلف القوم فى عيسى بقوله « افترق الناس فى المسيح ثلاث فرق فقالت فرقة هو الله وابن الله وهم النصارى ، وقالت فرقة هو ولد زنا وهم اليهود ، وقالت فرقة هو رسول الله وهم المحقون ، وكمثل ذلك اختلفت الناس فى علىّ ثلاث فرق ، فقالت فرقة فيه ما قالت النصارى فى المسيح تعالى الله عن قولهم علوّا كبيرا وهم الغلاة ، وفرقة قالت فيه إنه أخو رسول الله ووصيه وهم المحقون ، وقوم منعوه حقه وإرثه كما يمنع ولد الزنا تراث أبيه وهم المخالفون أى النواصب [٤] » ، وبهذا فسر الفاطميون ما رووه عن النبى الكريم « إن أمة بنى إسرائيل أى اليهود كلها ضالة مضلة إلا فرقة منهم ناجية وكذلك النصارى أمة أخى عيسى كلها ضالة مضلة إلا فرقة منهم ناجية » [٥]

ولكنا نرى المؤيد فى شعره قد قال :

ماسح مسيح الأمم وأحيي بمحيي الرمم [٦]

وقال فى مجالسه « وأما كون المسيح يمسح الصورة المفارقة للحياة فيرد فيها الحياة لكونه روح الله فالنبى كذلك بكونه موحى إليه روح من أمر الله قال تعالى فى كتابه « وكَذَٰلِكَ أوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا » [٧] يمسح الصورة الميتة من جهة النفوس وهو الموت الحقيقى فيلقى روح الحياة فيها على قدرها فى القبول والاحتمال

(١) القصيدة الثانية والأربعون بيت ٢ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧ .
(٣) الفلك الدوار ص ٤٣ . — (٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧ .
(٥) الفترات والقرانات ص ٤١ . — (٦) القصيدة الخامسة والعشرون .
(٧) سورة الشورى : ـ ٥٢ .

يدل على ذلك قول الله سبحانه « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » (١) . وإذا كان الله سبحانه كنى عنه فى كتابه يحيى الخلق ممن يستجيب له فهو مسيح بالحقيقة (٢) » فكأنه قال إن النبى الكريم هو أحق بلقب المسيح ، بعد أن رأيناه قد شبه عليا بالمسيح ، وفى نفس القصيدة التى شبه فيها النبى بالمسيح نراه شبه عليا والأئمة من ذريته بشمعون الصفا أساس المسيح ووصيه (٣)

ووال شمعون الصفا   وأوله منك الصفا (٤)

ونرى المؤيد مرة ثالثة قد شبه الإمام المستنصر الفاطمى بالمسيح :

يا مسيحا يكلم الناس طفلا   ضل فى شأنه أخو اللب لبا
لست دون المسيح سماه ربا   أهل شرك — ولا نسميك ربا (٥)

وفى القصيدة الستين نراه قد وضح أوجه الشبه بين المستنصر والمسيح فقال إن المسيح كلم الناس طفلا فكذلك حوى المستنصر الإمامة والملك طفلا ، والمسيح أحيي الموتى وكذلك أحيي المستنصر بعامه الجهلاء ، والمسيح أبرأ العمى والمستنصر هدى من كانت بعينه غشاوة إلى الدين الحق ، من ذلك نستطيع أن نقول إن الفاطميين خلعوا على الوصى والأئمة جميع الصفات التى خلعوها على النبى الكريم ، فكل فضيلة للنبى وصفوا بها الأئمة إلا فى فضيلة النبوة والرسالة اذ اختص بها النبى دون غيره وقد أطلقوا على مرتبة النبوة والرسالة « مرتبة الاستيداع » أما مرتبة الإمامة والوصاية فسموها مرتبة الاستقرار (٦) ، ولهم حديث طريف عن تنقل هذه المراتب إذ قالوا إن إبرهيم الخليل اجتمعت لديه « مرتبة الاستيداع » وائتمن على مرتبة الاستقرار فأورث إسحق مرتبة الاستيداع ، وأعطى إسماعيل مرتبة الاستقرار ، وتوارث أولادهما هذه المراتب حتى وصلت مرتبة الاستقرار إلى عبد المطلب جدالنبى واستودع مرتبة الاستيداع ، فقسم هذه المراتب بين ولديه أبى طالب وعبد الله وبهذا فسروا ما روى عن النبى « لم أزل أنا وأنت يا على من نور واحد ننتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية كلما ضمنا صلب ورحم ظهر لنا قدرة وعلم حتى انتهينا

(١) سورة الانفال : ٢٤ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٤٨ . — (٤) القصيدة الخامسة والعشرون .
(٥) القصيدة الخامسة عشرة . — (٦) هامش المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦٨ .

إلى الجد الأفضل والأب الأكمل عبد المطلب فانقسم ذلك النور نصفين فى عبد الله وأبى طالب ، فقال الله تعالى كن يا هذا محمداً ويا هذا كن عليا ، ولكن عبد الله توفى فاستودع عبد المطلب مرتبة النبوة والرسالة لمحمد ثم استودع أبو طالب مرتبة الوصاية والامامة أيضاً ، وبعد وفاة أبى طالب اجتمعت لمحمد هذه المراتب ، فكان محمد مجمعاً للرتب جميعها وهى النبوة والرسالة والإمامة والوصاية فكان باجتماعها فيه أعلى من جميع المخلوقات ، حتى كان يوم « غدير خم » سلم فيه النبى مرتبة الاستقرار لعلى ومنه إلى الأئمة من ولده حتى تجتمع هذه المراتب مرة أخرى فى قائم القيامة (١) ولهذا قالوا إن صاحب مرتبة الاستقرار أى الوصى والأئمة من ذريته له نفس الفضائل والصفات التى لصاحب مرتبة الاستيداع إلا فى الرسالة والنبوة (٢) . فقالوا مثلا إن النبى صلى الله عليه وسلم هو « وجه الله » المذكور فى قوله تعالى : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (٣) » وقوله تعالى : « وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ (٤) » وفى قول النبى « الدنيا ملعونة وملعون كل ما فيها إلا ما أريد به وجه الله (٥) » ، ففسروا ذلك بأن وجه هو الابداع الأول التام الكامل الذى من عداه مفتقر إليه وهالك كل من لم يكن به علاقة ، وهذا فى العالم الروحانى « القلم » ، ومثله فى العالم الجسمانى هو رسول الله (٦) » وقال رسول الله « أنا وجه أمتى » بمعنى أنهم به يعرفون وإليه ينسبون (٧) ، فجاءت هذه الصفة أيضاً إلى على بن أبى طالب . روى عن أبى ذر أنه قال (٨) « سمعت أمير المؤمنين وهو يقول : أنا وجه الله الذى ذكره بقوله : « فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ (٩) » وعلى هذا النحو وُصف الأئمة الفاطميون إذ قال المؤيد فى ديوانه :

فوجهك وجه الإله المنير   ونورك من نوره كالحجاب (١٠)

وقوله :

شهدت بأنك وجه الإله   وجوه الموالى به ناضرة (١١)

وكذلك وصفوا عليا بأنه « يد الله » فكما أن الأيدى تجر النفع إلى الأجسام وتدفع

(١) هامش جامع الحقائق ج ١ ص ٦٨ — ٧٠ . — (٢) عيون المعارف ص ٣٠٨ .
(٣) سورة القصص : ٨٨ . — (٤) سورة الرعد : ٢٢ .
(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١١ . — (٦) المجالس ج ١ ص ٢١١ .
(٧) المجالس ج ٢ ص ٢ . — (٨) سرائر النطقاء ص ٥٧ .
(٩) سورة البقرة: ١١٥ . — (١٠) القصيدة ١١ . — (١١) القصيدة ٤١ .

الضرر عنها فعلىّ من الدين ومعرفته توحيد الله محل اليد من الجسم ، فعلىّ يدافع عن التوحيد بنفى التعطيل والتشبيه لسانا وعاما ويحمى حريم الدين بأسا وسيفا (١) » وهذا تفسير القول الذى رووه عن على « أنا يد الله الباسطة على الأرض (٢) » ولكن المؤيد فى شعره قال :

ويدان لله العظيم   لبسطتى مبسوطتان
وهما النبى وصنوه   يدا نعمة نعم اليدان (٣)

أى أنه قال إن النبى « يد الله » وعلى « يد الله » أيضا . وجاء فى سرائر النطقاء فى تأويل قوله تعالى « وَقالتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغلولة (٤) » والله تعالى ما له يد محدودة كأيدى خلقه وانما يده نعمته الباسطة على عباده وهو وليه وإمام زمانه وقوله « بَلْ يَداهُ مَبْسوطَتانِ » عنى به الامام والحجة اللذان هما مبسطان باقامة الدعوة والداعيان إلى عبادة الله وتوحيده (٥) » فهذا يثبت ما ذهبنا إليه من أن الفاطميين وصفوا أئمتهم بجميع الصفات التى كانت لمحمد ولوصيه على بن أبى طالب . وإذا وجدنا المؤيد قد مدح إمامه بأنه « جنب الله » مثلا بقوله :

هو الوجه وجه الله والجنب جنبه   من الوحى قد قامت عليه الدلائل (٦)

وقوله :

قد حله وجه الإله وجنبه   ولسان صدق محمد وجنانه (٧)

فهو أخذ هذا القول مما روى عن على أنه قال (٨) وأنا جنب الله الذى ذكره فقال « أنْ تَقولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلىٰ ما فَرَّطتُ فى جَنْبِ الله (٩) » أى أن المؤيد قد وصف الإمام بصفة من الصفات التى قيل إن عليا وصف بها نفسه . فعلىّ روح الله القدسية التى أخضع لها كل المخلوقات وجعله السبب إلى توحيده والدليل إلى وجوده اذ نعته الله بصفته فهو جنب الله وعينه وأذنه ووجهه ويده لتأنس الخلائق إلى معرفة توحيده باقامة حدوده (١٠) »

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٥٣ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٥٣ .
(٣) القصيدة الحادية والثلاثون . — (٤) سورة المائدة : ٦٤ .
(٥) سرائر النطقاء ج ٤١ . — (٦) القصيدة ٥٧ . — (٧) القصيدة ٣٣ .
(٨) سرائر النطقاء ص ٥٧ . — (٩) سورة الزمر : ٥٦ .
(١٠) سرائر النطقاء ص ٥٦ .

رووا أن عليا قال « قولوا فى فضلنا ما شئتم لأنا أبواب الله وحججه وأمناؤه على خلقه وخلفاؤه وأئمة دينه ووجه الله وجنبه (١) » .

ومما لا شك فيه أن الفاطميين اشتركوا مع فرق الشيعة الأخرى ولا سيما الامامية فى أن الله اختار الأئمة وأقامهم وجعل كل إمام منهم حجة على أهل عصره وقائما بينهم بأمره (٢) فنجد الباب الاول من المجلد السابع من كتاب بحار الانوار قد أورد فى الحديث عن اضطرار العالم إلى حجة ، وأن الأرض لا تخلو من هذه الحجة ، وأورد المؤلف كثيرا من الأقوال المأثورة عن زين العابدين وعلى الرضا فى إثبات هذه العقيدة كقول على زين العابدين « ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولولا ذلك لم يعبد الله (٣) وقول الرضا « نحن حجج الله فى أرضه وخلفاؤه فى عباده وأمناؤه على سره ونحن شهداء الله وأعلامه فى بريته لا تخلو الأرض من قائم منا ظاهر أو خاف (٤) » وبذلك أيضا قال الفاطميون فالإمامة عند فرق الشيعة الامامية لا تنقطع عن العالم طرفة عين فى كل عصر وذلك لتدبير شئون الأمة وحفظ دين الله فالإمام حجة الله فى الأرض وبه تثبت الحجة على (٥) الخلق وقد تحدث المؤيد بذلك كله فى ديوانه كقوله فى مدح الإمام :

يا ولى الإله يا حجة الله   على خلقه غداة الخصام (٦)

وقوله :

الإمام المستنصر الطاهر مولى   هو لله حجة فى العباد (٧)

وقوله :

وإنك برهانه فى الانام   وإنك صمصامه فى النصاب (٨)

وكذلك اشترك الفاطميون مع غيرهم من فرق الشيعة فى رواية الحديث « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها (٩) » وفسر الفاطميون هذا الأثر بقولهم

(١) زهر المعانى على حاشية ج ١ ص ٣٣٦ من جامع الحقائق
(٢) المجالس والمسايرات ص ٨١ . — (٣) بحار الانوار ج ٧ ص ٣ .
(٤) بحار الانوار ج ٧ ص ٨ . — (٥) الفترات والقرانات ص ٥٨ .
(٦) القصيدة ٤٧ . — (٧) القصيدة ٣٦ . — (٨) القصيدة ٣٦ .
(٩) الفترات والقرانات ص ١١١ .

« رسل الله مدن حكمته وأوصياؤهم أبوابهم فمن سارع إليهم اقتبس بنور هذه الكلمة وهكذا الأئمة بعد الأوصياء مدن العلم وأبوابهم حججهم [١] » وأول المؤيد قوله تعالى « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا [٢] » بان البيت هنا بيت الله الحى الناطق وهو رسول الله فى عصره باديا وكل إمام زمانه ثانيا [٣] وقال المؤيد فى موضع آخر إن الله عنى بالبيت غير المبنى من الطين والحجارة، وكنى عن سواه بهذه الكناية والإشارة، ولم لا يكون هذا البيت بيت الله الحى الناطق الذى به أغاث سبحانه الخلائق، وهو رسول الله فى عصره باديا، وكل إمام فى زمانه ثانيا، بيوت الله المعمورة بالحكم، ومعالم الله التى هى منجاة الأمم، ولم لا يكون البيت أمير المؤمنين الذى هو باب النجاة [٤]. وكما وصف الشيعة الاثنا عشرية النبى بالبيت نجد الفاطميين قد أطلقوا هذه الصفة أيضا على أئمتهم فالامام عندهم بيت الله الذى أودعه أسرار دينه كما يودع المودع أنفس ذخيرته فى بيته [٥]، كما وصفوا عليا بأنه « الباب » وقالوا إن النبى قال فى على « على باب الدين من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا [٦] » وبهذه الصفات مدح المؤيد الأئمة بقوله :

« وأحمد » بيت النور لا شك، بابه   « أبو حسن » والبيت من بابه يؤتى [٧]

وقوله :

هو البيت بيت للإله مقدس   وسيف لهام الكفر والشرك فاصل [٨]

وقوله :

فغفرا إلهى فانى امرؤ   « دخلت المدينة من بابها » [٩]

وأولوا قوله تعالى « وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ [١٠] » بأنه رسول الله [١١] ثم خلعوا

(١) الفترات ص ١١١ . — (٢) سورة البقرة : ١٨٩ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٧١ . — (٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٧ .
(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٩١ . — (٦) الفلك الدوار ص ٩١ .
(٧) القصيدة ٤٦ . — (٨) القصيدة ٥٧ . — (٩) القصيدة ٢٧ .
(١٠) سورة التين : ٢ . — (١١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤ .

هذه الصفة على الأئمة فقالوا إن البلد رمز إلى كل من هو مؤيد بالقدس والأنوار وهم الأئمة المعصومون [١] ومدح المؤيد الإمام بهذه العقيدة فقال :

يا بلد الله الأمين الذى   قد زاغ عنه بصر الكافر [٢]

وقوله :

هو البلد الأمين عليه دلت   معانى الركن منه والحطيم [٣]

ووصف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بأنه « رحمة الله » فقال : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [٤] » فاستغل الفاطميون هذه الصفة التى نعت الله بها رسوله ووصفوا بها الأئمة جريا على سنتهم فى سبغ فضائل النبى على الأئمة، فنرى المؤيد فى مجالسه قال «فرحمة الله هى رسول الله فبطل أن يكون الله تعالى نزع عن الخلق رحمته من بعده إذ كان ذلك لا يليق بعدله، ولربما كان فى الزمان الذى بعد زمانه قوم هم أفضل وأدين من كثير ممن كان فى زمانه، وإذا كانت الصورة هذه كان القائم بعده فى الوصاية أيضاً « رحمة العالمين » كذلك القائم بعده للإمامة والقائم بعده واحداً بعد واحد لا يخلو زمان من إمام ذى رحم محمد يكون رحمة للعالمين [٥] ».

ونجد هذه العقيدة فى ديوان المؤيد إذ قال :

ورحمةُ ربنا فينا تجلت   وذاك الفضل من رب رحيم [٦]

وقوله :

رحمة الله فى البرايا ومولى   من حوته الأصلاب والأرحام [٧]

والإمام عند الفاطميين هو الذى أشار إليه الله تعالى فى القرآن الكريم « بآيات الله » فالآية « وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [٨] » فسرها المؤيد بقوله : « **إن الآيات فى الباطن هم الأئمة المترجمون عنها**

(١) عيون المعارف ص ٤٨٠ . — (٢) القصيدة ١٤ . — (٣) القصيدة ٥١ .
(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧ . — (٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠٢ .
(٦) القصيدة الحادية والخمسون . — (٧) القصيدة الثانية عشرة .
(٨) سورة الأعراف : ٣٦ .

والقادحون أنوار الملكوت منها ، فهم لهم بمنزلة الأرواح من الأجساد . والآيات هى الاعلام ، فكفى بهم (أى بالأئمة) أعلام للنجاة وأدلة على تحقيق الحياة (١) » ورووا عن على أنه قال : « أنا الآيات البينات » ولهذا نراهم قد وصفوا الأئمة بهذا الوصف وفى ديوان المؤيد :

وآيات دين الله تزهر كلها   بنور تراه ساطعاً إن تأملتا (٢)

كذلك نراهم قد أولوا ما جاء فى القرآن الكريم عن « الطور » بأنه الإمام فقالوا إن الطور جبل والجبال أوتاد الأرض ، ومثلها فى الباطن الحجج الذين هم أوتاد الدين كالجبال للأرض ، وأشرف هؤلاء الحجج حجة الناطق الذى هو أساسه ، وهو الطور الذى أقسم الله به ، ولولا كان الطور بهذه المثابة فى الشرف لامتنع أن يقسم الله تعالى بجبل جماد فقوله تعالى « ورفعنا فوقكم الطور (٣) » يعنى أقمنا الوصى ليكون لكم ظلا ومعقلا وحرزاً (٤) ولذا قال المؤيد فى مدحه للامام :

جبل الطور منه نسمع نجوى   الله فينا وعنه تبدو الغيوب (٥)

وذكر الله تعالى فى القرآن الكريم « الصراط المستقيم » فى مواضع عدة تكاد كلها تؤدى معنى الطريق الحق الذى يوصل إلى ثواب الله وإلى جنة النعيم وقد ذكرنا أن الولاية هى طريق الجنة ولذا أول الفاطميون « الصراط المستقيم » بأنه إمام الزمان فنجد فى كتاب الفترات والقرانات « الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين على (٦) » وأشرنا من قبل إلى أن جميع صفات علىّ تنطبق على الأئمة من ذريته فيفهم من قول صاحب الفترات أن الصراط المستقيم هو الامام أيضاً وقد صرح بذلك صاحب عيون المعارف إذ قال : « واعلم أن الصراط على الحقيقة هو معرفة الامام الكريم إذ هو الصراط المستقيم وهو الصراط المنصوب بين الجنة وبين الجحيم (٧) » وقال المؤيد فى مجالسه « إن الصراط المستقيم فى المتعارف هو الجادة المسلوكة التى لا زيغ فيها ولا عوج لسالكها إلى مكان قصده وإننا نكرر فى الصلاة فاتحة الكتاب المتضمنة لقوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » وأن الطالب

(١) المجالس المؤيدية جـ ١ ص ١٩ . — (٢) القصيدة .
(٣) سورة البقرة : ٦٣ .
(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣١٠ (مجلس ٧١ من المائة الثانية) .
(٥) القصيدة الثالثة . — (٦) الفترات ص ٢٢ . — (٧) عيون المعارف ص ٤٨١ .

للشئ حقيق أن يعرف وجه طلبه وأن يسأل عما لا يعرفه ، وقد اضطر أصحاب التفسير إلى أن يتأولوا ذلك أنه القرآن والشريعة وقد صدقوا فيما قالوا ، لكن الذى جهلوا منه أكثر مما علموا ، فأما كون الدين والشريعة « الصراط المستقيم » فصحيح إلا أنه بالتى بالدين والشرع أليق وأخلق ، فالنبى فى عصره هو الصراط المستقيم والوصى بعده كذلك ، ثم ينتظم فى إمام بعد إمام كل منهم يسند إلى من تقدمه ويشير إلى من تأخر عنه (١) » وقال فى تأويل « وأنّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ (٢) » فأحق من يتوجه الاشارة إليه فى هذا الباب هو أمير المؤمنين على وهو صراط الله الذى يقوم بظاهر التنزيل (٣) . ونراه فى موضع آخر قد قال : « إن مجموع النبى والوصى يكون الصراط المستقيم وإن الصراط المستقيم انتظام مرتبة الامامة فى ذريتهما واحداً بعد واحد إلى يوم القيامة فيكون المنتظم فى سلكهم على الصراط المستقيم (٤) » ومدح المؤيد الامام بأنه الصراط المستقيم .

صراط الاله المستقيم لذى النهى   ويثبت ذا جهل عن الحق ناكبا (٥)

وقوله :

هم أمان من العمى وصراط   مستقيم لنا وظل ظليل (٦)

وسنرى كيف تهكم المؤيد على أهل السنة والجماعة لقولهم بوجود طريق يصل بين الجنة والنار أحد من السيف وأدق من الشعر (٧) .

قال الفاطميون إن الانسان مكون من كثيف ظاهر ومن لطيف باطن ، وإن كثيف الانسان الظاهر ينقسم إلى عناصر الحياة الأربعة وهى التراب والهواء والنار والماء وهذه العناصر هى التى تكون الجسم المقصود بقولهم الكثيف الظاهر ، وفى الانسان معنى لطيف يميزه عن غيره من المخلوقات الحيوانية ، وهو ما يسميه الفلاسفة والفاطميون أيضاً بالنفس الناطقة ، وبه معنى يميز بين الخير والشر والحق والباطل وهو العقل ، وأطلقوا على النفس الناطقة النفس الكلية وعلى العقل العقل الكلى ، لأن العقول الجزئية والنفوس الجزئية التى

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٥١ مجلس ٨٧ من المائة الخامسة .
(٢) سورة الأنعام : ١٥٣ .
(٣) المجالس ٨٧ من المائة الخامسة . المجالس ج ١ ص ٣٥١ .
(٤) المجالس ج ١ ص ١٤٧ . — (٥) القصيدة ٣٧ . — (٦) القصيدة السادسة .
(٧) أنظر القصيدة الثانية .

فى الانسان منسوبة إلى العقل الكلى والنفس الكلية فى عالم العقل [1] الذى عرفه الفاطميون بالباطن اللطيف ، وبناء على ذلك قال الفاطميون إن الانسان مولود عالم الأجسام من حيث جسمه الكثيف ومولود عالم النفس الكلية والعقل الكلى أى عالم اللطافة من حيث نفسه وعقله ، وبهذا فسروا قول الفلاسفة « الانسان عالم صغير [2] » ويتحلل جسم الانسان إلى عناصره الأربعة فيعود كل قسم إلى ما يناسبه فى عالم الكثافة بينما تنتقل النفس إلى ما يناسبها أيضاً فى العالم الروحانى اللطيف [3] وهذا ما أراده المؤيد بقوله :

لجسمك من دار الطبيعة بدؤه ... ويمسى إليها بالتحلل سائبا
ونفسك من دار البسيطة بدؤها ... وتلك لعمر الدين أعلى مراتبا [4]

وقد ذكرنا ما اعتقده الفاطميون من أن الامام من نور الله وأن جسمه أشرف الأجسام وأن جسمه عقل بالنسبة لأجسام البشر كما قال المؤيد فى مدح المستنصر :

ذو نسبة بالمصطفى ... والمرتضى يسمو ويعلو
بكثيفه ولطيفه ... فأساسه نفس وعقل [5]

فنفس الإنسان اللطيفة تناسب جسم الإمام لأنه لطيف أيضا ولهذا وصفوا الإمام بأنه قبلة النفس قال المؤيد :

يا قبلة الأرواح يا من نحوه ... توجهت فى الشرق والغرب القبل [6]

وقوله :

يا قبلة الحق الأعز ... وكعبة الحى الاجلا [7]

وعللوا وصفهم للإمام بأنه قبلة الأرواح بأنهم فى الصلاة مثلا يتوجهون إلى الكعبة والكعبة من تراب فالانسان يتجه إلى الكعبة بجسمه الترابى ، ولكن نفس المصلى جوهر

(١) المجالس ج ١ ص ٧ « ب » .
(٢) نلاحظ أن هشام بن الحكم كان يقول بذلك أيضاً إذ جاء فى مقالات الاسلاميين (ج ١ ص ٦٠) وفى الفرق بين الفرق ص ٥١ أنه كان يرى أن الانسان اسم لمعنيين لبدن وروح فالبدن موات والروح هى الفاعلة وهى نور من الأنوار .
(٣) المجالس ج ١ ص ٧ و ج ١ ص ١٩٨ . — (٤) القصيدة ٣٧ .
(٥) القصيدة ١٦ . — (٦) القصيدة الرابعة . — (٧) القصيدة العاشرة .

قابل لآثار النبوة والكتاب فاقتضى أن تكون قبلة نفسه ما تنحل إليه [1] ، فالمصلى اذا استقبل الكعبة فكأنما استقبلها بجسمه الكثيف أما لطيفه فتجه إلى الإمام [2] ، وقالوا إن معنى الحج هو القصد لأشراف البقاع واشرف البقاع فى الظاهر الكعبة وهى فى التأويل حجة الله على خلقه الذى هو أشرف الخلق وهو قبلة النفوس التى تتوجه النفوس إليها لخلاصها [3] ولكن توجه الانسان بحياته ونطقه إلى بيت جماد (أى الكعبة) ، لا يحس ولا يعقل خطب ، فاقتضى أن تكون قبلته الإمام [4] ولذا قال المؤيد :

أبيت من الأحجار أعظم حرمة ... أم المصطفى الهادى الذى نصب البيتا

التوحيد عند الفاطميين

قال المؤيد إن الدين له فرع وأصل ، وأن أصل الدين معرفة توحيد الله [5] ولكن توحيد الله يكبر عن أن تحصره النفوس أو تدركه العقول [6] ولذلك حذروا التعمق فى البحث عن الله تعالى مبدع العالم عملا بأثر رووه عن النبى « إياكم والتعمق فإن من هلك قبلكم هلك بالتعمق [7] » واكتفى الفاطميون بقولهم إن توحيد الله بأن ينفى عنه جميع ما يليق بمبدعاته التى هى الأعيان الروحانية ومخلوقاته التى هى الصور الجسمانية من الأسماء والصفات والحدود ويتصور أنه ما كاد ينقدح لأحد فكر فيه جل جلاله إلا وذلك الفكر مثل المفكر ومصنوع ومحدث وأن الله سبحانه صانعهما ومحدثهما ولا يناسب شيئاً منهما [8] ، وأن نفى المعرفة هو حقيقة المعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة [9] أى أن توحيد الفاطميين هو تنزيه الله تعالى عن جميع ما يوصف به خلقه من الصفات والنعوت ، لأن هذه النعوت كلها موجبة للانداد والاضداد فمثلا فى قولنا « الحى » فالحى منا لتعلقه بجوهر الحياة حى وهو سبحانه وتعالى أيضاً حى ، وان كان حظه الأعلى الأشرف بأنه الحى الذى لا يموت وحظ الانسان الأدون

(١) المجالس المؤيدية المجلس الرابع ج ١ ص ٤ .
(٢) حدثنى أحد البهرة بأنهم إذا وقفوا للصلاة قالوا : إننا نقابل الكثيف بالكثيف واللطيف باللطيف . يريدون بذلك ما ذكرناه وأن الصلاة فى عقيدتهم لا تقبل إلا إذا كانت على هذه النية .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٩٨ . — (٤) المجالس ج ١ ص ٤ .
(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤٥ . — (٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦ .
(٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٧٦ . — (٨) المجالس المؤيدية .
(٩) المجالس المؤيدية .

الأقل من جهة الحوادث فهذه مشاركته ، ثم ان الحى ضد الميت وذاك[١] مضادة ، وعلى هذا النحو ساق الفاطميون القول فى الصفات ، وكما أن المعتزلة اولوا الآيات التى تدل على التجسيم تأويلا يتفق والتنزيه والتوحيد كذلك أول الفاطميون هذه الآيات لنفى التشبيه عن الله تعالى فقالوا إن الذى يدين بصفات الله مشرك الشرك الخفى الذى قال عنه رسول الله « الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على صخرة صماء فى ليلة ظلماء[٢] وفسروا قول النبى « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه » بأن معرفة الانسان نفسه هو أن يعلم انه متشكل من حيث جسمه بشكل عالم الجسم ، ومتشكل من حيث حركته بشكل عالم الأفلاك والأجرام المتحركة ، ومنتسب من حيث نفسه وعقله إلى عالم العقل والنفس ، وأنه مستغرق بكثيفة فى عالم الكثافة كالقطرة فى البحر ، ومستغرق بحركته فى عالم الأفلاك والأجرام المتحركة ، ثم إنه بالنسبة إلى عالم العقل والنفس بحيث ألا يقع عليه موازنة ولا قياس ، فاذا ثبتت المعرفة على هذه الصيغة فسر قوله تعالى « وربك فكبر[٣] » . ورووا أن علياً سئل عن التوحيد فقال : « التوحيد أن لا تتوهمه[٤] » وأنه قال أيضاً « وصفه تشبيه ونعته تمويه والإشارة إليه تمثيل والسكوت عنه تعطيل والتوهم له تقدير والأخبار عنـه تحديد[٥] » وقوله « أولى الديانة لله تعالى معرفته وكمال معرفته توحيده ونظام توحيده نفى الصفات عنه وإقامة حدوده[٦] » . أما دعوة الله سبحانه بالأسماء والصفات فهى ضرورية فى عقيدة الفاطميين اتباعاً لقوله تعالى : «وللهِ الأسماءُ الحُسْنى فادعوهُ بِهَا وَذَروا الذينَ يُلْحِدُونَ فى أسمائِه[٧] » على أن يكون التصور فى معانيها لا ينحى فيها إلى ناحية الشرك ، بل يعتقد أنه جل اسمه منزه عن كل نعت يصلح لعباده[٨] . أما أسماء الله الحسنى التى ذكرت فى القرآن الكريم فهى إشـارة إلى حـدوده الروحانية العلوية والجسمانية السفليـة ففى تأويل الآية السالفة « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » أى هؤلاء الحدود فادعوه بها أى تطلبوا الوصول إلى توحيد الله تعالى من جهتهم وتدرعوا من مدارع النجاة برسالتهم[٩] . ولهذا نجد المؤيد فى بعض مناجاته قد قال : « واشهد أن لا إله إلا الذى لا يوصل إلا بحدوده إلى معرفة

(١) ج ١ ص ١٠٤ مجالس . — (٢) المجالس المؤدية ج ١ ص ١٠٤ .
(٣) سورة المدثر : ٣ — المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠٥ .
(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠٥ .
(٥) من رسالة جلاء العقول لعلى بن محمد بن الوليد مخطوط رقم ٢٥٤٣٣ بلندن .
(٦) كنز الولد ص ١٥٩ . — (٧) سورة الأعراف : ١٨٠ .
(٨) المجالس ج ١ ص ١٠٧ . — (٩) المجالس ج ١ ص ٢٢٣ .

توحيده . . . وأشهد أن لا إله إلا الله الذى من ألحد فى حدوده سقط عن معالم توحيده[١] » .

وذكر صاحب كنز الولد أن توحيد الله معرفة أسمائه فمن عرفهم ووحده من قبلهم نجا ومن جهلهم ولم يتصل بهم ضل وغوى[٢] وصرح المؤيد بأن إخلاص التوحيد لا يثبت إلا بثبوت رتبة الوصاية والإمامة التى هى نفس الديانة عند الفاطميين ، وبها الإبانة عن مقامات الحدود الروحانية والجسمانية وتنزيه الحق عن صفات هؤلاء الحدود[٣] وهذا هو الذى قصد إليه المؤيد فى شعره :

أيصح توحيد بغـير ولائه ... وولاؤه لكتابه عنوانه[٤]

وقوله :

عقـدت ولائى للإمام الذى به ... يصح لتوحيدى بتحقيقه عقدى[٥]

وقوله :

طوبى لمن أخلص بالتوحـــيد ... تبصرا من جهة الحـــدود[٦]

أما الإيمان عند الفاطميين فهو كما قال القاضى أبو حنيفة النعمان « فى دعائم الإسلام[٧] « الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان وهو الذى لا يصح غيره » ، فبينما نجد المرجئة قد قالوا إن الإيمان قول بلا عمل ، ونجد أهل السنة قالوا إن الإيمان قول وعمل نجد الفاطميين قد الزموا القول والعمل مع الاعتقاد والنية[٨] فلا يكون الإنسان مسلما مؤمنا إلا إذا اعتقد بذلك كله ، وقال الفاطميون إن الإسلام مثله مثل الظاهر والإيمان مثله مثل الباطن ولا بد من إقامة الاسلام والإيمان جميعا والتصديق بهما معا والعمل بما يجب العـمل به منهما فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون مسلما[٩] وقال النعمان إن الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، والبعث حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور

(١) هامش المجالس ج ١ ص ١٦٤ . — (٢) كنز الولد هامش ج ١ ص ٣ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٣ . — (٤) القصيدة ٣٣ . — (٥) القصيدة ١٨ .
(٦) القصيدة ٢ . — (٧) دعائم الاسلام ج ١ ص ٥ .
(٨) تأويل دعائم الاسلام ج ١ ص ١٢ . — (٩) تأويل دعائم الاسلام ج ١ ص ١٢ .

والتصديق بأنبياء الله ورسله والأئمة ، ومعرفة إمام الزمان والتصديق به والتسليم لأمره ، والعمل بما افترض الله على عباده والعمل به ، والانتهاء عما نهى عنه ، وطاعة الإمام والقبول عنه [١] ، فكأنه اشترك مع باقى المسلمين فى هذا كله إلا فى ولاية الإمام ، فجميع مذاهب السنة والمعتزلة تقر بهذا وتعترف به ولكن تختلف عن الفاطميين فى الولاية . وعن الإيمان قال المؤيد فى ديوانه .

فاننا لأهل علم وعمل لله دنّا بهما عز وجل [٢]

الإبداع

نجد فى القصيدة الثانية من ديوان المؤيد أن الشاعر بدأ نظمه بذكر الإبداع والاختراع ، فقال إن الله تعالى أبدع « الكاف » واخترع « النون » ، وأن من « الكاف والنون » أقام الله العالم العلوى والعالم السفلى ، وهذه رموز فاطمية لايدرك أسرارها إلا من اطلع على علم الحقيقة — كما قال الفاطميون — ولكى نفسر عقيدتهم هذه نقول إن الفاطميين رووا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال — « أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال فبعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أجل منك ، بك أثيب وبك أعاقب [٣] » فاتفق بذلك الفاطميون مع الفلاسفة على أن العقل أول الموجودات ؛ ولكن اختلف الفاطميون عن الفلاسفة فى كيفية وجود العقل أهو عن طريق الفيض كما قالت الأفلاطونية الحديثة وتبعها اخوان الصفا بقولهم « العقل هو أول موجود فاض من جود البارى [٤] » أم عن طريق الإبداع كما قال المؤيد فى ديوانه [٥] وفى مجالسه « فالعقل وجد عن الله سبحانه وتعالى ابداعا [٦] » ، أما الكرمانى فقد ناقش الذين قالوا إن العقل وجد عن طريق الفيض فقال : إن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركا له فهو كعين ما يفيض منه كما أن الضوء الذى هو فيض عن عين الشمس

(١) دعائم الاسلام ج ١ ص ٦ . — (٢) القصيدة الأولى .

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢ ونلاحظ أن هذا الحديث أخرجه البخارى ، واعتبر ابن تيمية فى كتابه منهاج السنة أن هذا الحديث موضوع بينما نرى ابن سينا أخذ به فى رسالة معرفة النفس ص ١٢ .

(٤) رسائل اخوان الصفا الرسالة الأولى من القسم الثالث ج ٣ ص ٤ (طبعة بمبى) .

(٥) القصيدة الثانية — (٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٣ .

من جهة ما هو ضوء كعين الشمس التى منها فاض الضوء ، لأن ذات الشمس يوجد فيها من الضوء مثل ما فاض عنها ولا فرق بينهما من هذه الجهة فيصير الذى منه يفيض الفيض متكثرا بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فيه ، فتكون ذاته من شيئين شىء تشاركا فيه فلم يتباينا فيه ، وشىء وقع به التباين بينهما ، ولولا هذا التباين لما أمكن أن يقال ذاك غير هذا وهذا غير ذاك ، ويقتضى ذلك أن يكون الله سبحانه إن كان ما وجد عنه فيضا متكثرا واقعا تحت هذا الحكم تعالى الله أن يكون موصوفا بقلة أو كثرة ، وإذن فقد بطل أن يكون الله تعالى من شيئين وبطل أن يكون ما وجد عنه فيضا وأن ما وجد عنه تعالى لم يبق إلا أن يكون إبداعا [١] . أما البحث عن (لمية) وجوده فقالوا هذا محال لأن الأشياء المعلومة نفسانية وجسمانية إنما وقعت فى تصور أنفسنا كمادة من العقل ومعونة منه ، فلسبقه وأوليته أدرك ما بعده فصار هو محيطا ، وجميع المعلومات النفسانية والجسمانية لصدورها إلى الفعل عنه محاطا به ، فإن طلبنا الإحاطة بكيفية وجوده ابداعا احتجنا إلى آلة سابقة عليه فى الوجود لنحصله بتلك الآلة فى حيز تصور النفس ، ولن نستطيع ذلك أبدا لعدم ما هو سابق عليه ، ولو كان شىء قد سبق عليه فى الوجود لبطل كون هذا المسبوق مستحقا لاسم العقل والأولية بل كان بما سبقه أليق وأولى منه به ، فإذن الاستخبار عن لمية وجوده محال [٢] ، ومع هذا نجد الدعاة قد حاولوا معرفة كيفية الابداع ، وعالجوا موضوعا دقيقا وهو هل عالم الابداع ظهر دفعة واحدة ثم انفرد واحد بالأولوية والأسبقيه أم ظهر عالم الابداع بترتيب خاص ؟ أما المؤيد فقد قال إن المبدع الأول أى العقل الأول هو علة المخترعات والموجودات والمخلوقات وهو أبدع من لا شىء وهو حامل لكل المخلوقات والمصنوعات [٣] ونرى الكرمانى قد قال « المبدع الأول هو علة لوجود الموجودات الكائنة كالواحد الذى هو أول الأعداد [٤] لأن المبدع الأول غاية الكمال ونهاية التمام والغناء والفضل [٥] » وقال إخوان الصفا : إن العقل أول موجود فاض من جود البارى والنفس ترتبت بعد العقل والهيولى بعد النفس والطبيعة بعد الهيولى والجسم بعد الطبيعة [٦] . وقالوا فى موضع آخر : واعلم يا أخى

(١) راحة العقل ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٣ . — (٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٠ .

(٤) نلاحظ هنا أثر الفيثاغوريين فى هذا الاعتقاد كما نجد نفس هذا الرأى مبسوطا فى مواضع عديدة فى رسائل إخوان الصفا وعند المؤيد فى مجالسه مما يدل على أن الفاطميين تأثروا إلى حد بعيد برأى الفيثاغوريين فى الأمور العقلية .

(٥) راحة العقل ص ٢٩٣ . — (٦) رسائل إخوان الصفا ج ٣ ص ٤ .

أن العقل إنما قبل فيض البارى تعالى وفضائله الذى هو البقاء والتمام والكمال دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة لقربه من البارى عز وجل وشدة روحانيته . فأما النفس فإنه لما كان وجودها من البارى جل ثناؤه بتوسط العقل صارت رتبتها دون العقل (١) فالكرمانى والمؤيد وإخوان الصفا قالوا بأن العقل وجد أولا ؛ وهذا العقل الأول هو الذى أشار إليه الله تعالى « بالقلم » قال الكرمانى « المبدع الأول » هو الواحد الذى لا يتقدمه شئ ذلك بأنه الملك المقرب الذى أخبرت عنه السنة الإلهية والشريعة النبويه بالقلم (٢) » وقال المؤيد « والقلم أول نور سطع إبداعا من المبدع سبحانه (٣) » وبذلك ندرك سبب تهكم المؤيد بمن قال إن القلم من مادة معدنية أو نباتية ، وإذا رجعنا إلى رأى الفارابى فى القلم نراه قريبا من رأى الفاطميين إذ كان يرى القلم واللوح من الملائكة الروحانية فقد قال « لا تظن أن القلم آلة جمادية واللوح بسط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحانى واللوح ملك روحانى (٤) إذن القلم أو العقل الكلى أو المبدع الأول هو أول المبدعات فى رأى بعض دعاة الفاطميين وهو الذى سمى فى الدعوة باسم « السابق » وهو أعلى الحدود مكانة كما ذكرنا من قبل وكما قال إخوان الصفا « والى الخمسة الفاضلة من الملائكة أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « حدثنى جبريل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم (٥) » .

على أن صاحب كنز الولد خالف من تقدم ذكرهم وقال إن عالم الإبداع ظهر دفعة واحدة ونقل عن الإمام القائم بأمر الله أنه قال « إن عالم الإبداع الذى صورنا كون ظهوره معا دفعة واحدة لم يسبق أوله آخره ولا آخره أوله فكان وجوده معا على مثل حب التين المجتمع فى كل حبة منه ما لا يحصى ، فلما كانوا كذلك تحرك منهم واحد من ذاته بذاته حركة فكرة وتمييز وفطنة فهجمت به فكرته وقرت عنده فطنته أن لذلك العالم مبدعا أبدعه وموجدا أوجده بمشيئته وقدرته ، وأنه لا يدرك ولا يحاط به ولا يشبه شيئاً من صنعته وأنه يعجز عن إدراكه ومعرفته إلا بوجود ما أوجده من عدم لا أصل له فنفى عن الجميع من عالمه الإلهية وأثبتها للمتعالى سبحانه ، فنطق بالشهادة مفصحا وأعلن بها مصرحا ، ولأسبقيته فى توحيد الله تعالى وأوليته كان السابق والعقل الأول (٦) » ووافقه على هذا القول صاحب الأنوار

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٣ ص ٦ . — (٢) راحة العقل ص ٢٨٢ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠٩ .
(٤) راجع رسالة نصوص الحكم من مجموعة Alfârâbi's Philosophische طبع ليدن سنة ١٨٩٠ .
(٥) رسائل إخوان الصفا ج ٣ ص ٢٢ .
(٦) كنز الولد على هامش المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٧ .

اللطيفة إذ قال « إن الله تعالى أبدع عالم الإبداع المكنى عنه بعالم الأمر وعالم العقل وعالم القدس وعالم اللطافة والعالم الروحانى جميعا معا دفعة واحدة من غير شئ تقدمهم ولا مع شئ صحبهم واخترعهم عالم وجود من عدم غير موجود . . . وأوجد تلك الأشباح النورانية متساوية فى الكمال الأول الذى هو الوجود والحياة والقوة والقدرة ولا تخالف فيها ولا تفاضل ولا تباين بينها ولا تماثل ثم إن واحدا من تلك الأشباح نظر بذاته إلى ذاته وإلى أبناء جنسه فعلم أن له ولهم مبدعا بخلافهم فنفى عنه وعن أبناء جنسه الإلهية وأثبتها لمبدعهم تعالى وشهد له بالوحدانية واعترف وأقر بالعبودية وسبح له وخشع وتوسل بعظمته إليه فطرقه من مبدعه المواد الإلهية والتأييدات الروحانية واتصل به العلم الجارى والنور السارى الذى هو كلمة الله تعالى فشرفه الله تعالى بالأسبقية (١) » . ومهما يكن من أمر هذا الخلاف الذى نراه بين هؤلاء الدعاة فقد اتفق الجميع على صفات خاصة لهذا السابق أو القلم أو العقل الأول فهو الذى رمز إليه بالكاف من كلمة « كن » فى قوله تعالى « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢) » . فكن هى الكلمة التى قامت منها السموات والأرض وعلة خلق العالم (٣) ثم أضافوا إليه جميع الصفات التى أطلقها الفلاسفة على العقل الكلى من أنه تام وكامل وأزلى وعاقل وعالم (٤) إلى آخر هذه الصفات المعروفة عند الفلاسفة، والحق أن مذهب الفاطميين فى الإبداع لا يكاد يختلف عما قاله الفلاسفة القدماء فقد كان افلوطين مثلا يرى أن الواحد أو الله تعالى أبدع العقل الأول ، ومن آراء فيلون أن الله تعالى أوجد اللوغوس وهى الكلمة أو المبدع الأول الذى منه خلق النفوس وأن النفس لا تبلغ إلى الله تعالى إلا بوسطاء هم المبدعات ، وقد ذكرنا أن إخوان الصفا والفاطميين اتخذوا من الحدود العلوية وسطاء إلى الله تعالى بنفس الرأى الذى قال به فيلون . وقبل فيلون وصف فلاسفة اليهود كلمة الله بأنها مدبرة الكون وأنها مصدر الوحى والشرائع .

كما أخذ الفاطميون عن الأفلاطونية الحديثة أيضاً رأيهم فى انبعاث « النفس الكلية » فقال الفاطميون إن السابق لما كان تماما له حكم الحركة وحكم السكون فحركته ليست لطلب غاية بل حركته لشكر المنعم الذى أبدعه وهذه الحركة هى انبعاث النفس الكلية عن المبدع الأول (٥) » وذكر الكرمانى أن الانبعاث سطوع نور عن ذات المبدع الذى هو العقل

(١) الأنوار اللطيفة على هامش المجالس ج ١ ص ٤ — (٢) سورة يس : ٨٢ .
(٣) مجالس ج ١ ص ١١١ .
(٤) راجع راحة العقل ص ٣٠١ وفى مواضع مختلفة أيضاً .
(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٣ .

الأول (١) والعقل الثانى كالمبدع الأول فى كونه جامعا للكمالين ، وذلك أن جميع ما يختص بالمبدع الذى هو العقل الأول من كونه حقـا وموجودا أولا وواحدا تاما وكاملا أزليا وعاقلا وعالما وقادرا وحيا بالإضافات والذات فإن المنبعث عنه يستحقه بالمعانى الموجودة فيه ، فأما كونه حقا فلكونه نهاية المنبعث من طريق الإبداع ، وكونه موجودا أولا فلكونه موجودا من المنبعث ، وكونه واحداً فلكونه عقلا محضا واحدا من نوع الانبعاث الأول ، وكونه تاما فلوجوده عن التمام ، وكونه كاملا فلوجوده عن الكمال ، وكونه أزليا فلكونه متعلقا بما يحفظ عليه وجوده ، وكونه عاقلا فلعقله ذاته بذاته ، وكونه عالما فلعلمه بذاته وذات ما تقدمه ، وكونه قادرا فلوجود الإحاطة منه بذاته ، وكونه حيا فلوجود الفعل منه ، فهو تام كامل وجوده عن السابق عليه لا بقصد منه (٢) » ولكن المؤيد ذكر أن النفس الكلية تامة فى قوتها ناقصة فى فعلها إذ لم يجز أن يكون الموجود عنه كمثله تاما فى جميع أحواله (٣) » فبينما نرى الكرمانى قد أضاف إلى النفس الكلية جميع الصفات التى للعقل الأول نجد المؤيد قد فرق بين العقلين ؛ ثم نرى الكرمانى قد تخبط مرة أخرى فقد رأيناه قد ذكر أن العقل الأول هو المعروف فى الشريعة باسم القلم نجده مرة أخرى يقول « إن المنبعث الأول الذى هو العقل الثانى المسمى بالقلم موجود ثانى وأنه فى الكمال كالأول (٤) » فلا أستطيع أن أوفق بين الرأيين لرجل واحد فى كتاب واحد ، وقد كرر هذا الرأى الأخير بقوله « ماكان المبدع الأول فى ذاته عقلا يتعلق وجوده بإبداع الله تعالى إياه ومعقولا يتعلق وجوده كذلك بذاته عن إحاطته بها كان على نسبتين وكان الموجود عنه اثنين احدهما عن نسبة كونه عقلا وهو أفضل الموجودين عقلا قائما بالفعل مثل النسبة التى عنها وجد وهو الانبعاث الأول المعرب عنه فى السنة الالهية بالقلم ، وثانيهما عن نسبة كونه معقولا مؤثرا فيه عقلا قائما بالقوة حيا مؤثرا فيه مثل النسبة التى عنها وجد وهو الانبعاث الثانى المعرب عنه فى السنة الإلهية باللوح لكونه قابلا للصور قائما بالقبول كقبول اللوح من القلم (٥) » فكأن الكرمانى قد صرح مرة أن المبدع الأول هو القلم ، ثم عاد فصرح أن الانبعاث الأول هو القلم ، وأن الانبعاث الثانى هو اللوح وهو الهيولى وهو أصل لعالم الجسم (٦) ولكن المؤيد خالفه فى هذا فقال إن

(١) راحة العقل ص ٢٩٦ . — (٢) راحة العقل ص ٣٠١ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٣ .
(٤) راحة العقل ص ٢٩٨ .
(٥) راحة العقل ص ٣٠٣ .
(٦) راحة العقل ص ٣٠٢ .

النفس الكلية هى اللوح ، وأن النفس الكلية واسطة بين العقل وبين الصورة التى هى تركيب العالم (١) كما صرح مرارا فى مجالسه أن النفس هى المكنى عنها بلسان الشريعة باللوح المحفوظ وأن لهذا اللوح فعلين احدهما تام بالقوة مثل تركيب السموات والأرض ، والآخر تام بالفعل كالإنسان المطلق (٢) المتشبه بها فى جميع حالاتها (٣) . وبينما نجد المؤيد والكرمانى قد اتفقا على أن الانبعاث عن المبدع الأول على النحو الذى قاله فلاسفة الأفلاطونية الحديثة بأن الله أبدع العقل الأول ثم انبعثت النفس الكلية منه ، وقول إخوان الصفا إن من العقل الفعال فاض جوهر آخر دونه فى الرتبة يسمى النفس الكلية (٤) نجد داعيا من دعاة اليمن هو على بن محمد بن الوليد الداعى الخامس من دعاة اليمن المتوفى سنة ٦١٢ فى كتابه « الذخيرة » قال إن الله تعالى أبدع عالم الأمر دفعة واحدة فى غاية التساوى فى كمالهم الأول وابداعهم الأفضل لم يجعل سبحانه لأحد شرفا على سواه فكان من تلك الأشباح من فكر من ذاته بذاته فنظر إلى ذاته وإلى سائر من أوجد معه من عالمه فعلم أن له ولهم مبدعا لا يشبههم ولا يساويهم فنفى عن نفسه وعن سائر عالم الإلهية فكان بذلك سابقا لجميع الموجودات (٥) فشرفه الله وميزه وعظمه ففطن لما قد اتصل به من ذلك العالم اثنان واستبقا إليه فشهد أحدهما للمبدع الأول ما شهد به المبدَع لمبدعه فأمده سابقه من النور الإلهى بما فاض عليه فكان فى الشرف والجلال والرفعة والكمال كالمبدع الأول إلا أن للابداع شرف السبق (٦) » وسبق ابن الوليد إلى هذا القول الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى الداعى الثانى من دعاة اليمن المتوفى سنة ٥٥٧ هـ فى كتابه كنز الولد (٧) من ذلك نستطيع أن ندرك كثرة الاختلافات التى كانت بين الدعاة كما لا نستطيع أن نعلل وجود هذه الإختلافات فى حين أن الفاطميين صرحوا مرارا أن علمهم مأخوذ من الإمام المعصوم الذى أودعه الله أسرار دينه وأسرار خلقه ، ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فى الابداع والانبعاث

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٢ .
(٢) قصد بالانسان المطلق الانبياء والأوصياء أو الأئمة الذين هم عقول عالم الطبيعة بازاء العقول فى عالم العقول فالأنبياء عقول بالقوة والفعل والأوصياء عقول تامة بالقوة دون الفعل مثلهم فى ذلك مثل النفس الكلية فى عالمها .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٣ .
(٤) ج ٣ ص ٧ .
(٥) الذخيرة على هامش المجالس ج ١ ص ٤٦ .
(٦) الذخيرة على هامش المجالس ج ١ ص ٤٨ .
(٧) كنز الولد على هامش المجالس ج ١ ص ٩٣ .

فإن الفاطميين قد وجهوا إلى هذا الموضوع الدقيق همتهم لا لشيء إلا لاثبات فضل حدين من حدود الدين هما حد النبي وحد الوصي أو الإمام ، وأن هذين الحدين فى العالم السفلى يقابلان حدين شريفين هما أعلى الحدود فى العالم العلوى وهما حد القلم أو السابق أو العقل الكلى وحد اللوح أو التالى أو النفس الكلية وأن النبي والوصي فى عالم الدين يوجدان هذا الدين كما أوجد السابق والتالى عالم الأمر كله إذ عنهما يصدر الوجود وهذان الحدان هما المشار إليهما « بالكاف والنون »

وأن الناطق ومن قام بمقامه من وصى أو إمام يتصف بكل الصفات التى للعقل الكلى ، وأن أسماء الله الحسنى هى أسماء العقل الكلى أو السابق فهى تنطق إذن على الناطق أو الإمام ، وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفسر قول ابن هانئ الأندلسى فى مدح المعز لدين الله .

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فقد فهم القدماء من هذا البيت وأمثاله من شعر ابن هانئ وشعر غيره من الشعراء الفاطميين أن الأئمة الفاطميين كانوا يدعون الألوهية ، والواقع أن الأئمة لم يدعوا الألوهية ، ولم يتخذهم أتباعهم آلهة لهم ، ولكن الفاطميين قالوا بأن الأئمة مثل للعقل الأول أى السابق أى القلم ، فهم على هذا النحو أقرب الحدود إلى الله تعالى فى عالم الكون والفساد كما أن العقل الأول أى القلم أقرب الحدود العلوية إلى الله تعالى وأن الله تعالى منزه عن كل صفة متكبر عن كل اسم .

الفصل الثانى

التـــــأويل

وجوب التأويل . اعجاز القرآن . صاحب التأويل . الرأى والقياس . نظرية المثل والممثول

جاء فى القاموس المحيط « أول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره » وجاء فى القرآن الكريم لفظ « التأويل » فى عدة مواضع بنفس المعنى الذى ذكره صاحب القاموس ، مثل قوله تعالى « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث [1] » وقوله « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث [2] » و « سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا [3] » وأخذ الفاطميون قوله تعالى « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب [4] » دليلا على وجوب تأويل القرآن الكريم إذ جعلوا قوله تعالى « والراسخون فى العلم » نسقا على الله ، وقوله « يقولون آمنا به » أخرجوه مخرج الحال بمعنى انهم ليعلمونه ويقولون آمنا به اذ لو لم يكن الراسخون فى العلم يعلمونه لكان مستحيلا منهم أن يقولوا آمنا به ، لأن الإيمان معناه التصديق والتصديق بالشيء لا يثبت إلا بعد احاطة العلم به فلا يجوز تصديق المرء بما لم يعلمه [5] وقالوا ليس يخلو من أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم علم بتأويل ما أتى به أو لم يعلم ، فإن كان علم به بطل الوقف بعد لفظ « الله » فى الآية السابقة ووجب دخول النبي فى شرط من علمه ، وهو أول الراسخين فى العلم وأفضلهم ، وعنه أخذ من أخذ من

---

(١) سورة يوسف : ٦ . — (٢) سورة يوسف : ٢١ .
(٣) سورة الكهف : ٧٨ . — (٤) سورة آل عمران : ٧ .
(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥١ .

الراسخين فى العلم ، وإن كان النبى لم يعلم فارسال الله تعالى إياه بشىء إذا سئل عنه لا يعلمه خارج عن الحكمة والرسالة (١) ، ولما كان ذلك كذلك فالنبى كان يعلم تأويل القرآن ومن قام مقام النبى فى كل عصر يعلم هذا التأويل أيضا . وللفاطميين أدلة عقلية على وجوب التأويل أخذوها من القرآن الكريم أيضا كقوله تعالى « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ (٢) » وقوله تعالى « وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ (٣) » وكقول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله أسس دينه على أمثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على وحدانيته » فقالوا إن هذا كله يثبت أن يؤخذ مثالة الدين من خلقة السموات والأرض وتركيب الأفلاك وجميع ما يتأمل من خلقة الله تعالى ، إذ ركزت فيها كل معانى الدين الذى حمله القرآن الكريم ، فآيات القرآن فى حاجة إلى من يخرج كنوز هذه المعانى وتتأول إلى ما يتفق مع ذلك (٤) وبذلك كان للقرآن الكريم معان سوى ما تتداوله ألسن العامة مما يستنبطونه بحولهم وقوتهم (٥) وأن هذه المعانى التى قصد اليها القرآن هى الاعجاز بعينه ، فالقرآن الكريم عند الفاطميين معجز ولكن معجزته ليست فى لفظه فقط بل فى معناه أيضا ، فقد أرسل محمد بشيرا ونذيرا للناس كافة لا للعرب وحدهم ، وأنزل القرآن بلسان عربى اختص به العرب وحدهم ، فالقرآن من هذه الناحية معجز للعرب لفظا ومعنى ، ولما كان من الصعب العسير على غير العرب من الأمم التى لا تتكلم العربية أن يفهموا هذه اللغة ، ولا أن يتذوقوا الجمال الفنى فى اللفظ والأسلوب فى القرآن فالقرآن ليس بمعجز باللفظ عند هؤلاء ، وانما يستطيع غير العرب أن يفهموا ما حمله القرآن من المعانى بعد تفسير الألفاظ وتأويلها « وهنا تتجلى معجزة القرآن ظاهرة واضحة ويكون تأويل القرآن هو الاعجاز حقا للناس كافة (٦) » قال المؤيد « إن القرآن الكريم هو النور الحقيقى الأبدى المستضاء به حيث لا تضىء شمس ولا قمر ولا نجوم وأن جميع هذه الأنوار المحسوسة الواقعة تحت العين مجاز لتصرمها وانقضائها وزوال سلطانها ، ونور القرآن تحقيق وتأييد وخلود ويشع نوره على جميع العالم لا بلفظه بل بمعناه فهو معجز للعربى والأعجمى من المسلمين وغير المسلمين على هذه الصورة (٧) » ورووا عن بعض أئمتهم قوله « إن ما كان ظاهره معجزا كان باطنه أعجز ، وما أعجز الناس أن يأتوا بمثل ظاهره فأنى

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥١ . — (٢) سورة فصلت : ٥٣ .
(٣) سورة الزاريات : ٢٠ و ٢١ . — (٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥٢ .
(٥) السيرة المؤيدية ص ٢٢ . — (٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢ .
(٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٧٥ .

لهم أن يأتوا بمثل باطنه (١) » قصد بذلك إلى قوله تعالى « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٢) » ونجد فى شعر المؤيد .

إن كان إعجاز القرآن لفظا   ولم ينل معناه منه حظا
صادفتهم معقوده محلولا   من أجل أن أنكرتم تأويلا (٣)

ولم يقل الفاطميون وحدهم باعجاز القرآن من جهة المعنى ، بل نجد بين المعتزلة مثل النظام (٤) وعيسى بن صبيح (٥) من كان ينكر إعجاز القرآن بنظمه وحسن تأليف كلماته وانما قالوا إن إعجازه بمعناه وبما فيه من الأخبار عن الغيوب ، وإن كان النظام قد ادعى أن العباد قادرون على نظم مثل القرآن وعلى ما هو أحسن منه فى التأليف ولكن الله صرفهم ولو تركهم لجاءوا بمثله (٦) وكذلك قال ابن صبيح (٧) ولكن الفاطميين اعترفوا بأن القرآن معجز للعرب لفظا ومعنى ، ومعجز للناس كافة بالمعنى الذى يأتى به التأويل دون الذى جاء به جمهور المفسرين ، إذ أن الله تعالى اختص قوما بمعالم الدين وميزهم عن العالمين فنجد فى قصة موسى مع الرجل الصالح التى ذكرت فى القرآن الكريم وقوله تعالى « قَالَ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٨) » إن الله تعالى قد اختص هذا الرجل الصالح بما لم يعلمه موسى بن عمران . فاذا كان موسى يرد عليه من علم الملكوت ما لا يقوم لاحتماله ويضعف عنه قوة نهوضه فلأن يكون العامة عن احتمال ذلك أضعف وأقصر (٩) وقد نظم المؤيد هذا الرأى فى قوله :

سر له صاحب موسى الخضرا   قال معى لن تستطيع صبرا
وقال موسى سوف الفى صبرا   فلم يكن إذ ذاك إلا قاصرا (١٠)

فالله تعالى أودع أسرار دينه للنبى الكريم وهذا علمها لوصية ، وتسلسلت هذه العلوم

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٠ . — (٢) سورة الاسراء : ٨٨ .
(٣) القصيدة الأولى . — (٤) الفرق بين الفرق ص ١٢٨ .
(٥) الفرق بين الفرق ص ١٥١ — (٦) الفرق بين الفرق ص ١٢٨ .
(٧) الفرق بين الفرق ص ١٥١ . — (٨) سورة الكهف : ٦٦ و ٦٧ و ٦٨
(٩) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٩ — (١٠) القصيدة الأولى .

فى الأئمة من عقبه فهم الذين أشار الله تعالى إليهم بقوله « والراسخون فى العلم » وهم وحدهم الذين لهم تأويل القرآن بما عندهم من العلوم الباطنة ؛ ورووا عن النبى أنه قال « أنا صاحب التنزيل وعلى صاحب التأويل [١] » وهـذه هى الشركة التى كانت بين محمد وعلى كما كانت هناك شركة بين موسى وهرون [٢] والله تعالى جعل دعوة الرسل الظاهرة التى هى التقليد المحض الذى لا برهان عليه بازاء الخلق ودعوتهم الباطنة الجارية على ألسن أوصيائهم وأئمة دينهم ألقائمة عليها دلائل الآفاق والأنفس بازاء البعث [٣] ، فالأئمة إذن هم أصحاب التأويل ورووا عن النبى أنه قال « إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض [٤] » واتخذوا هذا الأثر للجمع بين القرآن وأصحاب تأويله وأردفوا ذلك بقول عن النبى « تعلموا من عالم أهل بيتى أو ممن تعلم من عالم أهل بيتى تنجوا من النار [٥] » وقوله لعلى « سوف تقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله [٦] » فهذا كله يدل على أن الوصى هو ومن تبعه من الأئمة من ذريتهم هم الذين اختصوا بتأويل القرآن الكريم ، ولذلك روى الفاطميون عن على قوله « ما نزلت آية من القرآن إلا علمت كيف نزلت وأين نزلت وفى أى شئ نزلت سلونى قبل أن تفقدونى عما كان وعما يكون إلى يوم القيامة » ثم قال « إن هاهنا لعلما جما » وأشار به إلى صدره [٧] .

ونظم المؤيد ذلك بقوله :

وقول سلونى قبل فقدى ظاهرا لأظهر ما فى الغيب من غامض السر [٨]

فالإمامة هى قيادة العالم وحمل معرفة الحقيقة إليه ومثل هذا المرشد ضرورى وجوده فى كل عصر حتى لا يبقى العالم جاهلا [٩] . قال المؤيد روى عن النبى أنه قال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنـه تحريف الجاهلين وانتحـال المبطلين وتأويل الغالين » والأئمة الذين أقامهم الله سبحانه للتعديل بين الظاهر والباطن والدعاء اليهما والبعث عليهما واعتقادهما عملا وعلما ، وكل منهما يؤكد صاحبه ويثبته ويؤيده وفق خلق الله الجسد والروح

---

(١) السيرة المؤيدية ص ٢٣ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١٩ . — (٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٦ .
(٥) السيرة المؤيدية ص ٢٤ .
(٦) أسرار النطقاء على هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٢٢٣ .
(٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤١ إلى ج ٢ ص ١٣٢ .
(٨) القصيدة الثالثة والخمسون . — (٩) كلامى بير ص ٢١ .

مقرونين ، فمن اعتقد أن للباطن قواما دون الظـاهر وللعلم قبولا من دون العمل كان كمن أوجب للروح قواما من دون الجسد [١] وأن النبى منزلته فى الدين منزلة الذكر لا يظهر منه صورة المواليد وحلاهم لـكون كلامه مجملا غير مفصل بمقابلة النطفة التى هى جامعة للصورة الانسانية فى حد القوة وليس فيها تفصيل الصورة ، وإنما يقوم وصيه القابل منه بتفصيل الصورة كما تظهر من الاناث صورة المواليد تامة فى اشكالها موفاة فى نقوشها وحلاها [٢] » كما قالوا رواية عن على « علمنى رسول الله ألف باب من الحكمة فانفتح لى من كل باب ألف باب [٣] » وقول النبى « أنا مدينة العلم وعلى بابها » [٤] إلى غير ذلك من الروايات التى تثبت كلها أن عليا والأئمة من ذريته هم الذين اختصوا بتأويل القرآن دون غيرهم من البشر ونجد هذا كله واضحاً فى شعر المؤيد إذ قال :

وتأويله مستودع عنـد واحد وان لم تسـائله فزورا تأولتا
واحمـد بيت النور لا شك بابه أبو حسن والبيت من بابه يؤتى [٥]

للعـلم قوم به خصـوا قامهم رب الورى للورى فى أرضه عاما [٦]

وإنما باب المعـانى مقفل وأكثر الأنام عنهـا غفل
مفتـاحه أضحى بأيدى خزنه بهـم إلهى علمه قد خزنه
أولئك الأبرار آل المصطفى ومن بهم مروة عزت والصـفا
وأرشـدونا سـبل الصواب وعلمونا عـلم ذا الـكتاب [٧]

ولما كان ذلك كذلك فالفاطميون لم يأخذوا بالرأى والقياس فى التفسير والفقه بل كانوا كالنظام فى انكار حجة الاجماع والقياس ، وطعنوا كما طعن النظام فى فتاوى الصحابة وجميع أهل الرأى والحديث [٨] وذهبوا إلى أن الفقهاء من أهل المذاهب الأولى حرفوا القرآن الـكريم وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : « يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ [٩] » ولـكن تحريفهم هذا للقرآن لم يكن من جهة اللفظ لأن ألفاظ القرآن الظاهرة محفوظة على

---

(١) المجالس ج ١ ص ٣٥ . — (٢) المجالس ج ١ ص ٥١ .
(٣) المجالس ج ١ ص ٤١ . — (٤) كلامى بير ص ٢٠ .
(٥) القصيدة ٤٦ . — (٦) القصيدة ٥٥ .
(٧) القصيدة الأولى . — (٨) الفرق بين الفرق ص ١١٤ .
(٩) سورة النساء : ٤٦ .

ما كانت عليه وإنما دخل التحريف عليها من جهة معانيها التى هى الغرض والمغزى [١] ولذا قال المؤيد فى شعره :

وهو الذى قد حرف الكتابا ... عن وجهه وجانب الصوابا
يثبت شيئاً ليس فيه فيه ... وحكم آى أحكمت ينفيه [٢]

واعتقدوا أن الناس لو أخذوا بما فى القرآن الكريم من قوله تعالى : « فإنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوه إلَى اللهِ والرَّسُولِ [٣] » لما اضطر أحد إلى العمل بالرأى والقياس بعد عهد الرسول لأن الرسول غير باق ليحكم فيما بين الناس من خلاف ونزاع ، إنما القصد بهذه الآية الكريمة النص على إمام من ذرية الرسول بعد إمام يقومون ممن بعده بفصل الخطاب [٤] وقد ذكر المؤيد فى سيرته أنه وجد المتوسمين بالعلم من أهل الرأى والقياس قد قالوا القول بالغداة ورجعوا عنه بالعشى وأنهم رجعوا فى آخر أعمارهم عن سائر ما قالوه فى أولها فالعقل يوجب أنهم لو عاشوا زيادة على ما عاشوا لرجعوا عن كثير مما عليه ماتوا [٥] وقد روى علماء مذهب الفاطميين قصة طريفة كانت بين جعفر الصادق وأبى حنيفة النعمان استندوا عليها فى إنكار العمل بالرأى والقياس ، ذلك أن الصادق قال يوماً لأبى حنيفة « يا نعمان ما الذى تعتمد عليه فيما لم تجد فيه نصاً من كتاب الله ولا خبراً من رسول الله ؟ فقال أبو حنيفة : أقيسه برأيى . قال الصادق : إن أول من قاس إبليس حين رأى أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين فخلده الله تعالى فى العذاب المهين [٦] يا نعمان أيهما أفضل الصلاة أو الصوم ؟ فقال : الصلاة . فقال الصادق إن الله تعالى أمر الحائض أن تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ولو كان القياس مطرداً لكان القضاء فى الصلاة ثم سأله أيهما أطهر المنى أم البول ؟ وأيهما أعظم عند الله الزنا أم قتل النفس ؟ وأيهما أضعف المرأة أم الرجل ؟ فكان النعمان يجيبه بأجوبة يظهر له الصادق ضعفها ، وختم الصادق مناقشته مع أبى حنيفة بقوله : فاتق الله يا نعمان ولا تقس فاننا نقف غداً بين يدى الله تعالى فيسألنا عن قولنا ويسألكم عن قولكم فنقول نحن قلنا ما قال الله ورسوله ، وتقول أنت وأصحابك رأينا وقسنا » [٧] . وعلى

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٧ . — (٢) القصيدة الاولى . — (٣) سورة النساء : ٥٩ .
(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٠ . — (٥) السيرة المؤيدية ص ٣٥ .
(٦) هكذا اعتقد الفاطميون والطريف أننا نجد أهل السنة قد قالوا بمثل ذلك كما حدثنا به ابن الملطى فى كتابه « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ص ١٩ .
(٧) هذه القصة فى السيرة المؤيدية ص ٣٥ — و ٣٦ وفى المجالس المؤيدية فى مواضع متفرقة وفى عيون المعارف ص ١٧ .

هذا النحو أنكر الفاطميون الرأى والقياس واعتقدوا أن الدين وما يتفرع منه من علوم وأسرار وقف على الأئمة من أهل البيت اختصوا بها دون غيرهم من البشر ، وليس لأحد غير الأئمة أن يدعى علما ، وهذا الاعتقاد نفسه هو الذى دان به الشيعة لجميع فرق الشيعة تنفى اجتهاد الرأى فى الأحكام وتنكر القياس [١] إلا إذا استثنينا فرقة من الزيدية رأت الأخذ بالرأى [٢] وكذلك نجد بين مدرسة الحديث من أنكر الأخذ بالرأى ، وقد يكون من الأسباب التى جعلت الشيعة ينكرون الرأى أن عمر بن الخطاب كان من أظهر الصحابة فى استعمال الرأى والشيعة يكرهون عمر بن الخطاب ويبرأون منه ، فربما كان كرههم لعمر سبباً فى إنكار الرأى الذى كان يأخذ به [٣] هذا إلى جانب اعتقادهم أن الدين لا يؤخذ إلا عن الله ورسوله والأئمة .

وهذا العلم الذى خص به الأئمة هو « علم الباطن » الذى نسب إليه الفاطميون فسموا بالباطنية لأن اعتقادهم بهذا العلم هو قوام عقيدتهم ، وقبل أن أتحدث عن الباطن عند الفاطميين يجدر بى أن أشير إلى ما يرواه أهل السنة والحديث عن « الظاهر والباطن » فقد روى أبو الأحوص عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ! — أنه قال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل حرف آية منها ظهر وبطن » وفسر أحمد بن سنان هذا الحديث بقوله : « المعنى فى قوله ظهر وبطن يريد ظاهراً وباطناً فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم [٤] والصوفيون يجمعون على أن للقرآن ظاهراً وباطناً شأنهم فى ذلك شأن بعض أهل السنة ، وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه ظهر وبطن قيل فى معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله . وان كان للصوفية بعض تأويلات للقرآن تختلف عن تأويلات أهل السنة . فبعض أهل السنة قالوا إن للقرآن باطنا يحتاج إلى تأويل . قال الفاطميون إن لكل ظاهر باطنا وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن وكفروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن فمن عمل بالباطن والظاهر فهو منا ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خير منه وليس هو منا [٥] . وما فاز عند الله إلا من عمل بالحالتين

(١) مقالات الاسلاميين للاشعرى ج ١ ص ٥٣ و ٥٤ .
(٢) مقالات الاسلاميين للاشعرى . ج ١ ص ٥٣ و ٥٤ .
(٣) يؤيد هذا الرأى أيضاً أن الشيعة ينكرون صلاة التراويح لانه قيل إن عمر هو الذى قال عنها إنها بدعة حسنة وكذلك فى الآذان فقد اعتقدوا أن عمر هو الذى غير الآذان بأن جعله « الصلاة خير من النوم » فأبطلها الشيعة وجعلوها « حى على خير العمل » فكان كرههم لعمر هو السبب فى ذلك كله .
(٤) نقلت ذلك عن مناظرة جرت بين أحد العلماء السنة بفارس وبين المؤيد الشيرازى وقد أثبت المؤيد فى سيرته نص ما جاء بهذه المناظرة (أنظر السيرة ص ٤٤ وما بعدها) .
(٥) الفترات والقرانات ص ٦٧ (ب) .

جميعاً ظاهراً وباطناً (١) » وجاء فى إخوان الصفا « واعلم يا خى أن لكل شىء من الموجودات فى هذا العالم ظاهراً وباطناً فظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها اب ومخ (٢) » . وقد سئل جعفر الصادق عن الحاجة إلى اتخاذ الباطن فى الحجب والعدول بها عن طريق الايضاح والاظهار فأجاب : هى الحاجة إلى اتخاذ الحب فى أغطية السنابل والثمار فى الأغشية ليؤم لاستخلاصها ذوو البصائر والابصار فبين الله سبحانه فضل المجتهدين على المقصرين والمجاهدين على القاعدين (٣) » وقد نظم المؤيد قول جعفر هذا بقوله :

ورب معنى ضمه كلام   كمثل نور ضمه ظلام
باق بقاء الحب فى السنابل   فى معقل من أحرز المعاقل (٤)

وقال مشيراً إلى الإمام :

يستخلص الأرواح من ظلامها   ويخرج الثمار من أكمامها (٥)

وجاء فى إخوان الصفا أيضاً أن البارى سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الأجسام وأعراضها ، ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها ومن الموجودات الظاهرة الجلية للحواس أيضاً أمور الدنيا ومن الموجودات الباطنة الخفية عن أكثر العقول أمور الأخرى ثم جعل ما كان منها ظاهراً جلياً دليلا على الباطن الخفى (٦) فمن هذا كله ندرك أن الفاطميين كانوا يعتقدون أن لكل شىء ظاهراً وباطناً وأن أمور الدين كلها من الباطن الذى لا يدركه أحد إلا من خصوا بعلم الباطن فمن الطبيعى أن يكون التأويل دعامة علم الباطن ، وأن يكون التأويل هو معرفة الظاهر والباطن وتأويل الباطن بما هو فى الظاهر

نظرية المثل والممثول

واستخلاص الباطن من الظاهر هى النظرية التى أستطيع أن أطلق عليها نظرية المثل والممثول أى تفسير الأمور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها ويماثلها من الأمور الجثمانية

(١) الفترات ص ٦٧ — (٢) الفترات ج ١ ص ٢٢٥ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص (مجلس ١٦) . — (٤) القصيدة الأولى .
(٥) القصيدة الثانية . — (٦) إخوان الصفا ج ١ ص ٧٨ .

المحسوسة وقد أخذت هذا الاسم من أقوال الفاطميين ففى السرائر « إن الله جعل لهم مثلا دالا على ممثوله فعرفوا الممثول بمثله إذ يقول عز وجل : « وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (١) » فاعلم أنه أخفى الممثول وستره وجعل مثله طريقاً إلى معرفته اختباراً لعباده وامتحاناً لهم (٢) » وقال المؤيد فى مجالسه : « إن الله تعالى أجرى نظام الحكمة على أن يكون جميع ما خلق من خلقه محسوساً ومعقولا ومثلا وممثولا (٣) » وقال أيضاً (٤) : إن أهل بيت رسول الله هم الذين يستنطقون ألسن عالم الطبيعة بأسرار الشريعة ويخرجون أمثلة هذه من هذا وأمثلة هذا من هذه فيدلون به على كون صدور الدين من حيث صدر عنه خلق السموات والأرض مثلا بمثل كما قال الله تعالى : « وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ (٥) » وورد هذا الاسم فى شعر المؤيد :

والذى قال فى الكتاب تعالى   مثل ذاك تحته ممثول (٦)

اقصد حمى ممثوله دون المثل   ذا ابر النحل وهذا كالعسل (٧)

فنظرية « المثل والممثول » هذه هى قوام عقيدة الفاطميين فى التأويل وفى جميع مناسك الدين بل كانت مجالس الحكمة نفسها مبنية على المقابلة بين الشرع والعقل وإخراج الأمثلة من الدين على الخلق ومن الخلق على الدين (٨) أى انهم كانوا فى هذه المجالس يطبقون نظرية المثل والممثول ، وقد ذكرنا فى صفات الامام بعض ما اعتقده الفاطميون بعد أن طبقوا هذه النظرية فاستعملوها لكى يقربوا إلى العقول ما لا يستطيع الانسان أن يدركه بحواسه .

وليست فكرة المثل والممثول من وضع الفاطميين بل هى نظرية قديمة ذكرها أفلاطون مراراً فى كتبه ، ونقدها أرسطو ولم يأخذ بها ، فأفلاطون فى كثير من أقاويله كان يومىء إلى أن للموجودات صوراً مجردة فى عالم الاله وكان يسميها أحياناً المثل الالهية ، وإن هذه المثل لا تدثر ولا تفسد ولكنها باقية وأن الذى يفسد ويدثر إنما هى هذه الموجودات

(١) سورة الزمر : ـ ٢٧ . — (٢) سرائر النطقاء ج ٢ ص ١٦ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٤ . — (٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٧ .
(٥) سورة الذاريات : ٢٠ و ٢١ . — (٦) القصيدة السادسة .
(٧) القصيدة الثانية . — (٨) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٨٣ .

التى هى كائنة (١) وإن لكل نوع من الأنواع الجسمانية فرداً فى عالم العقل (٢) وعند أفلاطون كما هو واضح أن المثال نموذج الجسم ، والمثال هو الشىء بالذات والجسم شبح له فرأى أفلاطون فى نظرية المثل هذه يكاد يكون نفس عقيدة الفاطميين فى نظريتهم « المثل والممثول » ولا شك أن الفاطميين أخذوا هذه النظرية من فلسفة أفلاطون بعد أن نقلت كتبه إلى العرب وعرفها فلاسفة المسلمين ولا سيما الفارابى الذى تحدث عن هذه النظرية كثيراً وبخاصة فى كتاب الجمع بين رأيى الحكيمين ، ولكنى لا أستطيع أن أدعى أن الفاطميين أخذوا نظرية أفلاطون عن طريق الفارابى لأن المذهب الفاطمى كان أقدم من الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩ وأرجح أن نظرية المثل عرفها العرب قبل الفارابى وقبل الفاطميين فأخذها الفاطميون وأسسوا عليها نظريتهم التى سميتها « المثل والممثول » وبهذه النظرية استطاعوا أن يؤولوا القرآن الكريم تأويلا اختلف عن تأويل أهل السنة والمعتزلة كما سترى فى الفصول التالية .

(١) رسالة كتاب الجمع بين رأيى الحكيمين للفارابى ص ٣١ (طبع القاهرة مطبعة الاتحاد المصرى .
(٢) الأسفار الأربعة للشيرازى ج ١ ش ٧٥ .

الفصل الثالث

رد المؤيد على الفرق المختلفة

رؤية الرحمن

جاء فى ديوان المؤيد إشارات كثيرة إلى الآيات الكريمة التى اختلف المفسرون من أصحاب الفرق الاسلامية فى تأويلها اختلافا كبيرا ، بل اختلف المفسرون فى كل فرقة حول معانيها ، ووجد المؤيد فى ذلك فرصة لمهاجمة هذه الفرق فى شعره ، فحدثنا عن كثير من هذه الاختلافات ولكنه لم يظهر لنا رأيه فى تأويل هذه الآيات إلا تلميحا ولكن بفضل « المجالس المؤيدية » وغيرها من كتب الفاطميين أستطيع أن أثبت هنا ما أراد المؤيد أن يشير إليه . ونلاحظ أن المؤيد لم يتحدث عن هذه الاختلافات إلا لغرض واحد كان يرمى إليه وهو أن المسلمين من كل فرقة اختلفت آراؤهم وتشعبت مذاهبهم لأنهم فسروا القرآن الكريم برأيهم وقياسهم ، فكان يثبت هذه الاختلافات ويتبعها بشىء من التهكم قائلا إن المسلمين لو أخذوا تأويل القرآن عن الوصى والأئمة من بعده لما وجد هذا الخلاف ، فكأن المؤيد كان يدافع عن عقيدته فى وجوب أخذ العلم عن هؤلاء الأئمة المنصوص عليهم ، ولما كان غير الفاطميين من فرق المسلمين لم يتبعوا الأئمة ولم يتلقوا عنهم العلم فنرى المؤيد قد تبرأ من جميع هذه الفرق التى خالفت مذهبه ، وخص منها أهل السنة وسماهم دائما بالنواصب أى الذين نصبوا من قبلهم إماما ليس له الحق فى الإمامة وليس لهم الحق فى اختياره ، وتبرأ أيضا من المعتزلة الذين تهكم بهم مرارا فى مجالسه وسماهم « فرسان الكلام » على سبيل السخرية منهم ، كما تبرأ من الرافضة وهم غلاة الشيعة عنده .

وأول ما نراه فى ديوان المؤيد من مسائل الخلاف بين الفرق هى « مسألة الرؤية » وكتب الفرق على اختلافها تتحدث عن هذه المسألة وتعرض أقوال المثبتين لرؤية الله تعالى وقد أفرد لها عبد القاهر البغدادى كتابا خاصا (١) لكثرة الحديث الذى دار عنها بين

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٢٤ .

الفرق المختلفة . يكاد يجمع أهل السنة على أن الله تعالى يرى للمؤمنين فى الآخرة وقالوا بجواز رؤيته فى كل حال (١) ، وذهب بعض المشبهة إلى أنه يجوز رؤية الله تعالى بالأبصار فى الدنيا (٢) . وقالت فرقة البكرية بأن الله يرى يوم القيامة ويكلم الناس (٣) . وكذلك قال اتباع ضرار بن عمرو (٤) . واختلفت المرجئة فى الرؤية فمنهم من قال بمقالة أهل السنة ومنهم من ذهب مذهب المعتزلة فى نفى الرؤية (٥) وأجمعت المعتزلة على أن الله لا يرى بالأبصار (٦) ولكن المعتزلة اختلفوا فيما إذا كان الله تعالى يرى بالقلوب ، فأبو الهذيل العلاف وأكثر المعتزلة قالوا نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعامه بقلوبنا ، بينما أنكر هشام الفوطى وعباد بن سليمان ذلك (٧) . وقالت المعطلة إن من ادعى أن الله يرى فهو كافر (٨) . هذه الاختلافات التى كانت بين علماء المسلمين ومتكلميهم أدت إلى أن يقول المؤيد متهكما :

من مثبت رؤية الرحمن — مستشهد بآية القرآن
ومنكر قد جاء ينفى تلكا — ودونها الكفر يرى والشركا (٩)

فقائل قال تراه العين — وهو لعمرى وصمة وشين
من أجل أن رؤية الأبصار — مختصة بالجسم ذى الأقطار
وقائل قد قال لما دققا — جدا وفى أفكاره تعمقا
ما ذاك إلا قول ذى تضليل — تراه لكن رؤية العقول
أمعن حتى ما أتى بشى — ولم يبين رشدا من غى (١٠)

أما فى مجالسه فقد أثبت لنا مذهب الفاطميين فى مسألة الرؤية فقال إن الرؤية تنقسم إلى قسمين أحدهما محسوس والآخر معقول وهو رؤية العقل ، فالبصر لا يتعدى المبصرات الجسمية التى من جنسه ، والعقل لا يدرك إلا المدركات العقلية التى هو متجوهر بجوهرها ، وأن مبدع

(١) تلبيس ابليس ج ٥٣ وابن الملطى ص ٤٨ والفرق ص ٣٢٤ وابن حزم ج ٣ ص ٢ وما بعدها .
(٢) تلبيس ابليس ص ١٨٤ . — (٣) الفرق ص ٢٠٠ ومختصر الفرق ص ١٢٩ .
(٤) الشهرستانى ج ١ ص ١٠٩ . الفرق ص ٢٠٢ . مختصر الفرق ص ١٠٣ .
(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٥٣ .
(٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١٦ .
(٧) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٥٧ . — (٨) تلبيس ابليس ص ٢٢ .
(٩) القصيدة الأولى . — (١٠) القصيدة الثانية .

القسمين متعال عن أن يكون مدركا كلواحد منهما (١) ، وتسائل المؤيد مرة أخرى هل الرؤية رؤية حس أو رؤية عقل لأن لكل منهما مقاما ، فرؤية العين تختص بالألوان المختلفة التى هى أعراض لا يصح وجودها إلا فى جسم حامل لتلك الأعراض ، والله تعالى منزه عن أن يكون ذا لون يقع تحت رؤية الأبصار ، أما القسم الآخر الذى هو رؤية العقل فانها أثر يسير يحل محل القطرة من البحر الغزير وخارج عن الاستطاعة أن الأثر الذى هو دليل على المؤثرات يدل على كيفياته وأحواله فضلا عن المبدع تعالى الذى أبدع العقل الكلى (٢) وقد نظم المؤيد هذا الرأى فى ديوانه فقال :

فالعقل للمرء أداة كالبصر — ذا باطن فيه وهذا قد ظهر
كلاهما يدرك بالمجانسه — مقالة صحت بلا ممارسه
وليس من جنس العقول الله — يا قوم كى تدركه حاشاه
كما تعالى أن يكون كالصور — مجسما كيما يلاقيه البصر (٣)

فالفاطميون إذن رفضوا أقوال المثبتين لرؤية الله تعالى بالأبصار، ورفضوا أقوال المثبتين لرؤيته بالعقول وسموا من قال بهذا القول أو ذاك بالمشبهة :

فالفرقتان أجتمعا مشبهه — خبّاطة عشواء جهل وعمه (٤)

وقالوا كما ذهب أكثر المعتزلة بأن الله تعالى لا يرى بالأبصار ، وأنه لا يرى بالعقول وطبيعى أن يخالف الفاطميون المعتزلة فى تأويل الآيات التى استند عليها المثبتون للرؤية ففى قوله تعالى « وُجوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ . إلى رَبِّها ناظِرَةٌ (٥) » قال المؤيد إن المعتزلة وهم بزعمهم فرسان الكلام فزعوا إلى أن تأولوا هذه الآية فقالوا إنما عنى به « ثواب ربها » فزادوا فيه ثوابا من عندهم لا وجود له فى نص التلاوة وقصدوا بزعمهم نفى التشبيه (٦) ، وقال فى مكان آخر « إن المعتزلة قالوا فى هذه الآية المعنى إلى ثواب ربها ناظرة ، وقالوا أيضا إلى ربها يعنى بها نعمة ربها فهذا نص كلامهم ، قد احتاطوا فى هذا الباب لربهم وسدوا خلل ظاهر قولهم بزعمهم ، غير أن فيه خبطة أهملوا مراعاتها هى حالة لما عقدوا وناقضة لما أبرموا ، وهى أنه ليس من كون هذه الأقسام التى أبطلوا من أجله

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢٨ . — (٢) المجالس ج ٢ ص ٢٧ — ٢٨ .
(٣) القصيدة الثانية . — (٤) القصيدة الثانية .
(٥) سورة القيامة : ٢٢ — ٢٣ . — (٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤٧ .

الرؤية معلومة لله كمثل ما علموها أو غير معلومة له فاستدركوها ، فإن كانت معلومة فقد كان الله تعالى أولى منهم بأن يتقن قوله ويحميه مما يدخل النقيصة عليه ، وإن كانت غير معلومة فقد نالوا من فضل العلم ما لم يعلمه الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فإن احتجوا أنه تعالى سلك فيه مسلك الاختصار وتركه مهزا للأفكار ومكانا للنظر والاعتبار ؛ فلقد أضاع خلقه بهذا الاقتصار وأوردهم به جهنم دار البوار ، فما الذى كان يضره أن يقول إلى ثواب ربها ناظرة فيعصم عباده بهذه الكلمة من الشقوة والخسار، فإن صبيا محجورا عليه لا يكاد يحجر عليه بأكثر مما حجرت المعتزلة على خالقها وبارئها إذ قال ناظرة قالوا : لا بد إلى ثواب ربها وقال « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [1] فقالوا لا بل جاء أمر [2] ربك
وفى ديوان المؤيد :

وهو الذى قد حرف الكتابا   عن وجهه وجانب الصوابا
يثبت شيئا ليس فيه فيه   وحكم آى احكمت ينفيه
كمثل من قال وجوه ناضره   قال إلى ثواب ربى ناظره
ومثل من قال وجاء ربكا   قال هو الأمر خلاف ما حكا [3]

ورد (إخوان الصفا) على المعتزلة فى مسألة الرؤية بأن هذه الطائفة المجادلة زعموا بأن معنى لقاء الله والرجعة إليه فى قوله تعالى « مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ [4] » هو لقاء ثوابه ، وانما أنكروا رؤية الله لأنهم يظنون ويزعمون ألا يرى إلا الأجسام وأعراضها حسب والله تعالى ليس بجسم بالاجماع فمن هذا الوجه والقياس أنكروا لقاء الله ورؤيته [5] . وقال المؤيد : وقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » موجب لتأويل لا يوجد إلا عند أهله ولا يؤخذ إلا عن مقره ، ونحن نرى نص القرآن الكريم غير موجب للجاحدين والمكذبين رؤية النبى (صلى الله عليه وسلم) فضلا عن رؤية رب العالمين سبحانه وتعالى إذ قال وقوله الحق المبين «وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ [6] » وقد قال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن رآنى وطوبى لمن رأى من رآنى وطوبى لمن رأى من رأى من رآنى » وإذ كانت الصورة هذه فطوبى للكافرين الذين ناصبوه ، لحاربوه إذن فلقد رآه كلهم وابصره جميعهم ، هذا ممتنع فنقول فى معنى

(١) سورة الفجر : ٢٢ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٢ .
(٣) القصيدة الأولى . — (٤) سورة العنكبوت : ٥
(٥) إخوان الصفا ج ٤ ص ١٥٨ . — (٦) سورة الأعراف : ١٩٨ .

الرؤية التى طلبها من طلبها على تباين منازلهم أنهم طلبوا رفع الوسائط فصعقوا وزلزلوا ولو كان مسوغا لأحد أن يرتفع دون الوسائط لكان أولى الناس به النبى (صلى الله عليه وسلم) ولما قال بينى وبين الله خمس وسائط جبرائيل وميكائيل وإسرافيل واللوح والقلم وكان الله قادرا أن يرفع الوسائط بينه وبين خلقه فضلا عن رسله ، وإذا جاز أن يكون بينه وبين الله هذه الوسائط فما يمنع أن يكون بينه وبين الأمة وسائط من وصى وإمام وحجة فيكون الآخذ عنه والقابل منه هو الذى يكون فى آفاق شرفه ، وهو الذى يراه حق رؤيته مثل الوصى فيخرج زبدة قوله عليه الصلاة والسلام « طوبى لمن رآنى » مشارا بها إلى الوصى ويكون قوله طوبى لمن رأى من رآنى إشارة إلى الإمام ، ويكون قوله طوبى لمن رأى من رأى من رآنى إشارة إلى اتباع الأئمة فى كل عصر وزمان . وفى وضوح ذلك وضوح معنى قوله تعالى « وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً [1] » وذلك أنه رام اليهود أن يرفع الوسائط بينهم وبين معبودهم حتى يستملوا عن مقر الوحى والنبوة فصعقوا ، ورام المسلمون أن يرتفع كذلك الوسائط من الوصى والأئمة ليقفوا على سرائر الوحى وخفيات الكتاب بفطنهم وآرائهم فصعقوا وزلزلوا [2] » من هذا كله نستطيع أن نقول إن الفاطميين قد أولوا الآيات التى وردت عن رؤية الرحمن إلى شئ واحد وهو الاتصال بالوصى والأئمة ومن يمثل الوصى والأئمة وهم الحجج .

وجه الله ويداه

وقد ذكرنا فيما سبق كيف أول الفاطميون ما جاء به القرآن الكريم من ذكر وجه الله ويد الله مما جعل المشبهة يعتقدون أن لله وجها ويدا ، ومما اضطر المعتزلة إلى أن يخوضوا فى الكلام عن ذلك ، فنجد مرة أخرى المؤيد قد ناقش المشبهة فى هذه العقيدة إذ هى من الاختلافات التى كثر الحديث عنها بين فرق الإسلام ، فبينما قال أهل السنة بالإجماع أن لله وجها ويدا مستشهدين فى ذلك بآيات من القرآن الكريم [3] ، نجد المعتزلة قد أجمعت على أن الله ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة [4] ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه [5] ، ولكن أبا الهذيل قال إن لله وجها هو هو [6] ؛ وقال النظام وأكثر معتزلة البصرة إن لله

(١) سورة البقرة : ٥٥ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٩ .
(٣) ابن الملطى ج ٩٠ ـ ٩١ . — (٤) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٥٥ .
(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٥٦ . — (٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٨٩ .

وجها توسعا لأنهم أثبتوا لله وجها هو هو ، وذلك أن العرب تقيم الوجه مقام الشيء فيقول القائل لولا وجهك لم أفعل أي لولا أنت لم أفعل (١) ؛ وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : « وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجلال والإكرام (٢) » وجه الله ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات (٣) ؛ ولكن معتزلة بغداد وأصحاب عباد بن سليمان أنكروا ذكر الوجه (٤) . وكذلك أجمعت المعتزلة بأسرها على إنكار اليد ، وافترقوا في ذلك فمنهم من أنكر أن يقال لله يدان ، (٥) ومنهم من زعم أن لله يدا وأن له يدين ، وأولوا القصد بمعنى النعمة (٦) ونجد مفسرا كالزمخشري وهو من مفسري المعتزلة قال في تفسير قوله تعالى : « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ (٧) » إنه تعبير مجازي يدل على اثبات غاية السخاء لله تعالى ونفي البخل عنه (٨) . ورد المؤيد على هؤلاء الذين قالوا إن اليد بمعنى النعمة أو القوة بقوله « وحملوا يد الله المذكورة في القرآن الكريم على معنى القوة ، ويدل على بطلان قولهم قول الله مخاطبا لابليس « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ (٩) » بتشديد بين صحيح فإن كان معنى اليد القوة فما معنى « قوتي » إذن وقال تعالى : « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ » فما المقصود بهما (١٠) » ونظم في ديوانه هذه الاختلافات بقوله :

وقائل لله وجه ويد ... وقوله هذا لديه رشد
وقائل ذلك حكم باطل ... إذ صح ذا فالله شخص ماثل (١١)

العرش وحملة العرش

وتحدث أيضاً عن اختلاف الفرق في « العرش » « وحملة العرش » فقد ورد ذكر العرش وحملته في القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى : « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٢) » و « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (١٣) » إلى غير ذلك من الآيات . واختلفت الفرق الاسلامية في تفسير هذه الآيات إذ قال مفسرو أهل السنة إن الرحمن يستوي على العرش كالجلوس على الأرائك والسرر ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم ! — قوله :

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٨٩ . — (٢) سورة الرحمن : ٢٧ .
(٣) الكشاف ج ٢ ص ٣٦٩ — (٤) مقالات الاسلاميين ج ٢ ص ٥٢٢
(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٩٥ . — (٦) ابن عبد الجبار ص ٤٤ .
(٧) سورة المائدة : ٦٤ . — (٨) الكشاف ج ١ ص ٢٣٠ .
(٩) سورة ص : ٧٥ . — (١٠) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٦ .
(١١) القصيدة الأولى . — (١٢) سورة الحاقة : ١٧ . — (١٣) سورة طه : ٥ .

« جانب العرش على منكب إسرافيل وإنه ليئط أطيط الرحل الجديد » (١) . أ…
فقالوا إن قول أهل السنة فيه تشبيه الخلق بالخالق والله منزه عن التشبه بخلقه ، و…
الله بقوله « ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (٢) » بمعنى الاستيلاء لا الجلوس والا…
وفي الكشاف في تفسير قوله تعالى « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » هو
على الملك . والجهمية من المعتزلة أنكروا وجود العرش واستواء الله فوقه (٤) …
هشام بن الحكم إن ربه في مكان دون مكان وأن مكانه هو العرش وأنه مماس لل…
العرش قد حواه وحده (٥) أما حملة العرش فقد اختلفت الفرق فيهم فمن قائل إن الح…
الباريء وهؤلاء أصحاب يونس القمي (٦) بينما ذهب أهل السنة إلى أن الحملة يحملو…
دون الرب تعالى (٧) وإلى هذا الرأي الأخير ذهب بعض الرافضة (٨) .
وتهكم المؤيد بهذه الأقوال والاختلافات بقوله في ديوانه :

وقائل يقول عرش يحمله ... وهو يئط تحته إذ يثق…
فإن في معنى على العرش استوى ... مبتدع كل وركاب الهو…
فواحد بالاستواء قالا ... وواحد قال وقد أحا…
معنى استوى استولى ، وهذى مكنته ... وحوله في دينه وقو…
فكأن حيناً لم يكن مستوليا ... يا من غدا عن الهدى موليا (…

وفي هذا الشعر لم يحدثنا عن رأيه وعقيدة طائفته عن العرش وحملته ول…
مجالسه : « قال أهل الحديث إن الله يقعد على العرش فيئط تحته كأطيط الرحل الج…
يفضل من كل جانب بشبرا ، ويقولون إنه يحمل العرش الآن أربعة من الملائكة فإذ…
القيامة يحمله ثمانية كما قال « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ …
والمعروف من حال العرش أن يكون حاملا لا محمولا (١٠) وقولهم في ذلك بالضد م…

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١١ . — (٢) سورة الأعراف : ٥٤ .
(٣) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١١ . — (٤) ابن الملطي ص ٧٧ .
(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٠ .
(٦) بحار الأنوار ج ٢ ص ٩١ والفرق بين الفرق ص ٥٣ .
(٧) الفرق ص ٥٣ — (٨) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٥ .
(٩) القصيدة الأولى
(١٠) نلاحظ أن المؤيد لم يكن دقيقاً في هذا الرد لأن الملوك أحياناً يجلسون على عرش عرشهم حاملا ومحمولا

ثم إن الاعتراض عليهم لازم فى الذين يحملون العرش فينبغى أن يكون هؤلاء عرش العرش وهذه الخرافات إذن لم يرجع بها إلى محصول ، وقال أهل الرأى نفيا لأن يكون الله تعالى جسما فيحمله عرشه وقلة مبالاة بتحريف الكلم عن مواضعه فى القرآن أن معنى قوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (١) » بمعنى استولى واستشهدوا فيـه ببيت لولاه لذلوا وماتوا وهو قول القائل :

قد استوى بشر على العراق بغـير سيف ودم مهراق (٢)

فما حصلوا بعد أن اتخذوا هذا البيت سنداً لدينهم إلا على تعطيل تنزيل رب العالمين من دون حاصل على طائل ، إذ كان هذا العرش المشار إليه ليس يخلو من كونه مخلوقا كخلق السموات والأرض أو غير مخلوق ، فإن كان مخلوقا كان الأولى أن يجريه فى سياقه قوله تعالى : « خلق السموات والأرض والعرش » فكان يغنى به عن قوله « استوى » . وإن كان غير مخلوق فلا يعرف إلا خالق أو مخلوق وما هناك قسمة ثالثة مما هو ليس بخالق ولا مخلوق . وسوى هذا فالاستواء معناه فى قضية البيت الذى تعكزوا به هو الاستيلاء ، فالاستيلاء من بشر المذكور حصل بعد أن لم يكن مستوليا ، فاذن الله تعالى لم يكن مستولياً على العرش ثم استولى كما لم يكن بشر مستولياً على العراق ثم استولى . ولو عرف الفريقان حاملا ومحمولا على غير موضوعهما لنجوا من تجسيم الرحمن وتعطيل القرآن ، ونحن نشير إلى شىء من هذه القسمة فنقول : إن الجسم حامل للنماء وهو عرش له ، والنماء حامل للحس وهو عرش له ، والحس حامل للنطق وهو عرش له ، والنطق حامل للعقل وهو عرش له ؛ ثم نعكس المسألة فنجعل كل حامل من هذه الأسباب التى فصلناها محمولا فيؤدينا ذلك إلى أن العقل الذى هو الأصل الذى رتبناه محمول الكل وهو حامل الكل ، وهذه القصة إذا استوضحناها وعرفنا أن سيكون المحمول حاملا والحامل محمولا غنينا عن رأى الفريقين الذين أحدهما يقول بتجسيم الرحمن والآخر يقـول يرد القرآن (٣) » إذن العرش فى تأويل المؤيد هو العقل وذكرنا أن العقل هو المبدع الأول الذى رمز إليه فى القرآن الكريم بالكاف من « كن »

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤ .

(٢) شبيه بهذا القول ما روى عن ابن الاعرابى النحوى لما سأله أحمد بن أبى دؤاد : أتعرف معنى استولى ؟ قال ابن الاعرابى : لا ولا تعرفه العرب لأنها لا تقول استولى فلان على شىء حتى تكون له فيه مضاد ومنازع فأيهما غلب استولى عليه والله تعالى لا ضد له (النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٦٤) .

(٣) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥٧ .

وبالقلم . وذكرنا أن الفاطميين أولوا حملة العرش بالحدود الخمسة الروحانية ثم بحدود أرضية هم النبى والوصى والإمام ، فهؤلاء الثمانيـة هم حملة العرش ولذلك نرى صاحب سرائر النطقاء يؤول قوله تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم » بأن حملة العرش ومن حوله هم أولياء الله الظاهرون (١) .

ولـكن تطور هذا التأويل إلى وجه آخر عند إسماعيلية اليمن فاختلف تمام الاختلاف عما ذكره المؤيد ففى زهر المعانى للداعى إدريس : العرش هو العلم الباهر والنور الزاهر والثمانيـة الذين يحملون العرش هم أساسا آدم هابيل وشيث وأساس نوح سام بن نوح وأساسا إبراهيم إسماعيل وإسحق ، وأساسا موسى هارون ويوشع ، وأساس عيسى شمعون الصفا فهؤلاء ثمانية حملة العرش لأن الخطاب متوجه إلى محمد وذلك الذى حملوه هو علم علىّ المنتقل من أول الأدوار ومبتدأ الأعصار . وحملة العرش فى دور محمد فاطمة والحسن والحسين وزين العابدين والباقر والصـادق وإسماعيل ومحمد بن إسماعيل فهم حملة السر الخفى الذى لا يظهره الله لأحد من خلقه إلا لهم خاصة (٢) . ونجـد فى كتاب الشموس الزاهرة لحاتم ابن ابراهيم « اعلم أن كل ما ارتفع فهو عرش والعرش المذكور هو العلم وهو ما نزل على أول نطقاء دور الستر الذى هو آدم (٣) » من هذا نستطيع أن ندرك ما طرأ على التأويل من تطور بعد انقراض دولة الفاطميين وما تطورت إليه العقيدة الفاطمية فهذا الذى ذكره الداعى عن حملة العرش لم أجد له ذكراً فيما بين يدى من كتب الفاطميين . ولا شك أن دعاة اليمن قد بدلوا كثيراً من العقائد الفاطمية وأولوا القرآن تأويلا يختلف عن تأويل دعاة الفاطميين لأن التأويل شخصى — إن صح هذا التعبير — والحجة هو صاحب التأويل فى عصر كل إمام كما ذكرنا ، والحجج تتفاوت ثقافتهم وعقليتهم وقد يقول حجة قولا يخالفه فيه آخر ، وسنرى كثيراً من هذه الاختلافات التى تدل على أن علم الباطن الذى اعتقد الفاطميون أنه وقف عليهم من عنـد الله مختلف فيه أيضاً عندهم ؛ بل نرى أحيانا اختلافا فى التأويل عند مؤول واحد . فهو يؤول حسب الظروف التى هو فيها وإن كان ذلك التأويل يخالف تأويله السابق فمن الصعب ان نوفق بين تأويل الحجج .

---

(١) ص ٧ سرائر النطقاء .

(٢) حاشية المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤٢٦ .

(٣) حاشية المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٨٠ .

ديك العرش

جاء فى الأثر أن لله ملكا فى خلق ديك براثنه فى تخوم الأرض وجناحاه فى الهواء وعنقه مثنية تحت العرش فإذا مضى من الليل نصفه رفع عنقه فقال : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم المتجهدون . فعندها تصرخ الديوك فى الأرض ثم يخمد شيئاً كما شاء الله من الليل ثم يقول سبوح قدوس : رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم القانتون . ثم يسكت كما شاء الله ثم يقول : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم الذاكرون. ثم يسكت كما شاء الله ثم يقول : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم الغافلون (١) وقد نظم المؤيد هذا كله فى ديوانه (٢) وتساءل عن شأن هذا الديك دون أن يشير إلى تأويل هذا القول ولم أجد تأويل ديك العرش هذا فى كتب الفاطميين التى بين يدى وإن كان صاحب الدعائم قد روى هذا الأثر عن محمد الباقر . ويخيل إلىّ أن تأويل ديك العرش هو الإمام وأن الديوك التى تجيبه هم الدعاة .

الكرسى

ثم تعرض المؤيد لمناقشة أهل السنة والمعتزلة فى أمر الكرسى ومعنى قوله تعالى . « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ » (٣) فأخذ يسألهم عن هذا الكرسى الذى وسع السموات والأرض وما مادته وفائدته (٤) وتهكم بالمفسرين الذين اختلفوا فيما ورد عن الكرسى إذ قال قوم إن الكرسى هو العرش نفسه . وقال آخرون إن الكرسى غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش وأن كل قائمة من قوائم الكرسى طولها مثل السموات والأرض ، وقيل إن الكرسى هو الاسم الأعظم لأن العلم يعتمد عليه كما أن الكرسى يعتمد عليه . وقال بعضهم إن الكرسى موضع الملك والسلطان

(١) دعائم الاسلام ج ١ ص ١٣٩ ولم أجد ذكراً لهذا الديك إلا فى هذا الكتاب بعد أن حاولت كثيرا أن أعرف شيئاً عنه فى كتب السنة أو غيرهم .
(٢) القصيدة الثانية . — (٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٤) القصيدة الثانية .

فلا يبعد أن كنى عن الملك بالكرسى على سبيل المجاز فالمراد بالكرسى الملك والسلطان والقوة (١) .

وترك المؤيد فى ديوانه هذه الأسئلة دون أن يشير إلى المغزى الذى قصد إليه ولا التأويل الذى اتخذه وأبناء طائفته . ولكنه تحدث فى مجالسه عن تأويل الآية السابقة فقال : والكرسى ما يتمهد القاعد عليه فى مهاد ، والمهاد لا يوجد إلا مهاد جسم ومهاد نفس فمهاد الجسم هو كما قال تعالى « أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً (٢) » ومهاد النفس هو علم الحقيقة الذى تستقر عليه النفس وتثبت فتصير نفسا مطمئنة ، فالكرسى هو علم الله الذى تصادف به النفس مستقرها ومهادها فى دار الآخرة . وسميت الكراسة كراسة اشتقاقا مما يجمع فيها من علم ما تسكن إليه النفس على وجه ما ، والعلم يسع السموات والأرض الذين هم النطقاء والأوصياء وهم سماوات الدين وأرضها التى منها تنشأ الصور الأبدية المخلوقة لدار الثواب (٣) » ولم يخرج تفسير المؤيد للكرسى عما قاله النسفى فى تفسيره إذ قال « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ » أى علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم وهو كقوله تعالى : « رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً » أو ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك أو عرشه (٤) . وروى عن ابن عباس أنه قال كرسيه علمه (٥) فكأن المؤيد قد اتفق مع المعتزلة الذين فسروا الكرسى بالعلم ، وأنه فرق بين العرش والكرسى فالعرش عنده هو المبدع الأول أو القلم ، والكرسى هو العلم بينما لم يفرق المعتزلة بين العرش والكرسى .

الميزان

وكما اختلف المسلمون فى العرش والكرسى اختلفوا أيضا فى الميزان ، فأنكره قوم وقال آخرون إنه ميزان بكفتين من ذهب (٦) فنرى المؤيد قد تهكم بما قاله هؤلاء من أن الله تعالى قد أدلى الميزان من السماء وأن للميزان كفتين إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق

(١) تفسير الخازن ج ١ ص ١٨٥ . — (٢) سورة النبأ : ٦ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ٣ ص ٥٨ .
(٤) تأويل التنزيل للنسفى على هامش تفسير الخازن ج ١ ص ١٨٥ .
(٥) تفسير الخازن ج ١ ص ١٨٥ .
(٦) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٥٤ .

وتساءل إذا كان الميزان بهذا الحجم فلم لا نراه [١] وهذا القول الذى نراه فى الديوان نجده أيضا قد نثر فى المجالس المؤيدية إذ حدثنا المؤيد عن حوار كان بينه وبين رجل تركى عن الميزان وكان رأى الرجل التركى هو ما نظمه المؤيد فى ديوانه وما نثره فى مجالسه [٢] ومع ذلك لم يصرح لنا المؤيد فى مجالسه عن تأويل الميزان وإن كان قد أشار فى شعره إلى المعنى الذى وضعه الفاطميون للميزان فقال فى ديوانه مادحا للإمام :

وميزان رب العـالمين الذى به   توفى الثواب الجزل إن أنت وفيتا [٣]

فمن هذا القول نستطيع أن نقول إن الفاطميين أولوا الميزان إلى أنه الامام كما أولوا الصراط بأنه الامام .

الأمانة

قال الله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً [٤] »

اختلف المفسرون فى هذه الآية فقال أهل الحديث والسنة إن الأمانة هى كلمة التوحيد وهى « لا إلـٰه إلا الله » . وقال الزمخشرى إنه يريد بالأمانة الطاعة وأن الله عظم أمرها وفخم شأنها وأن هذه الاجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا وهو ما يتأتى من الجمادات ، وأطاعت له الطاعة التى تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته ، وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف [٥] . وقال بعض المعتزلة إن الله عنى بالسموات أهل السموات ، وبالأرض أهل الأرض ، وبالجبال أهل الجبال ، واحتجوا بكون السموات والأرض والجبال مما لا يفقه ولا يعقل ، ومستحيل أن يكون الله سبحانه يعرض أمانته على من لا عقل له ولا تكليف عليه ، فوجب أن يكون عرض الأمانة على أهل السموات من دون السموات وأهل الأرض من دون الأرض وأهل الجبال من دون الجبال [٦] .

(١) القصيدة الثانية . — (٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١١٩ .
(٣) القصيدة السادسة والاربعون . — (٤) الأحزاب : ـ ٧٢ .
(٥) الكشاف . — (٦) ابن عبد الجبار ص ٢٨٧ .

وجد المؤيد فى هذا القول مادة لمجادلة المعتزلة والسخرية بهذه الآية فسألهم فى شعره [١] عن أهل السموات ؟ وأجاب عنهم بأنهم الملائكة وقبل هذا الجواب ثم سألهم مرة ثانية عن أهل الأرض ؟ وأجاب عنهم بانهم الناس وقبل هذا الجواب ، ثم سألهم مرة ثالثة عن أهل الجبال هل هم الوحوش الضارية ؟ وإذن فما المراد بقوله تعالى « وحملها الإنسان إنه كانَ ظلوماً جهولاً » فبمقتضى تفسير المعتزلة يخرج هذا الإنسان عن أهل الأرض وعن أهل الجبال [٢] وقال المؤيد فى مجالسه — إن الأمانة يمتنع عرضها إلا على الأحياء فإذا كان ذلك كذلك فهذه السموات والأرض الشاخصة للأبصار لا [illegible] التسبيح منها ولا يصلح عرض الأمانة عليها برأى العين الذى لا سبيل إلى رده فإنه رد لحكم العيان المتعلق بحاسة البصر لبطل غيره من الحواس التى هى أمثالها من السمع والشم والذوق واللمس ، وإذا بطلت هـذه بطلت المعارف كلها فلا يصح شئ منها ، وكذلك كلام الله لا سبيل عليه فى الرد والتكذيب لكونه الحق والصدق فإذا امتنع الوجهان فى رد العيان ودفع القرآن ثبت أن لله سموات وأرضا غير المحسوسة المشاهدة الحسية ناطقة قائمة بتسبيحه ملبية بأن يعرض عليها الأمانة حسبما أورده فى كتابه [٣] . وفسر قوله هذا بقوله : إن الأمانة هى قول لا إلـٰه إلا الله على رأى أهل التفسير وذلك أن هذه الكلمة هى سبب النجاة والوصول إلى دائم الحياة . والكلمة معرفة وهى الأمانة من حيث معرفة السموات والأرض والجبال انها متماسكة بها ومتعلق وجودها بوجودها ، ثم أن كلمة الأمانة منقسمة إلى جملة وتفصيل ، فجملتها متعلقة بحقن الدماء وتحصين الأموال ؛ قال النبى صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » وتفصيلها متعلق بنجاة الأرواح كقول رسول الله «من قال لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله مخلصا دخل الجنة» فقيل ما إخلاصها يا رسول الله ؟ قال : معرفة حدودها وأداء حقوقها . وهذا التفصيل الذى هذا شأنه من صفة وصى صاحب الشريعة لكون أحدهما مؤديا مجملا والآخر مؤديا مفصلا حسب تأدية الرجال نطفة مجملة لا يتشكل فيها شئ من شكل العين والأذن والأنف وغير ذلك وتأدية الأنثى تلك النطفة مشكلة مصورة مفصلة . قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا وأنت يا على أبوا المؤمنين أبوهم النور وأمهم الرحمة . فلما كان الوصول إلى معرفة التوحيد المجرد عن

(١) القصيدة الأولى . — (٢) أنظر أيضاً المجلس ٢٧ ج ١ ص ٢٠ .
(٣) المجلس ١٨٩ .

التشبيه والتعطيل متعلقا برتبة الوصى وقعت الكناية عن ولايته بالأمانة من حيث أن بها يقع معرفة الأمانة كما سمى الله النبى صلى الله عليه وسلم ذكرا رسولا من حيث كان حاملا للذكر (١) .

إذن نستطيع أن ندرك أن المؤيد أول الأمانة بالولاية ، والسموات والأرض والجبال بالحدود الحية الناطقة ، فالنطقاء كنى عليهم بالسماء ، والأسس والأئمة بالأرض ، والحجج بالجبال . أما قوله تعالى : « وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا » فقد قال المؤيد فى تفسير هذه الآية : إن الانسان هو الضد الذى تقمص قميص خلافة النبوة بغير سلطان من الله تعالى ولا نص من رسوله استخفافا لما فى مضارها من معرفة التوحيد المجرد من التشبيه والتعطيل من حيث ثقل على السموات والأرض حملها فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان يعنى استخف ما ثقلت على السموات والأرض والجبال وطأته (٢) . على أن المؤيد لم يكن أول من اتجه فى تفسير هذه الآية إلى هذا الاتجاه فقد ذهب المغيرة بن سعيد العجلى — الذى تنسب إليه الفرقة المغيرية من الغلاة — إلى أن الله عرض على السموات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة وهى أن يمنعن علياً من الإمامة ؟ فأبين ذلك ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل نصرة علىّ ومنعه من أعدائه ، وأن يغدر به فى الدنيا وضمن له أن يعينه ، على شرط أن يجعل له الخلافة بعده ففعل أبو بكر ذلك ، وأقدما على المنع متظاهرين وأن الظلوم والجهول أبو بكر (٣) . فهذا ما قاله المؤيد أيضاً فى ديوانه :

أمة ضـــيع الأمانة فيها   شيخها الخامل الظلوم الجهول(٤)

نلاحظ من ذلك أن الفاطميين اتخذوا قول بعض فرق الغلاة وقالوا بهـا ، فبينما نجد الفاطميين رموا المغيرة بن سعيد بالكفر ولعنوه وتبرأوا منه ومن أصحابه ومن أقوالهم لأنهم استحلوا المحـارم وأباحوها وعطلوا الشرائع وانسلخوا من الاسلام وبانوا عن جميع شيعة الحق (٥) مع هـذا كله نجد المؤيد قد اتفق مع المغيرة فى تأويل « الأمانة » هذا التأويل الذى رأيناه .

(١) المجالس المؤيدية المجلس ٢٠٣ .
(٢) المجالس ج ٢ ص ١٤٢ — ١٤٣ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣٠ — ٢٣١ — مختصر الفرق ص ١٤٣ .
(٤) القصيدة الخامسة .
(٥) دعائم الاسلام مخطوط رقم ٢٥٧٣٥ بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن

تأويل أوائل السور

لعل أوائل بعض سور القرآن الكريم ولا سيما هذه الحروف مثـل « كهيعص » . و « ق » . و « نون » وغيرها من أكثر الآيات التى اختلف المفسرون فى توضيحها اختلافا بيناً ، ويكفى أن يقرأ الانسان أى كتاب من كتب المفسرين ليدرك الاضطراب الذى وقع فيه المفسرون ، ويعرف مدى هذا الاختلاف بينهم ، وافتتح الله تعالى فى بعض سور القرآن الكريم بما أجمع عليه المفسرون بأنها قسم كقوله تعالى « والتِّينِ والزَّيتونِ وَطُورِ سِينِينَ » « والفَجْرِ ولَيالٍ عَشْرٍ والشَّفْعِ والوَتْرِ » . ولكن الحكمة التى من أجلها أقسم الله تعالى بها لا تزال سراً غير واضح وإن أكثر المفسرون فى الحديث عنها وحاولوا إيضاحها . ومن البديهى أن يتنبه رجل كالمؤيد إلى هذه الاختلافات ويتخذ من اختلاف خصومه سلاحا جديداً لقهرهم به فقد سأل المؤيد فى ديوانه عن معنى أقسام الله تعالى « بالتين والزيتون » وبالفجر وليال عشر (١) » . ولم يشأ أن يظهرنا على شىء من آرائه فى تأويل هذه الآيات بل تهكم بخصومه على عادته ، أما فى مجالسه فقد قال عن « التين والزيتون » إن أحد أتباع جعفر الصادق فكر فى هذا القسم ولم أقسم به الله فلما لم يهتد إلى جواب يشفى غلته ذهب إلى جعفر يسأله عن هذه الآية فأخذ عليه الصادق عهداً أن لا يذيع ما سيحدثه به ثم قال للرجل — فما عندك ؟ قال الرجل هما ثمرتان . قال الصـادق صدقت هما ثمرتان شجرهما هذا العالم بعلوه وسفله وسمائه وأرضه ، ولكن الله سبحانه ميزهما عن الثمار فأنشأهما بنور علمه وحكمته وظلل عليهما عرشه . قال الرجل — فما هما ؟ قال الصادق هما آدم ونوح عليهما السلام . قال السائل وكيف شبههما بالثمار والثمار شىء مأكول ؟ قال — كأنك لا تعرف من الثمار إلا ما يؤدى إلى المخرج ، هما من الثمار التى يؤخذ منهما ولا تفنى لأن ثمار الجنة كالمصباح الذى تستصبح منه ما شئت ولا يعتريه نقص . قال السائل — وكيف وقعت الكناية عن آدم بالتين وعن نوح بالزيتون ولأية علة ؟ قال : لأن كل ثمرة يتقدمها ورق ونوار والتين ينشق عنه أعواد الشجر ، وكل حى يسبقه حبلَ وولاده وآدم استخلصه الله من أديم الأرض عن غير حبل وولادة فمن أجل ذلك مثله بالتين ، وخلاصة الزيتون هى الزيت المأخوذ منه كأنه هو الغرض من الزيتون وكذلك

(١) أنظر القصيدة الأولى .

ذلك لخلاصة نوح إبراهيم المستخلص من ذريته حتى كأن الغرض من نوح إبراهيم فهو مضمر فى نفس القسم من الله سبحانه ، وفى التين الذى رمز به على آدم إضمار إلى القيامة وذلك لكون آدم افتتاحا للحياة الدنيا وكون القيامة اختتاما لها والقيامة لا تأتى إلا بغتة بنشق أمر الله سبحانه عنها انشقاق العود عن الطين على حسب وجود آدم بلا مقدمة ولا حاجب .

أما معنى « طور سينين » فالرمز لموسى عليه السلام وطور سينين هو موضوع مناجاته ومكان فضيلته وفيه إضمار مثل الاضمار فى القسمين السابقين وهو المسيح « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت الدهن وصبغ للآكلين » ، فالمسيح هو الشجرة الخارجة من طور سينا النابت من منبعة ملة موسى فشرفه الله ورفعه (١) » .

أما تأويل قوله تعالى « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » فقد قال صاحب الكشف « الفجر محمد وليال عشر يريد أمير المؤمنين والشفع والوتر يريد الحسن والحسين (٢) . أما المؤيد فقد خالف هذا التأويل إذ قال إن الفجر نور ينفجر وينبثق عن الظلام فيمحقه ويسحقه ويمحو آثاره ونحن نفسر ذلك بما قال النبى صلى الله عليه وسلم مجملا « لو بقى من الدنيا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج الله من أهل بيتى رجلا يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا » وذلك هو قائم أهل البيت (٣) فالفجر إذن فى تأويل المؤيد إشارة إلى قائم القيامة أو المعروف عند فرق الشيعة وأهل السنة بالمهدى المنتظر . والشفع عند المؤيد هو اتصال القائم أو المهدى بحد جسمانى هو بابه لانفاذ أحكامه فى عالم الجسم ، والوتر مثل على اظهاره انه فرد منفرد برتبة القيامة لا يحتاج فيها إلى من يقوم مقام الأوصياء من الأنبياء (٤) . من هذا التأويل الذى رأيناه عند جعفر وهذا التأويل الذى رأيناه عند المؤيد نستطيع أن نؤيد ما ذهبنا إليه من أن الدعوة الفاطمية منذ عهد الظهور أى بعد قيام المهدى بالمغرب قد تطورت شيئاً فشيئاً وذهبت إلى شىء من الاعتدال ولكنها بعد انقراض الدولة الفاطمية من مصر وابتداء الدعوة الطيبية باليمن والدعوة النزارية فى فارس والهند عادت إلى تطور آخر وهو ما نراه واضحاً فى بعض الكتب المتأخرة .

أما هذه الحروف التى وردت فى أوائل بعض سور القرآن الكريم مثل « الم » و « كهيعص » وأشباهها فقد اختلف المفسرون فى معناها فقال قوم إنها فواتح السور

(١) المجلس ١٥و١٦ .
(٢) الكشف على هامش المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٥١ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢١٠ .
(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢١٢ .

وفواصلها الدالة على ما قبلها وما بعدها . وقال قوم إنها أقسام . وقال آخرون إنه لما قال الكافرون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه جعل النبى هذه الحروف ذريعة إلى أن يسمعوا القرآن لأنه افتتح بها السور ، فلما سمع الكافرون هذه الحروف أنكروا ما سمعوه فأتبعه الرسول بغيره واتخذ المؤيد هذا كله موضوعا للتهكم بالمفسرين فذكر فى ديوانه أن لهذه الحروف معان مستورة خفية لا يعلمها إلا خزنة علم الله حتى يتعلق بهم العالم (١) ولم يحدثنا أيضا عن معانيها الخفية ولكنه فى مجالسه رد على المفسرين فقال : لو كانت هذه الحروف فواصل دالة على ما قبلها وعلى ما بعدها لكان يجب ألا تخلو سورة منها وقال لمن ظن أنها أقسام إن هذا التفسير أقرب إلى العقول لكن الاقسام بالحروف عجب وأما أن النبى (صلى الله عليه وسلم) جعل هذه الحروف ذريعة إلى أن يسمع الكافرون فهذا عند المؤيد أتبع ما ورد فى معنى هذه الحروف . ثم قال : أما كون هذه الحروف أقساما فهو كلام المحققين لأن الله سبحانه لا يقسم إلا بأجل ما عنده وأن الإشارة بهذه الحروف إلى أجل حدود الله والملائكة الرحانيين والأنبياء الجسمانيين فحين ذكر حرفا واحدا مثل ق والقرآن المجيد و ن والقلم فهو مشار به إلى أعلى الحدود منزلة وأرفعها درجة هذا إلى أن يستكمل الحروف الخمسة لأن الحروف لم تزد على خمسة منها شيئا وذلك قوله تعالى كهيعص وحمعسق وما بقى بعد ذلك فهو أربع إلى ثلاث إلى اثنتين إلى واحدة ففى كل حرف من هذه الحروف إشارة إلى حد من الحدود الروحانية والجسمانية (٢)

كذلك تعرض المؤيد للقائلين بالتلاشى المدعين أن مصير العالم إلى لا شىء فلم يترك هذا الرأى دون أن يدحضه بحججه فتحدث فى ديوانه (٣) عن التلاشى والرد على القائلين به وقال فى مجالسه (٤) إن حكم التلاشى فرع على إثبات صانع فإن كان هنالك صانع امتنع أن يفعل فعلا مصيره إلى لا شىء والله تعالى خالق الإنسان مثلا جامعا لآلات شتى منها ما يبصر وما يسمع وما يشم ويذوق وجعل بعد ذلك كله العقل والنطق الذى يترجم به عن الأفلاك والنجوم فمن ضعف العقل أن يقال إن الله تعالى بعد أن خالق هذا كله يعود فيفسده ويتلفه ولا يبقى منه محصول ؛ ثم إن الإنسان مدرج به إلى حد كماله تدريجا من سلالة إلى نطفة إلى أن ينتهى إلى الخلق الآخر فمن المحال أنه إذا انتهى إلى هذا الحد الذى هو أشرف وأفضل

(١) القصيدة الأولى . — (٢) راجع المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١٢ .
(٣) القصيدة الخامسة . — (٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٩٢ .

فيكون قصاراه التلاشى بل ينبغى أن يترقى إلى ما هو أجل من ذلك وأعظم ، وإذن فحكم التلاشى باطل إن صح وجود فاعل . أما إن لم يصح وجود فاعل ، فتساءل المؤيد عن الأفلاك الدائرة والنجوم السائرة إذ خصص كل فلك وكل نجم لعمل خاص وحركة خاصة فالشمس لا تفعل ما يفعله القمر مثلا مما يدل على أن هذه الأفلاك مجبرة مدبرة وذلك يثبت أن لها خالقا وصانعا يديرها ويصرفها كيف شاء [1] واستشهد بقوله تعالى « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ [2] » وإذن فحكم التلاشى باطل على هذا النحو أيضاً . ورمى المؤيد القائلين بالتلاشى بالالحاد والكفر وتبرأ منهم [3] .

من ذلك نستطيع أن نبرئ الفاطميين مما رماهم به خصومهم من القول بأنهم من أصحاب التلاشى كالذى زعمه الغزالى فى كتابه المستظهرى مثلا [4]

أما التناسخ فقد قال البيرونى [5] وقال بعض من مال إلى التناسخ من المتكلمين إنه على أربع مراتب « النسخ » وهو التوالد بين الناس لأنه ينسخ من شخص إلى آخر ، وضده المسخ ويخص الناس بأن يمسخوا قردة وخنازير وفيله ، والرسخ كالنبات وهو أشد من النسخ لأنه يرسخ ويبقى على الأيام ويدوم كالجبال وضده الفسخ وهو للنبات المقطوف والمذبوحات لأنها تتلاشى ولا تعقب . ولكن صدر الدين الشيرازى ذكر فى كتابه الأسفار الأربعة أن « التناسخ » فى النزول إنسانا كان هو الفسخ ، أو حيوانا وهو المسخ ، أو نباتا ، وهو الفسخ ، أو جمادا وهو الرسخ [6] فكأن صدر الدين الشيرازى قد اختلف عن البيرونى فى الرسخ فبينما هو عند البيرونى فى النباتات غير المقطوفة كالأشجار نجده عند صدر الدين فى الجماد . أما المؤيد فقال فى تهجين آراء أهل التناسخ إن هؤلاء قالوا إن العقاب ترديد الأرواح المعذبة فى جلود الكلام والقرود والخنازير وذلك يسمى مسخا ، أو فى الحيات أو فى العقارب وذلك يسمى بزعمهم فسخا ، أو يجعل ذلك حجرا أو صخورا وذلك يسمى رسخا [7] فاختلف بذلك عما أورده البيرونى وصدر الدين عن الفسخ واتفق وصدر الدين على الرسخ مخالفا فى ذلك أقوال البيرونى . ومهما يكن من شئ فمذهب التناسخ قديم عرفه البراهمة فى الهند كما عرفه الفرس واليونان وانتقل إلى المسلمين فأخذ به

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٧ . — (٢) سورة الأنبياء : ١٦ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٨ . — (٤) المستظهرى فى عدة مواضع
(٥) ص ٣٢ الفصل السادس من كتاب تحقيق ما للهند من مقول ومعقول .
(٦) المجلس الرابع ص ٩٧ . — (٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦٠ .

بعض الفرق الإسلامية أمثال الرزامية [1] والمقنعيه [2] وانتشر هذا الرأى بين المسلمين حتى أنا نجد شاعرا كأبى العلاء قد تهكم بهذا المذهب فى رسالة الغفران [3] وسخر من التناسخ فى لزومياته كقوله :

فما بال هذا العصر ما فيه آية ... من المسخ إن كانت يهود رأت مسخا
وقال بأحكام التناسخ معشر ... غلوا أجازوا الفسخ فى ذلك والرسخا

وكقوله أيضا :

فلو صح التناسخ كنت موسى ... وكان أبوك اسحق الذبيحا

وقوله :

يقولون إن الجسم ينقل روحه ... إلى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة ... إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

أما المؤيد فلم يترك القائلين بهذه المقالة دون أن يشهر بهم ويدحض حججهم لحاجهم فى ديوانه [4] بأن سأل أهل التناسخ عن بدء جوهر النفوس فان اعتقدوا بجوهر نفوسهم فالنفوس تعود إلى اصلها ككل شئ آخر ، أما إذا نفوا الأصل وقالوا إن الدنيا هى دار الثواب ودار العقاب وأن المثابين هم أهل الثروة واليسار والمعاقبين هم أهل القلة [5] فكل عاقل يعلم أن لذات الدنيا هى دفع مضارها فألذ ما يكون الطعام إذا كان المرؤ مرهقا بالجوع وألذ ما يكون الشراب إذا كان الشارب مرهقاً بالعطش ، فلذات الدنيا على هذا النحو لدفع

(١) الشهرستانى ج ١ ص ١٥٨ .
(٢) الشهرستانى ج ١ ص ١٥٩ . وجاء فى تلبيس إبليس ص ٢٤ وص ٨٥ أن من الروافض فرقة قالوا إن الأرواح تتناسخ فمن كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه ومن كان سيئاً دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه .
(٣) ص ٢٥٢ طبع مطبعة المعارف . — (٤) القصيدة الخامسة .
(٥) فى الأشعرى ج ١ ص ١١ أن الفرقة الثانية من الخطابية الذين قالوا إن الامام بعد ابن الخطاب هو « معمر » زعموا أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية وأن النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك وقالوا بالتناسخ وأنهم لا يموتون ولكن يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت . ويحدثنا الشهرستانى فى أن أتباع أبى منصور العجلى أولوا الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس فى الدنيا (ج ٢ — ١٤) .

البوائق وكف العوائق . وجاء فى المجالس المؤيدية « الانسان ما دام على قيد حياته مريض بأمراض مختلفة يقضى زمانه بمداواة كل جنس فتارة يداوى الجوع وأخرى يداوى الظما وتارة يميط الأذى عن نفسه بما يحيط به آكل الطعام وشارب الشراب وتارة يداوى نفسه بنومه وتارة يداوى بمعالجة شهواته فهو على هذه الوتيرة يؤديه داء إلى داء وبلاء إلى بلاء فقبحا لجنة يكون هذا موضوعها وتكون موجودة فيها هذه الآفات جميعها ، وأما قولهم إن الأرواح المعذبة تردد بالمسوخية فى الكلاب والذئاب والحمر والبقر فان كان الأمر على ما يقولون فى الثواب والعقاب قد خص الثواب وهان العقاب ، أما الثواب فبحجة ما تقدم أن لذات الدنيا هى دفع المضار فلو كفينا الجوع لبطلت لذة الأكل ، ولو كفينا الظمأ لبطلت لذة الشرب، وعلى هذا القياس جميع لذات الدنيا ، وأما العقاب وهو ما قالوه عن المسخ والفسخ والرسخ فهذه الأصناف التى ستنتقل اليها الروح المعذبة والتى هى معذبة بزعم القائلين بالتناسخ أطيب عيشاً من الذى يعتقدون كونه من الجنة لأن هذه الأصناف عادمة للعقول المميزة المشفقة من الموت وما بعد الموت (١) والموت يأتى فيمزق شمل الرجل ويوتم ولده هذا إذا كان الموت هو الموتة الأولى فكيف وقد يتوالى عليه موت بعد موت على رأى من يعتقد هذه المقالة السخيفة من رجعة بعد رجعة (٢) .

وإذن فقد انتفى عن الفاطميين أيضاً القول بالتناسخ وظهر خطأ ما قاله القلقشندى عنهم إنهم طائفة كافرة يعتقدون التناسخ والحلول (٣) وما قاله العمرى إن ملخص معتقدهم التناسخ (٤) مما يدل على أن عقائد الفاطميين لم يعرفها المؤرخون والعلماء الذين لم يدينوا بالمذهب الفاطمى تمام المعرفة كما أن اختلاف المذهب الفاطمى عن مذهب أهل الجماعة والسنة اضطر كثيراً من الكتاب والمؤرخين إلى أن يرموا الفاطميين بما هم براء منه .

ومع ذلك كله فقد قال الفاطميون بالمسخ ولكن المعنى فيه ليس هو المعنى المتداول المعروف عند القدماء بل بمعنى التغيير من الحالة المحمودة التى عليها المؤمن إلى هذه الحالات المذمومة التى ينكر فيها المؤمن ولاية علىّ بن أبى طالب والأئمة من أهل بيته بعد أن كان مؤمنا بولايتهم (٥) .

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٧ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٤ .
(٣) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٣٨ .
(٤) مسالك الابصار نسخة خطية بدار الكتب المصرية .
(٥) راجع كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن على هامش جامع الحقائق .

الضد

الضد فى اللغة المثل والمخالف ، وتأتى جمعا ، ولكن الفاطميين اتخذوا لفظ الضد بمعنى المخالف وصار اصطلاحا خاصاً من مصطلحاتهم ، إذ قالوا إن الله تعالى أرسل أنبياءه إلى الناس جميعاً فمنهم من صدق وآمن ومنهم من كذب وخالف ، فالذين خالفوا الأنبياء هم فى تأويل الفاطميين الذين أشار اليهم الله تعالى بقوله : (وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ (١) » فالحجارة قوم كنى عنهم الله تعالى بهذه الكناية وهم فى حد التأويل قوم لم يتصلوا بحدود الدعوة ولم ينجع فيهم آثار الحكمة فهم من حيث الانسانية كالجماد وإن كانت صورهم ألفية وأشكالهم إنسانية (٢) . أما تأويل الناس فهم الغلاة الذين أنسوا رشدهم فنافروه مروقاً عن دين الله وغلوا فى أولياء الله (٣) . أما قوله تعالى «أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» فقد قسم الفاطميون الكفار إلى قسمين أحدهما : « من سحب ذيله على الحق الذى استبانه واستوضحه طلباً لرياسة باطل وحسداً لصاحب الحق على حقه كأضداد الأوصياء والأئمة فى كل عصر والمتوثبين على مكانتهم فى الوصاية والامامة ، والقسم الآخر من اتبع الاضداد على رأيهم واقتدى بهم فى باطلهم (٤) » .

من هذا نستطيع أن نعرف أن الضد عند الفاطميين هو كل من اغتصب الوصاية أو الإمامة فى كل عصر وفى كل دور ولذلك قالوا « لكل زمن ابليس وآدم (٥) » وفى كتاب الفترات والقرانات حديث طويل عن أضداد الأنبياء وأسمائهم (٦) فقال مؤلف هذا الكتاب إن ضد آدم هو إبليس ، وضد إبراهيم النمرود بن كنعان ، وضد موسى فرعون وهامان ، وضد عيسى بختنصر . وذكرنا أن الفاطميين قالوا إن دور محمد يقابل أدوار غيره من الأنبياء وأن كل ما كان فى عهد الأنبياء قبله جرى فى دوره ، فلذلك سمى الفاطميون الضد فى دور محمد بأسماء الأضداد الذين كانوا فى عصور الأنبياء السابقين ، وأولوا الآيات القرآنية التى وردت فى الذين خالفوا الرسل بأن الله تعالى قصد بهم أيضاً هؤلاء الذين خالفوا محمداً وعلياً والأئمة من ذريتهما ، ولذلك تبرأ الفاطميون من كل هؤلاء الذين خالفوا النبى والوصى والأئمة بل من جميع الفرق الاسلامية التى رفضت الدخول فى الدعوة الفاطمية فاشترك الفاطميون فى

(١) سورة التحريم : ٦ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٥ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٥ . — (٤) المجالس ج ١ ص ٨٦ .
(٥) المجالس ج ٢ ص ١٣٤ . — (٦) الفترات والقرانات ص ١٣ وما بعدها .

هذا الاعتقاد مع جميع فرق الشيعة الأخرى إلا فرقة الزيدية الذين أجازوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل .

وللفاطميين حديث طريف عن أبى بكر أشار إليه المؤيد فى ديوانه وأكثر من الحديث عنه فى مجالسه كما أجد له ذكراً فى أكثر الكتب التى بين يدى من كتب الدعوة ، ذلك أن أبا بكر كان حجة جزيرة لآخر إمام فى دور عيسى ، وبحكم مكانته علم أن الله تعالى سيرسل نبياً يختم به الأنبياء ، فطمع أبو بكر فى أن يكون هو النبى ، ولكن الله أرسل محمداً فاضطر أبو بكر إلى أن يؤمن بنبوة محمد طمعاً فى أن يلى الوصاية ، فكان أبو بكر من أوائل الذين اعترفوا بنبوة محمد (١) وعلم أبو بكر أن الله تعالى نص على وصاية على بن أبى طالب ، ولكنه عمل على اغتصاب حق على ، وقالوا إن أبا ذر الغفارى سمع أبا بكر وعمر وغيرهما ممن خالف عليا يتشاكون فيما بينهم أن النبى صلى الله عليه وسلم ، جمع الرياسة فى بيته وإنهم عزموا فيما بينهم على مخالفة نص الوصاية ونقل أبو ذر هذا الحديث إلى النبى فاستدعى هؤلاء القوم فأقسموا بين يديه أنهم ماقالوا بهذا القول ، وفى هذا الحديث اعتقد الفاطميون أن الله تعالى أنزل قوله : « يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا (٢) » ثم إن أبا بكر أراد أن يرد الحق إلى أهله وأن ابنه محمدا كان يعظه ويحضه على اتباع على (٣) ولكن عمر أغراه ومنعه على أن يلى الأمر بعده (٤) فكان عمر خليل أبى بكر وفيهما أنزل الله تعالى . « يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً (٥) » قال صاحب السرائر فى تأويل هذه الآية » يعنى الظالم الثانى « لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً » يعنى ثانى الظلمة أى أنه لما أحلت به الندامة لما عنى أنه أطاع الرسول فى ولاية على الذى هو سبيل الله ولم يطع شيطانه ولا اتخذ خليلا يعنى الذى قوى ضلاله وصده عن طاعة وليه وإمامه حتى ادعى منزلته (٦) » وأول الفاطميون قول أبى بكر « لى شيطان يعترينى فإذا زغت فقومونى وقول الله تعالى : « وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً (٧) » إن الشيطان هو عمر (٨) لهذا كله تبرأ الفاطميون من الشيخين ونعتوهما بكل ما اتصف به إبليس وفرعون

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٨٦ وج ٢ ص ٨٨ . — (٢) سورة التوبة : ٧٤ .
(٣) شرح الرسائل ج ٢ ص ١٦٣ (على هامش المجالس) .
(٤) سرائر النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ٥٣ . — (٥) سورة الفرقان : ٢٨ .
(٦) سرائر النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ٥٢ . — (٧) سورة النساء : ٣٨ .
(٨) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٣٦

وهامان والطاغوت وغير ذلك من الصفات التى وردت فى القرآن الكريم عن أضداد النطقاء السابقين ، كما سموا هذين الشيخين وخلفاء الأمويين والعباسيين بالدجال الأعور لأنهم نظروا إلى الدين بعين واحدة وهى عين الظاهر دون الباطن . واعتاد بعض كتاب الفاطميين إذا أرادوا أن يكتبوا اسم أبى بكر وعمر وعثمان فى كتبهم ألا يستعملوا الحروف العربية بل اتخذوا رموزاً خاصة لهم ، بل لكل كاتب رمز خاص به فالرموز التى فى كتاب الكشف تخالف ما فى الرسالة الجامعة لإخوان الصفا (١) أما المؤيد فقد كان صريحاً أكثر من زملائه فكان طوراً يقول : « الظالم الأول » وطوراً « الذى اغتصب الوصاية دون نص » وسماه فى ديوانه « الهبل الأول » وهو اسم لصنم كان بالكعبة ، بل صرح أيضاً باسم عتيق وهو لقب أبى بكر (٢) أما عمر فسماه المؤيد فى الديوان « بأدلم » والأدلم فى اللغة الشديد السواد والداهية وهو لقب لبنى ضبة لشدة سوادهم وربما يكون السبب فى أن المؤيد سمى عمر بن الخطاب بأدلم أن أم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة كانت سوداء (٣) وصرح كذلك باسم نعثل يريد بذلك عثمان بن عفان (٤) .

(١) ومن الخير أن نثبت هنا الرموز التى استعملها جعفر بن منصور فى كتابه الكشف وهى المرقومة (أ) والتى استعملها إخوان الصفاء فى الرسالة الجامعة ، وهى المرقومة (ب) .

«أ»
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ
ع غ ف ق ك ل م ن و ه لا ى

«ب»
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س
ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن
و ه لا ى

(٢) فى مختصر التاريخ المنسوب للقضاعى مخطوط رقم ١٤٩٠ بالمكتبة الأهلية بباريس ورقة ٥٥ ولقب أبو بكر بعتيق قيل لجمال وجهه وقيل لقول النبى له « أنت عتيق من النار »
(٣) الاصابة ج ٢ ص ٢٧٩ .
(٤) النعثل فى اللغة الشيخ الأحمق ويهودى كان بالمدينة ورجل لحيانى كان يشبه به عثمان بن عفان إذا نيل منه فالذين ثاروا على عثمان بن عفان لقبوه بهذا اللقب ومن الطبيعى أن يلقبه الفاطميون بهذا اللقب أيضاً .

وسمى جمهور المسلمين الذين لا يدينون بمذهبه بأولاد الزنا (١) . وفسر فى مجالسه سبب هذه التسمية بقوله إن النبى صلى الله عليه وسلم ! — قال لعلى « أنا وأنت أبوا المؤمنين » وقال الله تعالى : « النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (٢) » فأبان الله تعالى أن الرسول أبوهم وأبان النبى صلى الله عليه وسلم أن عليا أمهم وبما أن هؤلاء المسلمين قد أنكروا عليا فقد انتفوا من آبائهم وأمهاتهم فهم أولاد زنا (٣) » وسماهم أيضاً بالنواصب أو الناصبة وقال صاحب القاموس « النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة علىّ ولأنهم نصبوا له أى عادوه ولكن صاحب كتاب « ذكر الفرق المبتدعة » قال إن النواصب هم الخوارج (٤) . أما المؤيد فقد فرق بين الخوارج والناصبة بقوله فى قصيدته المسمطة :

هذا الذى يلسعنى من خارج   من ناصبى كاشح وخارجى

وكذلك جميع كتب الدعوة تسمى أهل السنة بالنواصب .

هذا رأى الفاطميين فى الفرق التى خالفتهم وجدير بنا أن نعرف رأيهم فى فرقة الاثنى عشرية ولا سيما وقد عرض المؤيد لأئمتهم فى ديوانه على أنهم من المخالفين ورماهم بالكفر أيضاً (٥) وبسقم العقل (٦) وقال فى مجالسه « إن من يتوقع طلوعه من السرداب ليس يخلو حاله من كونه بشراً يأكل ويشرب فكانت الضرورة تؤدى إلى تصرم عمره منذ زمان ، وإن كان فى غير أسلوب البشرية فما ينبغى أن يكون غير بشر من نسل بشر وإذا كانت أيدى الحدثان عنه مغلولة فما الذى يقتضى لزوم الستر والكتمان (٧) » وقال مرة أخرى « وأحد يتشيع طامحا طرفه نحو ممتنع يأبى جوازه (ثم ذكر ما يشبه القول السابق فى المعنى إلى أن قال) ومعلوم أن أولاد عمنا أبى إبراهيم موسى بن جعفر ما فيهم من قاد عسكرا أو أثار من الملك عثيرا ولا من توج بذكر على وفاطمة وولدهما منبرا كفعل آبائنا الأئمة الهداة البررة فأى الفئتين أسبق عند جدها وأبيها بالفضل ، ثم قال . . . إن من صح وجوده من أولاد موسى الكاظم

---

(١) انظر القصيدة الاربعين . — (٢) سورة الأحزاب : ٦ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٣١ .
(٤) كتاب ذكر الفرق المبتدعة لأبى محمد عثمان العراقى نسخة خطية بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٦٤٢١ — د .
(٥) القصيدة السادسة . — (٦) القصيدة الثالثة عشرة .
(٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠٦ .

ليس عندهم علم خاص بهم ، وأنهم ارتموا فى أحضان المعتزلة واستقوا من علماء الكلام أصول التوحيد على مذهب المتكلمين فخسروا بذلك علم الأئمة (١) ، ونجد فى رسائل إخوان الصفا تهكما بفكرة الإمام المختفى التى قال بها الاثنا عشرية وبعض فرق الشيعة « فالقول بالإمام المنتظر إنه لا يظهر من خوف المخالفين فمن الآراء الفاسدة والاعتقادات المؤلمة (٢) » ، وفى الوقت الذى هاجم فيه المؤيد الاثنى عشرية بمثل هذه الأقوال نراه فى القصيدة الثالثة والعشرين قد ثار لما ورد إليه الخبر بأن العباسيين نبشوا قبر موسى الكاظم عام ثلاثة وأربعين وأربعمائة ففى هذه القصيدة نجد المؤيد قد مجد موسى الكاظم وقدسه وهدد العباسيين عامة وابن المسلمة وزيرهم خاصة ودعا بالثورة ضدهم ، ولكن المؤيد لم ينشد هذه القصيدة فى موسى الكاظم لأن الكاظم كان أحد أئمته ، أو أن المؤيد كان يعتقد فى إمامته بل لأن موسى من ولد جعفر الصادق فهو أحد أهل بيت النبى ، والمؤيد كان يدافع عن أهل البيت عامة والأئمة الفاطميين من نسل محمد بن اسماعيل خاصة ، ثم هناك وجه آخر لثورة المؤيد لما حل بقبر موسى ذلك ما وجدته فى مجموعة خطية بها مقتطفات من بعض كتب الفاطميين فقد جاء فى هذه المجموعة نقلا عن كتاب « زهر المعانى » أن موسى الكاظم لم يجعله الصادق عليه السلام إلا سترا على ولى الأمر — محمد بن اسماعيل — لينكتم أمره عن الاضداد ولئلا يطلع على ما خص به أهل العداوة والعناد » . وفى نفس هذه المجموعة أيضاً عن الجزء الرابع من كتاب عيون الأخبار للداعى إدريس » والموسوية قالت بإمامة موسى بن جعفر كان أكثر اجتماع شيعة الصادق عليه السلام على موسى وعلى القول بإمامته وادعى موسى الإمامة لنفسه قيل إن ذلك تقية منه على الإمام — محمد بن اسماعيل — وأنه لو ملك الأمر لرده إلى أهله وأحله محله . لهذا نستطيع أن ندرك سبب تقديس المؤيد لموسى الكاظم بالرغم من أنه كفر شيعته وأتباعه .

---

(١) المجالس ج ٢ ص ٧٦ و ٧٧
(٢) رسائل إخوان الصفا ج : ص ٨٧ .

الفصل الرابع

قصص الأنبياء فى ديوان المؤيد

الأنبياء فى ديوان المؤيد

خالف الفاطميون جمهرة المفسرين فيما ذهبوا إليه عن الأنبياء ، وفى تفسيرهم لقصص الأنبياء الواردة فى القرآن الكريم إذ ادعى الفاطميون أن قول المفسرين يعرض الأنبياء إلى رميهم بارتكاب المعاصى بينما عصم الله أنبياءه عن كل معصية . أما قصص الأنبيـاء التى فى القرآن الكريم فقال الفاطميون إن لهـا تفسيراً ظاهريا هو ما قال به جمهور المفسرين ، ولها تأويل باطنى هو الذى أبعد المعاصى عن الأنبياء ، وقال المؤيد فى مجالسه يهجن تفسير أهل الظاهر « إن الله بعث أنبياءه لتقويم الأود وإيضاح المسلك الجدد ، فإن كان كذلك فما بال كل واحد منهم قد ارتكب جريرة على ما يزعمه المفسرون كعصيان آدم أولا بتعريضه للشجرة وأى فائدة كانت فيها ؟ ولم حظرت عليه وأبيح له ما سواها ؟ وما معنى قوله فى قصة إبراهيم « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا . الخ الآيات » وهل بعد هذا مرتقى يرتقى بجرم فى الشرك بالله أكفر خلق الله فضلا عمن يكون قد اتخذه خليلا ؟ وهل هو إن كان بهذه المثابة فى سقم الاعتقاد إلا كافر ؟ وهل داود الذى هو خليفة الله فى أرضه إن كان ما يزعمونه بعث أوريا فى سرية ليقتل وينتزع عنه امرأته يصلح أن يكون خليفة عن الله ؟ تعالى الله أن يكون خلفاؤه بهذه المثابة . وهل محمد خاتم النبيين إن كان يعشق امرأة زيد إذ رآها فحرمت على زوجها وحلت له على ما يقولونه إلا فى أمره نظرة ، وهل المفترى عليه ذلك إلا كافر بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وأمثال ذلك كثيرة مما وقعوا منه فى لجة المآثم ونسبوا إلى أطهار خلق الله وأخياره كل العظائم [1] » هذا ما ذكره المؤيد فى تقبيح تفسير علماء أهل السنة لقصص الأنبياء وهذا نفس ما جاء أيضاً فى ديوان المؤيد [2] بل تكاد

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٦٣ .
(٢) القصيدة الأولى .

تكون نفس الألفاظ التى فى شعره . أما تأويل قصص الأنبياء فلم يحدثنـا عنها فى شعره ولم يذكر منها إلا اليسير فى مجالسه ، ولكنى عثرت على بعض كتب فى التأويل ككتاب أساس التأويل للقاضى النعمان [1] وهو الكتاب الذى ترجمه المؤيد إلى اللغة الفارسية ، وكتاب سرائر النطقاء وكتاب أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن وهذه الكتب الثلاثة تتحدث كلهـا عن قصص الأنبياء والتأويل الفاطمى لهذه القصص ، وبفضل هذه الكتب أستطيع أن أتحدث عن آراء الفاطميين فى الأنبياء ، ولكن يجدر بى أن أذكر قبل الحديث عن الأنبياء أن هذه الكتب تختلف فى التأويل وهذا دليل آخر نقدمه على أن التأويل شخصى يختلف باختلاف الحجة الذى هو صاحب التأويل فى عصره ، ومع ذلك نجد المؤيد اتفق مع القاضى النعمان اتفاقا يكاد يكون تاما مما يدل على أن المؤيد متأثر بالقاضى النعمان .

سمى الفاطميون الأنبياء بالنطقاء لأن النطق كما قالوا « قسمان أحدهما ما يتميز به الانسان عن البهائم وهو النطق عما فى الدنيا ، والآخر النطق عما فى الدار الآخرة المتميز به أهل التأييد الذين يتكلمون عما وراء الحجاب ، وهو الذى لا يستطيع الاتيان به الانسان العادى بل يأتى من الأنبيـاء [2] . ويتضح من كتب الفاطميين التى بين يدى أنهم لم يؤولوا قصصهم إلا لإثبات المقابلة بين عصر كل ناطق وبين عصر النبى محمد ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم اضطهد كما ضطهد غيره من الأنبياء ، وأن الاضداد تغلبوا على وصيه كما تغلب الاضداد على أوصياء الأنبياء من قبل ، فكأن الفاطميين استغلوا قصص الأنبياء التى وردت فى القرآن الكريم لإثبات الوصاية والإمامة ، وقد صرح المؤيد بذلك فى مجالسه فى مواضع عدة فقال مثلا : زعم الزاعمون ممن صرف وجهه عن اتباع اولياء الله وصفوته ولجأ فى دين الله سبحانه إلى حوله وقوته أن الأنبياء والقصص المشتمل عليها كتابه العزيز هى أخبار وآثار وأن المنفوع منها ذكرى واعتبار ، وقال الأئمة الصادقون بل ينبغى أن يجرى فى مضمار شريعة الرسول جميع ما جرى فى الشرائع المتقدمة مثلا بمثـل واستدلوا بقوله صلى الله عليـه وسلم ! « لتسلكن سبل الأمم قبلكم باعا بباع وذراعا بذراع حتى لو دخلوا خشرم دبر لدخلتموه » وقوله صلى الله عليه وسلم ! — كائن فى أمتى ما كان فى بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهذه الأمة تابعة لجميع الأمم المتقدمة فى أفعالها وآثارها وجارية على منهاجها وممثلة لمثالها ، وإذا ثبت ذلك كانت قصص آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى محصورة فى شريعة النبى محمد لحيث ما انصرف القول وتوجه الكلام من

(١) نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ٢٥٧٣٤ .
(٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٦ .

مرمى قريب أو بعيد كانت الإشارة فيه متوجهة إلى حاضر شهيد [١] » ولما كان ذلك كذلك فإن ما ورد من ذكر الأنبياء فى ديوان المؤيد له تأويل خاص طبق على عصر النبى صلى الله عليه وسلم وعصر كل إمام من الأئمة الفاطميين .

أما معجزات الأنبياء فقد اعترف بها الفاطميون ولكن أولوها تأويلا لا يتفق فى كثير ولا قليل من المعروف ، كما أنهم اعترفوا بأن الأوصياء والأئمة والحدود يأتون بالمعجزات أيضاً فقالوا إن المعجزات خاصة بالأنبياء والأوصياء والأئمة والحدود لأن الله سبحانه وتعالى اقتضى أن يقيم من البشر من يناسب الملائكة مناسبة تامة بلطائفهم ويناسب البشر مناسبة تامة بكثائفهم وهؤلاء يعكفون على النفوس البشرية فينزعون عنها الكثافة [٢] . ومعجزة الوصى والأئمة هى علوم الباطن التى اختصوا بها دون غيرهم من البشر وبهذه المعجزة يرتقى المؤمن بعد مماته إلى ما يناسبه من الحدود العلوية فتصبح نفسه مؤثرة فى عالم الكون والفساد بعد أن كانت خاضعة لتدبير العقول الروحانية ، وبهذه المعجزة يحيى المؤمن بعد موت الجهالة . فالاعجاز إذن أن يلقب الانسان ملكا وهو دون ما يقول به جمهور العلماء من ذكر تسبيح الحصى وكلام الذئب وما يجرى هذا المجرى ، على أن المؤيد قال عن هذه المعجزات التى يقول بها جمهرة العلماء وأهل القصص « على أن ذلك وما هو فى مثل حاله مما تقوم به براهين النبوة للجاهلين صحيح لا مرية فيه يصححه العقل ويوجبه البرهان وذلك أن الأنبياء رؤساء البشر ولذا فنفوسهم المفتقرة اليها نفوس الخلق بما لها من المنزلة العلية أشرف النفوس وأجسامهم المجاورة لنفوسهم الزكية أشرف الأجسام ولذا لا يستكثر أن يوجد الله تعالى فى الأنبياء خاصية تقوم فيها المعجزات [٣] وقال مرة أخرى ؟ إن المحقين لا يستصحون النبوات إلا من المعجزات العلمية دون تسبيح الحصى وكلام الذئب وغير ذلك أما هذه فلا ننكره [٤] » ولكن الذى أنكره الفاطميون هو مطالبة الأنبياء بالمعجزات وقالوا إن مطالبة الأنبياء بالمعجزات فى قانون الدين مذمومة ، لأن النبى مهما أتى بمعجزات لم تغن شيئاً عند ظهورها ومن عرف مقام الأنبياء ومقاديرهم النفسانية من جهة الأوصياء والأئمة غنى بما يظهرونه من الإعجاز وخرق المادة من حيث النفوس عن مطالبتهم بإظهار المعجزات من حيث الأجسام [٥] .

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٨ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢٤ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٦ . — (٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٨٦ .
(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٦ .

قصة آدم

لم يحدثنا المؤيد عن قصص الأنبياء كلهم كما لم يحدثنا إلا عن جزء يسير من كل قصة ، وهو الجزء الذى استطاع به أن يكاسر خصومه — كما يقول الفاطميون — ففى قصة آدم مثلا تحدث عما سمى بخطيئة آدم وأوّل قوله تعالى : « وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ [١] » فقال فى التفسير إن الله أسكن آدم الجنة وأباح له ثمراتها غير الشجرة المستثناة منها ، قالوا هى الحنطة والحنطة من حيز الزروع لا من جملة الأشجار ، وقالوا هى التين [٢] أيضاً وهذا الكلام خارج عن المعتادات أن يكون صفوة الله سبحانه الذى يصطفيه ويسجد له ملائكته ويسبح له جنته يشح عليه بنبتة من نباتها أو شجرة من شجراتها ، فلمن نراه كان يدخرها لأعز منه إنسانا وأعلى من رتبته رتبة ومن مكانه مكاناً ، وبخل المرء بالشىء يقتضيه حاجة إلى الاستئثار به أو إعداده إياه لمن يكرم عليه ، ولا حاجة بالله إلى طعام يطعمه فيكون قد ادخر ذلك لنفسه ، وإن كان قد ادخره لمن يكون ؟ فهل يكون أكرم ممن جعله للملائكة قبلة واختاره صفوة ، وإذ كان جميع ذلك ممتنعاً من الله سبحانه مستحيلا واجب أن يطلب العاقل سبيلا ينفى عن الله سبحانه فى هذه المضائقة ذميم التهم وعن صفوته آدم مذمة الشره المفرط والنهم . فقوله سبحانه « يا آدم اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ » فالجنة من حيث كونها فى السماء رفيعة ومن حيث اشتمالها على ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين شريفة ، وهى فى التأويل مثل على حد التأييد المتصل بالنطقاء من ربهم ، فهم من حيث العلو عال يطلع منه على نفوس البشر مثل اطلاع بنى آدم على من دونهم من الحيوان ، ومن حيث كون نفوس أهله والمحظوظين منه مستكملين ملاذ عالم الصفا وثمراته جنة بالتحقيق فتأويل « اسْكُنْ أَنت وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ » أى تنعما فى حظكما من قوة التأييد الذى هو الأخذ عن الحدود العلوية والتنزه فى الحدائق النفسانية والاستمداد من الثمرات الملكوتية وقوله : « فَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا » الأكل الظاهر استمداد المرء من خلاصة نبات الأرض لحفظ صورة جسمه ، والأكل الباطن استمداده من عامله الذى هو قرارة نفسه التى بها يتمهد فى دينه كما يتمهد الجسم على وجه الأرض ناطقاً كان أو أساساً أو إماماً أو حجة خلاصة ما عنده

---

(١) سورة البقرة : ٣٥ .
(٢) هذا رأى الزمخشرى فى الكشاف ج ٢ ص ٢٥٥ .

من علم يستحفظ به صورة نفسه فالمعنى أن يقتبسا من أنوار التأييد رغداً صفواً بلا كدر حيث شاء وقوله : « وَلا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ » فالشجرة المذكورة هى رمز بحد عال لا قبل له بتناوله والوصول إليه وهى الشجرة التى مثلها الله سبحانه فى كتابه بالكلمة التى يقال إنها كلمة الشهادة فقال عز وجل « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً (١) » وهى كلمة الشهادة على ما فسر و « كشجرة طيبة » قيل هى النخل فيا لها من منزلة عالية للنخل ان كانت ممثلة بتوحيد الله رب العالمين ، كلا إنها ليست شجرة نامية كالمتعارف منها إن ذلك شبهة على الجاهلين وهى شجرة محنه آدم بعينها ، صدق إبليس اللعين فى قوله : إنها شجرة الخلد وملك لا يبلى (٢) » لكنه كذب فى إيهامه آدم كونه أهلها وخان فى تسويله له أ كلها فالشجرة الطيبة فى التأويل مثل على الناطق (ص) فى بعض المواضع لكونه فى عالمه كالمبدع فى عالمه ، وهو أحق بهذه الكناية من النخل وما قال رسول الله « أنا شجرة وفاطمة حملها وعلى لقاحها و لحسن والحسين ثمرتها ومحبونا أهل البيت ورقها » ، والشجرة الطيبة فى وجه آخر مثل على قائم القيامة الذى هو مستوفى الأدوار ونور الأنوار المكنى عنه « بشجرة الخلد وملك لا يبلى » سبب زلة آدم التى تدارك نفسه منها بالتوبة والاستغفار . وقوله : « وَلاَ تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِين » اى لاتمنيا نفوسكما مكاناً لا تنالانه وشاواً لا تلحقانه فتكونا واضعين الشىء فى غير موضعه . وقوله : « فأزَلَّهُما الشَّيْطانُ عَنها فأخْرَجَهُما مِمَّا كَانَا فِيهِ « بالنصيحة المغشوشة وقلنا اهبطوا » معناه الهبوط من درجة التأييد بانقطاع المادة والانفصال من الحدود الالهية (٣) .

هذا هو تأويل المؤيد لما عرف بخطيئة آدم ، ولكن صاحب كتاب الشموس الزاهرة وهو حاتم بن ابراهيم الداعى اليمنى ، أتى بتأويل يختلف تمام الاختلاف عن تأويل المؤيد فقال إن إبليس الذى هو الحارث بن مرة صار يتضرع إلى آدم ويتلطف ويقسم له بالأيمان أنه لا يريد إلا الإخلاص ليعلم من هو وصى آدم من بعده الذى لا يقبل الله من عباده إلا بولايته فأفضى إليه آدم بأن وصيه ولده هابيل — وكان أصغر من قابيل — فلما علم ذلك من آدم تقدم إبليس إلى قابيل وقال له إن أباك قد عزم على إقامة أخيك هابيل وصيا له وأنت الكبير وأحق بالأمر منه ثم أمره بادعاء المنزلة فتكبر قابيل وحسد أخاه وقتله ظاهرا وباطنا وادعى منزلته ، فكان هابيل الشجرة المنهى عن أ كلها وهى المنهى عن كشف مرتبته

(١) سورة ابراهيم : ٢٤ .
(٢) سورة طه : ١٢٠ .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٢٢ .

فكانت هذه خطيئة آدم ، فأمر بأخذ العهود والمواثيق من ذلك اليوم على حفظ أسرار أولياء الله (١) . وهكذا اختلف الدعاة فى تأويل هذه القصة بل نجد بعض الدعاة كحاتم ابن إبراهيم قد رد على تأويل المؤيد بقوله « وحاشاه (أى آدم) أن يكون منه ذلك لأن المستجيب لا يدعى رتبة الإمام ولا تشره نفسه إلى ذلك فكيف بآدم وهو أول النطقاء بل القول فى أمر ولديه أولى وأحب وأصح لأن ليس آدم بجاهل فيغيب عليه السر الكبير والحال الخطير (٢) » . ونجد اختلافا بين جعفر بن منصور اليمن وبين المؤيد فى تأويل قصة آدم اذ قال جعفر « إن الجنة التى أسكنها الله آدم فهى دعوة إمام العصر وأن الحارث ابن مرة أى إبليس قد خدم فيها وكان من أحد دعاتها ، فلما اصطفى صاحب الوقت آدم وارتضاه وقربه منه وأناله أعلى مراتب الدعوة وأطلعه على جميع حدودها وأسرارها وأعلمه ما لم يعلم به أحد من حدوده فأقرهم إليه لموضع ترافعهم عليه وأمرهم بطاعته والأخذ عنه وأباح لآدم أن يعلمهم إلا الحارث لأنه أبى أن يطيعه ويخضع له ، وكان إبليس هو الشجرة المنهى عن المفاتحة بالعلوم السرية ، إذ كان حده قبل إبلاسه كحد الدعاة ، فلما امتنع من الطاعة سقطت منزلته وانقطعت مادته فشيطن وأبلس وحسد آدم فأخذ فى غوايته لكى يقع به العصيان فيقطع مواده ويسقط مرتبته فجعل يغويه بالكلام ويظهر له أنه ناصح وعليه مشفق وأخذ يقسم له بالله حتى استقر فى نفس آدم أن جميع ما يأتيه به حق ، فأطلعه آدم على حد القائم ومرتبته اذ هى نهاية المراتب وأعلاها فلما أظهر أمر الله لعدو الله بغير أمر من الله أخرجه الله من جنته أى قطعه الإمام من دعوته (٣) » فبينما ذكر المؤيد أن الشجرة التى غَرَّ آدم إبليس بها فأطاعه فى تناولها وهى شجرة الخلد وملك لا يبلى والإشارة به إلى صاحب رتبة قائم القيامة التى هى غاية الرتب للحدود الجسمانية (٤) نجد الداعى جعفر بن منصور اليمن قال إن الشجرة هى إبليس ، وقال الداعى حاتم بن ابراهيم إنها هابيل ، وشتان بين هذه الأقوال المتباينة التى لا نستطيع أن نوفق بينها بحال من الأحوال فقد ذهب كل داع من هؤلاء الدعاة إلى جهة تختلف عن التى قصدها الآخر على أننا لا بد أن نذكر أن القاضى النعمان بن محمد ذكر فى كتابه « أساس التأويل » تأويلا يتفق تمام الاتفاق مع تأويل المؤيد مما يدلنا على أن المؤيد قد تأثر بهذا الكتاب وعوّله إلى أكبر حد .

(١) الشموس الزاهرة على هامش المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٨٠ .
(٢) الشموس الزاهرة على هامش المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٨٠ .
(٣) أسرار النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ١٢ .
(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢٠٥ .

ولكني لم أجد اختلافا فى تأويل قوله تعالى « فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ (١) » فقال جعفر بن منصور « إن آدم عرف ذنبه فاستقال ربه وتوسل إليه بالحدود العالية فلما استقبل التوبة بالكلمات التى تلقاها عاد حيا بالمواد التى اتصلت به (٢) وجاء فى الفترات والقرانات « والناطق والأساس والإمام والحجة والداعى مثل على الخمسة الأشباح الروحانية التى جعلها الله على ساق العرش مكتوبة وفيها سأل آدم عليه السلام ربه فتاب عليه (٣) أما المؤيد فقال «كان آدم كلمة ونوح كلمة وابراهيم كلمة وموسى كلمة وعيسى كلمة ومحمد كلمة وأن وراءهم كلمات مجردة عارية عن الطين اتحدت نفوس هؤلاء الأنبياء بها وتجمعت فيها أنوارها فصارت وهى شىء واحد (٤) فكأن المؤيد كان يرى أيضا أن الكلمات هى الحدود الروحانية الذين يمثلهم فى العالم الجثمانى الحدود السفلية الذين تحدثنا عنهم فيما سبق فإذا رأينا المؤيد قد قال فى شعره واصفا للامام :

تلقـــاه آدم من ربه   فتاب وصادف حسن المتاب (٥)

تستطيع أن تفهم أن آدم لم يتلق الإمام الموصوف من ربه ، انما تلقى آدم من ربه الحدود العلوية ، وأعلاها مرتبة حد السابق الذى هو ممثول الناطق وممثول الإمام فى عصر الأئمة .

قصة ابراهيم

تحدث المؤيد بعد ذلك عما ورد فى شأن ابراهيم الخليل وتهكم بما أتى به المفسرون فى تفسير قوله تعالى « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قال هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قال لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضالين . فلما رأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يا قوم إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٦) » فقد أنكر المؤيد أن يشرك نبى بالله ، وأن يتخذ الكواكب والقمر والشمس آلهة له ، والنبى معصوم عن الخطأ والله تعالى يقول « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (٧) » « إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

(١) سورة البقرة ٢ — ٣٧ . — (٢) سرائر النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ١٢ .
(٣) الفترات والقرانات ص ١٠٨ . — (٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٣٦ .
(٥) القصيدة ١١ . — (٦) سورة الأنعام : ٧٦ — ٧٧ — ٧٨ . — (٧) سورة لقمان : ١٣ .

يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (١) » فالمؤيد تبع الفاطميين فى تهجين قول المفسرين عن ابراهيم (٢) واتخذ لنفسه تأويلا آخر يتفق مع عقيدته الباطنية فقال « فلما جن عليه الليل » معناه لما أخذ عليه ميثاق الدعوة الذى يفضى بأخذه من المجاز إلى الحقيقة ويتصور بعلمه صورة الآخرة وهو الميثاق المأخوذ على رسول الله آخرا وعلى جميع الأنبياء قبله ، والليل رمز على حد المعنى والحقيقة لكون الليل مقصودا به نوم الأعين واستراحة الأجساد من العمل وهو الموت الجزئى وهو تجرد النفوس وترك استعمالها للأجساد وهذه الأشراط كلها داخلة فى حكم الدعوة التأويلية ، ومعنى قوله « رأى كوكبا » من كواكب الدين علما من أعلام الآخرة ، فاعجب بما رآه من ضوئه ونوره ومستفيض شعاعه وأخذه بمجامع نفسه وقلبه ، فقال هذا ربى عنى بذلك أنه يربينى ويقوم بشفاء صدرى فيما تتوق إليه نفسى من علم معالم آخرتى ، فلما أفل معناه أنه أفل فيه جميع معلوماته فى المدة القريبة بتوقد نار فكره وتهيئه لنيل رتبة الرسالة التى هى غاية مراتب الجسمانيين . قال لا أحب الآفلين يعنى به أن هذا القدر لا يكفينى ولا يشفينى لقيام المطالبة من نفسه بالمرتبة فشخص ببصره إلى ما هو أعلى درجة وأجل فضيلة وهو القمر وزير الشمس ، الذى هو مدبر العالم لما يقال إن تدبير العالم إلى فلك القمر ، فلذلك توجه ابراهيم فى طلبه إلى القمر الدينى النفسانى الذى به يدور فلك الدين فقال هذا ربى يعنى به أن هذا هو الذى يشفى غلتى ويقوم بإكمال فضيلتى ، فلما أفل المعنى فيه لما انه استوعب ما لديه ورأى لنفسه الرجحان إليه قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين عنى به أن هذه المطالبة القائمة من نفسى ببلوغ كمالها ليس هؤلاء من رجالها وإننى إن قصرت بى هدايتى عما تحركنى له قوتى لأكونن من الضالين عن موضع قصدى ومكان رشدى ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فنقول إن الشمس ملك الأفلاك القائمة بها حياتها وأن لها ممثولا من جهة الدين والنشأة والآخرة ، وكما أن عنصر الحياة الطبيعية الشمس فعنصر الحياة الحقيقية الشمس الدينية كما قال الله تعالى « يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ (٣) » فقد فرض الله تعالى لنا فى هذه الآية إن الحياة الحقيقة مستفادة من الشمس الدينية ، فلما التقى ابراهيم بمن هذه منزلته من الدين واحياء النفوس حياة الحقيقة ووجد نوره مستوفيا للأنوار وقوته مستوعبة للقوى قال هذا ربى يعنى أنها الغاية التى

(١) سورة النساء : ٤٨ . — (٢) راجع المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٦ .
(٣) سورة الأنفال : ٢٤ .

كنت أطلبها وأنه يشفى نفسى فى بلوغها ، فلما أفلت يعنى غربت أنوارها فيه بسرعة وأحاط بجميع ما عنده وانقطعت العصمة بينه وبين الوسائط الجسمانيين واتحدت نفسه بالملائكة الروحانيين وترق من حد التعليم إلى حد التأييد وصار من المؤيدين بالروح الأمين فعنده قال يا قوم إنى برئ مما تشركون [1] .

وقد اختلف تأويل جعفر بن منصور اليمن فى شأن قصة ابراهيم هذه عن تأويل المؤيد بعض الاختلاف ، إذ قال جعفر إن الكوكب الذى لاح لإبراهيم هو شقيق ابراهيم الذى سماه « هاران » وأن نور هذا الكوكب هو التأييد ونور العلم « فلما حصل لإبراهيم من النور فى الكوكب ورأى ما سره أقبل يسعى فى ظلمة الليل فمتى أضاء له من خليله نور بارق مشى فيه ، وإذا أظلم عليه من هيجان الظلمة أى الأضداد على النور استتر عن أعدائه فعند ما رآه من برهان خليله وقوة تأييده شهد بالربوبية ولم يشك فى أمره حتى استوعب ابراهيم نور الكوكب ، وذلك عند وفاء أيامه وانقضاء مدته ، فلما حضرته الوفاة وهو قوله لا أحب الآفلين رفعه إلى حجته وهو القمر الذى حكاه الكتاب عنه أنه رآه ، فسكن ما به عند رؤيته من الاضطراب ، وسأله الكوكب أن يقيم ابراهيم مقامه وأن يورثه منزلته فعمل به الحجة ذلك فلما اتصل به نور القمر ما فاق نور الكوكب قال هذا ربى ولم يزل يسعى بين يديه إلى أن حضره الأفول وهو الغيبة فرفعه القمر إلى إمام زمانه وسأله أن يقيمه فى منزلته عنده فأجاب مسألته فصار ، فلما حضر إمام الزمان وهو « صالح » النقلة أوحى إليه أن سلم نور النبوة وميراث الأولياء إلى إبراهيم ففعل وأحضر نقباءه وسلم بمحضر منهم وهو ما حكاه الله تعالى بقوله « وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا [2] » فعند ذلك قال إبراهيم لقومه « إِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ [3] » أراد بذلك أنه توجه للذى نصب النطقاء وهم السموات ، والأسس وهم الأرضون وإنى برئ من أئمتكم الذين أشركتموهم بأئمة ناطق زمانكم [4] » . ولم يختلف دعاة الإسماعيلية فى اليمن عما جاء فى تأويل جعفر والمؤيد أن الكوكب والقمر والشمس هم الحدود الجسمانية الذين كانوا فى عهد إبراهيم وأنه أخذ عنهم [5] وكذلك ما جاء به القاضى النعمان فى كتابه أساس التأويل [6] .

---

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٨ و ٩ . — (٢) سورة مريم : ٤١ .
(٣) سورة الأنعام : ٧٨ – ٧٩ . — (٤) أسرار النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ٥٨ .
(٥) راجع الأنوار اللطيفة على هامش المجالس ج ١ ص ٣٦ .
(٦) أساس التأويل ص ١١٧ وما بعدها .

ولم يذكر لنا المؤيد شيئا عن نار إبراهيم وكذلك لم يذكر جعفر شيئا عنها ولكن المؤيد أول النار فى قوله تعالى « فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً [1] » فقال « النار من جملة الأجسام المركبة فإنها تؤدى من ذاتها معنيين نورا وحرا وبمجموعها ، تسمى نارا ، فالنار التى هى النبوة نور لأهل الإيمان تؤدى بهم إلى عالم النور بالفوز الأبدى والذات ذات واحدة للمؤمنين نورها وللكافرين حرها وثبورها [2] » أما القاضى النعمان فقد قال فى أساس التأويل فى قوله تعالى « قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ [3] » يعنى إجماعهم على رفعه إلى سلطان زمانهم والوقيعة عنده فيه وإجماعهم إياه عليه « قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ [4] » يعنى أنه جعل كيدهم وما أتوا به سلطانهم بردا فى قلبه ولم يستحر له قلبه ولا غضب عليه بل ناظره وحاجه [5] » وقال صاحب الفترات إن ضد إبراهيم النمرود ابن كنعان عند مكابرة ابراهيم لأضداده بإقامة الحجة عليهم وقطعهم وهم الأصنام المنصوبون لهم فرموا ابراهيم عند ضده بما لا يليق بأمثاله وكان النار القوة فيه يحرقوه بما سعوا به عند ضده فجعله اسكاته ذلك بردا وسلاما على ابراهيم [6] » .

الفلك وطوفان نوح

لم يحدثنا المؤيد عن قصة نوح ولكنه ذكر مراراً طوفان نوح وفلكه كقوله :

فلما طغى المـاء أجرى به   سفينته ربها فى العباب [7]

مشيراً إلى قوله تعالى : « إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ [8] » فقال المؤيد فى تأويل الطوفان إن الطوفان فى الديانات بتكاثر البدع المحيرة للأنفس المغرقة فى لجة بحار الشبهات فى سائر أركان الدين [9] » وقال أيضاً فى مقابلة دور نوح بدور محمد صلى الله عليه وسلم إن الماء إذا طغى فدخل مواضع اليبس من بيوت الناس وأكنانهم ومخازن رحالهم

---

(١) سورة القصص : ٢٩ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٥ .
(٣) سورة الأنبياء : ٦٨ . — (٤) سورة الأنبياء : ٦٩ .
(٥) أساس التأويل ص ١١٨ . — (٦) الفترات والقرانات ص ١٤ .
(٧) القصيدة ١١ . — (٨) سورة الحاقة : ١١ .
(٩) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٣ .

حتى قلعها وإياهم من قرارة الأرض وغمرهم فنعمهم استنشاق الهواء يسمى طوفاناً وكمثل ذلك فإن الأمثال المضروبة الشرعية المختلفة إذا ظهرت وغلبت حتى حالت بين الناس وبين ذخائرهم من علومهم التى هى عدة نفوسهم كـكون ما يخزن فى البيوت عدة أجسامهم حتى تبلغ من أمرها أن تغمرهم فيصدهم عن استنشاق الهواء اللطيف الذى هو مادة الحـكمة التأييدية التى بها حياة النفوس سمى طوفاناً يكون فيـه هلاك النفوس كما يكون فى الطوفان المائى هلاك الأجسام [(١)] » أى أن الطوفان هو تغلب الاضداد على صاحب الحق الشرعى . أما السفينة فهى دعوة الوصى والأئمة فى إنقاذ النفوس من ضلالات البـدع [(٢)] ولذا رووا عن النبى صلى الله عليه وسلم ! — قوله : « مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » . ولـكن صاحب شرح الرسائل أول السفينة بالحجة [(٣)] لا بالدعوة كما قال المؤيد .

قصة لوط

اختلف المفسرون فيما ورد عن لوط بالقرآن الكريم فى قوله تعـالى : وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ [(٤)] » . وقوله تعالى : « قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِى إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ [(٥)] » . فذهب بعض المفسرين إلى تأويل هذه الآية أن لوطاً أمر قومه بتزويج النساء وقال آخرون بأنه لم يقصد بناته بل أراد نساء أمته وكل نبى أبو أمته ، وذهب بعضهم إلى أنه كان أمرهم أن يتزوجوا النساء وأراد نبى الله أن يقى أضيافه بناته [(٦)] ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات التى تدل على أن لوطاً نبى الله أراد أن يقى ضيفه فأمر قومه بنكاح بنـاته أو نساء أمته فقد استبشع المؤيد أن يكون المعنى الذى قصد إليه لوط هو الفاحشة ببناته أو بنساء أمته ، ولـكنه لم يذكر فى مجالسه ولا فى كتبه التى بين أيدينا شيئاً عن تأويل هذه الآيات . أما القاضى النعمان فقد قال إن بنات لوط يعنى لواحقه [(٧)] فهؤلاء بناتى يعنى لواحقه يفاتحونكم ويكلمونكم بما تريدون هن أطهر لـكم إن كانت مفـاتحتهم لـكم جائزة ، وهؤلاء لا يحل لـكم أن تفاتحوهم

---

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٧٠ — ٧١ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٧١ .
(٣) شرح الرسائل على هامش المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٦٠ . — (٤) سورة هود : ٧٨ .
(٥) سورة الحجر : ٧١ . — (٦) راجع هذه التفسيرات فى الطبرى ج ١٢ ص ٥١ .
(٧) اللواحق هم الدعاة .

ولا يحل لهم ذلك « فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ . قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ » أى ما لنا عند لواحقك من حاجة وإنك لتعلم إنما نريد أن نرد هؤلاء عنك إلى ما نحن عليه . و « قال لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » يقول إن استطعت على مدافعتكم وإلا لجأت إلى الناطق يعنى إبراهيم [(١)] » .

أما جعفر بن منصور فقد قال : إن إبراهيم لما نصب لوطاً وسلم إليه البلد الذى أمره الله بالقيام فيه أمره ابراهيم بالصبر على الأذى وبما يكون من المنافقين من أهل دعوته والقيام بالدعوة الظاهرة إلى ابراهيم والباطنة إلى اسماعيل ، فنافق على لوط قومه فيما كشف لهم من أمر اسماعيل وامتنعوا من إجابة ذلك ودفعوا وصية ابراهيم فى اسماعيل وقالوا إنا لا نقيم إلا ظاهر ابراهيم وهو ما حكاه الله تعـالى عنهم « لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ [(٢)] » فالرجال هم الذكور البلغ وهم الذين عقدوا إلى إمامة ابراهيم أولا وقوله : « أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ [(٣)] » عنى الذين اعتكفوا على الاضـداد ، أى عاد وثمود ، وهم الذين استغنوا بمناكحة أصنامهم الجسمانيين عن مناكحة أوليائه الذين يدعونهم إلى الحياة الدائمة الروحانية ، ألا ترى كيف أنبهم بقوله « وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَـكُم ربكم من أزواجكم » يعنى الروحانية ثم أعاد عليهم لوط عليه السلام القول « هؤلاء بناتى هن أطهر لـكم » أى أطهر لـكم من أولئك المنافقين الذين لا نصرة لهم بالحياة الأبدية ولا دين يدينون الله به فقال المنافقون لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد ، أى أن الذى نريده نحن ما هو عند بناتك بل هو عندك وهو الذى دعوتنا إليـه أولا من إقامة الدعوة الظاهرة لابراهيم . ثم أردف جعفر ذلك « ولو كان الأمر على ما تأوله العامة من قول أئمتهم برأيهم وقياسهم لـكان خلق الله لنا عبثاً ، إذ لم يخلقنا إلا لهذه المناكحة الجسمانية دون خلاص أرواحنا ، ولـكان لوط إنما حثهم على نـكاح بناته وأمرهم بالفسق لهم ومنع عن ضيوفه ، والله عز وجل قد طهر أولياءه ونزههم عن الخنا والقول به فضلا عن العمل بالخنا وحمل الأمة عليه [(٤)] » .

---

(١) أساس التأويل ص ١٢٩ .
(٢) سورة الاعراف : ٨١ .
(٣) سورة الشعراء : ١٦٥ — ١٦٦ .
(٤) أسرار النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ٦٦ .

قصة داود

جاء فى القرآن الكريم بشأن داود « وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (١) » فقال جمهرة المفسرين إن الله تعالى كنى بالنعجة عن المرأة على سبيل التعريض للتنبيه والتفهم ، وأن داود كان عنده تسع وتسعون زوجة فأراد أن يتمها مائة فطلب من أحد أتباعه المسمى (أوريا) أن يطلق زوجه ليتزوجها داود وقيل بل أرسل أوريا فى سرية فقتل ، فتزوج داود امرأته ، فعاتب الله نبيه وأرسل إليه الملكين . على أن بعض أهل السنة قال بتنزيه داود عما نسب إليه فقد روى سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب أنه قال : « من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء (٢) » . وقال القاضى عياض : « لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شىء من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح « وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبته قتل مسلم (٣) » . وفى تفسير فخر الدين الرازى « حاصل القصة يرجع إلى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع فى زوجته ، وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا . » . أما الفاطميون وهم على ما اعتقدوه من عصمة الأنبياء عن المعاصى فقد أولوا هذه القصة إلى نحو آخر فقد قال المؤيد : « إن الله قد نزه أولياءه من هذه الفاحشة ، وعصمهم من الميل إلى هذه الدنية ، فأما النعاج المكنى بها عن النساء فهى حدود وقوابل لعلومه وحكمه فهم أناث من حيث قبول المادة العلمية لا من حيث الأنوثية بالصور الجسمانية ، وكان عدتهم تسعة وتسعين فأراد داود تكملة المائة ، فظهر على حد من الحدود المشار به إلى زوجة أوريا الذى هو صاحبه والزوجة له من حيث الاستفادة فى الدين لا من حيث الجسم ، قال أهل الظاهر أنها كانت تكشف للاغتسال فرأى محاسن جسمها

(١) سورة ص : ٢١ — ٢٢ — ٢٣ . — (٢) تفسير الخازن ج ٤ ص ٣٥ .
(٣) تفسير الخازن ج ٤ ص ٣٥ .

وشعرها ، ومعنى ذلك أن هذا الحد تكشف للبيان عن الظاهر والباطن فأعجب داود من حسن بيانه ونطقه وانتزعه من تحت يد صاحبه المسمى أوريا وألحقه بحدوده الذين هم أزواجه (١) تكملة للعدة . وأما الفاحشة فقد أعاذ الله أولياءه منها (٢) . ويمثل هذا التأويل قال جعفر بن منصور فى كتابه (أسرار النطقاء) والقاضى النعمان فى كتابه (أساس التأويل (٣)) إلا أنه ذكر أن داود كان له تسعة وتسعون مأذونا يدعون إليه أقامهم بعدد أسماء الله ، وكان أوريا ابن حنان بعض دعاته وكان له مأذون واحد فمات أحد المأذونين الذين أقامهم داود فأراد أن يقيم مقامه رجلا لئلا ينكسر من العدد الذى اختاره شىء ، فسأل عمن يصلح لذلك فدل على مأذون أوريا ، ثم أجرى الحديث على نسق المعنى الذى رأيناه عند المؤيد وختم قوله أيضاً بقوله : « والذى ذكروه من نظر داود إلى امرأة أوريا وتأمله منها وهى عريانه تغتسل وأنها أعجبته وفتن بها وأنها لما رأته ينظر إليها استترت بشعرها فقد عصم الله أنبياءه ونزههم عن مثل هذا المقام الذى لو قام له وفعله أحد العوام لكان نقصاً عليه ووصمة فى دينه ، وإنما ذلك أنه نظر فى أمر الرجل وتصفح قرباته وباطن أعماله وأعجبه ما رأى من ذلك (٤) » .

أما قول المؤيد فى ديوانه فى مدح الإمام :

وشد به لسليمان ملك   وأوتى داود فصل الخطاب (٥)

فنستطيع أن نفسر هذا البيت بقول على بن الوليد فى كتاب كنز الولد أن سليمان كان فى ملك عظيم حتى أخذت الحوت خاتمه من يده فافتقر مدة طويلة إلى أن رد الله عليه خاتمه (٦) ثم أجرى مقابلة بين سليمان وعلى فقال : « فعلى سليمان الدور وصاحب الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده من أهل دور الستر الملقى على كرسيه جسداً ، فكرسيه علمه التأويل المعنوى

(١) الزوجة عند الفاطميين وأزواج الأنبياء خاصة — لها تأويل باطنى غير المعنى المألوف الظاهر فأزواج النبى فى الباطن حججه القوابل منه والآخذون عنه فكما أن النطفة الصحيحة التى ليس بها مرض ولا علة إذا سقطت فى الرحم السليم فانه ينعقد هناك صورة جسمية متهيأة لقبول فوائد دار الدنيا فكذلك إذا وقعت كلة العلم الصحيحة مخلصة من ابتداع الهوى خلصت إلى نفس زكية لا نفاق فيها انعقدت هناك صورة ملكية مهيأة لقبول فوائد الدار الآخرة (المجالس ج ١ ص ١٥٣) .
(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٧٦ .
(٣) أساس التأويل ص ١٨٣ .
(٤) أساس التأويل ص ١٨٤ .
(٥) القصيدة ١١ .
(٦) كنز الولد على هامش المجالس ج ١ ص ١٢٤ .

والجسد الملقى عليه الظاهر الذى أقام به الأول (أى أبو بكر) وهو حوته الذى أخذ خاتمه أى خلافته وملكه حتى ردت عليه » . أما جعفر بن منصور فقد قال : « إن سليمان بن داود سأل الله أن يعطيه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأجاب الله سؤاله وأطاع له الجن والانس وعلمه منطق الطير وآتاه من كل ، شىء فأعجب بملكه وما أوتيه فعرضت عليه ولاية علىّ فتوقف عن ولايته فسلب الله ملكه وابتلاه بالجسد على كرسيه وسقطت نبوته أربعين يوما حتى آمن بعلى وأقر بولايته فرد الله عليه ما سلبه وكشف عنه بلاءه [1] . أما المؤيد فقد قال إن ملك سليمان هو الإمامة والحكمة [2] وقال القاضى النعمان فى قوله تعالى : « وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ » أى اختبرناه بالمحنة وألقينا على كرسيه جسداً يعنى تغلب متغلب من أهل الباطل على دعوته ، سماه جسداً أى لا روح للحياة الحقيقية فيه ، ثم أناب يعنى سليمان أناب من ذنب كان قارفه و « قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكاً لا يَنْبَغِى لِأحَدٍ مِنْ بَعْدِى إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ [3] » فأهلك الله عز وجل عدوه ذلك ووهب له الملك الذى سأله لا ينبغى لأحد من بعدى يعنى الإمامة التى لا ينبغى لأحد غيره فى حياته [4] وقال الغزالى فى كتابه الرد على الباطنية [5] إن الباطنية قالوا إن الجن الذين ملكهم سليمان بن داود باطنية ذلك الزمان . وحدثنا جعفر مرة أخرى أن داود أمر بالحكم بين الناس فحكم وأعجب بما صار إليه فعرضت عليه ولاية على فتوقف فابتلاه الله بما خطر بقلبه حتى أقر بولاية على ورجع إلى طاعته وختم هذا القول بأثر عن على « فما من نبى إلا وعرضت عليه ولايتى فمن سارع إلى الإجابة لى الولاية كان من المرسلين ومن أبطأ عن الاجابة بولايتى والاقرار لى كان غير مرسل إلا أن ولايتى ولاية الله وهو قوله تعالى : « هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ [6] » فهى ولايتى فمن أقر بها فقد أقر بالله واعترف بواحدانيته وأقر لمحمد رسوله [7] » .

قصة يوسف

عرض المؤيد فى ديوانه لما جاء فى القرآن الكريم بشأن يوسف الصديق بقوله تعالى « ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أنْ رَآى بُرْهَانَ رَبِّهِ [8] » وقد اختلف المفسرون فى تأويل هذه الآية على أن أكثرهم قالوا بأن الهمّ هو المقاربة من الفعل من

(١) سرائر النطقاء ج ٢ ص ٥٦ . — (٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٥٢ .
(٣) سورة ص : ٣٥ . — (٤) أساس التأيل ص ١٠٧ . — (٥) ص ١٣ .
(٦) سورة الكهف : ٤٤ . — (٧) سرائر النطقاء . — (٨) سورة يوسف : ٢٤ .

غير دخول فيه ، وروى البغوى عن ابن عباس أنه قال حل الهميان وجاس منها مجلس الخائن [1] وذهب المفسرون الذين يعتقدون عصمة الأنبياء كفخر الدين الرازى إلى أن يوسف كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم [2] . أما الفاطميون فقد أولوا هذه الآية على طريقتهم ، فذكر القاضى النعمان أن يوسف فارق الشام الذى كان فيه يعقوب إماما ولم يظهر يوسف نسبه ، وأقام مع القوم الذين قدموا معه وفشى خبره وانتهى إلى الملك ، فأحضر القوم الذين أتوا به وسألهم عنه فأنكروه ، فاعطاهم دراهم فأطلعود عليه وأحضروه إليه وفاتحه فأعجبه ماعنده فضمه إلى حجته الذى أهله لموضعه وهى مرأته التى ذكرها الله تعالى : « وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأتِهِ أكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنَا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً [3] » يقول لعلنا أن ننتفع به أى بعلمه ، أو نتخذه ولدا أى نعرفه إلى ما نحن عليه فيكون ولدا فى الدين وذلك لما رآه من بيانه وحسن توجهه ، وذلك هو الحسن الذى كان يوسف عليه السلام يوصف به ، فضمه حجة الملك إليه وحازه إلى نفسه وجعل يفاتحه ويعجب بما عنده ويعظمه ويكرمه وعز جانبه به وقوى أمره ، ولما بلغ أشده يقول لما انتهى إلى حدود التأييد آتيناه حكما وعلما يعنى اتصال التأييد به « وَرَاوَدَتْهُ الَّتى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ » أى أراد منه الذى هو عنده ، وهو حجة الملك المؤهل لمكانه أن يطلعه على علم الحقيقة لما رآه يرمز به ، ولم يكن يوسف قبل ذلك يفاتح إلا من قبل الظاهر الذى يؤيده العلم الحقيقى الباطن فلما اتصل به التأييد رمز به واستشرف الذى هو عنده إليه ونزعت نفسه نحوه وأكد له على نفسه أنه لا يقبل من أحد إلا منه ولا يطلع على ذلك أحدا غيره وذلك قوله تعالى : « وَغَلَّقَتِ الأبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ » أى أقبل على ما أدعوك به قال يوسف « مَعَاذَ اللهِ إنَّهُ رَبِّى أحْسَنَ مَثْوَاىَ » بما من بتأييده « إنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ » يعنى حجة الملك وهم بها أى هم به أن يفاتحه بالعلم الحقيقى ، وهم بذلك له لولا أن رأى برهان ربه أى تأييده أن يضع الحكمة فى غير موضعها وعلى غير نظامها وحدودها وترتيبها . وأما ما نسبه أهل الظاهر إليه من أن امرأة الملك فى الظاهر راودته وهمت به وهم بها وحل الهميان وقعد منها مقعد الختان فقد عصم الله أولياءه من هذا إنه هو الزنا الظاهر [4] . هذا هو تأويل القاضى النعمان ولا أدرى رأى المؤيد فى ذلك فإنى لم أعثر على تأويل لهذه القصة فى كتبه التى بين يدى

(١) تفسير الخازن ج ٣ ص ١٢ . — (٢) تفسير الرازى .
(٣) سورة يوسف : ٢١ . — (٤) كتاب أساس التأويل للقاضى النعمان .

وكذلك لم يعرض جعفر بن منصور إلى تأويل قصة يوسف فى الباطن كما فعل فى قصص الأنبياء ، ولكن جاء فى كتاب الكشف فى تأويل قوله تعالى « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ » قال جعفر إن البرهان الذى رآه هو اقبال الحجة إليه ومن التفسير الظاهر فى هذا أنها همت به أن يأتيها وهم بها أن يقتلها أراد أن يذبحها لولا أن رأى برهان ربه علم بما علمه الله انها لم تستوجب الذبح ولم يجب له عليها « كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ » فالسوء ما أراد هو من ذبحها فى غير وجوبه والفحشاء ما أرادت هى ، وهذا أحسن ما يقول أهل الظاهر وأقرب إلى المعنى الباطن .

ثم ساق جعفر المعنى الباطن بأن امرأة العزيز رمز على وزير له ، فلما رأى بيان يوسف وهو حسنه دعاه إليه ، وهم يوسف بأخذ العهد عليه لما رآى من رغبته لولا أن رآى برهان ربه يعنى نظر فى أمر الله وحدود دينه أنه لا يجب للوزير ما سئل من العلم وكشفه له حتى يؤخذ عليه العهد ، والعهد لا يكون إلا للإمام يعاهد لنفسه أو يعاهد له حجته أو دعاته ، ولم يكن يوسف مطلقا فى ذلك الوقت فى أخذ العهد فأمسك لهذا البرهان (١) وجاء فى عيون المعارف إن أولى العلم فسروا هذه الآية بأن يوسف لم يكن يخطئ ويأثم بل كان معصوما ولم يكن مأثوما ثم قال فى قوله تعالى : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ » هم بها فثبت أن همه بها لم يكن أصلا (٢) ولكن قول صاحب العيون ليس بتأويل باطنى نعتمد عليه بل هو تحايل . وإن صح هذا التعبير — لنفى المعصية عن يوسف .

زواج النبى بزينب بنت جحش

وقد تهكم المؤيد بجمهور المفسرين الذين قالوا فى تفسير قوله تعالى « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لاَ يَكُونَ عَلَى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً (٣) » فقد ذكر المفسرون

(١) راجع الكشف على هامش الحقائق ج ٢ ص ٤٣ .
(٢) عيون المعارف ص ٥٦ .
(٣) سورة الأحزاب : ٣٧ .

فى هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبة زينب بنت جحش فى قلب النبى عند ما رآها وإرادته طلاق زيد لها مما لا يليق بأن يرمى به النبى من النظر لما نهى عنه (١) .

وكنت أود أن أعرف تأويل الفاطميين لهذه الآية إلا أنى لم أجد فى أى كتاب من كتبهم شيئا عن ذلك إلا ما أورده المؤيد فى ديوانه (٢) من تهكمه بالمفسرين ودفاعه عن النبى الكريم .

هذه هى أجزاء من قصص الأنبياء التى عرض لها المؤيد فى شعره ولكنى أستطيع أن أقول إن المؤيد وغيره من علماء المذهب الفاطمى اعتقدوا أن النبى محمدا صلوات الله عليه وهو خاتم الأنبياء والمرسلين قد جمع إليه جميع النبوات السابقة له، وأن جميع شرائع الأنبياء قد اجتمعت فى شريعة محمد (٣) وقد قال المؤيد فى تأويل قوله تعالى « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ (٤) » هذا كمال الإنسان من الخلقة الطبيعية فأما كمالها من جهة الخلقة الدينية النفسانية فالسلالة مثلها مثل آدم والنطفة مثل نوح والعلقة مثلها مثل إبراهيم والمضغة مثلها مثل موسى والعظام مثلها مثل عيسى واللحم مثلها مثل محمد وعنده كمال الخلقة وتمام الصورة . كما أنه عند انتهاء التصوير إلى اللحم يقع الختم على الصورة أن تقبل شكلا آخر غير ما هو لها كذلك إذا انتهت النبوة إلى محمد يقع الختم من أن تغير إلى غير ما هى عليه فمن ذلك سمى خاتم النبيين (٥) .

وروى عن بعض الأئمة أن العلم الذى نزل به آدم وما فضل به النبيون فى خاتم الأنبياء وفى عترته (٦) . وهذا يفسر لنا قول الفاطميين إن محمدا آدم دوره ونوح دوره إلى آخره واحتجوا فى ذلك بقول النبى : أنا دعوة أبى إبراهيم (٧) وليس النبى محمد وحده هو

(١) راجع ما كتبه الطبرى ج ١ ص ١٤٦٠ — ١٤٦٢ فى تاريخه (طبعة بريل) وما كتبه فى تفسيره ج ٢٢ ص ٩ — ١٠ .
(٢) القصيدة الأولى .
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٦ .
(٤) سورة المؤمنون : ١٢ — ١٣ — ١٤ .
(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٧ .
(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤١ .
(٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧ .

آدم دوره بل كل ناطق هو آدم عصره[١] كما يفسر أيضاً قول المؤيد بعد أن سلم على جميع الأنبياء :

سلام عليك فحصولهم   لديك أيا صاحب القاهرة [٢]

وإذن فالمؤيد حينما ذكر الأنبياء فى ديوانه كان يقصد إلى مقابلة دور النبي محمد بدور كل من سبقه من الأنبياء ، وأن هذا النور الذى خلقه الله قبل خلق البشر ما زال ينتقل من ناطق إلى ناطق إلى وصى حتى اتصل بالإمام ، وهو النور الذى توسل به الأنبياء فى أدوارهم[٣] . ويخيل إلىّ أن هذه العقيدة لم يقل بها الفاطميون وحدهم بل شاركهم فى ذلك الاثنا عشرية ففى بحار الأنوار[٤] أن الله تعالى أشار بقوله : « وإذْ أخَذَ ربُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأشْهَدَهُمْ عَلَى أنْفُسِهِمْ ألَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلَى شَهِدْنا أنْ تَقولوا يَومَ القِيامَةِ إنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ [٥] » إن الله تعالى أخذ من بنى آدم ميثاق ولاية الأئمة من ذرية محمد لأن نورهم خلق قبل خلق العالم . ونجد أيضاً فى شعر ابن هانىء الأندلسى شيئاً من هذا المعنى كقوله :

وبذا تلقى آدم من ربه   عفوا ، وفاء ليونس اليقطين[٦]

وقوله :

من شعلة القبس التى عرضت على   موسى وقد حارت به الظلماء [٧]

ونلاحظ أن الفاطميين اتفقوا مع الصوفية فى نظرية « النور المحمدى » التى تجعل جميع الأنبياء من آدم إلى محمد شخصية واحدة غير أن الشيعة قالوا إن النور المحمدى انتقل بعد النبي إلى على وورثته من بعده .

---

(١) سرائر النطقاء على هامش المجالس ج ١ ص ٢١ . — (٢) القصيدة ١ : ٤ .

(٣) روى عن النبي قوله « كنت أنا وعلى نوراً بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم نقل ذلك النور إلى أصله فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب حتى قر فى صلب عبد المطلب فقسم قسمين وقسمنى فى صلب عبد الله وقسم علياً فى صلب أبى طالب » (كلامى بير ص ٨٤) .

(٤) بحار الأنوار ج ١٤ ص ١٩ — ٢٢ . — (٥) سورة الأعراف : ١٧٢ .

(٦) تبيين المعانى ص ٧٣٣ . — (٧) تبيين المعانى ص ١٦ .

الباب الثالث

نظرة فى شعر المؤيد

الفصل الأول

نظم المؤيد

كان المؤيد رجلا صاحب فن كما كان عالما من أعلام المذهب الفاطمي ، ولكننا نستطيع أن نقول إن فن المؤيد نتيجة لاعتناقه مذهب الفاطميين كما كان نتيجة للحياة التي كان يحياها والبيئة التي كان يعيش فيها .

كانت صفته المذهبية تضطره إلى أن يحيط بكل شئ حوله ، وأن يلم بالآراء الفلسفية والمذاهب الدينية التي كانت تملأ الأقطار الإسلامية في عصره ، فاضطرته إلى أن يأخذ بحظ وافر من الحياة العقلية المختلفة ، وكان المؤيد مضطرا أيضاً إلى أن يرد على مخالفي مذهبه طورا بالكتابة وطورا بالمجادلة والمناظرة الشفوية ، فكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى أن يكون المؤيد حريصاً أشد الحرص في أسلوبه ولفظه وأن يكون ناقدا مدققا ، ينظر ويمد نظره ويقرأ ويطيل القراءة ، ويفكر ويمعن في التفكير ويحلل أقوال خصومه تحليلا دقيقاً حتى يعرف موطن ضعفهم كي يهاجمهم منه ويفند آراءهم . كما اضطر أيضاً إلى أن ينقد نفسه ويحاسبها وينقد فنه قبل أن يذيعه في الناس حتى يستطيع بذلك أن يدافع عن عقيدته دفاع رجل يريد إفحام خصومه بمنطقه وبيانه ، ولذلك كان لملكة النقد أثر قوى في فن المؤيد فقد اضطرته إلى أن يتخذ الأسلوب الذي يبهر به السامعين أو القراء ويجعل من أسلوبه سلاحا بجانب منطقه وبيانه . والمذهب الفاطمي الذي كان المؤيد قطبا من أقطابه وداعية من دعاته جاء بعلم الباطن أو التأويل وقد ذكرنا أن أساس التأويل يعتمد على قوة الملاحظة وخصوبة الخيال وقدرة على التغلغل في دقائق الموجودات ليتخذها المؤول دليلا على أسرار الدين ، ولا يستطيع إنسان أن يرقى في مراتب الدعوة الفاطمية إن لم تكن لديه هذه المواهب والخصائص ، وهذه كلها كانت تتوافر لدى المؤيد بل كانت قوية جدا عنده حتى رفعته إلى أعلى درجات الدعوة ، كما أثرت في فنه فاتجهت به اتجاها خاصا لا نكاد نجده عند شاعر آخر في عصره إلا عند أبي العلاء المعري ؛ فأبو العلاء والمؤيد هما الشاعران اللذان استطاعا أن يصفا في شعرهما اختلاف عقائد الناس في عصرهما وأن يتحدثا عن الفرق الدينية

والآراء الفلسفية وغير الفلسفية وعن الحياة وعن الموت وعن دقائق الكائنات العلوية والسفلية .

أضف إلى ذلك كله أن المؤيد كانت له نزعة أدبية ومزاج فنى توصل بهما إلى أن يخرج فنه أحيانا من فن العلماء الخالصين إن صح أن يكون للعلماء فن .

لا ننكر أن علم المؤيد كان قوى الأثر فى نفسه . وقد يكون علمه وقوة عقله من أسباب ضعف شعره فى كثير من الأحيان ، اذ أصبح علمه واضحاً جلياً بينما اختفى فنه أو كاد يختفى لأن المؤيد كان يتجه أحيانا إلى اتجاه علمى يختلف عن الاتجاه الفنى الذى يقصد إليه الشعراء ورجال الفنون ، أى أن خيال المؤيد كان يضعف أمام علمه وعقله . وإذا قرأنا ديوان المؤيد روعنا أنه فى أكثر قصائده قد عنى عناية تامة ببث عقائد مذهبه والدعوة إليها فى أسلوب العلماء ، فطغى ذلك على جمال بعض قصائده بل لا أغالى إذا قلت إن علمه فى هذه القصائد قد أفسد عليه الشعر حتى لم يبق له من سمات الشعر سوى الوزن والقافية ، ولذلك لا أستطيع أن أسمى بعض قصائد هذا الديوان شعرا . فالرجل الذى يفرح أو يألم أو الذى يرى منظراً أو لونا من ألوان الحياة تؤثر فى نفسه ويعبر عما فى نفسه هو الشاعر الطبيعى الذى نستطيع أن نطمئن إلى أن نسمى ما يقوله شعرا . أما هذه القصائد العلمية التى أراها فى ديوان المؤيد فهى ليست بشعر ، بل هى متون علمية نظمت وأخذت هيكل الشعر ، فهى تخلو من أهم عناصر الشعر فلا أجد بها عاطفة ولا خيالا ، إنما هى آراء علمية اعتنقها فريق من الناس واعتقدوا صحتها ، ونبذها فريق آخر واعتقدوا بطلانها ، فهذه المتون العلمية التى صيغت فى قالب الشعر ما هى إلا نظم ، فعلى هذه الصورة استطيع أن أسمى المؤيد ناظما مثله فى ذلك مثل أبى العلاء المعرى فى لزومياته ، فالمعرى فى هذا الديوان ليس بشاعر إنما هو ناظم صاغ آراءه فى قالب الشعر والتزم فيها ألوان القوافى وضروب الوزن فكان تقيده بما لا يلزم وما حمل ألفاظه من آراء علمية وفلسفية سببا فى أن يبعد ديوان اللزوميات من دائرة الشعر الخالص ويجعله أقرب إلى النظم منه إلى الشعر . والناظم فى أسلوبه يختلف عن الشاعر فى أسلوبه ، إذ تغلب على الناظم النزعة العلمية فيعمد إلى المعانى يختارها ويحاول أن يوفق فى تقريب معانيه وأفكاره إلى عامة الناس بخلاف الشاعر الذى يبغى أن يصور نفسه أو بيئته فتملى عواطفه عليه الشعر ويصدر قوله عن وحى إلهامه وخياله . فالناظم خاضع لعقله وعلمه لا ينطق بشئ إلا بعد جهد ينفقه فى التفكير حتى يلائم بين المعانى العلمية التى يريدها وبين القالب الشعرى الذى يصوغ فيه علومه . أما الشاعر فله ملكته الفنية وشعوره المرهف فهو خاضع لإلهامه وعواطفه لا يجهد نفسه فى اختيار

المعانى أو اللفظ انما ينطلق لسانه بما تجيش به نفسه من غير تصنع أو تعمد كالذى يضطر إليهما الناظم .

وقد صدق أبو هلال فى قوله جاء فى الصناعتين « شعر الرجل قطعة من علمه » (١) فالشاعر الذى يلم بعلم غزير يظهر أثر علمه فى شعره ، فإذا اتخذ الشعر وسيلة لإظهار علمه فسد شعره وإذا ترك نفسه على طبيعتها وأخضع علمه لفنه فهو يخرج لنا شعرا قويا جميلا ، فعقلية العالم تختلف تمام الاختلاف عن عقلية الشاعر ، وفى تاريخ الشعر العربى ما يمثل ذلك كله فلا شك أن تقدم الثقافة الإسلامية وانتشارها بين الناس ورقى العلوم نفسها كان لها شأن كبير فى تكييف طبيعة الشعراء وصبغهم بصورة العصر وثقافته ، فشعراء القرن الثانى للهجرة مثلا كانوا على حظ من الثقافة لم يبلغه الشعراء الذين سبقوهم وتغير شعر القرن الثانى تبعا لثقافة الشعراء فبشار بن برد والحسن بن هانئ كانا يجادلان فى الفلسفة والكلام ولكن هذين الشاعرين مع أنهما تحدثا عن بعض الآراء الفلسفية والعلمية استطاعا أن يخضعا علوم الفلسفة لفنهما الشعرى ، ونحن نقرأ شعرهما فلا نكاد نشعر أننا نقرأ رأيا فى الكلام أو مذهبا فى الفلسفة لأن مقدرة الشاعرين وفنهما استطاعا أن يخضعا العلم للفن وطبيعة الشاعرين صرفتهما عن العلم إلى الشعر ولكنهما استفادا مما أخذاه من ثقافة فإذا فى شعرهما جمال لا نجده عند عالم متشاعر كبشر بن المعتمر المعتزلى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ذلك أن بشارا وأبا نواس لم يتخذا العلم غرضا من أغراض الشعر ولم يقصدا إلى أن ينشدا أشعارهما فى لون من ألوان الثقافة لعرضه وتوضيحه بل كانا يتندران ببعض الآراء ويهاجمان بعض المتكلمين .

وفى القرنين الثالث والرابع نجد الشعر العربى قد تطور تطوراً آخر برقى الثقافة واتساع مداها ومساهمة الشعراء فيها مع العلماء وأصحاب الفلسفة فلا نكاد نجد شاعراً من فحول شعراء هذين القرنين لم يشترك فى الحركة العلمية وأصبح الشعراء يزينون شعرهم بألوان الثقافة المختلفة ويمزجون علمهم بفنهم الشعرى ، وألف الناس هذا المزاج وأعجبوا بهذا الشعر الذى يغذى العقل كما يغذى العاطفه فلم يصبح الشعر شعراً فنياً فحسب كما كان من قبل بل أصبح الشعر أداة كالنثر يعبر به عن الفلسفة والمذاهب العلمية المختلفة ، وتبع العلماء طريقة الشعر التعليمى الذى بدأه أبان بن عبد الحميد اللاحقى وأكثروا من نظم علومهم وقوى هذا كله فى القرن الخامس الذى كادت تستقر فيه العلوم الاسلامية ووضعت الكتب

(١) ص ٤ .

العديدة فى كل لون من ألوان الثقافة فازداد حظ الشعراء من هذه العلوم حتى يخيل إلينا أن الشعراء هم العلماء والعلماء هم الشعراء ، فلىء الشعر بالعلوم ونخر العلماء بانشاد الشعر كقول المؤيد :

وهاك قريضاً فيه علم وحكمة   وفيه ضياء الرشد أنّى تأملتا

ولا نجد بين علماء هذا القرن من يردد قول الشافعى :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى   لكنت اليوم أشعر من لبيد

فالمتنبى وأبو العلاء استطاعا بما اكتسباه من علم أن يأتيا فى شعرهما بحكم وأمثال وسموف الخيال لم يستطع أن يأتى بمثلها شاعر كأبى نصر الخبزأرزى أو شاعر كابن لنكك البصرى اللذين لم يأخذا من الثقافة إلا بمقدار يسير فكان شعرهما قريباً من الأسلوب الذى يصطنعه الشعب وملىء شعرهما بالمعانى الشعبية أيضاً بخلاف شعر المتنبى والمعرى الذى اضطر الناس إلى أن يتكلفوا ألوانا من الجهد للوصول إلى فهمه وتذوقه بل صار شعرهما وقفا على الطبقة المثقفة الذين أعجبوا بالمعانى والآراء التى أتى بهما الشاعران الكبيران ، بجانب ما فى شعرهما من قوة الشاعرية وشدة العاطفة واتساع الخيال .

وكانت هذه الثقافة التى انتشرت فى القرنين الرابع والخامس من العوامل التى أثرت أيضاً فى فن المؤيد الشعرى كما أثر فى فنه تمذهبه بالمذهب الفاطمى فأنت تستطيع أن تدرك فى سهولة ويسر ما فى شعر المؤيد من الاتجاهات الفلسفية والخلافات الدينية التى كانت منتشرة شائعة فى عصره فلم يستطع المؤيد أن يقرض الشعر دون أن يلم بهذه الألوان من الثقافة وأن يبسطها فى نظمه وتحمل فى ذلك مشقة الصنعة فكلف فنه حمل ما لا طاقة له به وأخضع القصيد لرأيه وعقله فأتت بعض قصائد ديوانه نظما .

لم يرد المؤيد بهذا النظم إلا التعليم فكما كان أبان بن عبد الحميد اللاحق معلماً لأبناء البرامكة ونظم لهم كتاب كليلة ودمنة ليقربه إليهم ، ونظم بشر المعتمر قصيدة طويلة أودعها آراءه فى الاعتزال ، ونظم الناشىء الأكبر كثيراً من القصائد فى النحو والعروض والاعتزال ، كذلك نظم المؤيد عقائد الفاطميين ليقربها إلى نفوس الناس وإلى عقولهم أيضاً لأنه كان معلماً قبل كل شىء ، ويكاد أسلوبه فى هذه القصائد التعليمية أن يكون نثراً لولا القافية ووزن الشعر مع سهولة فى اللفظ ، فلولا المصطلحات الفاطمية والتأويل الباطنى التى ملأ المؤيد بها نظمه لكان نظمه أقرب إلى كتابة المترفين الذين ألفوا النعومة فى الحياة واليسر فى كل شىء فاختاروا

من الألفاظ أسهلها وأرقها وقعاً على الأذن ، وكذلك كانت ألفاظ المؤيد لينة سهلة رقيقة .

بجانب ذلك كان المؤيد داعيـة لمذهبه وكان يجب أن ينشر دعوته بين الناس وأن يعلم أتباعه من أمر مذهبه كل شىء وفى الوقت نفسه كان يكره أن يعرف الناس من أمر مذهبه كل شىء ولذلك احتاط المؤيد فى نظمه فلم يظهر العقائد كلها فى هذا النظم ، واتخذ التقية مذهبا له يصون بها أسرار المذهب ، فاصطنع المصطلحات الفاطمية التى لا يفهمها كل الناس ودار حول المعانى حتى لا توضح ، وأشار إلى الآراء التى يجب أن تظل سراً مكتوماً دون أن يبين حقيقتها ، وأسلوبه فى ذلك قد انصرف بعض الشىء إلى مذهب بعض الفلاسفة فهو يعرض المسألة أو الموضوع ثم يحاول ويجادل فيه ، ويشكك فى آراء المذاهب المختلفة ويتكلف فى ذلك المصطلحات الخاصة بالفاطميين أو بالفلاسفة والمتكلمين . ولكثرة مناظراته مع غيره أثر فى نظمه إذ اضطر إلى أن يتخذ أسلوب أهل المناظرة والجدل ذلك الأسلوب الذى يشكك فى آراء الخصوم ويدافع عن رأيه .

وهنا نقف وقفة قصيرة لنرى الفرق بين المؤيد الذى نظم عقائد الفاطميين وبين شاعرين آخرين مدحا أئمة الفاطميين بالمصطلحات الفاطمية ، هذان الشاعران هما ابن هانىء الأندلسى والأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى . اشترك المؤيد و بن هانىء وتميم بن المعز فى ناحية واحدة هى تأثرهم جميعاً بالعقيدة الفاطمية وظهر هذا الأثر واضحاً جلياً فى شعرهم . أما ابن هانىء فقد شهد أوائل أيام الدولة الفاطمية فى المغرب ، فاتصل برابع خلفاء الفاطميين — فى عهد الظهور — بعد أن عرف أمويو الأندلس تشيعه فاضطر ابن هانىء إلى الفرار من الأندلس وإلى أن يلحق بالإمام الفاطمى بالمغرب ومدح الإمام وصار شاعره ، وهو على هذا الوجه يشبه المؤيد الذى نقم منه العباسيون فى المشرق لتشيعه فاضطر إلى الفرار منهم إلى الإمام الفاطمى بمصر ، فكلا الشاعرين اضطهد فى بلده والتجأ إلى الإمام محتمياً به مادحا اياه ولكن ابن هانىء لم يكن داعياً أو معلماً من معلمى مذهبه ، فقد غلبت عليه صنعة الشعر وانشاده فكان كغيره من الشعراء المتكسبين الذين يصنعون الشعر ويجهدون أنفسهم فى تنميقه وزخرفته ثم يعرضون شعرهم على الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة ليأخذوا منحهم وعطاياهم ، فابن هانىء مدح الإمام المعز كما مدح القواد والأمراء متكسباً بشعره بخلاف المؤيد الذى لم يمدح إلا الإمام فقط ولم يتكسب بشعره بل دفعه مذهبه الدينى إلى أن يمدح الإمام دون غيره ، وابن هانىء كان كغيره من الشعراء أكثر مدحه للإمام كان بالجود والكرم والشجاعة وقوة البأس إلى غير ذلك من الصفات التى عرفت بين الشعراء المتكسبين فكان يمدح المعز بقوله مثلا :

في الغيث شبه من نداك كأنما مسحت على الأنواء منك يمين
أما الغنى فهو الذى أوليتنا فكأن جودك بالجلود رهين

وديوان ابن هانىء مملوء بمثل تلك المعانى التى كان الشعراء يكثرون من ترديدها لاستدرار العطاء والنوال . أما المؤيد فلم يذكر مثل هذه المعانى إلا قليلا جداً لأنه لم يكن يطمع فى عطاء أو نوال ، ويخيل إلىّ أن المعز لم يرد بكثرة عطائه لابن هانىء ولم يغدق عليه هذه الأموال التى حدثنا عنها المؤرخون إلا كى يشيد ابن هانىء بملك المعز وأن يتخذ المعز من الشاعر لساناً يدافع به عن ملكه ومذهبه .

وبجانب هذه الصفات العامة ـ ان صح هذا التعبير ـ التى مدح ابن هانىء بها المعز نجده قد مدحه أيضاً ببعض الصفات الدينية التى خلعها الفاطميون على أئمتهم فقد سمى المعز « وصى الأوصياء ».

تؤم وصى الأوصياء ودونه صدور القنا المرهفات البواتك

نعته بهذه الصفة مبالغة فى تعظيمه بينما المؤيد لم يلقب إمامه بالوصى محتفظا بالوصاية لعلى بن أبى طالب دون غيره من أبنائه الذين كانوا أئمة فقط ، ولهذا قال المؤيد للامام إنه « ابن الوصى » .

ذو وصى سل روح الكفر من أحشائه بصارميه حين سل

وقوله :

وابن الوصى المرتضى ويمينه وحسامه يوم الوغى وسنانه .

فكأن ابن هانىء ذهب به مذهبه الشعرى فى المبالغة إلى أن يضيف إلى الإمام صفات ليست له ، وكذلك قول ابن هانىء إن المعز هو الصمد فى قوله :

رأى أن سيسمى مالك الأرض كلها فلما رآه قال ذا الصمد الوتر

وأرجح أنه لم يأت بلفظ الوتر إلا للقافيــة ولو لم تكن القافية لأتى بلفظ القرآن « الأحد الصمد » وكذلك وصفه للإمام بصفات الله تعالى التى وصف بها نفسه فى القرآن الكريم كقوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

قد يكون لابن هانىء بعض الأعذار فى أنه مدح الإمام بمثل هذه الصفات ، فقد ذكرنا كيف نفى الفاطميون هذه الصفات عن الله تعالى وقالوا إنها صفات المبدع الأول الذى هو ممثول الإمام ولهذا مدح ابن هانىء إمامه بصفات المبدع الأول الباطنية ، وكذلك فعل المؤيد أيضا فى شعره ، ولكن المؤيد كان حريصا على أن لا يذهب الناس فى تكفيره ما ذهبوا فى ابن هانىء كما كان حريصا على ألا يتهم الناس مذهبه إذا سمعوا مثل هذا القول قبل أن يدركوا تأويله ، ولذلك لم يأت المؤيد فى ديوانه بوصف الإمام باسم من أسماء الله كما فعل ابن هانىء بل كان يصف إمامه بصفات العقل الأول التى لا يستطيع أن يفهمها على حقيقتها إلا الفاطميون وإذا قرأها غير الفاطميين لا يجدون فى قوله ما يدعو إلى رميه بما رمى به ابن هانىء ، فمن هذه الناحية ظهرت حكمة المؤيد وبعد نظره فقد جمع بين ما أراده من مدح إمامه وبين البعد عن إثارة الظنون والشبهات حوله وحول مذهبه كتلك التى أثارها ابن هانىء ، فمثلا أراد ابن هانىء أن يذكر أن الإمام خلق من نور الله فتورط فى ذلك وقال :

ما كنه هذا النور نور جبينه ولكن نور الله فيه مشارك

تورط فى هذا المدح لأنه أشرك الإمام بالله إذ جعل الإمام يشارك الله فى ذلك النور حتى إذا كان ابن هانىء أراد أن الإمام له حظ ونصيب من نور الله فهو لم يوفق فى ذلك لأنه أتى بلفظ « مشارك » مما يجعل المعنى مشتبها . أما المؤيد فأراد أن يمدح إمامه بنفس المعنى الذى قصد إليه ابن هانىء فقال صراحة :

من نور ربى خلقوا طابوا وطاب الخلق

فوفق فى ذلك أكثر من ابن هانىء . كذلك نستطيع أن نقول عن كل المعانى الفاطمية التى ذكرها ابن هانىء فى ديوانه ، فقد ذكر ابن هانىء كثيرا من عقائد الفاطميين كالتأويل وأصحابه ووجوب ستره ، وضرورة وجود الإمام فى كل عصر ، وأن الدنيا خلقت للإمام كما خلق الجسم للنفس ، وأنه معصوم إلى غير ذلك من الصفات الكثيرة التى نجدها متفرقة فى شعره ، ومع ذلك كان ابن هانىء يختلف عن المؤيد فى نظمه للعقائد فابن هانىء كما قلت كان شاعرا قبل كل شىء ولم يبسط العقائد كما بسطها المؤيد ، ولم يجادل المذاهب الأخرى بحجة المنطق كما جادلها المؤيد ، ولم يستطع ابن هانىء أن يتغلغل فى أسرار الدعوة ويطلع عليها وعلى دقائقها كما اطلع المؤيد ، لأن ابن هانىء كان كل همه أن يضمن شعره بعض المصطلحات الفاطمية حتى تعلو مرتبته ومكانته عند المعز ، والمؤيد كان معلما قبل كل شىء قصد نظم

العقائد للدعوة والتعلم بخلاف ابن هانئ الذى ذكر هذه العقائد فى شعره لينتفع باموال الامام ، فبينما كان المؤيد فى أكثر قصائده يطنب فى ذكر العقائد حتى كان يلهيه ذلك عن ذكر الإمام كان ابن هانئ يتفنن فى مدح الإمام ويحاول أن يجد الألفاظ التى يمدح بها الإمام . فكثيرا ما تمر بأبيات متتالية عديدة ليس بها شئ من المعانى الباطنية بل نجد بعض قصائد لم يذكر ابن هانئ فيها أى معنى من المعانى الباطنية بل لا تظهر هذه المعانى إلا بقدر ولا سيما فى القصائد التى مدح فيها المعز أو يحيى بن على بن حمدون الذى وصفه ابن هانئ بالدعوة ، أما عند المؤيد فلا نجد قصيدة من قصائده لم يتضمنها المصطلحات والعلوم الباطنية .

وبينما غلب أسلوب الشاعر الصانع على ابن هانئ نجد المؤيد قد غلب عليه أسلوب العالم ومع ذلك فالمؤيد كان يصطنع الألفاظ السهلة القريبة إلى السمع وإلى الذوق بخلاف ابن هانئ الذى كان يتعمد الاكثار من الغريب واستعمال الألفاظ الضخمة التى لا تتفق مع ما كان عليه شعر القرن الرابع من سهولة ولين .

أما تميم بن المعز فهو كما نعلم من بيت الخلافة الفاطمية ، كان أبوه إماما من أئمتهم وكان أخا لإمام من أئمتهم ، بل كانت الإمامة ستئول إليه بدل أخيه العزيز بالله ، لو لم ينص المعز على أن يليها العزيز [(١)] ، فلم يهتم الأمير تميم بالخلافة ولم يقم وزنا للملك ، وتفرغ إلى ما كان يتفرغ إليه الأمراء الزاهدون فى الملك فعكف على اللهو والمجون وإنشاد الشعر ، وأكثر فى شعره من الحديث عن اللهو والمجون ووصف الشراب والقصف ، وأولع بوصف الطبيعة وبجمالها ، أما المعانى الباطنية والعقائد الفاطمية فكان يلم بها إلماما يسيرا عند ما كان يمدح أخاه العزيز ولكنه لم يكثر منها كما أكثر ابن هانئ والمؤيد ولم يذكر المعانى الباطنية الخالصة التى أتى بها ابن هانئ والمؤيد ، ليس معنى ذلك أن الأمير الشاعر لم يكن على علم بالعلوم الباطنية والمعتقدات الفاطمية بل كان يستطيع أن يأتى منها بما يعجز عنه غيره من الشعراء والعلماء ، ولكنه لم يشأ أن يكون كغيره من الشعراء المتكسبين الذين كانوا يذكرون الآراء الفاطمية تقربا بها إلى الأئمة ، فلذلك مدح أخاه بالمعانى المألوفة التى كان يرددها الشعراء كما مدحه ومدح نفسه بانه من نسل النبى والوصى والبتول :

فيابن الوصى ويابن البتول ويابن نبى الهدى المصطفى

(١) جاء فى سيرة الأستاذ جوذر ان الامير تميم كان أكبر سناً من العزيز وان الناس كانوا يظنون أن نص الامامة له ولكن المعز نص على العزيز لما عرف عن تميم من مجون وعبث وبعد عن الأخلاق التى يجب أن يتحلى بها الامام .

ويابن المشاعر والمروتين ويابن الحطيم ويابن الصفا
لك الشرف الهاشمى الذى يقصر عنه علا من علا

كما أكثر من القول بأن طاعة الإمام واجبة ، وأن الإمام حجة الله فى عباده ، ومع ذلك فتميم لم يجعل العقائد أصلا فى مدحه ، ولم يرتق بالمعانى الفاطمية إلى دقائقها وأسرارها كما فعل المؤيد ، فمن السهل اليسير أن يمدح كل علوى بالقصائد التى أنشدها تميم فى أخيه العزيز ، بينما لا نستطيع أن نمدح بقصائد ابن هانئ والمؤيد إلا أحد أئمة الفاطميين ، ونهج الأمير تميم فى شعره منهج القدماء الذين كانوا يبدأون قصائدهم بالغزل والخمر إلى غير ذلك من المقدمات التى اعتادها الشعراء ، وكان يطيل فى هذه المقدمات تطويلا يبعده عن غرضه من القصيدة حتى أخذ عليه المؤيد ذلك كما أخذ عليه مدحه للعزيز بالحسن والجمال ، فقد مدح الأمير تميم أخاه بقصيدة نونية مطلعها :

أسرب مهاً عنَّ أم سرب جِنَّه حكيتهنَّ وأشتُنَّ هُنَّه [(١)]

(١) قصيدة الأمير تميم كما جاءت فى ديوانه المخطوط بليدن والنسخة الخطية التى بمكتبتى ومقارنتهما بما فى دمية القصر ص ٣٨ :

أسرب مها عن أم سرب جنة حكيتهن وانتن هنـه
أأنتن أنجم ذا الجو أم بروج النجوم جلابيبكنه
فضحتن بالحسن أدم الظبا وعبتن فيه ألبابكنه
ولم أر غيدا سواكن مسن فأشبهن من لينهن الأعنه
غصون تقسمن شمس الضحى وكثبان خبت وصبغ الدجنه
حملن محاجر عين المها وأبدين ألحاظ أطلائهنه
فيا ما أعيذب ألفاظهن ويا ما أميلح ألحاظهنه
إذا رمن ظلما فسلطانهن علينا ملاحة أحداقهنه
برزن لنا عاطرات الجيوب بسفح الكثيب فؤادى بونه
فعطرن من طيبهن النسيم وأبدين من لوعتى المستكنه
ولما سفرن صبغن الضحى بماء الخدود وتوريدهنه
فلله هاتا غداة انقضت بطاعتنا وبعصيانهنه
وصهباء تغدو لشرابها إذا ابتكروها من الهم جنه
تطوف علينا بأبداحها حسان حكتهن فى بشرهنه
نواعم لا يستطعن النهوض إذا قمن من ثقل أردافهنه
حسن كحسن ليالى العزيز وجئن ببهجة أيامهنه
إمام يضن على عرضه ولا يعتريه على المال ضنه

وعارضه المؤيد فى القصيدة الثانية والعشرين وختم هذه القصيدة بأنها جواب قصيدة الأمير تميم التى بدأها بالغزل وبالحديث عن الخمر كعادته حتى بلغ حديثه عن ذلك نحو نصف القصيدة بينما بدأ المؤيد قصيدته بمدح الإمام مباشرة ، وأكثر المعانى التى ذكرها تميم فى قصيدته أخذها المؤيد ودار حولها ، وردد المؤيد فى عدة أبيات المعنى الذى ذكره تميم فى بيت واحد من ذلك قول تميم :

كلا راحتيك ندى أو ردى كأنك للناس نار وجنة

فأتى المؤيد بنفس المعنى ولكنه أراد أن يفصله ويبين لمن تكون النار ولمن تكون الجنة فقال :

إمام هو النار للكاشحين كما أنه للموالين جنه

ثم نجد المؤيد بعد أن قال ذلك المعنى تركه إلى غيره ثم عاد إليه مرة أخرى فذكر فى بيتين حال معادى الإمام وما سيلقونه فى النار كأنه قاص يعظ الناس ويخيفهم بذلك العذاب إن لم يتبعوا الإمام .

ومعنى آخر أخذه المؤيد فى هذه القصيدة من تميم وأخذه تميم من أبى نواس قوله :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتهابك النطف التى لم تخلق

= فسل هل غدت قط أمواله وأمسين من جوده مطمئنه
وهل أبصرت قط أرماحه عيون الورى غير حمر الأسنه
سحائب كفيه منهلة علينا بمعروفه مرجحنه
معالى برار علون النجوم ونلن من المجد ما لم ينلنه
كلا راحتيك ندى أوردى كأنك للناس نار وجنه
إذا قال اتبعه بالفعال وإن جاد لم يتبع الجود منه
فلولاك لم يعد فينا الهدى منيرا ولم يصبح العفو سنه
منعت الخلافة منع الأسود إذا ما غضبن لأشبالهنه
وأمضيت عزمك حتى أخفت به فى بطون النساء الأجنه
يليق بك الملك حسنا كما تليق المعالى بأربابهنه
وإنى وإن كنت نجل العز لعبدك والحق ما إن أكنه
يرى الخير من أضمر الخير فيك وجوزى بالشر من قد أخنه

ولكن كان الأمير تميم أقل مبالغة من أبى نواس فقد جعل الأجنة فى بطون الأمهات هى التى تخاف من الإمام .

وأمضيت عزمك حتى أخفت به فى بطون النساء الأجنه

أما المؤيد فقد أشفق على النطف أو الأجنة من بطش الإمام وعزمه ، وعز عليه أن يقول إن النطف أو الأجنة تخاف بل لم يعجبه أن الأجنة تخشى شيئاً ، ولذا كان رؤفا بالأجنة فحور المعنى فقال إن الأجنة تعترف بفضل الإمام وبأياديه عليها :

إمام يعبر عما له من الفضل والمأثرات الأجنه

وهكذا أجاب المؤيد فى قصيدته على قصيدة الأمير تميم فدار حول معانيها حينا ، وحورها حينا آخر .

الفصل الثانى

شعر المؤيد

بجانب هذه الصنعة التى تظهر فى نظم المؤيد وهذا الجهد الذى كلف نفسه مشقة فى نظم عقائد الفاطميين ورده على المذاهب المختلفة ، نجد المؤيد أحياناً قد أرسل نفسه على طبيعتها تحدثنا عواطفه لا عقله وخاطبتنا شعوره وإحساسه لا علمه ، فأتى ببعض أبيات نستطيع أن نسميها شعراً لأنها صادرة عن طبيعة الشاعر وإلهامه ، ونحن نقرؤها فنحس بإحساس الشاعر نفسه ومشاعرنا تشارك الشاعر فى تأثره فنرثى له كما رثى نفسه . فى مثل هذه الأبيات فقط التى يتحدث الشاعر فيها عن نفسه يظهر فن المؤيد الشعرى واضحاً جلياً ، فقد ترك نفسه على سجيتها وشعر وأحس ، وأنشد شعراً فيما شعر وأحس ، ولم يتكلف فى هذا الشعر العناء الذى لقيه فى النظم . فنحن نلمس فى ديوان المؤيد لونين من الفن أولا النظم أو الشعر التعليمى ، ثم فن الشعر الخالص الممزوج بالزينة البديعية . وإذن كان للمؤيد شخصيتان شخصية الناظم الذى أراد أن يودع علمه ومذهبه فى قالب الشعر فأخرج لنا نظماً لا غناء فيه من الناحية الفنية ، وشخصية الشاعر الذى أراد أن يودع عواطفه وإحساسه وشعوره فى شعره . فديوان المؤيد الذى ننشره الآن مزيج بين انتاج دراسته الفلسفية والدينية وعقلة الفلسفى ثم إنتاج خياله الشعرى ، ومن المسلم به أنه من الصعب التوفيق بين الخيال والعلم ، ولذا تكلف المؤيد مشقة فى سبيل التوفيق بينهما فأنتج عقله هذا النظم ، وأنتج خياله هذه الأشعار التى جعلها فى كثير من القصائد مقدمة لإنتاجه العقلى .

أول ما نلمس من شعر المؤيد هو أن المؤيد كان ذاتياً كثير التحدث عن نفسه حتى يخيل إلينا أنه لم يفكر إلا فى نفسه ، وأنه كان منصرفاً عن كل شىء حوله وكل شىء أحاط به فلم يأبه بالطبيعة فلم يصف البادية التى قطعها أثناء فراره من شيراز وسفره إلى مصر أو فى سفره من مصر إلى العراق كعادة الشعراء الذين وصفوا رحلاتهم ، فأبو نواس والمتنبى وصفا رحيلهما إلى مصر ، ولكن المؤيد وصف نفسه فقط أثناء الرحيل ، ولم يصف المؤيد المتنزهات والبساتين التى كانت بمصر كما وصفها الأمير تميم وأبو العباس المصرى وابن حيدرة العقيلى وغيرهم من

شعراء الفاطميين ، إنما صرف المؤيد عن ذلك كله وجعل كل همه ينصرف إلى نفسه فصور لنا شيئاً من حياته الخاصة وشعوره نحو هذه الحياة التى أرغم عليها واضطر إلى أن يحياها . وهو فى مدحه للإمام أو لأهل البيت لا ينسى نفسه أيضاً فهو يذكر نفسه دائماً معهم يعدد مآثره وما قام به آباؤه فى سبيل الدعوة ويختم قصائده بذكر اسمه كعادة شعراء الفرس . فشعر المؤيد إذن شعر شخصى يمثل الشاعر العاطفى الذى ابتلى بمحن وآلام فجرت على لسانه بالشعر ، فهذه الأبيات الكثيرة التى تتحدث عن الشقاء الذى أحاط به والآلام التى منى بها وتقلبات الدهر به تشعر القارئ أنه أمام رجل بائس حقاً امتلأ قلبه بالحزن وتقاسمته الهموم فيشفق القارئ على الشاعر ويتألم لما حل به ، والمؤيد لا يحدثنا عن هذه المحن والآلام بعقله الفلسفى أو بعلمه الغزير بل إن عاطفته صبغت شعره بصبغة شعوره بالآلام وذهب به خياله فى تصوير آلامه إلى درجة أبعدته عن الحقيقة الواقعة بل غلا فى التعبير غلواً كبيراً ، أنظر إلى قوله :

قد كنت أفترس الأسود بفارس   والآن تنهض لافتراسى الشاء

أنظر إليه وقد ارتفع به خياله فوصف نفسه فى الشطر الأول بالشجاعة والإقدام حتى أنه كان يفترس الوحوش الضارية ولم يشأ الشاعر أن يقول إنه كان يصيد الأسود بل اختار لفظ افترس ليؤدى إلى معنى أشد فتكا من الصيد ، وفى الشطر الثانى غلا فى وصف بؤسه وضعفه واضمحلال أمره حتى أن الشاة وهى من أضعف الحيوانات الأليفة تستطيع بسهولة أن تفترسه . ثم انظر إلى قوله :

فالطير إن طار صرت مرتجفاً   والطيف إن طاف انزوى ألما

فهو هنا يصور لنا نفسه المرتجفة المضطربة التى تخاف من كل شىء وتضطرب لكل شىء فإن حوم الطير حوله انتفض فزعاً وخوفاً وامتلأ رعباً ، وإن ألم به طيف أو مر به خيال فزع وجزع وهذا لاشك غلو من المؤيد فى وصف حاله وما هو فيه من بؤس وشقاء .

كان المؤيد منغصاً فى حياته كما حدثنا بذلك فى شعره ، وأكثر من ترديد ما فعل به الدهر وطبيعى أن عقله وتعمقه فى دراسة المذاهب المختلفة ليست السبب الذى من أجله كان منغصاً فى حياته ، فهو لم يكن شاكا فى الأديان ولم يكن شاكا فى أمر النفس بعد الموت بل كان مطمئناً أشد الاطمئنان إلى مذهبه الذى اعتنقه ، وإلى أن نفسه خالدة غير فانية بعد الموت وأن جسده البالى هو الذى سيفنى ، فلم يظهر لنا فى شعر المؤيد هذه الأسئلة التى كان أبو العلاء المعرى يسائل نفسه عنها ويكثر من التفكير فيها والحديث عنها ، ولم يكن لعقله أو لفلسفته

أثر كبير فى شكواه التى بث شعره، وفى حزنه الذى لزمه أكثر أيام حياته، إنما الذى كان ينغص على المؤيد حياته هو الوسط الذى عاش فيه، والبيئة التى أحاطت به، بل ظروف حياته نفسها هى التى سببت آلامه، وكانت هذه الآلام مصدراً لشعر المؤيد الرقيق، فقيام أهل السنة ضده وسعيهم إلى الإيقاع به ونفيه منه، وقيام السلطان العباسى ضده، وعدم وجود نصير له أو مدافع عنه فى بلاده، حتى اضطر إلى الفرار من بلده كل ذلك سبب للمؤيد آلاما شديدة، ثم نظر إلى نفسه بعد وفوده إلى مصر فوجد نفسه حرا ولكنه فى أسر، طليقاً ولكنه فى قيود، كان يخيل إليه أنه يستطيع أن يفعل ما يريد ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً ولا أن يتحرك خطوة، وتنكر له أهل شيعته وعملوا على حرمانه مما هو أهل له وما كانت تصبو إليه نفسه، كل ذلك كان له أثر كبير فى نفس المؤيد وكل ذلك أوحى إلى المؤيد أن ينشد هذه الأشعار التى نراها فى ديوانه. ويخيل إلى أن المؤيد كان سريع التأثر والانفعال ولكنه كان يضطر أحيانا إلى أن يضبط نفسه فكان يصطنع الحلم فى الوقت الذى كان يتكاثر حوله الأعداء كما فعل فى مناظرته مع [illegible] أمام أبى كاليجار وكما فعل فى محاوراته مع رؤساء العرب فى مؤامرة البساسيرى، وكان سريع التأثر والانفعال إذا خلا إلى نفسه أو وجد نفسه مع قوم اعتقد أنهم أقل منه ولكنهم أصبحوا سادة بحكم الظروف التى ساعدتهم ومثل ذلك معاملته مع الوزراء المصريين، كل ذلك كان سبب شكوى المؤيد ومصدر آلامه وبكائه، وإذن فهو إذا سخط على الحياة وطلب الموت والراحة من هذه الحياة فذلك من ناحيتين إحداهما دينية خالصة دان بها مذهبه واعتقدها كل أبناء شيعته الذين كانوا يرحبون بالموت وينشدون الخلاص من الحياة الدنيا، لأن الحياة هى سجن المؤمن وجنة الكافر وأن النفس وهى نور روحانى تكون فى الحياة رهينة محبس الجسم الهيولى الترابى بينما تنتقل بعد الموت إلى عالمها الروحانى بين الأرواح فى عالم القدس فتصبح مؤثرة فى الاجرام بعد أن كانت متأثرة بالاجرام ولهذا نرى المؤيد قد قال مثلا :

ريحانتى الموت وباب أمنى ... إذ كنت أرجو مخلصى من سجنى

أما الناحية الثانية فهى أنه كان يريد أن يتخلص من حياته التى سببت له الآلام وجلبت عليه المصائب المختلفة، فكان يتغنى فى شعره بطلب الموت ليريح نفسه حتى تبلغ مرتبتها فى العالم العلوى ويستريح هو من آلامه التى كان يشعر بها ويقاسى أهوالها.

على أنه يخيل إلىّ أن هذه المصائب التى منى بها المؤيد والتى كانت مصدراً لفن المؤيد الشعرى إنما توالت على المؤيد من المؤيد نفسه، ذلك أن المؤيد شقى زمناً طويلا بعلة الطمع

والطموح إلى مرتبة الدعوة التى كانت تفر منه كلما اقترب منها. وقد تكون علة طمعه هذه نتيجة لتعاليه على معاصريه وغروره بنفسه ومنه على الإمام وعلى المذهب الفاطمى بخدماته فى سبيل نشر الدعوة، فقد كان يعتقد أنه أجدر معاصريه جميعاً بمنصب داعى الدعاة، وأنه أعلاهم كعباً فى خدمة إمامه ومذهبه، وذهب به غروره بنفسه إلى التكبر على الوزراء والقضاة والدعاة، وكان هؤلاء جميعاً يعرفون أن المؤيد أحقهم جميعا بمنصب الدعوة ويعترفون فيما بينهم وبين أنفسهم أنه جاهد فى سبيل المذهب أصدق الجهاد، لذلك كله كانوا يخشون بأسه ويخافون على مراكزهم منه فكانوا يداورونه حيناً ويظهرون الموجدة عليه حيناً آخر، يقربونه طوراً ويضطهدونه طوراً آخر، وكان المؤيد فى هذه الأطوار يظهر العجب بنفسه ويتحدث عن علمه وجهاده حديث رجل مغرور مفتون بنفسه، فكان ذلك الغرور من أشد أسباب شقائه ولو ترك المؤيد غروره وكبرياءه لاستراح من العناء الذى قاساه ومن البكاء الذى اشتفى به ولأراح من كان حوله من ذوى السلطان ولعاش منعما فى بلاده، ويظهر فى شعره وفى سيرته أيضاً ذلك الغرور حتى ذهب به ذلك إلى أنه كان يفاخر بنفسه وهو يشكو ويبكى، ويعدد مناقب نفسه ويمن على الإمام فى الوقت الذى يظهر فيه استكانة وضعفا.

ومن الغريب أن آلام المؤيد لم تذهب به إلى أن ينقد الناس فى أحوالهم وطباعهم، فلم يحدثنا عن الناس كما حدثنا أبو العلاء فى لزومياته، وكل الذى ذكره المؤيد فى نقد الناس كان عن عقائدهم ومذاهبهم الدينية ونقد هذه العقائد والمذاهب. أما أحوال الناس الاجتماعية وضروب معيشتهم فلم يعرض لها المؤيد، كذلك لم يهج المؤيد شخصاً بعينه إلا خلفاء أهل السنة وابن المسلمة وهجاهم لأنهم أعداء أئمته. أما عداوته لابن المسلمة فهى قاسية باقية لم يستطع المؤيد أن ينتزعها من قلبه طول حياته بل عجز موت ابن المسلمة عن محوها، فقد تشفى المؤيد منه وتحدث عن صلب ابن المسلمة على الصارى وقتله على الصورة التى صورتها لنا كتب التاريخ، وحديث المؤيد عن ذلك حديث رجل مسرور فرح لموت خصمه على هذه الصورة مما يدل على أن عداوته لابن المسلمة كانت عنيفة جداً، والمؤيد ذكر ابن المسلمة فى شعره مراراً ملقباً «بابن دمنة» متخذاً هذا اللقب من صفة دمنة فى «كتاب كليلة ودمنة»، ولعل قصة ابن المسلمة مع المؤيد فى شيراز ثم اضطهاد ابن المسلمة للشيعة عامة حتى أمر بنبش قبر موسى الكاظم على نحو ما حدثنا به المؤرخون وذكره المؤيد فى شعره، وسعى ابن المسلمة لدى المعز بن باديس صاحب القيروان لترك الدعاء للمستنصر الفاطمى كانت هذه كلها سبب هذه العداوة الدفينة فى نفس المؤيد حتى امتزجت هذه العداوة بدمه، حتى خيل إليه أن يد

ابن المسلمة امتدت إلى كل حادث ضد الفاطميين ولذا تشفى المؤيد فى هذا الرجل وأظهر فرحه لموت خصمه وعدوه ولم يتورع أمام الموت باظهار هذا الفرح .

من ذلك كله نستطيع أن نقول إن المصدر الأول لفن المؤيد الشعرى هو حياة المؤيد ونستطيع أيضاً أن نقسم شعر المؤيد إلى أطوار حياته أو إلى البيئات التى عاش فيها المؤيد حياته كما رأينا ثلاثة أطوار أولها حياته فى فارس ، وثانيها حياته أثناء فراره ، وثالثها حياته فى مصر ؛ وقد رأينا كيف اختلفت حياته فى كل طور من هذه الأطوار اختلافا بيناً ، وكذلك اختلف شعره بين هذه الأطوار باختلاف مزاج الشاعر وتقلبه بين الرضى والسخط وبين السعادة والشقاء .

كان فى فارس يقيم مستقراً هادئاً عزيز الجانب موفور الكرامة يخشاه السلطان والعامة ويحبه أتباعه وعشيرته واعتز هو بشيعته فقوى بهم فلم يخش شيئاً ، فظهر شعره فى هذا الطور صورة لهذه الحياة الرغدة ولشخصيته القوية فوصف نفسه بالقوة والإقدام حتى بلغ به غلوه إلى أن قال إن الدهر كان يخشى سطوته وجبروته فلم يخضع لسلطان مسيطر ، وأنه ناضل أعداءه بالسيف وناضلهم بالنظم وبالنثر فانتصر عليهم ، وتحمل المصائب بصدر رحب وقلب قوى ولم يجبن أمام غلبة المغلبين فدافع عن نفسه وعن عشيرته ومذهبه ، فكان شعره فى ذلك كله شعر حماسة فيه روح القوة والعزم وفيه الفخر بعلمه وبدينه وبشعره وبخطبه فهو معتز بذلك كله وكرر هذه المعانى :

ويد لم تزل تصول ببأس   كم ثنى دونها العنان الخطوب
ولسان فى حلبة النظم والنثر   بأبكار كل معنى لعوب
وجنان يلقى المنايا كفاحا   ويلاقى الضرغام هو غضوب

فهو فى هذه الابيات وما شاكلها فى ديوانه يصف شجاعته وإقدامه ويحدثنا عن نفسه القوية رابطة الجأش التى لا تأبه بالاحداث والخطوب بل تضطر الخطوب إلى الابتعاد عنه خوفا من سطوته وجبروته ، ويصور بلاغته فى الشعر والنثر فيصف نفسه شاعراً يتلاعب بالمعانى الجديدة التى لم يطرقها شاعر قبله ، ويصف نفسه خطيباً مفوهاً يأسر لب السامعين ببيانه . وانظر إليه مرة أخرى وهو يصف نفسه بذلك كله :

جسمى حمول للنوائب كلها   لكن لى فى الجسم قلب غضنفر
ما راعنى من صائل صول ولا   ضعفت قوى جلدى لبأس مسيطر

فتصور هذا الرجل الذى يتحدى النوائب كلها ، وأنه يتحمل المصائب كلها دون ضعف أو تذمر ، فهو قوى شجاع كالأسود وهو لذلك لم يجبن أمام أحد ولم يخضع لصاحب سلطان فهذه الأبيات وأمثالها التى أنشدها فى فارس تصور شخصية المؤيد القوية وتمثل حياة رجل مطمئن إلى نفوذه وقوته .

وفى فارس نجد ناحية أخرى فى فن المؤيد ذلك أنه كان مطمئناً إلى حياته ولم يصب بعد بما آلمه وأثار حزنه وشجونه وكان يشغل أكبر منصب من مناصب الدعوة فى الجزيرة فقد كان حجة فارس وكبير دعاتها فغلبته طبيعته كمعلم واضطره منصبه الدينى الخطير إلى أن ينظم تعاليم مذهبه فأكثر المنظومات التى تحدث فيها المؤيد عن عقائد الفاطميين إنما قالها وهو فى فارس ، فاذا تصفحنا ديوان المؤيد نجد أن القصيدة الأولى قيلت قبل وفاة الظاهر سنة سبع وعشرين وأربعمائة من الهجرة فقد ذكر المؤيد نفسه مقرونا بالإمام الظاهر :

نظم ابن موسى وهو عبد الظاهر   ذاك الإمام ابن الإمام الطاهر

وكان المؤيد فى ذلك الوقت فى فارس ، وكذلك نقول عن القصيدة الرابعة وغير ذلك من القصائد التى أكثر فيها من الحديث عن العقائد فقد أنشدت كلها فى فارس قبل أن يصاب المؤيد بالمحنة . وفى هذه القصائد كلها التى أنشدها فى فارس لم يشر المؤيد إلى بؤسه وشقائه إنما تغنى دائماً بقوته وفخر دائما بنفسه وبقومه .

ثم بعد ذلك كله يظهر أثر فارسية المؤيد فى ذكر اسمه فى آخر كل قصيدة وهو ما يسمى فى الأدب الفارسى بالتخلص وهذا الفن وجد فى فارس منذ أول ظهور الشعر الفارسى ونجده عند شعراء الفرس فى القرن الرابع الهجرى وما بعده وأخذه المؤيد عنهم . ولا أكاد أعرف شاعراً من شعراء العربية اتخذ هذا الفن فى شعره قبل المؤيد ، فإن صح أن شعراء العربية لم يذكروا أسماءهم فى الشعر إلا فى العصور المتأخرة فيكون المؤيد أسبق شعراء العربية إلى نقل هذا الفن من الفارسية إلى العربية ، ثم نراه أيضاً قد استعمل بعض ألفاظ فارسية كقوله :

إنى اعتصمت بحبل آل محمد   فى الدين والدنيا بشاهنشاه

فكلمة شاهنشاه ليست عربية ، وأحيانا كان يستعمل بعض المعانى الفارسية التى لا أذكر أنى وجدت مثيلا لها فى الشعر العربى القديم كقوله :

ظهر العدل فى محل مام   وغدا فى ضرائع الأنعام

يقول الشاعر إن عدل الإمام شمل جميع أوليائه وانتشر وعم البلاد حتى أن البهائم قد امتلأت ضرائعها باللبن من كثرة غذائها ووفرة الخصب فى البلاد ، هذا المعنى لا أكاد أجد له مثيلا فى الشعر العربى قبل المؤيد ولكنه كثير جداً فى الأدب الفارسى (١) .

و إذن ففارس كان لها أثر فى تكييف شعر المؤيد وتوجيهه إلى ناحية خاصة هى هذه الناحية التى شرنا اليها ومع أن المؤيد فى شعره لم يحدثنا عن البيئة التى كان يعيش فيها فإننا نستطيع بسهولة ويسر أن نتعرف على أشعاره التى أنشدها فى فارس .

أما الطور الثانى وهو حياته بعد أن ترك فارس وقبل أن يصل مصر فقد ظهر فى شعره أنه اختلف تمام الاختلاف عن المؤيد الذى رأيناه فى فارس ، فهو فى هذه المرحلة من حياته رجل خائف يترقب أن يأخذه أعداؤه من كل جانب متحير فى أمره لا يدرى إلى أى صوب يتجه ، ذليل فى غربته ضعيف بوحدته ، شاحب اللون من كثرة آلامه وشقائه ، يبكى طول النهار ويأرق بالليل يذكر حياته فى فارس بين إخوانه وعشيرته فيندب سوء حظه ويشكو الدهر وتقلباته . وشعره فى هذا الطور يمثل الرجل الضعيف الجبان خائر العزيمة الذى لا حول له ولاقوة فلم يجد بداً من الاستغاثة والتضرع ، فاستغاث بالإمام وناشده أن يشد إزره ويكشف عنه الضر ، ووقف على قبر علىّ بن أبى طالب بالكوفة مستغيثاً به كى ينصره على أعدائه وينتقم له ، وأخذ يناجى الله ويتضرع اليه أن يحميه مما أصابه ، قال ذلك كله فى صور شعرية جميلة تشعر القارىء أنه يستمع إلى أنات رجل بائس امتلأ قلبه بالوحدة ووجد نفسه شريداً ضعيفاً لا يقابل فى طريقه إلا عدوا ، ولا يسمع إلا صوت النذير والوعيد ، فقد استطاع أن يعبر عن آلامه فى الحياة ، ونظر إلى الحياة فى هذا الطور بمنظار أسود قاتم وأخذ ينتظر الموت مطمئناً إليه مرحباً به ، صور لنا ذلك كله فى صور شعرية تتلو بعضها بعضاً فى ألفاظ سهلة يسيرة وأسلوب ممتع عذب جعلنى أقول إن المؤيد فى هذا الطور يمثل الشاعر العاطفى حقاً الذى يتحدث عن إلهامه لا عن عقله ، ويملى شعره عن وجدانه ويخاطب العواطف ولا أغالى إذا قلت إن أجمل شعره هو ذلك الذى أنشده فى هذا الطور . كان جل هم المؤيد فى ذلك الطور منصرفا إلى الشقاء الذى أحاط به وفى أعدائه الذين أزعجوه عن دياره ولم يفكر إلا فى نفسه وفيما أصابه وفيما قد يصيبه ، وفى حديثه عن تقلبات الدهر وصف عواطفه وأحواله الخاصة .

ومع ذلك صور هذه التقلبات كما صورها غيره من الشعراء ، فهو هنا يحاكى غيره من

(١) هكذا أخبرنى زميلى الدكتور ابراهيم أمين مدرس اللغة الفارسية بالكلية .

الشعراء السابقين الذين ألمت بهم المصائب وتقلبت بهم الأيام وأحيلك على ما جاء فى ديوان المؤيد من حديث عن الدهر فستجد للمعانى التى قالها المؤيد مثيلا فى الشعر القديم ، ولكن روح المؤيد وعاطفته وفنه تظهر واضحة جلية فى شعره فقد استطاع بمهارة أن يلبس شعره ثوب الحزن الذى لازمه وأن يجعل شعره صورة تكاد تكون ملموسة لشقائه الذى حل به فكثير جداً من الشعراء وصفوا آلامهم ومتاعب حياتهم وتقلبات الدهر بهم ولكن قليلا منهم هم الذين استطاعوا أن يأتوا بمثل الصور التى أتى بها المؤيد وبمثل الأسلوب الذى صاغ فيه المؤيد صوره .

أما المؤيد فى مصر أو فى الطور الثالث ، فكان يختلف عن المؤيد فى فارس أو المؤيد فى طريقه إلى مصر فقد قابل مصر فى أول الأمر مقابلة رجل بائس وجد من يلوذ به ، كان ضالا فوجد هداه ، وكان وهو فى فارس شديد الرغبة فى أن يحج إلى إمامه ويحظى بالمثول بين يديه وها هو قد وجد نفسه فى بلد الإمام ومقره لذلك كله كان شديد الأمل فى أن يجد من إمامه ما هو أهل له ، وأن يرفع الإمام شأنه ويقربه ويعز جانبه ، فظهر شعره فى أول أيامه بمصر شعر رجل جاء يلتمس الخلاص مما حاق به مطمئنا إلى أنه سينال بغيته وسيعيش كما كان مطمئنا فى كنف الإمام ، فهو من هذه الناحية وما كان يملأ قلبه من الأمل كان كغيره من الشعراء الذين وفدوا على مصر ، فأبو نواس فى شعره للخصيب كان قوى الأمل فى أنه سيصيب من الأمير الثروة والغنى فوصف لنا كيف حاولت صاحبته أن تصده عن الرحيل إلى مصر فلم يأبه بأقوالها وخالفها طمعا فى المال ، بينما حدثنا المؤيد كيف أشارت صاحبته عليه بالسفر إلى مصر فقبل مشورتها وعمل بها لأن دينه يأمره بزيارة الإمام ولأنه لم يجد سوى الإمام ملاذا يحتمى به ، وكذلك كان الأمر مع المتنبى فى وفوده على مصر فقد حاول أصحابه أن يصرفوه عنها ولكنه خالفهم فغرب إلى مصر وشرقوا هم إلى العراق ولم يخالف أبو نواس صاحبته والمتنبى أصدقاءه إلا لسبب واحد وهو الأمل فى الحصول على الأموال الجزيلة وهو أمل يختلف تمام الاختلاف عن أمل المؤيد ، الذى لم يقصد إلى مال أو ثروة ، كما قصد الشاعران ، إنما كان سفره إلى مصر لتخفيف آلامه التى لقيها بعد أن أخرج من دياره ثم دعاه داعى الدين إلى أن يرحل إلى إمامه ، ولكنه سرعان ما وجد غير ما كان يطمع فيه اذ انصرف الناس عنه ووجد قلوبا تضمر له الحقد والكراهية ولم يجد من المصريين إلا الاضطهاد والنفور منه ، مثله فى ذلك مثل المتنبى فى مصر كلاهما أسرف فى الاعتداد بنفسه ، وكلاهما غلا فى حسن الظن بنفسه وبالناس ، وكلاهما انخدع بصاحب الأمر بمصر فخاب فألهما وضل سعيهما ، فحاول كل منهما أن يترك مصر قنعا من ذلك ، ولكن المتنبى

استطاع أن يهرب من الأمير بينما بقى المؤيد يتقلب فى حياته فكان يرتفع حينا حتى أصبحت له مرتبة الدعوة ، ويعزل عنها حينا آخر ويطلب إلى الخليفة أن يبعد المؤيد عن مصر . كذلك سخط أبو نواس ودعبل الخزاعى على مصر والمصريين كما سخط المتنبى والمؤيد وخرجا من مصر غاضبين هاجيين أمرائها وأهلها كما غضب وهجا المتنبى ، أما المؤيد فقـد غضب أيضا ولـكنه لم يستطع أن يهجو ملك مصر لأن صاحب مصر إمامه ، بل أخذ يمن على إمامه فى الدفاع عنه وعن آله والدعوة إلى مذهبه وأخذ يشكو قلة إنصافه بعد أن ضحى بما ضحى به فى سبيلهم وأخذ يلح على إمامه أن يصرف عنه ما حاق به من ظلم وفساد حال :

إنى أتيتك يابن بنت محمد   مسـتعديا مستنى الضراء
أأبيت فى البلد الأمين مروعا   وحماك من صرف الزمان وقاء
أينالنى فيك الجفاء مشرقا   وإذا أغرب نحوكم لجفاء

فهو هنا يستعدى الإمام ويرجو حماه ويشكو عدم إنصافه وجفاء الإمام وهذه المعانى نراها كثيرة متفرقة فى قصائده التى أنشدها فى مصر . أما منه على الإمام وعلى الدعوة فقد أسرف المؤيد فى ذكر أثره وأثر آبائه فى نشر الدعوة والذل الذى لحقه فى سبيل ذلك والشقاء الذى منى به بسبب مذهبه :

فيهم لقيـــت وفيهم   ألقى الأذى وأكابد
سل عن مقامى فارسا   من كان ثم يجـــاهد
من معلن دين الهدى   والنور منـــه خامد

وإذا نظرنا إلى منه على إمامه فى الدفاع عنه وعن الدعوة على هذه الصورة التى صورها المؤيد فى شعره نجد المؤيد قد بعد عن الآداب التى وضعها علماء المذهب الفاطمى نحو أئمتهم فمن المؤيد على إمامه وشكواه لعدم انصافه وأن الإمام لم يضعه فى المكانة اللائقة به كل هذا لا يتفق مع قول القاضى النعمان « ينبغى أن تراض النفوس للأئمة على المحنة والرضا وعند المنع والعطاء وعند أحوال الشدة وفى حالات الرخاء فإن صنعوا [أى الأئمة] صنيع معروف إلى واحد وجب شكرهم عليه ولم ينبغ أن يرى المصنوع به أنه جدير به ولا مستحق إياه ولا أن يستشرف نفسه بعد ذلك إليه [١] » وقول النعمان أيضا فى مكان آخر « وينبغى لمن خاطب الإمام ألا يطرى نفسه ولا يظهر الإعجاب بما فيه ولا ما كان منه[٢] » فهل تأدب

(١) الهمة مخطوط ورقة (٦٥) . — (٢) الهمة مخطوط ورقة (٦٨) .

المؤيد بهذه الآداب التى ذكرها النعمان مع تأثر المؤيد بالنعمان فى كل الآراء المذهبية ؟ أظن أن المؤيد كان ضيق الصـدر حين أنشد مثل هذه الأبيات حتى نسى أنه إنما يخاطب إمامه ، وأن شدة غضبه وحنقه اضطرته إلى أن ينسى كل شئ إلا نفسه وأبى ألا يفكر إلا فى ماضيه وحاضره ، أضف إلى ذلك ناحية الغرور الذى كان يلازمه فى كل أطوار حياته حتى جعله يمن على إمامه ومذهبه ويبتعد بعض الشئ عن آداب مخاطبة الأئمة . .

ناحية أخرى نراها فى شعر المؤيد فى مصر ذلك أن المؤيد شاهد وهو فى مصر ما كان قد سمعه عن النيل وفيضانه وتمساحه فذكر ذلك فى الشعر فذكر النيل الفائض كنى به عن النعيم الذى وجده فى مصر ، وشبه الإمام بالتمساح فكما أن التمساح يحاول الفتك بكل من يقترب من النيل كأنه يحمى النيل كذلك الإمام يحمى وادى النيل :

وشققت جيب الأرض شقا نحو من   وقفت لديه ركائب التـأميل
فرأيت نيـــلا فائضـا ، تمساحه   متشمر يحمى حريم النيـــل

وهنا نلاحظ الفرق بين أبى نواس عند ما ذكر النيل والتمساح وبين المؤيد فأبو نواس حظر من ركوب النيل وخوف من تمساح النيل ولذا نراه قد هجا النيل والتمساح بقوله :

أضمرت للنيل هجرانا وتقلية   إذ قيل لى انما التمساح فى النيل

وكما ذكر أبو نواس فى مصر قصة موسى وفرعون وقال للمصريين أو لأمير مصر « إن عصا موسى بكف خصيب » كذلك تذكر المؤيد قحط مصر أيام يوسف الصديق فقال عن نفسه إنه أتى مصر ليكشف القحط عنها ولـكنه تدارك هذا القول لأنه لم يبلغ بعد درجة يوسف فيشبه نفسه به إنما دفعه إلى ذلك الغرور بنفسه فتراجع بعد ذلك وقال إن يوسف نفسه أى الإمام فى مصر :

وقـــت مطـــريا فى جسم دين   لبـــاسا لا يطريه المـــطرى
لأكشف قحط مصر — وذاك بدع   وهـــذا يوسف فى أرض مصر

ومن الغريب أيضا أن لا نرى المؤيد قد تأثر بما كان حوله فى مصر سوى ذلك فلم يذكر شيئا عن الحفلات والمواكب التى ابتدعها الفاطميون فى مصر والتى كانت تدعو إلى أن يشيد بها رجل خدم الدعوة الفاطمية بينما نجد شاعرا معاصرا له كان يعتنق نفس المذهب

الذى كان يدين به المؤيد أتى مصر فى وقت واحد تقريبا مع المؤيد ووصف مصر وصفا يكاد يكون دقيقا وتحدث فى شعره وفى نثره عما رآه فى مصر ذلك الشاعر هو ناصرى خسرو الفارسى ولا أدرى كيف لم تثر مصر خيال المؤيد حتى أهملها — ويخيل إلى أن المؤيد ترك ذلك كله وشغله عن ذلك التفكير فى نفسه ، وأنه لم يكن بالشاعر الذى يتأثر بالطبيعة وجمالها وأن سعة خياله كانت محدودة حتى أنه عند ما أراد أن يتحدث عن قصر الخليفة لم يستطع أن يصف القصر وأبهته وجلاله بل ترك وصف القصر إلى مدح من بالقصر كأن القصر نفسه لم يثر خياله ويشحذ قريحته أو أنه كان متجها إلى مدح الإمام فلم يجد إلا بيتا واحدا ذكر فيه القصر كمقدمة يصل بها إلى مدح الإمام . وعند ما ذكر مجلس الدعوة لم يستطع أن يقول أكثر من أن اليوم الذى يعقد فيه مجلس الدعوة عيد المؤمنين يجنون فيه ثمار هذه المجالس مع أنه كان يستطيع أن يرسل شاعريته وخياله إلى مدى أوسع وإلى أفق أبعد مما حدثنا به ولكن المؤيد كان شاعراً ذاتياً يتحدث عن نفسه ويحسن الحديث عن حاله أكثر مما كان يتحدث عما حوله فقد كان يرى نفسه أهلا للفخر حتى بعد أن ذاق الذل وانتصرت عليه المحن والخطوب وكأنه لم ينشد هذا الشعر إلا ليعزى نفسه فهو لم يحتمل ما احتمل إلا فى سبيل الدعوة وفى سبيل الأئمة وهذه عنده بل عند شيعة الفاطميين نعمة لا تتاح إلا للمخلصين ولذلك كان مطمئنا إلى أن ما لاقاه من المصاعب والآلام هى شفيع له عند الأئمة وعند ربه .

تأثر المؤيد بالقدماء

وهناك ناحية أخرى نراها واضحة جلية فى فن المؤيد الشعرى تلك هى محاولته محاكاة الشعراء الذين سبقوه فالمقدمات التى نراها فى أوائل القصائد والتى أنشدها ليهيىء بها الأذهان قبل الوصول إلى غرضه لم يكن فيها إلا مقلداً لغيره من الشعراء القدماء فقد عمد مثلا إلى الغزل فى بعض قصائده فشبب وأجاد فى التشبيب حتى يخيل إلى القارىء أن المؤيد شاعر من الشعراء الغزلين بل من تلاميذ مدرسة عمر بن أبى ربيعة الذى كان يحاور صديقته فى شعره ويتحدث إليها وتتحدث إليه ولكن شتان بين الشاعرين فعمر لم يكن عفيفاً بخلاف المؤيد الذى لم نعرف عنه فاحشة ولم يذكر لنا المؤرخون أنه أحب امرأة أو تغزل بامرأة معروفة ولم نعلم أن النساء كن يستهوينه أو أنه كان صاحب لهو وقد حدثنا المؤيد نفسه فى شعره بأنه عاش عفيفاً طول أيام حياته :

قد شيبت منى العذار العفة ... ما زلت من ميزانها فى الكفه
ما شاق قلبى وتر أو زمر ... ولم تدب فى عروق خمر
عبادتى كل الزمان عادتى ... ما ملكت يد الهوى مقادتى

فوصف نفسه فى هذه الأبيات بأنه رجل صالح متعبد فى جميع أطوار حياته لم يذق الخمر ولم يتأثر بسماع غناء أو زمر ومع ذلك نراه قد بدأ بعض قصائده بالغزل شأنه فى ذلك شأن شعراء الجاهلية ومن تبعهم من شعراء العربية وظل هذا سبيل الشعراء حتى أراد شاعر كأبى نواس أن يجدد فى شعره وألا يتقيد بمنهج القدماء فتهكم بهم وبغزلهم ، ولكن أبا نواس اضطر أيضا إلى أن يترك تجديده وإلى أن يحاكى القدماء وينهج نهجهم عند ما كان يمدح الخلفاء أو الأمراء ، وجاء المؤيد بعد أبى نواس بثلاثة قرون تقريبا فأبى إلا أن يسلك الطريق القديم وأن يبدأ أكثر قصائده بالغزل كما بدأ القدماء ، وأن يذكر حنينه لبلاده كما حنوا . ففى حديث المؤيد عن شيراز وأهله الذين تركهم واضطر إلى أن يعيش بعيدا عنهم كان يترحم على أيامه التى قضاها فى بلاده هانئا بين إخوان له يحب بعضهم بعضا ويعطف الواحد على الآخر وكان إخوانه هؤلاء يحملون للمؤيد فى نفوسهم أسمى احترام وولاء فبكى لفراقهم وأظهر جزعه لما قد يصيبهم بعده ، كما كان يتحدث أيضا عن أهل بلده المتحاسدين المتباغضين الذين سعوا للايقاع به واضطهاده ولذلك نرى فى شعر المؤيد عاطفتين نحو بلاده عاطفة البغض والمقت الشديدين أظهرها عند ما تذكر أن أكثر أهل شيراز يدينون بمذهب يخالف مذهبه وأنهم فى نزاع دائم مع شيعته :

إن تكن لى شيراز دار ومنها ... نشأ الجسم لى وليدا وشبا
لحقيق مقتى لها فهى عش ... لعتيق ولادلم الرجس نصبا

فحدثنا بهذا الشعر بأنه كان يبغض بلده التى ولد وترعرع فيها وان غضبه أو بغضه إنما يرجع إلى أن أهالى شيراز يدينون بمذهب أهل السنة فلو لم يذهب أهل شيراز إلى هذا المذهب ما وجد المؤيد سبيلا إلى الغضب من بلده . أما العاطفة الأخرى التى تظهر لنا فى شعره فهى عاطفة حبه لبلاده وحنينه إليها وتغنيه بأيامه فيها وحسرته على فراقها ، وهى عاطفة كما ترى تخالف عاطفته الأولى . وأكثر شعره الذى حدثنا فيه عن بلاده انما حدثنا فيه عن حنينه وحبه لبلاده ولأخواته وعشيرته فهو على هذا الوجه مقلد للقدماء الذين حنوا إلى بلادهم بعد فراقها ووصفوا حنينهم فى أشعار بها لوعة لفراق البلاد ومن بها . على أن

القدماء اعتادوا أن يتحدثوا عن أوطانهم فى أوائل شعرهم بينما لم يذهب المؤيد مذهبهم فى ذلك بل كان يلم بذكر فارس فى أول القصيدة أو فى وسطها أو فى آخرها فكأنه لم يتخذ ذكر الحنين إلى بلاده وسيلة فى شعره فقط كالقدماء بل كان غاية أيضاً .

وجل المعانى التى أتى بها المؤيد فى شعره قديمة معروفة طرقها كثير من الشعراء فتأثر المؤيد بهـا ، ونجد فى ديوانه أثرا واضحا لبعض الشعراء الذين سبقوه فمثلا نجد المؤيد فى مطلع قصيدته العشرين قد قال :

لقـد علمت مصرها والشـام   وقطـر الحجاز وأرض اليمن
وفارس من قبلها والعراق   إلى السند عمرانها والدمن
بأنى سـيف لآل النبى   صقيل صقلت بماء اللسن

هذا المطلع نفسه تقليد يكاد يكون حرفيا لقول المتنبى فى مقصورته :

لتعـلم مصر ومن بالعراق   ومن بالعواصم أنى الفتى

ومما لا شك فيه أن المؤيد أخذ قول المتنبى وبنى عليه قصيدته ، ولا نستطيع أن نقول إن توارد الخواطر هو الذى دفع المؤيد إلى أن يقول ما قاله المتنبى فمما لا شك فيه أيضا أن المؤيد قرأ شعر المتنبى ويدلنا على ذلك قول المؤيد عن المتنبى :

فغدوت باللأواء مفصوم العرى   من طول ما تعتادنى اللأولاء
مـترنما دهـرى ببيت قاله   من ليس ينكر فضـله الشعراء
« وشكيتى فقـد السقـام لأنه   قد كان لمـا كان لى أعضاء »

فقد تمثل المؤيد هنا ببيت من أبيات المتنبى التى مدح بها أبا على هرون بن عبد العزيز الاوراجى وذكر المؤيد أن صاحب هذا البيت سيد الشعراء لأنهم لا يستطيعون أن يجحدوا فضله ، ومعنى ذلك أن المؤيد كان يعرف الكثير من شعر المتنبى وكان يشهد للمتنبى بالتفوق فى الشعر وحاول أن يقلد المتنبى فى بعض أشعاره فإذا هو مرة يضمن قصيدة من قصائده بيتا للمتنبى وأخرى يأخذ معانيه وألفاظه كما رأينا . وكذلك ضمن المؤيد فى إحدى قصائده بيتا من شعر العرجى دون أن يشير إلى أن هذا البيت قديم فلولم نعلم أن العرجى قال :

أضاعونى وأى فتى أضـاعوا   ليـوم كريهة وسداد ثغـر

لذهبنا إلى أن هذا البيت من قول المؤيد الذى أخذ هذا البيت وأدخله فى شعره دون أن يشير إلى أنه للعرجى ويخيل إلى أن المؤيد قد تمثل أمامه العرجى وهو يقول هذا البيت وذكر المؤيد أن حياة العرجى تتفق فى بعض نواحيها مع حياته ، فالعرجى كما نعلم أبلى عن المسلمين فى الحروب بلاء حسنا وأنفق مالا جزيلا فى سبيل نصر المسلمين ومع ذلك لم ينفعه بلاؤه فى الحروب ولم يفده المال الذى أنفقه فلم يأبه به الخليفة الاموى وانتهت به حياته إلى السجن وكذلك المؤيد فقد أبلى بلاء حسنا فى سبيل الدعوة والأئمة ودافع عن الدعوة وعن الأئمة بلسانه وقلمه ومع ذلك أخفق فى آماله ومطامعه ولم ينفعه بلاؤه ولا دفاعه فتمثل بهذا البيت من شعر العرجى .

وإذا نظرنا إلى قصيدة المؤيد الرائية التى قال فيها :

لأنى غريب فؤادى حـريب   عليه الليـالى بليل تكر
طريد شريد فريد وحيـد   فقيـد لالف وديد يبر

نراه متأثرا ولا سيما فى البيت الثانى بأبيات مسلم بن الوليد :

ويحى أنا الطـريد   ويحى أنا الشـريد
ويحى أنا المعـنى   ويحى أنا الفـريد
ويحى أنا الممـنى   ويحى أنا الوحيـد
ويحى أنا المبـلى   ويحى أنا الفقيـد

فهذه الألفاظ التى فى شعر مسلم « الطريد ، الشريد ، الفريد ، الوحيد ، الفقيد أخذها المؤيد الواحدة تلو الأخرى على النسق الذى حدثنا به مسلم ونظمها المؤيد فى بيته .

وقد يطول بنا الأمر لو وقفنا على كل قصائد المؤيد لنبين تأثره بالقدماء وتقليده لهم .

كلفه بالزينة البديعية

وكما كان المؤيد مقلداً للقدماء فى ألفاظه ومعانيه كذلك نراه يتأثر بالاتجاه الفنى الذى غلب على عصره أى أنه تأثر بالمذهب القديم الذى أكثر منه مسلم بن الوليد فى القرن الثانى وأبو تمام فى القرن الثالث فى التلاعب اللفظى ، وكان شعراء القرن الخامس يكلفون بالبديع وبالموسيقى اللفظية ويتلاعبون بالألفاظ ، وأعجب جمهرة المتأدبين فى هذا العصر بهذا اللون

من الفن وجاء المؤيد فأسرف فيه إسرافاً شديداً وتكلف الزينة اللفظية والبهرج البديعى الذى أخذ ينتشر ويقوى فى الشعر العربى وفى النثر العربى أيضاً منذ القرن الثانى للهجرة وأخذ علماء البيان يكثرون من الحديث عن هذا الفن منذ عهد الجاحظ حتى إذا كان القرن الخامس وجدنا عدة كتب قد وضعت لهذا الفن وعدة مصطلحات خاصة به تدل على دقائقه وأسراره فلا غرابة إذن إذا وجدنا المؤيد قد ذكر الاصطلاح الخاص الذى وضع للزينة اللفظية وهو «البديع» بمعناه الذى اتفق عليه علماء البلاغة :

وذكرك هجو للهجاء فمن يرد ... بديعاً فذكرى للهجاء هجاء

فكأن المؤيد وهو ينظم هذا البيت قد تمثل أمامه ما ذكره العلماء عن علم البديع وتذكر المصطلحات التى وضعت له فلولا معرفة المؤيد لهذا العلم ما اتى بهذا البيت ، ولو لم يستمع المؤيد إلى الشعر الذى ظهر فيه التكلف والصنعة والتلاعب بالألفاظ لما كلف نفسه وشعره هذا الفن البديعى الذى كثيراً ما كان يفقده المعنى الذى قصد إليه كقوله مثلا :

شقاؤك فى جيد الشقاء قلادة ... وهل عجب أن للشقاء شقاء

وقوله :

بكيت إلى أن صار يبكى لى البكا ... فهل عجب أن للبكاء بكاء

فقد أراد فى البيت الأول أن يصف حال من ترك مذهب الفاطميين ومال إلى غيرهم بأنه شقى وأن شقاءه أشد وأعظم من أى شقاء آخر فتلاعب المؤيد باللفظ كأنه فتن بالقافات الكثيرة التى فى هذا البيت وشغف بلفظ الشقاء فكرر هذا اللفظ فأفسد المعنى وكذلك فى البيت الثانى أعجب بلفظ بكى وما اشتق منه ولكن لم يخبرنا البيت عما أراده المؤيد إذ كيف يبكى البكاء ؟ هذا ما أعجب منه وإن كان المؤيد قد ذهب إلى أنه لا سبيل إلى العجب من بكاء البكاء : ولكن المبالغة المحالة هى التى جعلت المؤيد يقول ذلك .

هذه أمثلة من عبث المؤيد اللفظى فقد حاول التظارف بالفن فجمل فنه بأنواع البديع فكان يكرر اللفظ فى البيت الواحد أكثر من مرة محاولا أن يظهر شيئا من براعته اللفظية كقوله :

شق منى الفؤاد شقا وأشقى ... بالضنا شيقا إلى الوصل صبا

وقوله :

إذا ما لواء الحمد زين أهله ... فأنت لمحمود اللواء لواء

وقوله :

انسان عين زمانه بولائه ... يسطو على غرر الزمان زمانه

وغير ذلك من الشواهد الكثيرة التى نستطيع أن نستخرجها بسهولة ويسر من ديوانه والتى تدل كلها على أن المؤيد كان شديد الشغف بهذا الفن البديعى ولكنه كثيراً ما كان يسقط فى محاولته لهذا الفن لأنه أفسد كثيراً من المعانى التى كان يقصد إليها بمثل هذه المحاولات فكان مثله فى ذلك مثل أبى تمام حين سمعه اسحق الموصلى ينشد :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن ... يرضى المؤمل منك إلا بالرضا

فقال إسحق : « يا هذا لقد شققت على نفسك إن الشعر لأقرب مما تظن [1] » فكذلك المؤيد قد شق على نفسه حتى تكلف مثل هذه الأبيات التى أفسدت عليه شعره .

ولكن نرى من ناحية أخرى أن المؤيد قد اضاف إلى بعض شعره بهذه الزينة البديعية جمالا وروعة حين استطاع أن يلائم بين اللفظ والمعنى وحين استطاع أن يجعل فنه البديعى يتفق مع المعنى الذى قصد إليه فجاءت أبياته بلون من الفن العذب المحبب إلى السمع وإلى العقل معاً كقوله مثلا :

تراه يا صاح صحا عن الهوى ... والصبر قد واصله لما فصل
أم استجار بالنوى من الهوى ... فشفه هذا وهــذا لم يزل
هب الهوى هوى به فى خطة ... كم من شجاع بطل فيها بطل

فواضح فى هذه الأبيات أثر الصنعة الفنية والتكلف اللفظى فقد أجهد المؤيد نفسه فى البيت الأول حتى أتى بجناس فى الشطر الأول ومقابلة بين الوصل والفصل فى الشطر الثانى . وفى البيت الثانى أتى بالنوى والهوى حتى تتم النغمة الموسيقية التى تتألف من اللفظين وازداد تلاعبه فى البيت الثالث فنجد فى الشطر الأول جناسا ثم تلاعباً آخر فى (هب

(١) الوساطة ص ٦٨ .

الهوى) و (هوى به) وجناساً آخر فى بطل وبطل ومع هذا التلاعب اللفظى لم يفسد المعنى الذى قصد إليه الشاعر ثم انظر إلى قوله :

يا للتغرب أنت بئس الداء فغناك فقر والعطاء عناء
والعز ذل والسعادة شقوة واليسر عسر والبقاء فناء

ففى هدين البيتين لا نجد إلا مقابلات بين الألفاظ تتلو بعضها بعضاً ومع ذلك لم يفسد المعنى الذى أراده الشاعر بل كانت هذه المقابلات سبباً فى جمال الشعر .

وعلى هذا النحو استمر المؤيد فى بعض شعره يتلاعب باللفظ وبالزينة البديعية فكان يخفق أحياناً فى الوصول إلى المعنى فكان يأتى باشعار لا طائل تحتها ولا معنى لها وكان يوفق أحيانا أخرى فى هذا التلاعب فكان يأتى بالشعر الجميل فى لفظه وموسيقاه ومعناه .

والجيد من ديوانه الذى أنشره الآن هى عدة أبيات هى التى صدرت عن نفس الشاعر وصورت عواطفه وميوله . أما غير ذلك من شعره ولا سيما القصائد التى أكثر فيها من الحديث عن العقائد فهى قصائد لا تتحقق فيها الوحدة فى التفكير وإن كان يتحقق فى بعضها الوحدة فى بعض أجزائها بحيث تستطيع أن تفصل بعض أجزاء القصيدة دون أن تشعر بتخلخل أو تصدع فى بنائها بل تستطيع أن تنقل بعض أجزاء القصيدة الواحدة عن مكانها وتثبتها فى مكان آخر دون أن يفسد ذلك القصيدة (١) .

وكثيراً ما كان المؤيد يضمن كل بيت معنى مستقلا (٢) . وقد يضمن البيت معنيين يستقل كل واحد منهما جزءاً من البيت كقوله :

إليه انتهى نص الإمامة ، علمه لمرضى قلوب العالمين شفاء (٣)

ففى القسم الأول من البيت مدح المؤيد إمامه بأن نص الوصاية انتهت إلى الإمام ، وفى القسم الثانى مدح المؤيد إمامه أيضاً بأن علم الإمام يشفى مرضى القلوب أى أن المؤيد أتى هنا بمعنيين اختلف أحدهما عن الآخر فالمعانى كثيراً ما تتزاحم فى شعره .

---

(١) راجع فى القصيدة الأولى البيتين السابع عشر والثامن عشر فهما يختلفان فى المعنى عن سابقهما وما بعدهما .

(٢) راجع فى القصيدة الثالثة عشرة من البيت السادس عشر إلى البيت الحادى والعشرين فكل بيت يكاد يستقل بمعنى يختلف عن سابقه وتاليه .

(٣) القصيدة الثالثة عشرة .

خاتمة

لعلك أدركت كيف كان المؤيد عالما من أكبر علماء عصره ، وكيف كان واسع الثقافة والعلم بما كان يدور حوله من مختلف ألوان الحياة العقلية والأدبية ، وكيف شارك فى هذه الحياة العقلية وتلك الحياة الأدبية وكان نتيجة ذلك هذه الكتب التى وضعها المؤيد وأصبحت من أمهات كتب الدعوة الفاطمية بل لا تزال إلى اليوم فى نظر طائفة البهرة من كتبهم المقدسة التى لا يصل إليها إلا من درج فى علوم مذهبهم وبلغ أعلى درجاتها .

وقد ذكرنا كيف أثر المؤيد فى معاصريه تأثيرا قويا واضحا وأنه استطاع أن يخاب معاصريه ببيانه ويسحرهم بفصاحته ويبهرهم بقوة حجته فانقاد له خلق كثير ولا سيما جمهور أهل الديلم فى شيراز والأهواز فكانوا يثورون من أجله إذا أصابه من السلطان مكروه ولم يعبأوا بوعيد الأمراء ولا بتهديد الشعب الذين كانوا يكرهون المؤيد ومذهبه بل استطاع المؤيد ببيانه وحجته أن يجذب السلطان أبا كاليجار إليه بعد أن كان لا يحتمل سماع ذكره بل ذهب المؤيد إلى أبعد من ذلك فقد أخضع السلطان له وجعله يعتنق مذهب الفاطميين ، وأكثر من هذا كله فقد امتدت يد المؤيد إلى الخلافة العباسية فى بغداد فاستطاع بدهائه وتدبيره أن ينتزع بغداد من الخليفة العباسى فيُدعى على منابرها للخليفة الفاطمى مدة عام كامل ولو كانت الأمور فى مصر قد سارت على ما أراده المؤيد لفقدت الخلافة العباسية من العالم الإسلامى ولكنه لم يجد بين الوزراء المصريين من يصغى لآرائه ويعمل بمشورته وهكذا كان أثر المؤيد فى السياسة قويا واضحا .

أما من الناحية العلمية والأدبية فقد كان المؤيد معلما له تلاميذ استمعوا إليه وأخذوا عنه ، وكنت أرجو أن تتيح لى ما أعرفه من الفارسية لأتحدث عن تلميذ له عرف عنه أنه من أشد الناس تأثرا بالمؤيد ذلك التلميذ هو ناصرى خسرو الشاعر الفارسى الذى وصف مجلس المؤيد كثيرا فى أشعاره كقوله :

(١) كه كرد از خاطر خواجهٔ مؤيد در حكمت كشاده برتويزدان
(٢) هرآنك أورا ببيند روز مجالس ببيند عقـل را سردر گريبان

(٣) شب من روز رخشان كرد خواجه ... ببرهان هاى چون خورشيد رخشان
(٤) زى گوشهٔ منظر أوبن كريدم ... بزيرى خويش ديدم شرخ گردان
(٥) مرا بنمود حاضر هــر دو عالم ... بيــك جا درتنم پيــدا وپنهان
(٦) بيــك جاما لك ورضوان بديدم ... نشسته در برم فردوس ونيران
(٧) مرا گفتاكه من شاگردا اويم ... أشاره كرد آنــگه سوى رضوان[1]

وترجمتها إلى العربية :

(١) إن الله قد فتح عليك باب الحكمة مما تفتح عنه خاطر الأستاذ المؤيد
(٢) كل من يراه يوم المجلس يرى عقلا مفــكرا
(٣) إن الأستاذ جعل ليلى يوما مشرقا ببراهين منيرة كالشمس
(٤) انى نظرت من زاوية عقله فرأيت الفلك دائرا تحتى
(٥) فقد أطلعنى على العالمين (الظاهر والباطن) على انهما حاضران وفى مكان واحد من وجودى
(٦) انى رأيت فى مكان واحد مالــكا ورضوان واستقر فى صدرى الفردوس والنيران
(٧) وقال لى إننى تلميذه وأشار عندئذ إلى رضوان[2]

وكنت أرجو أن أتحدث عن أثر المؤيد فى ناصرى خسرو ولــكن معرفتى بالفارسية لا تؤهلنى لذلك .

وفى مصر وصل المؤيد إلى مرتبة داعى الدعاة فكان بذلك أستاذها الأكبر واجتمع حوله المؤمنون بدعوته يأخذون عنه أسرار الدعوة ودقائقها وهى التى أودعها المؤيد كتابه المعروف بالمجالس المؤيدية ولــكن لم يصلنا من كتب الدعوة التى وضعت فى مصر بعــد المؤيد ما نستطيع بها أن نقرر مدى أثر المؤيد فى العلماء المصريين .

ومع ذلك فالمؤيد من ناحيــة أخرى يعد أستاذ الدعوة الفاطمية فى اليمن مع أنه لم يرحل اليها بل نقل تلاميذه إلى اليمن آراءه وتعاليمه ، وعلماء الدعوة فى اليمن هم أكثر الناس حديثاً عن المؤيد واقتباساً من كتبه واستناداً لحججه واشدهم اعتقاداً بأن الحق هو ما قاله المؤيد

(١) ديوان ناصرى خسروا طبع طهران سنة ١٣٠٧ ص ٣١٣ س ١٥ .
(٢) تفضل بمساعدتى فى الترجمة زميلى الصديق الدكتور ابراهيم أمين مدرس اللغة الفارسية بالــكلية .

دون غيره من الدعاة ويكفى أن ننقل ما ذكره صاحب كنز الولد[1] لنؤيد ما ذهبنا قال : وسيدنا المؤيد أقرب الحدود إلينا وهو لا يأتى إلا بصحيح ما جاء به الحدود وإلى ما كان فيه شبهة أو فســاد لأن الآخر ينسخ ما جاء به الأول بإيضاح الرموز والمؤيد حجة رابع الاشهاد ذو القوة فى العلم والتأييد والحــكمة والتسديد المنصوص عليه باسم الحجحية كما قال مولاه :

ياحجة مشهورة فى الورى ... وطود علم أعجــز المرتقى

فهذه شهادة من لا ترد شهادته وأمر من لا يرد أمره وتفويضــه له فى نشر ما أحب أن ينشره من العلم بلا حصر ولا قصر لعلمه بما عنده من الحق .

أما الذى نقل آراء المؤيد إلى اليمن فهو تلميذه لمك بن مالك قاضى قضــاة اليمن فى عهد الصليحى ولم أجد فى الــكتب التى تتحدث عن اليمن وتاريخها شيئاً عن لمك بن مالك ولــكن الحسن بن نوح صاحب كتاب الأزهار ذكر لنا قصة طويلة عنه فقال إن الصليحى بعــد أن تم له ملك اليمن ومكة ودعا فى بلاده للمستنصر الفاطمى أرسل قاضى قضاته لمك بن مالك إلى مصر على رأس جماعة من وجوه الأولياء للسماح للصليحى فى النهوض إلى العراق ولما جاء لمك مصر نزل فى دار المؤيد وانتهز هذه الفرصة فأخذ عن المؤيد أسرار الدعوة ، وكان يكتب كل ما سمعه عن أستاذه وظل يلازم المؤيد خمس سنوات ملازمة الظل إلى أن استوعب كل ما عند المؤيد وكان المستنصر قد حجز وفد اليمن لأسباب لم يذكرها ولم يسمح لهم بالسفر إلا بعد قتل الصليحى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة[2] . ولما عاد لمك إلى اليمن بخل بعلمه ولم يسمح إلا بالشىء القليل منه للداعى المــكرم بن الصليحى المتوفى ســنة ٤٨٤[3] والملــكة الحرة أروى وأحمد بن قاسم بن ولى وغيرهم من دعاة اليمن ، ولــكن لمك بن مالك اختص ابنه يحيى ابن لمك بجميع ما عنده من العلم والحــكمة وسلمه كل ما دونه عن المؤيد فهيأ بذلك ابنه يحيى لتولى الدعوة حتى صار يحيى حجة اليمن فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى ، فأخذ يحيى فى إلقاء دروس الحــكمة التى أخذها أبوه عن المؤيد على جمهرة دعاة اليمن ، وذكر منهم صاحب الأزهار

(١) على حاشية المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٣٤ .
(٢) فى كتاب الأزهار أن الصليحى قتــل سنة ٤٥٣ هـ وتبعه فى ذلك الدكتور حسين الهمدانى بينما اتفقت كل كتب التاريخ على أنه قتل سنة ٤٧٣ هـ .
(٣) فى كتاب الأزهار أن المــكرم توفى سنة ٤٧٧ هـ ، بينما كتب التاريخ تجمع على أنه توفى سنة ٤٨٤ هـ .

جماعة منهم الخطاب بن الحسن المتوفى سنة ٥٠٣ هـ وذؤيب بن موسى المتوفى سنة ٥٤٧هـ [١] .

والداعى ذؤيب بن موسى أستاذ الداعى ابراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ وهكذا أخذ دعاة اليمن علوم الدعوة أحدهم عن الآخر وأستاذهم الأول فى ذلك هو المؤيد . وإذا تصفحنا كتب الدعوة التى وضعت فى القرنين السادس والسابع لا نجد كتابا منها يخلو من استشهاد بأقوال المؤيد أو بأشعاره وكان أصحاب هذه الكتب يشيرون إلى المؤيد بقولهم «سيدنا المؤيد» إمعاناً فى تعظيمه ، فصاحب كنز الولد ذكر المؤيد أكثر من أربعين مرة فى كتابه واقتبس من مجالسه ومناجاته وشعره ، وصاحب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد أكثر من ثلاثين مرة كما رتب المجالس المؤيدية وجمعها فى كتاب باسم « جامع الحقائق » . ونقل صاحب كتاب « الأزهار » فصولا بأكملها عن المؤيد منها رسائل المؤيد إلى أبى العلاء المعرى . وإذن فقد كان المؤيد عظيم الأثر فى الدعوة الفاطمية ولا تزال كتبه إلى الآن من أمهات الكتب التى لا يقربها إلا شيوخ الدعوة الطيبية فى الهند واليمن .

أما أثره من الناحية الأدبية فهو اثر ضعيف لا يكاد يذكر فأشعاره ورسائله ومناجاته التى استشهد بها علماء اليمن لم يذكروها إلا لإثبات عقيدتهم الدينيـة ولم يحتفظ علماء الدعوة بديوان المؤيد إلا لأنه أثر من الآثار الدينية ومن كتبهم المقدسة التى يقرأونها بعد الصلاة أو قبلها على النحو الذى يتبعه الصوفية فى قراءة الأوراد . ولو لم تأخذ أشعار المؤيد هذه الصبغة الدينية لضاع شعر المؤيد كما ضاع شعر غيره من الشعراء .

وفى عصرنا الحديث لو لم ينشر الأستاذ مرجوليوث رسائل المؤيد مع أبى العلاء لظل المؤيد مجهولا .

وبعد : أرجو أن أكون بهذا البحث قد وفقت إلى الكشف عن شخصية المؤيد داعى الدعاة ، وأن أكون قد وفقت أيضاً إلى إظهار حقيقة مذهب الفاطميين التى ظلت موضع شك مدة طويلة .

---

(١) كتاب الأزهار ج ١ ص ٣٨ وما بعدها (نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ٢٥٨٤٩) .

ديوان المؤيد فى الدين

رموز النسخ الأصلية

ل : نسخة مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن .

ج : نسخة بمكتبة الأستاذ محمد حسن أعظمى الهندى .

ق : نسخة بمكتبة الأستاذ محمد حسن أعظمى الهندى .

ف : نسخة بمكتبة الأستاذ إيڤانوف .

القصيدة الأولى

حمداً لربٍ قاهر السلطانِ ... فردٍ مليكٍ باهرِ البرهانِ
أتقنَ كلَّ صنعةٍ وأحكمَا ... مَنْ ذا يردُّ ما به قد حكمَا
حكمتُه خافقةُ الأعلام ... تُريكَ وجهَ الحقِّ ذا ابتسام ٣
إذا نظرتَ ساعةً في قدرِهْ ... كشفتَ طامي بحرِها عن دُرَرِهْ

كم ناظرٍ بعينه لا يُبصرُ ... ومبصرٍ بالقلب لا يستبصرُ
ونظرُ المرءِ له شرائطُ ... تاركُها في الظلمات خابطُ ٦
وتلك أن يُوجدَ شمسٌ أو قمرْ ... أو شعلٌ أوْلاَ فلا يُغني النظرْ
كذلك العقلُ لدى التبصُّر ... بذاته في حيِّز التحيُّر
إلاَّ بنورٍ عاضدٍ من خارج ... فعنده يعرُجُ في المعارج ٩
وإنما أمَّتُنا تفرقوا ... إذ بين ذا وبين ذاكَ فرَّقوا
فرضت قلوبُهم أيَّ مرضْ ... وفسدَ الدينُ عليهم وانتقضْ
وأصبحتْ عقولهم مختلَّهْ ... سقيمةً نفوسُهم معتلَّهْ ١٢
فسُلبوا سدادَ قولٍ وعمل ... وعُرضوا لكل خطبٍ وخطل

ونقضوا قواعد الشريعهْ ... كلٌّ له مقالةٌ شنيعهْ
مِنْ مثبتٍ لرؤية الرحمن ... مستشهدٍ بآية القرآن ١٥
ومنكرٍ قد جاءِ ينفي تلكا ... ودونها الكفرَ يرى والشركا

وَمدَّع فى الخير والشر معًا   أنهما اللهُ تعالى صنعا
١٨ وقائلٍ ذلك كلٌّ منا   وذلكم دينٌ به آمنّا

وقائلٍ فى ظُلَل الغمامِ   يأتى مع الملائك الكرامِ
وقائلٍ لله وجهٌ ويدُ   وقوله هذا لديه رشَدُ

٢١ وقائلٍ ذلك حُكمٌ باطلُ   إنْ صحّ ذا فالله شخصٌ ماثل
وقائلٍ بيده يسقينا   فإن(١) ذا من فضله يكفينا
وقائل يقول عرشٌ يحمله   وهو يئط تحته إذ يُثقله
٢٤ فإن(٢) فى معنى على «العرش استوى»   مُبتدعاً كلَّ وركّابَ الهوى
فواحد بالاستواء قالا   وواحد قال وقد أحالا
معنى استوى استولى وهذا(٣) مكنته   وحوله من دينه وقوته
٢٧ فكأن حيناً لم يكن مستوليا   يا منْ غدا عن الهدى مُوليّا
وَهْوَ الذى قد حرّفَ الكتابا   عن وجهه وجانب الصوابا
يُثبتُ شيئاً – ليس فيه – فيه   وحُكمَ آىٍ احكمتْ ينفيه

٣٠ كمثل من قال : «وجوهٌ ناضرهْ»   قال : إلى ثواب ربى ناظرهْ(٤)
ومثل من قال : «وجاء ربكا»   قال : هو الأمر خلاف ما حكا

وأنكرُوا أن عرضَ الأمانهْ   على السموات كما أبانه
٣٣ قالوا جماد هى لاتُكلّفْ   ومثلَ هذا الفعلِ يأبى المنصف
وإنما أهلَ السماء قد عَنى   وعنهمُ باسمِ السماء قد كنى
وبعد ذاك الأرضُ والجبالُ   بمثل هذا القول فيها قالوا

(١) فى ح : وان . — (٢) فى ف : وان . — (٣) فى ل : هذه وفى : ح وف : هذى .
(٤) فى ف : يروى هذا البيت بعد الذى يليه .

ما منعَ الرحمنُ أنْ يُبيّنهْ   أمكنَهُمْ قولٌ ولما أمكنهْ ٣٦
قد جهلوا من الكتاب المحكما   وفيه كلٌّ بالهوى تحكّما
فحين ظنوا أن خرقاً رقّعوا   فى محنةٍ أعظم منه وقعوا
قلنا لهم : أهلُ السماء من همُ ؟   فقولهم ملائكٌ يُسلّمُ ! ٣٩
قلنا : فأهل الأرض ؟ قالوا : الناس   صح إلى حيث انتهى القياس
قد مرّ ذا وبقى الجبالُ   أأهلُها الضباعُ والأوعالُ ؟
إن كان تبديلُ الكتاب عقلا   فدفعُه أكثرُ منه فضلا ٤٢
يا ضعفهم وضعفَ ما تقوّلوا   وسُخف ما برأيهم تأوّلوا

يا أمة عقولُها(١) معزولهْ   وَهىَ إلى آرائها(٢) موكولهْ
توحيدُها التشبيهُ والتمثيلُ   ما إن لها نحوَ الهدى سبيل ٤٥
والأنبياء عندهم فُساقُ   قومٌ بهم تُفتّحُ الأغلاقُ
قالوا : أبونا آدم من بطنته   أوّلُ منْ أوقدَ نارَ فتنته
فقد بدا من حرصه على الشجر   ما كان شر ذاك طائرَ الشرر ٤٨
لو أنه لم يعصِ ما شقينا   وفى عذاب الدهر ما بقينا
قالوا : وتلك حنطةٌ قد كانت   من قبلُ عزّت ، ثم بعدُ هانت
أو شجرُ التين ، ففيه اختلفوا   وكلهم(٣) عن رشدهم قد صرفوا ٥١
يا عظمَ ما كانت به من مخمصهْ   مورثةٍ إياه هذى المنقصهْ(٤)
يا ذُلّه وعزّ تلك الحنطهْ   لعزّها ما أدركته السخطهْ
حتى لها من الجنان أُهبطا   ومن ذُرى عليائها قد أُسقطا ٥٤
أرضاكمُ ذلكَ من معتقدِ   فى آدم المطهرِ النبى الأمجد ؟
جهلتم من الكتاب المحكما   ففيه كلٌّ صار أعمى أبكما

(١) فى ف و ل : عقولهم . — (٢) فى ل و ح : أربابها .
(٣) فى ح : فكلهم . — (٤) فى ف : النقمة .

٥٧ وشأنُ إبراهيم فهو أَقْطَع   لديكمُ وشِرْكُهُ لأشْنَعُ
وقَوْلُهُ للنجم هذا ربى   والبدرِ لما أن بَدَا فى القُطْب
وَجَعْله للشمس رَبًّا أكبَرا   لكونِها من بينهن أنورا
٦٠ أهوَنُ إذنْ بعقله ومَذْهبهْ   فالله لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بهْ
إنْ كان منه الشرك لا يُسْتَنْكَرُ   فَغَيْرُه فى الشرك منه أعْذَرُ
إنِ القُران لهو نور وهُدَى   وقول حق حظكم منه الصَّدَى

٦٣ وأمر لوط عبرةٌ للمعتبرْ   وشأنُه ذِكْرَى فهل مِن مُدَّكِرْ
وقوله : إنَّ بَناتِى أطْهَرُ   مِنْ حيثُ معلومكم مستنكرُ
يأباه من كانت له حَمِيَّهْ   ومَنْ تَكُونُ نفسه أبيَّهْ
٦٦ نظرتمَ جدًّا وما أبصرتُم   ودينَكُمْ على العمى قَصرتُمْ
وإنما أضْلَلْتُمُ السبيلا   لأنكم فارقتمُ الدليلا

وشأنُ داودَ كَلَيْلٍ داجٍ   فى نَعْجَةٍ ضَمَّ إلى النِّعاج
٦٩ ألم يكنْ خليفةً فى أرضِهِ   لله فى إبرامه ونقضِهِ ؟
فَلِمَ غدا إلى اتِّباع الجهْلِ   وَلِمْ تَعَدَّى مُوجبات العقل
قد جلَّ داودُ عنِ الطغيان   وَجلَّ قولُ الله عن بُهْتان
٧٢ لكنما الفسادُ فى المَعَارِفِ   والجهْل أقْوَى سَبَبِ المتالِف

وذِكْرُ مَنْ هَمَّتْ به وَهَمَّا   فقصةٌ إيرادُها أهَمَّا
فيوسفُ إن كان هَمَّ بالزنا   فما الذى يَبْغى سواه مَنْ جَنَى ؟
٧٥ كَذَبْتُم وَصَدَقَ القُرآنُ   وعند أهليه يُرَى البيان

وليس بالهَيِّنِ خَطْبُ المصطفى   وما به من شأن زَيْدٍ قُذِفا
وَهْوَ سَمَاءٌ دونه السماء   وما أقَلَّتْ مثلَهُ الغبراء

جلَّتْ سماءُ العلم عن مَسعى (١) الهِمَمْ   نحو ذُرَاها بذَميمات التُّهَمْ ٧٨
ما عرفوا تحقيقَ معنى ما ذُكِرْ   فى أمر زيد إذ قَضَى منها وَطَرْ
ولو (٢) هُدُوا لذلك التحقيق   لما بَقوا للكُفْرِ فى مضيق

يا قوم : قولُ ذا الكتاب فَصْلُ   جَزْلُ المعانى ليس فيه هَزْلُ ٨١
ففكروا فى « التين والزيتون »   واستكشفوا عن سره المكنون
ولمْ أتى من ربنا به القَسَمْ   كما أتَى بالنون أيضاً والقلمْ
والفَجْر أيضاً وليالٍ عَشْر   والشَّفْع يَحْذُو حَذْوَها والوَتْر ٨٤
ومثل هذا فى الكتاب عِدَّه   يَجِده ذا كَثْرة من عَدَّه
أهُزُوٌ أقْسامه بهذا   أو لَعِبٌ ماذا الجواب ماذا ؟
إن كان برهانٌ لكم فهاتوا   أو لا ـ فكفوا إنكم أموات ٨٧

إن كان إعجازُ القُرانِ لفظاً   ولم يَنَلْ مَعْناه منه حَظًّا
صادَفْتُمُ مَعْقُودَهُ محلولا   من أجلِ أنْ أنكرتُم تأويلا

لو انكم كشَفْتُمُ الغطاءَ   عن القلوب آنسَتْ ضياء ٩٠
يُنْقِذُكم من سُدَف (٣) الظلامِ   فاعترفوا مزيَّةَ الإسلام
وفى حروفٍ فى أوائل (٤) السورْ   مقطَّعاتٍ للانام معتبرْ
ككهيعص الشُّوَرَهْ   فكَمْ مَعانٍ تحتَها مستورهْ ٩٣
جاءت لأنْ تُعْلَمَ لا أنْ تُجْهَلا   لو استحال عِلْمُها لَبَطُلا
إثباتُها فى مُحْكَمِ الكِتَابِ   ذلك ذِكْرَى لأولى الألباب
وربَّ معنًى ضمَّه كلامُ   كمِثْلِ نورٍ ضمَّه ظلامُ ٩٦

(١) فى ف و ح : يشمى . — (٢) ف : فلو .
(٣) فى ل و ف : صدف . — (٤) سقطت فى ل .

باقٍ بَقاءَ الحبِّ فى السَّنابلِ (١) فى مَعقِلٍ من أحرزِ المَعاقلِ
وإنّما بابُ المعانى مُقفَلُ وأكثرُ الأنامِ عنها غُفَّلُ
٩٩ مفتاحهُ أضحَى بأيدى خَزَنَهْ بهمْ إلهى علمَهُ قد خزنَهُ
كيما يلوذُ الخلقُ طُرًّا بهمُ خُصّوا بهذا النورِ (٢) من ربّهمُ
فما أبو حنيفةٍ والشافعى حيثُهُمُ قد نفعُوا بنافعِ
١٠٢ أولئك الأبرارُ آلُ المصطفى ومَن بهم مروءةٌ عزّتْ والصفا
همُ البدورُ والنجومُ اللُّمَّعُ وللهدى وللعلومِ المنبعُ
همُ الثقاتُ والتُّقاةُ للشُّبَهْ والمُنقذونَ الناسَ من كلِّ عَمَهْ
١٠٥ لهم سمعنا ولهم أطعنا فبدّلونا بعد خوفٍ أمنَا
فما علينا مُشكلٌ بمُشكلِ بهم كُفينا كلَّ خطبٍ مُعضلِ
وأرشدُونا سُبُلَ الصوابِ وعلّمونا علمَ ذا الكتابِ
١٠٨ مبرأً من هُجنةِ التناقضِ مسلّماً من خوضِ كلِّ خائضِ
مُتّفقاً مُتّسقاً معناهُ كمثلِ ما فى ذاك قال الله
بَعثاً لنا منهُ على التدبُّرِ وهزّةً لهزِّ هذى الفكَرِ
١١١ لو انّه من عند غيرِ الله لوجدوا خُلفاً بلا تناهى
وإن أجزنا ظاهرَ الكلامِ فى ذاك أسلمناه (٣) للخصامِ
ففى اختلافاتِ القرانِ كثرهْ من كلِّ قولٍ مع كلِّ زُمره
١١٤ هذى مقاماتُ الرجالِ النُّزَّلِ ليستْ بحشوِ صاحباتِ المِغزَلِ
يا قوم سرُّ الملكوتِ هذا يجعلُ أصنامكمُ جُذاذا
سرٌّ له صاحبَ موسى الخضرا قال معى لن تستطيع صبرا
١١٧ وقال موسى سوف ألفى صابرا فلم يكن إذ ذاك إلّا قاصرا
تدبروا القصةَ ماذا يمّما من قصِّها إن لم تكونوا نُوَّما
لعلكم أن تحسبوها سمرا إذاً أسأتُم للنفوسِ النظرا

(١) ف و ق : فى للسنابل . — (٢) ف : الفضل . — (٣) ف ق : سلدناه .

مَنْ كانَ ذا عقلٍ وذا عينَيْنِ يَبلُغُ حقًّا مَجمَعَ البحرَيْنِ ١٢٠
يَشرَبُ مِن ماءِ الحياةِ عَجِلا لا يَبتَغى عنهُ بوجهٍ حِوَلا

يا أمّةً أصبحَ غوراً ماؤُها وأمسكتْ عن صوبِها سماؤُها
قد انطوتْ منّا على الضغائنِ وجعلتْنا عُرضةَ المطاعنِ ١٢٣
ما نقمُوا منّا سوى الولاءِ لسادةِ الخلقِ بنى الزهراءِ
يرمُوننا بالكفرِ والإلحادِ والزيغِ عن مناهجِ الرشادِ
قالوا : هم قد عطّلوا الأديانا وأبطلوا الإسلامَ والإيمانا ١٢٦
يا ربِّ فاحكمْ بيننا بالحقِّ يا عالماً مكنونَ سرِّ الخلقِ
نقول ما قيلَ لخاتمِ الرسُلْ فى الراهبينَ قُلْ تعالوا نبتهلْ
ليلعنِ الرحمنُ منّا الكاذبا كيما يُرى مَن ذا يُردُّ خائبا ١٢٩
نُعابُ والمعيبُ من يَعيبُ وما لنا من أمرنا مَعيبُ
كمُستمِرِّ الماءِ من فرطِ السقم وهو الأليمُ ليس بالماء ألَم
وأيُّنا فى الشرعِ إذ نُثبّتُ كلُّ جَسولٍ جاهدٍ يُبكِّتُ ١٣٢
نستنطقُ الأنفسَ والآفاقا أرضاً وسبعاً فوقها طِباقا
بحُجَجٍ مثلِ السراجِ تلمعُ تقصِمُ كلَّ مُلحدٍ وتقمعُ
ما لِسِوانا هاهنا مقالُ لنا المجالُ فيه والمصالُ ١٣٥
فكيف شرعَ الأنبياءِ ندفعُ وما لنا إلا النبىُّ (١) مرجِعُ
بنورهِ فى الدرجاتِ نرتقى وبالكرامِ الكاتبينَ نلتقى
يا ربِّ فالعنْ جاحدى الشرائعِ وارمِهمُ بأفجعِ الفجائعِ ١٣٨
والعنْ إلهى من يرى الإباحهْ بلعنةٍ فاضحةٍ مُجتاحه
والعنْ إلهى غالياً وقالياً ولا تذرْ فى الأرضِ منهم باقيا
يا ربِّ إنا منهمُ بُراءُ همْ واليهودُ عندنا سواءُ ١٤١

(١) ف . ق : اليه .

فاخزِهِمْ وأخزِ مَنْ رَمانا … بِريبةٍ ولَقِّهِ الهَوانا
فإننا لأهلِ عِلمٍ وعَمَلْ … لله دِنّا بهِما عزَّ وَجَلْ
١٤٤ نُوحِّدُ اللهَ ولا نُشبِّهُ … قد انتَفَتْ في الدين عنّا الشُّبَهُ
بالمصطفى وآله اقتدينا … ثم بهم لا جَرَمَ اهتدينا
فما لنا من دون تقوى لُبْسُ … وما علينا في اعتقادٍ لَبْسُ
١٤٧ يا عجبا مِنْ مُولَعٍ بطعنِهِ … وسبِّهِ العُصْبةِ ولَعْنِهِ
ودينُه أضحى كنسجِ العنكبِ … يُزاحِمُ النّاسَ بغيرِ مَنْكِبِ
كعصبةٍ ذكرُهُمُ تقدَّما … كلُّ سبيلِ رُشْدِهِ قد عَدِما
١٥٠ وهاكَ من غُرِّ القوافي مَصْدَرُهْ … عمَّنْ زكا مِنْ كلِّ عيبٍ جوهرُهْ
نَظْمُ ابنِ موسى وهو عبدُ الظاهرِ … ذاك الإمامُ ابنُ الإمامِ الطّاهرِ
صَلّى عليهِ ربُّنا وسَلّما … كما بهِ أنقذَنا مِنَ العَمَى

القصيدة الثانية

بديعُ شُكرٍ ووسيعُ حَمْدِ … لِمُبْدِعِ الكافِ الرفيعِ المجْدِ
أكمَلَهُ سُبحانَهُ إذْ أبدَعَهُ (١) … مُبتدِياً (٢) واخترعَ النّونَ معه (٣)
ثم أقامَ مِنْهُما ما قدْ عَلا … لِخِفّةٍ وما لِثقلٍ سَفُلا ٣
مِنْ فَلَكٍ طولَ الزمانِ دائرِ … ومن شِهابٍ طالعٍ وغائرِ
والأرض لما أصبحت مِهادًا (٤) … ومن جبالٍ رسَختْ أوتادا
وحيوانٍ باختلافِ الجنْسِ … كامِلةٍ فيها أداةُ الحسِّ ٦
ومن أناسٍ سخّروها عنوةْ … إذْ أصبحوا منها لعمري الصَّفْوةْ
بألْسُنٍ عن أنفسٍ مُترجِمه … كاشفةٍ عشواءَ كلِّ مظلمه
وإنّما الإنسانُ باللسانِ … وشَرَفُ اللسانِ بالبيانِ ٩

ما النونُ يا صاحِ تُرَى والكافُ … فالخَلْقُ دُرٌّ وهما أصْدافُ
إنَّ الذي ظنَّهما حرْفَيْ هِجا … مُستوجِبٌ منْ ذي الحِجا كُلَّ هِجا
هل كافلٌ بالأرضِ والسماءِ … يا عُمْيُ حرْفانِ من الهجاءِ ؟ ١٢
تفهَّموا يا قومُ ما الحرفانِ … إنّ نجاةَ المرءِ بالعِرفانِ
ما فاعِلُ العالِمِ كالمفعولِ … كلاّ ولا الحامِلُ كالمحمولِ

(١) ل . ق : أبدعا . — (٢) ق : مبتدءا .
(٣) ل . ق : معا . — (٤) ف : بهادا .

١٥ والكاف والنون اللذان انتظما ... صُنْعُ الإله منهما
وعنهما يأتلِفُ الوُجُودُ ... لمن هوَ المُشاهد الم
أنَّى يكونان من المَواتِ ... وعَنْهُما مَنابعُ
١٨ هما عظيمان فَجِدُّوا فى النظرِ ... واستخرجوا من لجَّة

فالبحر لو مَيَّزْتُم بحْرانِ ... فواحدٌ قد قامَ
وواحدٌ قد قام للبصائرِ ... وُجُودُهُ وَقْفٌ عل
٢١ فَمَدْرَكُ[2] الأفكار رُوحانىٌّ ... ومُدْرَكُ الأبْصارِ
ذلكَ عُلوى ، وذا سُفلىٌّ ... ذاك سَماوِىٌّ ، وذ
كلاهما مُغْرِقٌ مَنْ خاضهْ ... مُوردُه من الردَى
٢٤ إلَّا الذى يَرْكَبُ فى السفينهْ ... مُدَّرِعا مدَارع

والغرَقُ اثنان : فما للجِسْم ... قِسْمٌ . وما للرُّوح ثا
والجِسمُ تَسْتَغْرِقُه البحارُ ... والرُّوحُ تَسْتَغْرِقه
٢٧ كلٌّ يُريد للنجاةِ مَرْكبَا ... إنْ نالَه فاز ، وإلا
كذلك المرْكَبُ مَرْكَبانِ : ... فمَرْكَبٌ للجسم وا
ومَرْكَب للرُّوح يُنْجى الرُّوحا ... مُجاوزا بالروح[3] هـ
٣٠ إلى فَناءِ ظِلِّه المَمْدُودِ ... فى دار خُلْدٍ وحَ
أعْظِمْ به من عاصِمٍ للمُعْتَصِم ... وعُرْوَةٍ وثيقةٍ لا
إذ لا تَرَى من أمرِ ربى عاصما ... ولا تَرَى للظالم
٣٣ مِنْ فِتْيَة تخلَّفوا من حَمَقِ ... عن مركب يُنْجيهِمُ
فأصبَحوا فى قعرِ بَحْرٍ طامى ... غَرْقى وأمْواجٍ ذو
لا تغتر بصِحَّةِ الأبْدانِ ... أرْواحُهم تنحطُّ

(١) سقط هذا البيت فى ح . — (٢) ف : فدرك . — (٣) للروح : ل .

كَمْ سالمٍ فى جسمه ومُهْجَتِه ... والرُّوح من بَحْر الردى فى لجَّتِه ٣٦
فمَن عدَا اليوم سبيلَ الرَّشدِ ... من العمى يكون أعْمى فى غَدِ
رَمَتْ بهم يَدُ الرَّدَى فى هُوَّة ... فى الدِّين بل جهنمٍ بالقوة
فسقطوا عن مَنْهَج الحقائقِ ... وَشَبَّهُوا الخالِقَ بالخلائِق ٣٩
فالخَلْقُ جِسْمِىٌّ ورُوحانى ... ذلكم بادٍ وذا خَفِى

فقائل قال : تراه العَيْنُ ... وهو لَعَمْرى وَصْمَةٌ وشَيْن
من أجْلِ أن رُؤْية[1] الابْصارِ ... مُخْتَصَّةٌ بالجِسم ذى الأقْطار ٤٢
وقائل قد قال لما دَقَّقا ... جِداً وفى أفكاره تعَمَّقا
ما ذاك إلا قولُ ذى تَضْليلِ ... نَرَاه ، لكنْ رُؤْيَةَ العقول
أمْعَنَ حتَّى ما أتى بشىٍّ ... ولم يُبَيِّنْ رَشداً مِنْ غَىٍّ ٤٥
فالعقلُ للمرء أداةٌ كالبصر ... ذا باطن فيه ، وهذا قد ظهر
فإن جعلْتَ نحوه سبيلا ... للعقل لم تجاوز التمثيلا
كلاهما يُدرِكُ بالمجانسه ... مقالةٌ صَحَّتْ بلا مُمارَسَه ٤٨
وليس مِنْ جِنْس العقول اللهُ ... يا قوم كى تُدْرِكَهُ حاشاهُ
كما تعالى أنْ يَكونَ كالصُّوَرْ ... مُجَسَّماً كيْما يُلاقيه البصرْ
فالفرقتان اجْتَمَعَا مُشَبِّهَهْ ... خَبَّاطَتا[2] عَشْواء جَهْل وعَمَه ٥١
ما جاوَزَتْ حدَّ صفَاتِ البشرِ ... ونَعْتَ أرْواحِهم والصُّوَرِ
ذلك تشبيه فما التوحيدْ ؟ ... وذاك تجسيد فما التجريدُ ؟
ما القلم الجارى بما قد قُدِّرا ؟ ... واللَّوْحُ ماذا ؟ فعلى اللَّوْح جرَى ٥٤
أقَصَبٌ ذلكم أم خَشَبُ ؟ ... أدُرَّة أم فضة أم ذَهب ؟
أيعْقِلان ما سَيَكْتُبَان ... أم يَجْهلان ليس يعقلان ؟
سألتكم بالله قولوا ما هما ؟ ... فما ثَوى ذُو رُتْبَة مثْواهُما ٥٧

(١) ف : برؤية . — (٢) ل . ق . ح : خباطة .

إذ بَيْنَ هذَيْنِ وبَيْنَ الحقِّ ... ليس تُرَى واسطةٌ مِنْ خَلْقِ
يا صَدَفاً يَنْشقُّ عن دُرِّ الحِكَم ... رَمْزاً من الله بلوح وقلم
٦٠ ويا ضلالَ الهَمَج الرعاع ... فى الدين عن مَطارِح الشُّعاع
للأنْجُمِ الزُّهْرِ ولَلأهِلّةِ ... أدِلَّة الحق شُمُوس المِلّة
قد ابتلوا بالخَسْفِ والصواعِقِ ... إذ أصْبحوا أتباع كل ناعق (١)

٦٣ ما العرش والكرسى يا أهل النظر ؟ ... عقلا أريدُ ليس تقليد الخبر
ما العرش ثم العرش مما ذا خلق ؟ ... قولوا فكم خَلْقٍ بذا الماء غَرِق
لا سيما إذ يَحْمِلُ الرحمانا ... مَنْ رَدَّ هذا دَفَع القرآنا
٦٦ إن كان ربُّ العَرْشِ مَحْمُولا له ... كان ضعيفاً عند مَنْ أقلّه
وإنْ يكُ الربُّ لذاك حاملا ... فالعرش إذ سَمَّيْتَ قلت باطلا
فالعرش ما يَحْمِلُ لا ما يُحْمَلُ ... ذا النعت بالحامل جدا أجْمَل
٦٩ هذا شَنِيعٌ منه هذا أشْنَعُ ... وذا فَظِيعٌ منه هذا أفْظَعُ
والذِّكرُ محفوظ بأهلِ الذِّكرِ ... والحق فى أيدى ولاةُ الأمرِ

والبحث من بعْدُ عن الكرسى ... بابٌ مُبهَمٌ ليس بالمَنْسى
٧٢ إذ وسعَ السَّبْعَ الطِّباقَ جُمَعا (٢) ... والأرضَ ذات الطول والعرض مَعَا
ما هو من شيءٍ وماذا صنعه ؟ ... جوهره ماذا وماذا نفعه ؟
ما النفع فى عِرْفانِه للعارفِ ... والضُّرُّ للقاعد عَنْهُ الواقفِ ؟
٧٥ ولِمْ يُقالُ إنَّهُ لا كبرْ ... مِنْ كل خَلْقٍ والجميع أصْغَرُ
سألتكمُ عن غُرَرِ البَيانِ ... لا خيرَ فى دَعْوى بلا بُرْهانِ

والقول قد يُصْبِحُ ذا انبساطِ ... فى الكَشْفِ عنْ حقيقة الصِّراط

(١) ف : فاعق . — (٢) ف . ح : اجما .

وكونه مُمتَدّاً على سَقَر ... أحدَّ من سَيْفٍ أدقَّ من شعَر ٧٨
أما يُقالُ كيفَ ذا الصراط ... قَوْلٌ بقلب ذى النُّهى يُناط
اقصِدْ حِمَى مَمْثولِه دون المثل ... ذا إبَرُ النَّحْل وهذا كالعسل

واتهى القولُ إلى الميزان ... مُمَيِّزُ النقصان والرجْحان ٨١
يقال فيه إنه أدلاهُ ... نحو الثَّرى مِنَ السماء اللهُ
معتبرا بذاك أفعالَ البَشر ... وما أتاه الناسُ مِنْ خيرٍ وشر
فليت شِعْرى لِمَ لا تَراهُ ... إذ كان فيما بيننا مأواه ٨٤
مَنْ لم يَجِدْ بُداً من الميزان ... مَصَحَّةً للوزن كالوزّان
كَفاكَ مِنْه آيةً للنَّقص (١) ... يَكْشِفُ عنه النَّقصَ أىُّ فحص
تطلبوا ميزانَ قِسطٍ قد وُضع ... يخبركم (٢) مِنْ جِهةٍ لا تمتنع ٨٧
لكى ترَوْا مِصْداق قول الله ... وتَسْلَمُوا من ظلم اشتِباه
فإن قصرى أمركم فى طلبه ... مُجاوزاً لشرطه وموجبه
تكذيبكم لله فيما قاله ... جهلا (٣) ولمّا تعلموا أمثاله ٩٠
أو دفعكم عقولكم بالراح ... وزيغكم عن حقِّها الصُّراح
والعقل قد ميزكم عن بُهْم ... راعيةٍ فى الأرض صُمٍ بُكْم

وإن ديك العرش ذو شأنٍ عجب ... قد لزم السؤالُ عنه ووجب ٩٣
قالوا عظيم هو إذ نُعاينُه ... فى تُخوم أرضِنا براثنُه
والرأس تحتَ العرش يَرْويه الأثر ... له جناحان كما جاء الخبر
قد وفّيا (٤) بالشرق والغرب معا ... ذا مغرباً نالَ وهذا مَطْلَعاً ٩٦
ودأبه ترصُّدُ الأوقات ... من قبل الأذان للصلوات
حتى إذا ما حان وقتٌ أذَّنا ... مُذَكِّراً وواعظا لمَنْ وَنى

(١) ف : بالنقص . — (٢) ل : يحشركم . — (٣) ل : جهالا . — (٤) ف : وافيا .

٩٩ وموقظا من رقدات غفلته   وداعيا نحو الهدى من ضلته
فعنده تجيبه الديوك   طريقه لديهم مسلوك

يا أمة قد عدمت تبيانها   إذ جعلت دليلها عميانها
١٠٢ ما الله بالمطفىء نور العقل   كلا ولا الموقد نار الجهل
فاسعوا إلى حريم بيت آمن   قد حف بالسعد وبالميامن
تنزيله أيد بالتأويل   وشرعه نين بالمعقول
١٠٥ يستخلص الأرواح من ظلامها   ويخرج الثمار من أكمامها
تروا شموسا للبيان بازغه   ونعمة حصت وعمت سابغه
وحكمة تشفي الصدور بارعه   ورحمة تحيي (١) القلوب واسعه
١٠٨ حمى النبي والوصي حيدره   والعترة الطاهرة المطهره
منهل علم ماؤه يشفي الصدى   وما عدا قولهم فهو الصدى
المنشرون ميت العظام   بالمنن الفائضة العظام (٢)
١١١ الأولون الآخرون في الكرم   والظاهرون الباطنون في الأمم
قد ظهروا في العالم العلوي   بما لهم من خطر علي
وبطنوا في عالم الأجسام   حقا بأقدارهم الجسام
١١٤ زاحمهم في حقهم أوضاع   فضيموا حقهم وضاعوا
وزلزلوا في دينهم زلزالا   وحملوا مع ثقلهم أثقالا
وغشيت دارهم الظلماء   وعميت عليهم الأنباء
١١٧ فما ترى لمشكل تنبها   منهم ولا لحكمة توجها
وقول لم عندهم رزيه   فمن أتى يسأل عن لميه
أغروا به السقاط والجهالا   وحللوا منه دما ومالا
١٢٠ لأنهم بعزلها تقلدوا   ومقعدا ليس لهم قد قعدوا

(١) ف . ل : تحمى . — (٢) ق : الجسام .

وحكمها لو جدة يوما بهم   رأيت كم جف لسان في فم
حتى ترد ما لديها عاريه   أمة سوء من هداها عاريه
من حق آل المصطفى والمرتضى   إليهم بالرغم منهم لا الرضى ١٢٣
طوبى لمن أخلص في (١) التوحيد   تبصرا من جهة الحدود
وهم أولو الأمر أئمة الهدى   عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الأمم   قاطبة من عرب ومن عجم ١٢٦
اقرأ : أطيعوا الله والرسولا   ثم أولي الأمر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومه   في آية واحدة منظومه
من قال في واحدة تقييد (٢)   فإنه لربه عنيد ١٢٩
كل على الإطلاق والعموم   حتم على الجهول (٣) والعليم
ما لولاة المدن في ذاك أرب   كلا ولا للفقهاء من نشب
مع كونهم في فتنة صماء   للخلف (٤) في الآراء والأهواء ١٣٢
فهم جميعا للمعاصي والزلل   معرضون للخطايا والخطل
وإنما الطاعة للأطهار   آل النبي الصفوة الأبرار
آل الرشاد والتقى والعصمه   أئمة ما قارنتهم (٥) وصمه ١٣٥
جرى بها لفظ الكتاب واتسق   يخبر عن عمومها على نسق
كطاعة الله على خليقته   والمصطفى على جميع أمته
في كل عصر منهم إمام   لا يهتدى إلا به الأنام ١٣٨
يموت من يعرفه مرضيا   والمنكر الجاحد (٦) جاهليا
يؤم في الصوم وفي الصلاة   ويكفل التطهير بالزكاة
يخرج من غر المعاني كنزا   يزيل لبسا ويحل رمزا ١٤١
كنز العلوم عنده مفتاحه   فالحق منه زاهر (٧) مصباحه

(١) ل . ق : بالتوحيد . — (٢) ح : تنفيد . — (٣) ل : الجهال .
(٤) ل : للخلق . — (٥) ف : قارنهم . — (٦) ث : الجاهل . — (٧) ق : ظاهر .

دَعْوَتُه قائمةٌ فى العالم   عاليةٌ ظاهرةُ المَعَالِم
١٤٤ له المقامُ والصَّفَا والمَشْعرُ   وسَيْفُه بين الأعادى يُشْهَر
تأمَّلوا مَنْ هذه الأعلامُ   تُوجَدُ فيه فهو الإمام
أجل هو المستنصر المنصورُ   مولىً به بَيْتُ الهُدَى مَعْمورُ
١٤٧ أبو تميم خَيْرُ نسْلِ فاطم   نَجْلُ الإمام الظاهر بن الحاكم
ومَعْدِنُ العُدَّة فى المعاد   ورحمة الله على العباد
صَلَّى عليه الله ما نام نما   رَوْضاً ومن صَوْبِ الغَمام ابْتسما
١٥٠ لابن أبى عِمْران فى الموالى   نَظْمٌ كنظم الدر واللآلى
مسائل تجْمَعُها قصائدُ   قصائدُ لكنها مصائدُ
مصائدٌ لراغب مُسْتَرْشِدِ   مَصائبٌ لكل عاتٍ مُعْتَد
١٥٣ أبْلُغُ من صَميم قلب القالى   بالقَوْلِ ما لا تبْلغُ العَوالى
بحُجَجٍ منيرة كالشُّهُبِ   بَعيدة من الخنا والكذبِ
ما راعنى من ذى وعيدٍ صوتُ   من بعد ما هان علىّ الموت
١٥٦ رَيْحانتى الموتُ وباب أمْنِى   إذ كنت أرْجُو (١) مَخلصى من سجنى

(١) ل : أرضى .

القصيدة الثالثة

قَدْ محا آيةَ الشَّبابِ المشيبُ   ودَنا للحِمَام منى الرقيبُ
ضَعْفُ جِسْمٍ، ووَهنُ عظمٍ، ولونٌ   قد بَدَت فيه صُفرةٌ وشُحوبُ
وجمالٌ سُلِبْتُهُ وبَهاءٌ   طِيبُ عَيْشٍ بِسَلْبِه مَسْلوبُ ٣
وسوادٌ بُدِّلتُ منه بياضا   هُو فى العين أسود غِرْبيبُ
كلٌّ هذى دلائلٌ بَيِّناتٌ   واضحاتٌ أنَّ الرحيل قريب
أتُرانى ذاك الذى كنت قِدْماً   أم سِواه ؟ فإن شانى عَجيبُ ٦
أين منى ـ إنْ كنْتُ مَن كنت ـ عود   ناضرٌ زاهرٌ وغُصْنٌ رَطيبُ
وجَمالٌ فى القَدِّ واللَّفظ واللَّحظ   خَلوبٌ لكل قلْبٍ نَهوبُ
ويدٌ لم تَزَلْ تَطولُ (١) ببأس   كم ثنى دونها العِنانَ الخُطوبُ ٩
ولسانٌ فى حَلبَةِ النَّظم والنَّثر   بأبكار كل مَعْنًى لَعُوبُ
وجَنانٌ يَلْقى المنايا كِفاحاً   ويُلاقى الضِّرْغام وَهْوَ غَضُوبُ
قد تولَّى جميعهُ وتَقضى   فقُصاراىَ مِنْهُ دَمْعٌ صَبيبُ ١٢
وفؤادٌ مِنْ حَسْرةٍ يتقلَّى   وهْو من صرْف (٢) دَهْرِهِ منكوب
قد تولى فليس ينفعُ راقٍ   وتَقَضَّى فليس يُغْنِى طَبيبُ

أنا فى « دار غربةٍ » وحقيقٌ   غَيْرُ بِدْعٍ إنْ ذَلَّ فيها الغريب ١٥

(١) ف : تصول . — (٢) ف : وهو صرف دهره .

دارُ جهْدٍ ومحْنــــةٍ وبَلاء　　بالا ذى طِيبهـــا الزمان مشوب

عُرْفُهَا النُّكرُ ، حلوها المرُّ ، لخش　　فِعْلُها ، كلُّ وَعْدِها مكْذُوبُ

١٨ عِزُّها الذل ، جودُها البُخل ، عسرٌ　　يُسرُها ، كلُّ شأنِهـا مَقْلوبُ

دَار عَيبٍ تركَّبَ الجِسْمُ منها　　فهو شَيْنٌ كمِثْلِهـا وعُيُوبُ

همُّهُ ما يدوم (١) أكلٌ وشربٌ　　وَمداه (٢) قصْفٌ ولهوٌ وطِيبُ

٢١ شَائبٌ قدْ حوَى نقائصَ شتى　　فاضحاتٍ بتَشبيهِ ما تَشِيبُ

طَمَعاً عِقدُه قَوىٌّ وثيق　　ومُنًى لُبْسُها طَرىٌّ قشيبُ

يَتمادَى فى سُكْرِهِ والمنَايا　　شَرَكٌ لاخترامه مَنصُوبُ

٢٤ آه من شِرة الهوى إن عقلى　　مُستضَامٌ مِنَ الهوى مَغلوبُ

آهِ مِنّى فالظُّلمُ مِنّى لنفسى　　ما عدانى عَذْلٌ ولا تَثْرِيبُ

لِمْ ضَيَّعْتُ فى الغواية عمْرى　　وَمجَالى من الرَّشادِ رَحِيبُ

٢٧ لمْ اعَنَّى بمُظلم الجسم منى　　وكأنى به تُراب تَريب

وأضيع (٣) النـــورَ الذى أنا منـــه　　لِلكرام المُقرَّبين نسيب

أمُذِلٌّ دُراً نفيساً مُعِزٌّ　　صَدَفاً هيناً خسيساً أريب

٣٠ ماعدانى (٤) ممـا بدا أجنَابٌ　　كجَنَابى من الوَلاءِ خَصِيبُ

ما اعتذارى ودعْوةُ الحقِّ شخصٌ　　أنا مولودُ حِجْرِه (٥) والرَّبيبُ

ما اعتـذارى ومنزلى الحرمُ الآ　　مِنُ مَنْ لم يَلُذْ به مَرْعُوبُ

٣٣ وبنو أحمـد الرِّضى وعلىٍّ　　مُعِدِّى للمآبِ حين أءوب

الموالى الازكَوْن فَرْعاً وأصلا　　كلُّ مجدٍ من مجْدِهم مكسوبُ

الموالى مُحيُو العِظام (٦) البوالى　　مَنْ لذكراهمُ (٧) تُذلُّ الصُّعوب

(١) ن : لا يدوم . — (٢) ف : وعداه . — (٣) ق : واطيع .
(٤) ف : ما عدانى لى . — (٥) ف : حجرها .
(٦) ل . ف . المحي . ق . ح : محي . — (٧) ل : لذكرهم .

الموالى مِنَ القُرون الخَوالِى　　والبواقى كل إليهم يئوب (١) ٣٦

يَقْسِمونَ الجِنانَ والنَّار فيهم　　فلكل نصيبـــه المَوْجُوبُ

وهُمُ (٢) المُسْتَجارُ إذ لا مجيرُ　　ومجيبو (٣) المضـطر إذ لا مجيب

الهـــداة الثقـات حرز المواليـــن إذا ما أظَلَّ يَومٌ عَصِيبٌ ٣٩

البحور البـدور لم تَلْقَ نقْصاً　　مِنْ نُضُوبٍ ولم يَشُنْها غُروب

منهمُ ظل رحمـــة الله ممدو　　د وماء الهُدَى بهم مَسكُوبُ

(جَبلُ الطُّور) (٤) منه نسمع نجوى الالـــه فينا وعنـه تَبدُو الغُيُوبُ ٤٢

وعُيونُ الرحيق نَشرَبُ منهـا　　وأخُو الغِى للحميم شَرُوبُ

يا بنى المصطـفى إليكم إليكم　　فى المُلِمَّات يَفْزَعُ المكْرُوبُ

يا بنى المصطـفى لديكم لديكم　　أملٌ فى نفوسنا مَطلوبُ ٤٥

أنتُمُ أنتمُ الغيــاث إذا ما　　أوبَقَتْ ذا الذُّنوبِ مِنَّا الذنوبُ

أنتُمُ أنتمُ الغيــاث إذا ما　　حان حَينٌ لنـا وآن مغيبُ

يا موالىَّ كيف أثنى عليكم　　وقُصاراى من ثنائى لُغُوبُ ٤٨

قدْ خُلقتمْ من طينةٍ وخُلقنا　　نحنُ منها لكنْ بدَا ترتيبُ

إن أجسامكم لناشئة الطيـــنِ الذى منه شقَّ منا القلوب (٥)

فعذيرى إن لم أطِقْ مدْحَ قوم　　ذا لديوانِ مَدْحهم تَشبيبُ ٥١

وعليهم صلى إله البرايا　　ما هَمى من سَحابةٍ شُؤبوبُ

وعلى من يلى الوراثة منهم (٦)　　ومناب الهُدَاة منهم يَنُوبُ

الإمام المُحيي لمن قد دعاهُ　　فهنيئاً لِمَنْ له يستجيبُ ٥٤

خير راعٍ مُسَلَّمٌ ما رعاهُ　　والذى مارعى رعاهُ الذِّيبُ (٧)

والكتابُ النطوق (٨) بالحق والصد　　ق وعنه يُكشَّفُ المحجوبُ

(١) ل : يثوب . — (٢) ح : فهم .
(٣) ف : ومجيب . — (٤) للطور : ل .
(٥) ل : الذى شق منه منا القلوب . — (٦) ف . ق : عنهم .
(٧) ف : الذئيب . — (٨) ف : المنطوق .

٥٧ الإمامُ المُستَنْصِر العدلُ موْلا ـنا سِراجُ الدُّجى النَّسيبُ الحَسيبُ
ذاك مولى له الموالى عبيـد مِثلُ نَحْلٍ خَلا لهـا يعسوب
وَهو يجْلو دِينَ الهُدَى ويُجلى (١) غَيْهَبَ (٢) الشَّكِّ منه وهو مُريبُ
٦٠ للموالى (٣) القِدْحُ المُعلَّى من الدِّيـ ـنِ كما السهمُ فى التُّجاهِ المُصيبُ
ومُعاديهِ دِينُه جاهـلى مالُهُ فى جِنانِ عَدْنٍ نَصيبُ
هِبَةُ اللهِ إن يكُنْ لكَ حرْباً صرْفُ دهْرٍ فأنتَ منه حريب
٦٣ وبسيف الجفاءِ مِنْ كلٍّ وغْدٍ أنتَ فى كلِّ حالةٍ مضروب
فلأنت الأعلى فصبراً جميلاً إن ذا الصبر فى البلاء نجيب

(١) ف : وتجلى . — (٢) ف : يهب . — (٣) ل : لمواليه .

القصيدة الرابعة

قالَ سَلاهُ هلْ سَلا لمَّا رَحَلْ واسْتَخْبِرا عَمَّا بِهِ الدَّهْرُ فعلْ
وهلْ تَخَلَّى عَنْ هوانا قَلْبُهُ أمْ قَلْبُهُ باقٍ على تِلْكَ الجُمَلْ
تَراهُ يا صاحِ صَحا عن الهَوَى والصَّبْرُ قدْ واصَلَه لمَّا فَصَلْ ٣
أمْ استَجارَ بالنَّوى من الهَوى فشفَّهُ هذا وهذا لمْ يزَلْ
مَنْ ذا أسَا الدَّاءَ بداءٍ فانْجَلى أمْ عالَجَ الجرْحَ بِجُرْحٍ فاندملْ (١)
هَبْ (٢) الهَوَى هَوَى به فى خُطَّةٍ كَمْ مِنْ شُجاعٍ بَطَلٍ فيها بَطَلْ ٦
فلِمْ توخَّى البَيْنَ يذكى شُعَلا للشَّوْقِ فى أحْشائِهِ فَوْقَ شُعَلْ ؟
ولم يكن يَقْطَعُه مَهْما (٣) وَصَلْ ولم يكُنْ يَمْنَعُهُ إذا سَأل
فقلت — والعين تُفيضُ عَبْرَةً كَمِثْلِ عَيْنٍ ماؤُها قد انهملْ —
حَسِيبُكَ اللهُ لقد هيجْتَنى بعْدَ مَشيبٍ فَوْقَ رأسى قد نزَلْ
نَظْمُكَ لى فى سِلْكِ حِبِّيك (٤) غدا مُعَمِّمى فى كِبَرى نَظْمَ الغَزَلْ
ولم أزَلْ فى الرُّشْدِ والتقوى معا يُضرَبُ بى فى ذى الأقاليم المَثَلْ ١٢
ما أنا لولاك وذا التشبيب فى شِعْرى وذكْرى رسْمَ دارٍ وطَلَلْ
مِنْ بَعْدِ ما قدكان عِرْضى طاهرا لم يَعْتَرِضْ لى خطأ ولا خَطَل (٥)

وإننى فُقْتُ الوَرَى بِهِمَّةٍ حلَّتْ مَحَلاً دونه حلَّ زُحَلْ ١٥

(١) ل : لمواليه . — (٢) ف : هب الهدى هوى به . — (٣) ف : فيما .
(٤) ف : حبيبك . ق . محبيك . — (٥) ح : خلل .

ونلتُ في معلوم ديني صحةً ... كم جدَّ فيه (1) طالبٌ فلم ينلْ
مالي أنكرتُ كلَّ ما عرفتُه ... فاعتضتُ عن صحةِ جسمٍ بالعللْ
١٨ كذاتِ حملٍ أسقطتْ لمّا دنا ... نفاسُها فضلَّ سعيٌ واضمحلْ
كأنَّ أذني ما وعتْ ما قد وعتْ ... أم جهِلَ الفؤادُ منّي ما عقلْ
كأنني لم أعرفِ الدنيا ولم ... أعهدْ وجودَ السمِّ في جوفِ العسل
٢١ ولم أثقْ بأنني مودِّعٌ ... عما قليلٍ أهلها ومرتحلْ

ولايتي لآل طه عصمةٌ ... تنعشني بعدَ عثارٍ وزللْ
هم الأولى بهم تجلى ربُّنا ... لخلقه سبحانه عز وجلْ
٢٤ هم الأولى جدُّهم خيرُ الرسلْ ... هم الأولى ملتُهم خيرُ المللْ
نجلُ نبي قد تدلّى إذ دنا ... كقابِ قوسين فنعم ما نجلْ
بنو وصيٍّ سلَّ روحَ الكفرِ من ... أحشائه بصارميه حين سلْ
٢٧ سلْ هلْ أتى فيمن سواه «هل أتى» ... أم حلَّ خلقٌ في المعالي حيثُ حلْ

قد حازَ غاياتِ العلى حتى غلا ... قومٌ وضلُّوا فيه مرضيَّ السُّبُلْ
قالوا هو الله الذي يأتي كما ... أخبرنا من الغمامِ في ظللْ
٣٠ وقد أتى من حيث لم يحتسبوا ... فيما مضى من منجنيقٍ في الوهلْ
يا بُعدَ ما تقوّلوا من الحجى ... وقربَ ما دانوا به من الخبلْ
يظن جهلاً من غلا أن قد علا ... وإنه من سخفِ رأيٍ قد سفلْ
٣٣ وإنما الناصبُ والغالي معًا ... كلاهما بغيرِ هادٍ يستدلْ
لم يجدوا من أمرِ ربي عاصما ... إذ تركوا الفلكَ ولاذوا بالجبلْ
يغشاهمُ للغيِّ موجٌ كالظللْ ... وكلُّهم حقًّا عن السمع عزلْ
٣٦ لو أنهم بالثقلين استمسكوا ... إذ تركا خفَّ عليهم ما ثقلْ

(1) ق : فيها .

لكنهم أبوهما جهالةً ... لخاد منهم كل حزبٍ عن ثقلْ
فذا أبى حكمَ الكتابِ جملةً ... منسلخاً عن طاعةٍ وعن عملْ
وذا أبى العترةَ وهو حاملٌ ... فيما أتى ظلماً يخيب من حملْ ٣٩
عاملةً ناصبةً تصلى غدًا ... ناراً لأمٍّ من ثوى فيها الهبلْ

فُديتَ خيرَ أمةٍ قد أخرجتْ ... للناس تنفي الريبَ عنّا والخللْ
الراكعون الساجدون في الدجى ... والطيبون الطاهرون والنبلْ ٤٢
الفاطميون الصناديد الأولى ... هم من جبالِ الفضلِ والفخرِ القللْ
قد أورثوا مجدَهم المولى الذي ... ما وضعتْ مثلاً له ذاتُ حبلْ
مولى ترى منه الأولى فوقَ الثرى ... والدينَ والدنيا جميعاً في رجلْ ٤٥
الظاهر بن الحاكم الزاكي الذي ... حكّمه الله تعالى فعدلْ
على الثاني في (1) عليائه ... على القمقام والليث والبطلْ
يا خيرَ شمسٍ طلعتْ من غربها ... ومن به بشَّرنا خيرُ الرسلْ ٤٨
ويا أميرَ المؤمنين عدّتي ... في شدّتي والأمنَ لي عند الوجلْ
بك اعتلى في الأفقِ نجمٌ للهدى ... ومنك حقًّا ناجمُ الكفرِ أفلْ
يا قبلةَ الأرواحِ يا من نحوه ... توجَّهتْ في الشرقِ والغربِ القبلْ ٥١
يا أملي إذ خابَ في الناسِ الأملْ ... أجلْ ويا فوزي إذا جاء الأجلْ
لولاك ما ميَّزتْ عن قومٍ همُ ... في الجهلِ كالأنعامِ لا بل هم أضلْ
أنتَ الذي أنطقتَ (2) كلَّ صامتٍ ... في كشفِ سترٍ للدجى كان انسدلْ ٥٤
حتى بدا الحقُّ بوجهٍ ضاحكٍ ... وولّى الباطلُ ظهراً وانخزلْ
إنَّ الذين انحرفوا منكم إلى ... أعدائكم قد خذلوا فيمن خذلْ
وبدّلوا النعمةَ كفراً ويلهمْ ... وبئسَ ذا للظالمين من بدلْ ٥٧
يفديك مولى لم يزلْ آباؤه ... ناشين في نعمائكم ولم يزلْ

(1) هكذا في جميع النسخ ولكن الوزن لا يستقيم . — (2) ف : اقطعت .

ولم يحولوا ساعةً عن طاعةٍ ... محمودةٍ لأمركم ولم يحُلْ
٦٠ أفدى معدًا نجلكَ الطُّهْرَ الذى ... بسَعْدِه نَبْلُغُ غاياتِ الأمَلْ
أبا تميم نجمُ سَعْدٍ لاحَ من ... عالَمِ قُدْسٍ أو هلالٍ قد أهلْ
متعكم ربى بها أولاكم ... مِنْ دَوْلة تعبَّدَ ها كلُّ الدُّوَلْ
٦٣ وخصكم بالصلوات دائبا ... هداه من زكى وصلى وابتهل
لابن أبى عمران فيكم مِدحٌ ... غرّاء تزرى بالحُلىِّ وبالحُلَلْ
والعجزُ والتقصيرُ قُصْراهُ سوى ... أنّ الذى يقوله جهدُ المُقِلْ

القصيدة الخامسة

قالَ والرَّحْلُ للسُرى محمولُ ... حقٌّ منكَ النَّوى وجَدَّ الرَّحيلُ
وعَدا الهزلُ فى القطيعةِ جدًّا ... ما كذا كان منكَ (1) لى المأمولُ
قلتُ والقلبُ حسرةً يتقلَّى ... وعلى الخدِّ دمعُ عينى يسيلُ (2) ٣
بأبى أنتَ ما اقتضى البَيْنَ إلا ... قَدَرٌ ثم عهدُكَ المستحيلُ
كم وكم قلت خلّنى يا خليلى ... مِنْ جفاءٍ منهُ الجبالُ تزولُ
إنما أمرُه لديكَ خفيفٌ ... وهْوَ ثِقْلٌ على فؤادى ثقيلُ ٦
إنكَ السالمُ الصحيحُ وإنى ... من غرامٍ بكَ الوقيذُ العليلُ
قال: قدْ مرَّ ذا فهل مِنْ مقامٍ ... عِنْدنا ؟ قلتُ : ما إليهِ سبيلُ
قال : إنى لدى مُرادكَ باقٍ ... قلت : ما إنْ تفى بما قد تقولُ ٩
قال : أضرمتَ فى الحشى نار شوق ... حرُّ أنفاسِها عليها دليلُ
قلت : حسبى الذى لقيتُ هوانا ... فلقاءُ الهوانِ عندى يهولُ
فقبيحٌ بىَ التصابى وهذا ... عسكرُ الشيبِ فوقَ رأسى نزولُ ١٢

إنَّ أمرَ المعادِ أكبرُ همّى ... فاهتمامى بما عداهُ فضولُ
كثرَ الخائضونَ بحرَ ظلامٍ ... فيه والمؤنسو الضياءِ قليلُ
قال قومٌ قُصْرى (3) الجميعِ التلاشى ... فئةٌ منتهاهمُ التعطيلُ ١٥

(١) ف : ما كان منك . — (٢) ف : سبيل . — (٣) ف : قصر .

وادَّعى الآخَرُون نسْخاً وفَسْخاً   ولهُمْ غَيْرُ ذاك حَشْوٌ طويلُ
وأبَوْا بَعْدَ هذِه الدَّارِ داراً   نَحْوَهَا كلُّ مَنْ يَؤُولُ يَؤُولُ
١٨ لم يَرَوْا بَعْدَها مَقامَ ثَوابٍ   وَعِقَابٍ لهُمْ إليْه وُصولُ
فالمُثَابُون عِنْدَهم مُتْرَفُوهُمْ   ولذِى الفَاقَةِ العذَابُ الوبيلُ
قال قوْمٌ وَهمْ ذَوو العَدَدِ الجَمِّ لنَا الزَّنْجَبِيلُ والسَّلْسَبِيلُ
٢١ ولَنَا بَعْدَ هذهِ الدَّارِ دَارٌ   طَابَ فِيهَا المَشْروبُ والمأكولُ
ولِكُلٍّ مِنَ المقَالاتِ سُوقٌ   وإمامٌ ورَايَةٌ (١) وَرَعيل
مَالهُمْ فِى قَبيل عقْلٍ كلامُ   لا ولا فى حِمَى الرَّشادِ قَبُولُ
٢٤ أمَّةٌ ضَيَّعَ الأمانَةَ فِيهَا   شَيْخُها الخَامِل الظَّلومُ الجهولُ
بئس ذاك الإنسانُ فى زُمَرِ الإنس (٢)   وَشَيْطَانُهُ الخَدُوعُ الخذُولُ
فهُمُ التَّائهُونَ فِى الأرض هلكاً   عِقْدُ دِين الهُدَى بهِمْ مَحْلولُ
٢٧ نَكَسوا وبِلَهُمْ ببابِلَ جهْرًا   جُمَلٌ ذا ورَاءَها تَفْصيلُ
مُنِعُوا صَفْوَ شَرْبَةٍ مِنْ زُلالٍ   لَيسَ إلا بذاكَ يَشْفَى الغَليلُ
مَلَّكُوا الدِّين كلَّ أنْثَى وخُنثى   وَضعيفٍ بِغَيْرِ باسٍ يَصولُ
٣٠ صَرَّفوا فِيهِ منْ عَلا جِيدَهُ الغلُّ   وأنَّى يُصَرِّفُ المغْلولُ

أيُّهَا المدَّعى التَلاشى حُمَقًا   ذاَ الذى تدَّعى عَليْكَ وَكيلُ
أتُرَى هَذِهِ الصَّنَائعَ طُرًّا   عَبَثاً ما لِصَانع مَحْصُولُ
٣٣ حركاتُ الأجرام قُلْ لِى لماذا ؟   ولِمَاذَا طُلوعُها والافُولُ
ألها فى مَجالها الفعْلُ أمْ لا ؟   فَبِغَيْرٍ إذاً يَجُوزُ تجُولُ
إن تَقُل : ذاكَ فِعْلها باخْتيارٍ   أنْكرَتْ مِنْكَ ما ادَّعيتَ العقولُ
٣٦ إنَّ فِيما دَنا مِنَ الماءِ والنَّا   رِ عَلَى مَا علا لَنَا التَّمْثيلُ
ولئِنْ قلتَ : ذاكَ غيْرُ اختيار   قُلْتُ كلٌّ مُدَبَّرٌ مَحْمُولُ

(١) ل و ح : راعية . — (٢) ف : زمن .

فإذا كانَ هكذَا ثَبَتَ الحَا   مِلُ والفَاعِلُ اللَّطيفُ الجليلُ
واذا كانَ فَاعِلٌ مُتْقِنُ الفعـ   ـلِ وَمَا دُونَهُ لهُ مفْعولُ ٣٩
فالتَّلاشى لِفعْلِهِ مُسْتَحيلٌ   جَلَّ عمَّا بِهِ عَلَيْهِ تَحيلُ

والذى قالَ إنَّهُ النَّسْخُ والفَسْـ   ـخُ وَماذَا بِغَيْرِ دُنْيَا حُلولُ
فهو عن جوْهَرِ النُّفُوس البَسيطا   تِ وَمِنْ حَيثُ بَدْئِها مَسئولُ ٤٢
فلئِنْ كانَ يُثْبِتُ الأصْلَ مِنها   فَكَذَا نَحْوَهُ يكونُ القُفولُ
وَلئِنْ كانَ نافيًا قيلَ مَهْلاً   فلهذى المُشَاهَدَاتِ أصُولُ
فَثَوابٌ يكونُ بالأكلِ والشُّرْ   بِ فَذاكَ العذَابُ والتَّنْكيلُ ٤٥
إنمَا التَذُّ بالمآكل دفْعًا   لِمَضَرَّاتِهِ الشَّرُوبُ الأكولُ
وَثَوابُ الإلٰه أمرٌ خَفِيٌّ   مَا لهُ فى المُشَاهدات عَديلُ
والذى قال فى الكِتَابِ تعالى   مَثَلٌ ذاكَ تَحْتَهُ مَمْثولُ ٤٨

لو أرادُوا حَقيقَةَ الدِّين كانوا   تَبَعاً للذى أقامَ الرَّسُولُ
وأتَتْ فيه آيةُ النَّصِّ (١) بَلِّغْ   يَومَ خُمٍّ لمَّا أتى جِبْريلُ
ذَاكُمُ المُرتَضَى عَلِيٌّ بحَقٍّ   فَبِعُلْياهُ يَنْطِقُ التَّنْزيلُ ٥١
ذاكَ بُرْهانُ ربِّه فِى البَرَايا   ذاكَ فى الأرْضِ سَيْفُهُ المسلولُ
فأطيعوا جَهْدًا (٢) أولى الأمر منهم   فَلهُمْ فى الخلائقِ التَّفْضيلُ
أهْلُ بيْتٍ عَليهِمُ نَزلَ الذِّكْـ   ـرُ وفيه التَّحْريمُ والتَّحْليلُ ٥٤
هُمْ أمانٌ مِنَ العَمَى وصِرَاطٌ   مُسْتَقيمٌ لنا وَظلٌّ ظَليلُ

هاكُمُ مِنهُمُ بِعَصْرَ إماماً   هوَ بِالنَفْى للشُّكُوكِ كَفيلُ
جدُّهُ المُصطَفَى ، أبوهُ عَلِىٌّ ،   أمُّهُ صَفْوَةُ النِّساءِ البَتولُ ٥٧

(١) ف : النصر . — (٢) ف : جهراً .

بَاذِخٌ سَعْدُهُ سَنِيٌّ أَصِيلُ … شَامِخٌ مَجْدُهُ عَلِيٌّ أَثِيلُ (١)
فَاتِحٌ عِلْمُه مَغَالِيقَ جَهْلٍ … مَانِحٌ مَاجِدٌ كَرِيمٌ بَذُولُ
٦٠ الإِمَامُ الذى لهُ دَعْوَةُ الحَقِّ … وما دُونَ عِلْمِهِ تَعْلِيلُ
دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا الارضُ طُرًّا … فَأَجَابَتْ حُزُونُهَا والسُّهُولُ
فَلهُ فى الهُنُودِ نَاسٌ وَجِيلُ … ولهُ بَيْنَ عَرْصَةِ الرُّومِ جِيلُ
٦٣ فَعَلَيْهِ السَّلامُ مَادامَ للهِ … من النَّاسِ التَّسبيحُ والتَّهْلِيلُ
وابنُ مُوسَى بِهِ عَلَى الزَّمنِ الجا … ئِرِ فى كلِّ حَالةٍ يَسْتَطِيلُ
ولِئِنْ سَبَّهُ العِدَى فيه لا بأ … س فإحسَانه لدَيْهِ جَزِيلُ
٦٦ ولِئِنْ قِيلَ رَافِضِىٌّ فَلا نُكـ … ـرَ فإنَّ الفَتَى الحَلِيم حَمُول
إنما العِزُّ بالرَّشاد فَمَن عَزَّ … زَ وَلا رَشْدَ فِيهِ فَهْوَ ذَلِيلُ

(١) فى ف و ق : يروى بعد الذى يليه .

القصيدة السادسة

أَلا حَيِّيا أيُّها الصَّاحِبانِ … مَغَانِى يَاطِيبَهَا مِنْ مَغَانِى
مَغَانٍ بِفَارِسَ سُكَّانُها … حَبائِبُ ما القَلْبُ عَنهُم بِغَانِى
وقُولا رَمَتْنِى مِنْ بَعدِكم … بِسَهْمِ الزَّمَانَةِ أيدى الزَّمان ٣
لقَدْ كُنْتُ أسْطو بِسَيفَيْنِ لِى … قوىَّ الجَنانِ جَرِىءَ اللِّسانِ
فَقَصَّرتْ النَّائِباتُ اللِّسَان … كما أَضْعَفَتْ قُوَّتى فى الجَنان (١)
فإنْ يكنْ المرءُ بالأَصْغَرَين … فَإنِى قد خَانَنى الأَصْغَرانِ ٦
وَقَدْ كُنْتُ فى صورة النَّاس قَبلا … ولكنَّ مِنْها مَحَانِى امتِحانِى
فَقلْبى ولُبِّى مَعاً عَازبانِ … وَعَيْنَاىَ عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ
كفانىَ دمع كنثر الجمان … على صحن خدى من ترجمان ٩
كَفانى أنِّى مُعَنَّى الفُؤَاد … مُعَنَّى السُّهَادِ وللذُّلِّ عانِى
كَفانىَ فَقْدُ الوَلىِّ الحَمِيم … ومنْ بَعْدهِ أنا بَاقٍ كَفانِى
وكُنَّا غَرِيبَيْن فى بَلدةٍ … كَطَيْرَين بَاتَا عَلى غُصْن بَان ١٢
فأصْبَحَ مُمْتَنَصاً (٢) واحدٌ … وَمُرْتَقِبًا زَجْرَةَ الأَخذِ ثانِى (٣)
لِقيتُ العَنَا فِى رِحَى رَاحتى … وشَاهَدتُ عيٌّ بِمَثْوى البَيانِ
وكم مِنْ أمانىَّ بُلِّغْتُها … وها أنا أطلبُ مِنهَا أمانِى ١٥

(١) ف : فقصر النائبات اللسان … كما اضعفت قوتى والجنان .
(٢) ف : مقتضاه . — (٣) ق : ومرتقباز جرة الاخذتان .

لقد كنت ذا همة فى العلى   أبيت ومن دونى الفرقدان
فاصبحت منتكساً قد ثوى   بحيث الثريا (١) الثرى من مكانى
١٨ وإنى لجان ثمار الذى   غرست وحق عقاب لجانى
سآخذ فى الذكر مما عنانى   وأثنى إلى طول شكر عنانى

فإنى لقيت إمام الزمان   وما زال ذلك قصرى الأمانى
٢١ وكان بعيداً جنى الجنتين   فأمسى بوجدانه وهو دانى
إمام هدى (٢) بان للعالمين   ببنيان مجد له الله بانى
«وعين اليقين» التى لم تزل   لنا خبراً فبدت للعيان
٢٤ معد أيا شافعى فى المعاد   وأكنى معين وأوفى معان
أجرنى ففيك كوانى الزمان   وما باذل فيك نفساً كوانى
فكن باسط الكف لى باللقاء   فقد نلت من المغتى ما كفانى
٢٧ أيا ثانى المرتضى فى الفخار   ومن هو خاتم سبع مثانى
ويا مشبه المصطفى فى النجار   وعلام مشتبه فى القران
لقد ران كفر على قلب من   إلى العسكرى له الطرف رانى
٣٠ صد وهو تارك عذب فرات   وطالبه حيث لافى الكيانى
وقد قام منه إمام الزمان   بما لا يقوم به الوالدان
رمى الله من هذه حاله   ببؤس الزمان وبأس الهوان
٣٣ ورد ابن موسى إلى أهله   بإصلاح شأن على رغم شان

(١) ل : الثرى . — (٢) ح : الهدى .

القصيدة السابعة

الله ينصر راية المستنصر   بالله ، مولانا الإمام الأطهر
ويتم نور أبى تميم حاليا   بسناه أغساق الظلام الأكدر
ويديم دولته ويجبر كسرنا   فى «الظاهر» الغصن الرطيب الأخضر ٣
السيد المولى الموارى فى الثرى   غض الشباب بنور وجه أقمر
غصن من القلم المهد وصنوه   ومن النبى الأبطحى وحيدر
غصن أصول المجد فى أوراقه   والخلق قطر منه فى المتفجر ٦
عاف الحصار الضيق الحرج الذى   زحل على تدبيره والمشترى
وسما إلى العليا من الأفق الذى   هو نجلها وشبيهها فى الجوهر
قد كان محمولا وأصبح حاملا   ومؤثرا فى جرم كل مؤثر ٩
لكن تحرقت القلوب لفقده   وتخرقت شجوا ثياب تصبرى
وتصاعدت نحو الجفون دماؤنا (١)   نهمت بفرط تنزل وتحدر
صلى الإله على مقدس روحه   أبداً وجسم فى ثراه مطهر ١٢
وأعاش مولانا معداً خالداً   حتى يورث عمر كل معمر
أهلا بطيب زمان مولانا الذى   وافى بوجه بالسعادة مسفر
زمن يبشرنا بخير مقبل   تترى وشر لا محالة مدبر ١٥
أمعد عدة عبده وعماده   وعتاده والمرتجى للمحشر

(١) ق ، ح : دماؤها .

أشبهتَ عيسى فى الذى أوتيته طِفْلا مِنَ النُّعْما ولمَّا تُقمِص
١٨ إنْ أثمرَ الجذعُ اليَبيسُ بفضله رُطَباً فأحرى به المسيح وأجْدَر
فكمثله الدنيا تُنيلك مُلكها ثمراً فلا تعجَل فدَيتُك واصبر
لله شأنٌ فيك جدّ معظّم قامت به الأعلامُ للمُتدبِّر
٢١ أن يُنجِزَ الرحمنُ صادقَ وعدِه بكَ للنبى أبيك خيرِ مُبشِّر
أنت الذى يَعنو الزمانُ لبأسه صِغَراً فتُلبسه لباس مُسخَّر
فتجذّ دابرَ كلِّ غِرٍّ كاشح بمهنّد ماضى الغِرار (١) وأسمر
٢٤ وتخوض (٢) أودية الدماء خيولُه بجيادها من أدهم أو أشقر
وتؤم ما بين الدُّجيل ودجلة للفتك بالدجال ذاك الأعوَر
حتى تُوشّحَ أرضَه من نحره وبنى الزناء معاً بثوبٍ أحمر
٢٧ وتُريح من ذكر اللعين ورجسه محرابَ مسجدِنا وعُودَ المنبَر
وتزيل لبْسِ الشافعى ومالكٍ ببيان زين العابدين وجعفر
وقياسَ قيّاسٍ غدى مُتبرّجا بالاعتزال وترهات المُجبر (٣)
٣٠ يابن النبى المصطفى ووصيّه وبتوله وابن الصفا والمشعر
إنّ لذى بكَ أرجفَ الأرجافَ عن كُفر وعن إملاء صدر موغر
هو أبترٌ حقا كنى عنه بذا ربُّ العلى مُسحقا لشأن الأبتر
٣٣ هو أبترٌ حقاً وإنك كوثر نسلا وأشرفُ نسلِ ساقى الكوثر
برهانُ عاملك فوقَ برهانُ العصا فى كلِّ حين غالبٌ لمسحّر
ومفجرٌ ماء الحياة ولم يكن من وقعها الحيوان بالمتفجّر
٣٦ وعيانُ عقلٍ لا حديثُ خرافةٍ يُروى وليس مشاهد كالمخبر (٤)
لوْ كانت الأشجارُ أقلاما وفى إحدى بنانى فضلُ كلِّ مُسطّر
والبحرُ فى مدحى علاك يمدّه من بعدِ هذا البحر سبعة أبحر

(١) ف : العزاز . — (٢) ل : تخوض .
(٣) ل : المخبر . — (٤) ق : يرووا وليس مشاهد كالمخبر .

فاقتْ ممادحُه مديحى كلّه فوقفتُ وقفة قاصرٍ ومقصِّر ٣٩
صلى عليك الله ما كشفَ الدُّجى عن وجهه ضوءُ الصباح الأزهَر
إنى ابن موسى عبدك القنُّ الذى بك فى الانام أجرُّ ذيلَ تبختُر
العلم سيفى ، والرشاد مطيّتى والسِّتر درعى ، والأمانة مغفرى ٤٢
أنا آدمى فى الرُّواء حقيقتى ملَكٌ تعيّن ذاك للمستبصر
جسمى نحولٌ للنوائب كلّها لكن لى فى الجسم قلبَ غضنفر
ما راعنى من صائلٍ صولٌ ولا ضعُفتْ قوى جَلَدى لبأس مُسيطر ٤٥
يَعمى عُداة بنى علىٍّ منظرى ويصمهم فى كل صقعٍ مخبرى
فلقد تطيّر بى النواصبُ كلّهم أنّى أقمتُ وسرتُ أىَّ تطيُّر
فتخالنى إما مررتُ بمعشر من بغضهم لى ، حتفَ ذاك المعشر ٤٨
قد طاب لى فى الله أنْ أوذى وأن أجْفى فما أنا بالأذى بمفكّر

القصيدة الثامنة

يا للتغرُّبِ أنتَ بئسَ الدّاءُ … فبغناكَ فقرٌ (١)، والعطاءُ عناءُ
والعزُّ ذلٌّ، والسّعادةُ شقوةٌ … واليُسرُ عُسرٌ، والبقاءُ فناءُ
والعُرفُ منكَ النكرُ إن يوماً أتى … أنّى وحالكَ كلها نكراءُ
يا غربةً أغربْتُ منها فى مدى … من دونه (٢) قد أغربتْ عنقاءُ
ومسافةٍ عرضَ البسيطة دونها … قطّعتُها فرثتْ لى البيداءُ
٦ أضللتنى فى الارض، بل ألقيتنى … فى اليمِّ، مالى النجاءِ رجاءُ
وسفحتُ ماءَ العين إذ فوتّنى … روقَ الشباب فمنه غيضَ الماءُ
مزّقتنى بالذّل كل ممزّق … والذل يصلى نارهُ الغرباءُ
٩ قد كنت أفترسُ الأسودَ بفارس … فالآن تنهضُ لافتراسى الشاءُ
كم مِنْ يدٍ طولى هناك قصرتُها … وغدتْ تحيّفنى يدٌ جزّاءُ
مَنْ مبلغٌ أهلى الذين لبعدهم … مِنْ حسرةٍ تتقطّعُ الأحشاءُ
١٢ ما فى صميم القلب لى من زفرةٍ … تنشقُّ عنها الصخرةُ (٣) الصماءُ
ما الجسم جسمٌ كنتمُ لاقيتمُ … والشكلُ شكلٌ والرُّواءُ رُواءُ
إنى حملتُ ثقالَ همٍّ بعدكم … لا تستقلُّ بحملها الغبراءُ
١٥ مِنْ كلِّ ذى جرحٍ جُبارٍ (٤) جرحُه … لا حُكمَ فيما تجرحُ العجماءُ

(١) ل : فكر وعلى الهامش فقر . ف : فكر . — (٢) ق : دونها .
(٣) ح : صخره — (٤) ف : حباز .

فغدوتُ باللأواءِ مفصومَ العُرى … مِنْ طولِ ما تعتادُنى اللأواءُ
مترنماً دهرى ببيتٍ قاله … مَنْ ليسَ يُنكرُ فضلَه الشعراءُ
«وشكيّتى فقدُ السّقامِ لأنه (١) … قدْ كان لما كان لى أعضاءُ» ١٨
قطعَ الزّمانُ بحبِّ آلِ محمدٍ … وصلٌ، وداءُ النائباتِ دواءُ
ولقاءُ كلِّ شديدةٍ مستسهلٌ (٢) … والسّعدُ لى بإمامنا تلقاءُ
خيرُ الأنامِ أبى تميمٍ مَنْ لهُ … كلُّ البريّةِ أعبُدٌ وإماءُ ٢١
«مستنصرٌ (٣) بالله» أيّدَ نصرَهُ … ربٌّ له الإبلاءُ والإنشاءُ
وإمامُ عصرٍ منهُ قامتْ للورى … أرضٌ بها زرعُ الهدى وسماءُ
حالاً يضيقُ على العيونِ عيانُها … فأنورُها عندَ الدجى لألاءُ ٢٤
يابنَ النبى ومَنْ إليه يعتزى … حكامُ هذا الدهرِ والحكماءُ
إنى أتيتُكَ — يابنَ بنتِ محمدٍ — … مستعدياً مستدنىَ الضراءُ
أأبيتُ (٤) فى «البلد الأمين» مروّعاً … وحماكَ من (٥) صرفِ الزمانِ وقاءُ ٢٧
أينالنى فيكَ الجفاءُ مشرّقاً … وإذا أغرّبُ نحوكم جفاءُ
إنى بمكتسب (٦) الفضائلِ منكم … فى السابقينَ وفى الحظوظِ وراءُ
هل صادقٌ فى الحبِّ يشبهُ ماذقاً … هل تستوى الأمواتُ والأحياءُ ٣٠
صلى عليكَ الله يابنَ محمدٍ … ما سجّعتْ فى غصنها ورقاءُ
وسعدتَ بالشهرِ الشريفِ تحلُّه … فالرمزُ فيه عليكَ والإيماءُ
متملّياً أمثالَه فى رفعةٍ … ما أشرقتْ مِنْ جوّها الجوزاءُ ٣٣

(١) ل . ف : كأنه . — (٢) ل . ق . ح : متسهل .
(٣) ف : مستبصر . — (٤) ل : أبيت .
(٥) ح : ق . — (٦) ف : بمنكسب .

القصيدة التاسعة

غدا البَيْنُ من حِبِّنا مُسْتَحيلاً ... يَشُدُّ الرِّحالَ يريد الرَّحيلا
فلهْفى على مُهجَةٍ بينها ... وبين المَسَرة مُذْ حالَ حِيلا
٣ فَدَيْتُ الذي بكمال الجمال ... تملَّك قلبي قليلا قليلا
فلما رآني مُستأسِرا ... غدا باللقاء علينا بخيلا
وغادرَ من زفرات الفراق ... عزائي سليباً وخدِّي كليلا
٦ وقلبي على النار ذات الوقود ... ونومي قليلا وليلي طويلا
ودمعي يُصَبُّ كصَوْب الغمام ... وشوقي صحيحاً وجسمي عليلا
سَلاهُ لماذا استحبَّ البِعاد ... فَصَبَّ عليَّ العذاب الوبيلا
٩ وأسامني للأسى والنحيب ... وغادرَ بالشوك طرفي كحيلا
وحمَّلني من جوى الاشتياق ... وشجو التفرُّق ثِقْلا ثقيلا
فلو حُمِّلَتْ بعضَ ما بي الجبالُ ... رأيتَ الجبال كثيباً مَهيلا
١٢ أمَا كنتُ أمحضُ وُدِّي له ... فلا عدلَ إنْ رام عنِّي عُدُولا
ولا عَدْل إن ظلَّ لي هاجرا ... وأنَّى يصادفُ(١) مثلي عَديلا
وكان وكنتُ بفرط الهوى ... يُحاكي بُثَيْناً وأحكي جميلا
١٥ ولو مِنْ حياتي رامَ النزول ... لجُدْتُ بها، واغتنمتُ النُّزولا
تولَّى، ولم يَرْعَ لي ذِمَّةً ... رعى الله ذاكَ الحبيبَ الملولا

(١) ف : يصاد ومثلي .

سَيَثْنيني إليَّ عِنانَ الهوى ... ولو بَعْدَ حِين، فَصَبْراً جميلا
وتُمسي قطيعته وَصْلةً ... ويُمسي عُطوفاً قريباً وصُولا ١٨
متى ليتَ شعري إليك الوصول ... فألقى إلى طَلَباتي وُصُولا
إذا ما(١) عزمتَ إلينا القُفول ... توخَّ السُّعُودَ إلينا قُفُولا
طلوعُكَ يُطْلِعُ نَجْمَ السعود ... ويُلزمُ نجمَ النُّحوس الأُفولا ٢١
كما أنَّ سَعْدَ وَلِيِّ الزمان ... يُزيلُ النُّحوسَ وينفي المُحُولا
أيا باغيَ السَّلسبيلِ الرَّحيق ... إلى بابِ خَيْرِ الورى سَلْ سَبيلا
مَعَدٌّ إمامُ الهُدى المُرتجى ... ومِنْ فَيْضِه فابْتَغِ السَّلسبيلا ٢٤
ويمِّمْ له مشرباً صافياً ... ورَبْعاً خَصيباً وظِلاً ظليلا
سليلُ النبيِّ، ونَجْلُ الوصيِّ ... ومَنْ قام لله فينا دَليلا
سينْصُرُ كلَّ نصيرٍ لهُ ... ويَخْذلُ ربِّي العَدُوَّ الخذولا ٢٧
وتَسْمعُه قائلا «لَيْتني ... أبيتُ اتِّخاذي فُلاناً خليلا»
هنالك لا نافعٌ عُذْرُه ... ولا فِدْيةٌ منه تلْقَى قَبُولا
به عزَّ، لا شكَّ، ذو عزة ... وأمسى أخو الذُّلِّ عنه ذليلا ٣٠
أيا هِبَةَ الله «آل العباء» ... كفاكَ غدًا فاتَّخِذْهم وكيلا

(١) ق ح : متى ما .

القصيدة العاشرة

أهلاً بأهل ودادنا　　أهلاً بذكرهم وسهلا
أهلا بمن قلبي لهم　　بيت وقد سكنوه (١) أهلا
٣ فرقت شملي يا فرا　　ق وخانني جلدي فمهلا
ما كنت أرضى عيشة　　في فرقة الأحباب كلا
لو أنها مرضية　　دع كونها غرما (٢) وكلا
٦ يا حزن قلبي إذ خلا　　وطنا وعن أهل تخلى
أرشدته إذ تاه في　　بيداء محنته وضلا
قلت الإمام إمامنا　　وبه عن الأهلين تسلى
٩ وليته وجها فول　　الظهر دهراً قد تولى
واقصد شريف جنابه　　فالسعد حيث يحل حلا
كيما يجود بغلة　　نظرا يكشف ما أغلا
١٢ نفسي الفداء لمن له　　في مجده القدح المعلى
مولى أتى في جده (٣)　　من بعد قول « دنا فتدلى » (٤)
من مات (٥) لم يعلق له　　في دينه بالطوع حبلا
١٥ يصلى السعير وإن يكن　　ما عاش قد زكى وصلى

(١) ل : سكنوها . — (٢) ف : غراما . — (٣) ل : فى بجده .
(٤) هكذا فى جميع النسخ وفى القرآن الكريم « دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » ولكن الوزن هنا لا يستقيم إلا بقوله « دنا تدلى » . — (٥) ل : بات وفى الهامش مات .

يا قبلة الحق الأعز　　ز وكعبة الحي الأجلا
إن حج للبيت الحما　　د فنحوكم أولى وأولى (١)
أمعد يا من في الورى　　هو كالنهار إذا تجلى ١٨
مستنصر بالله في　　فرقانه بالمدح يجلى
حتى متى أشكو الصدى　　شكوى وأمنع أن أعلا
أترى لحقي في الحقو　　ق إذا اعتبرت الحق شكلا ٢١
أترى لعبدك في المسا　　عي في عبيد الشرق مثلا
ما لي أمارس هكذا　　بمحل أرض الخصب محلا
عجباً لها من قصة　　مثلا لمملوك ومولى ٢٤
نيل يفيض وإننا　　ظمأى بشط النيل قتلى
صلى عليك الله ما　　سقت السماء الأرض وبلا

(١) ل : فأولى .

٣٩ إليكَ المآبُ ، عليكَ الحسابُ   فطوبى لِمَنْ نالَ حُسْنَ المآب
وأنت المثيبُ لأهْلِ الثَّواب   وأنت المُعاقِبُ أهْلَ العِقاب
فدَاك ابنُ موسى الذى لم يزل   إلى عِزِّ طاعَتِكُمْ ذا انتساب
٤٢ وما زال آباؤه فى العَبيـــد   سَراة العَبيد وخَيْرَ الصِّحاب
عَليْكَ السَّلامُ مَدَى الدَّهر ما   بدا الرَّوْضُ من وابلٍ ذى انْسِكاب

القصيدة الثانية عشرة

قَدْ جَرَتْ بالسُّعُودِ لى الأقْلامُ   وقَضَتْ بالمَساعد الأيَّامُ
وتَنَبَّهْتُ فى مَرَاشد دِينى   لأمُورٍ قَدْ نَامَ عنْهَا الأنَامُ
فَرُوائى جِسْمٌ ، ومَحْصولُ جسمى   مَلَكٌ دُونَهُ الخُطوبُ الجِسامُ ٣
وفُؤادِى بِنُورِ رَبِّى مُضِىءٌ   حِين يَغْشَى نُفُوسَ قَوْمٍ ظَلامُ
ومَقَالِى مُهَذَّبٌ وفِعــالى   مِنْ مَعِيبٍ لَفِى حِمًى لا يُرامُ
مَطْعَمِى[1] مَيِّتٌ فعَزْمِى حَىٌّ   قَائِمٌ مِنْهُ ، واللِّسَانُ حُسَامُ ٦
وغِنَى النَّفْسِ عُدَّتِى وغِنَى الدِّيـــنِ فَمَا أنْ يَضُرَّنِى الإعْدَام
فإذا ما استَمَرَّ طَعْمَ حِمَام   خَائِفٌ بَأسَه ، حَلا لِى الحِمَام
عَارِفاً أنَّه لِسَعْدِى افْتِتَاحٌ   ولأسْبَابِ مِحْنَتِى اخْتِتَام ٩
ما بَنَانِى لِلْهَدْمِ بَانٍ حاشا   هُ وبعْضٌ لِمَا بَنَى هَدَّام
ففسَادٌ فى الآخرِ النقْضُ ، وإن كا   نَ صلاحاً فى الأوَّل الإبْرَام
فُضَّ بَابُ الخَرابِ دُونَ بِنَاء   حُبُّ آلِ النَّبِىِّ مِنْه القِوَامُ ١٢
آل طه الذين هُمْ صَفْوَةُ اللّــــه ، وقَوْمٌ بِدِينِـــه قُوَّام
بَلَدٌ آمِنٌ لبـــاغى نجـاة   وجَنابٌ رَحْبٌ وشَهْرٌ حَرَامُ
نِعَمٌ قَدْ أفاضَهَا فى البَرَايا   فَتَخَلَّتْ عَنْ شُكْرِها أنْعَامُ ١٥
هُمْ نِهَاياتُ كل مَنْ بَرَأَ اللّــــه وغاياتُ خَلْقِهِ والسَّلامُ

(١) ف . ل : ومطعمى .

فإليهم تنتمي النفوس إذا را(1)   حت إلى الأرض تنتمي الأجسام
١٨ قد ثووا من مراتب الدين مثوى   قصرت عن بلوغه الأوهام
هم نظام السعود للناس طرًّا   ومعدٌّ قوامهم والنظام
هم جميعاً أئمةٌ وموالٍ   ومعدٌّ لهم جميعاً إمام
٢١ عزّ دين الإله بالطاهر الطهـ   ـر وذلت بسيفه الأصنام
علم الدين، علم العلم، مولى   فيه من نور ربه أعلام
شمس آل النبي والحرم الأكـ   ـبر والركن والصفا والمقام
٢٤ فالق الصبح في حقائق دينٍ   وجه دين الهدى به بسّام
وبه في القران قد أقسم الله   وحقٌّ بمثله الإقسام
إن معنى «مواقع الأنجم» الزهـ   ـر هم العترة الهداة الكرام
٢٧ وبهم(2) عظّم الإله وما إن   لنجوم من ربها إعظام
يا إماماً كل الفخار وراءٌ   في قياس إليه وهو أمام
أنت مما به تقدمت الأقـ   ـدام في كل معجز قدّام
٣٠ فملوك الورى المماليك طرًّا   لكم والملائك الخدّام
بكم، آدم استجار بديًّا   واستفاد الفخار نوحٌ وسام
وكليم الإله بعد خليلٍ   ومسيحٌ قوّامه الصوّام
٣٣ ويباهي النبي جدكم الطهـ   ـر الهمام المؤيد القمقام
رحمة الله في البرايا ومولى   من حوته الأصلاب والأرحام
وعليٌّ وصيه قاصم الكفـ   ـر وليث الهياج والضرغام
٣٦ يا ولي الإله يا من به تقـ   ـبل منا صلاتنا والصيام
لي في هجرة إليك تمنٍّ   قد تمنيتها وإني غلام

(١) ف : فاليهم تنمى النفوس اليهم . وفى حاشية جامع الحقائق ج ١ ص ٨٦ يروى هذا البيت :
واليهم تنمى اللطائف إن را   حت إلى الأرض تنتمي الأجسام

(٢) ق : ولهم.

وتداني من أربعين(1) لي السـ   ـن ولم يقض للتمني ذمام
فلئن فزت في مرادي بإذنٍ   هطلت لي بسعداتي الغمام ٣٩
يا ولي الإله صلى عليك الله   ما غردت بشجوٍ حمام
وتجلى صبحٌ وأظلم ليلٌ   وتقضى عامٌ وأقبل عام
هبة الله في بحور نداكم   لا غريقٌ لكنه عوّام ٤٢
فلساني لمدحكم نظّام   وفؤادي بذكركم مستهام
كم كلومٍ من النواصب مني   في حشاهم يفتكن وهي كلام
آل طه العماد لي في معادي(2)   فبهم قد كفاني الاعتصام ٤٥
طاب تشتمي فيهم ولومي، فقولوا   ليجدّ الشتّام واللوّام

(١) ل : أربعين . — (٢) ف : في المعاد.

القصيدة الثالثة عشرة

إلى كَمْ عَنانِى مِنْ هَواكَ عَناءُ   فَجِسْمِى، نُحُولاً فى هواكَ، هواءُ
يَقُولون بى الدّاءُ العياءُ وعُشْرُ ما   أُقاسِيهِ لِلدّاءِ العَيَاءِ عَيَاءُ
بَكيتُ إلى أنْ صار يَبكى لِىَ البُكا   فَهَلْ عَجَبٌ أنْ للبُكاءِ بُكاءُ
لأحْبابِنا إنّا لهُمْ عَنْ قلوبنا   وأرْواحِنا فى بُعْدِهِمْ بُعَداءُ
أحِنُّ إلى مَائى ومَرْعاى مِنْهُمُ   فَما طابَ مَرْعًى بعْدَ ذاكَ وماءُ
ومَا فى سُرُورٍ، مُنْذُ بانُوا، مَسَرَّةٌ   ومَا فى رَخاءٍ[1] لَذّةٌ ورَخاءُ
رعى اللهُ مَنْ كم سَرَّ قلبى لقاؤه   وما سَرَّ مُذْ[2] ذاكَ اللِّقاءِ لِقاءُ
خَليلىَّ مَنْ يُرْجَى شِفائى عِنْدَه   ومَنْ ذَا الذى لِى فى يَدَيْهِ دَوَاءُ
أجَلْ ذا كَمُ المَولى الإمام الذى له   جَميعُ البَرايا أعْبُدٌ وإماءُ
مَعَدٌّ أميرُ المؤمنين الذى له   عَلى ذاتِ ما يُسْمَى العُلُوَّ عَلاءُ
إمامُ الهدى المستنصر[3] الطهر ماجد   به السَّعْدُ نال السَّعْدَ والسُّعَداءُ
نَجاةُ النَّجَا لو كان ذلك سائغا   رَجاءُ الرَّجا لو للرَّجاءِ رَجاءُ
إذا ما رِداءُ العِزِّ يُبْتَغَى ليرتدى   فللْعِزِّ مِن عِزِّ الإمامِ رِداءُ
ويَسْتَعْظِمُ الناسُ القَضاءَ، ورأيُه   نَفُوذٌ على حَتْمِ القَضاءِ قَضاءُ
تَزَيَّنُ مَدْحُ المادحين بذكره   فَمَعْنُه تَبَدَّتْ مِدْحَةٌ وثَناءُ
ولاؤُكَ مولانا عِمادى وعُدَّتى   فَما نَافِعٌ مِنْ دُونِ ذاك ولاءُ

---

(١) ف : رخاء . — (٢) ف : من . — (٣) ف : المستظهر .

إذا ما لواءُ الحَمْدِ زَيَّنَ أهْلَه   فأنْتَ لِمحْمُودِ اللِّواءِ لِواءُ
وإن خلّصَ النّاسَ الضياءُ من الدجى   فأنْتَ لأعلامِ الضِّياءِ ضِياءُ
تُباهى بك الأرضُ السّماءَ حقيقة   فأنْتَ لِمَنْ فوق السَّماءِ سَماءُ
وَرَاءَ طلابِ العزة، الناسُ كلهم   وأنك قُدّامٌ وتلك وراءُ
كلام سِوَى فى مكرماتك باطلٌ   ومدحٌ سوى ما قيل فيكَ رياءُ
وسَعْىُ الذى صَلَّى وزكى ولم يُجِب   بدين الإمامِ الفاطِمِىِّ هَباءُ
فذاك الذى رَبَّتْه نُعْماك إنه   صباحُ الذى عاداك منه مِساءُ
يُصَغِّرُه أهْلُ الصِّغار[1] وهمُّه   مَدَى الدَّهرِ مِنْ فَوْقِ السَّماءِ سماءُ
فكم من قلوب أقرَحتْها[2] سِهامُه   قلوبٌ عليها للضلالِ غِشاءُ
يقول لذى قدْحٍ أتى فيك قادحاً   صَوابَ مقالٍ[3] ليس فيه مِراءُ
شقاؤك فى جيد الشقاء قلادةٌ   وهلْ عَجَبٌ أنْ للشّقاءِ شَقاءُ
وذِكْرُكَ هَجْوٌ للهِجاءِ فمن يُرِدْ   بَديعاً فذكرى[4] للهجاء هجاءُ
إمامُكَ مَنْ للدين قام مُنادِيا   إمامٌ له فى الخافقين نِداءُ
إليه انتهى نصُّ الإمامة[5]، علمه   لِمَرْضَى قلوب العالمين شِفاءُ
فَمَنْ بعده يُبْتَغَى وهلْ قط يشتفى   مكانَ زلالٍ بالأجاجِ ظِماءُ
وهل لسواه فى ثبوت إمامة   دلائلُ قامت للورى شُهداءُ
فإن السموات العلى ونجومها   جميعاً لاشهادٌ بها نُطقاءُ
فمن كان للسرداب تطمح عَيْنُه   فذلك سُقْمٌ فى العقول وداءُ
عليك به ما أنت إلا كقابض   على الماءِ، ما فى القَبْضِ منه بَقاءُ
نشيدُ ابن موسى عبدُ صدقٍ مجاهد   قُصاراه حقاً خِدْمَةٌ ودُعاءُ

---

(١) ف : السماء — (٢) ف : اقدحتها . — (٣) ف : مقال صواب .
(٤) ق . ف : فذكرك . — (٥) ل : نص إمامه .

القصيدة الرابعة عشرة

قَدْ عزَّ دينُ الله بالظَّـــاهِرِ   مَوْلى الانامِ الباطِنِ الظَّاهِرِ
نَجْلُ الإمامِ الحاكمِ المُجْتَبى   وابنُ الإمامِ الطَّيِّبِ الطَّاهِرِ
شَمْسُ الضُّحى بحْرُ النُّهى والحِجا   شَمْسٌ بَدَتْ مِنْ قَمَرٍ زَاهِرِ
أشرَقَتِ الأرْضُ بأنوارِها   وأصْبَحَتْ مَيْمونَةَ الطَّائِرِ
وأبرَزَتْ راياتِ حَقٍّ لها   يَنْقادُ صَرْفُ الفَلَكِ الدائِرِ
جاءَتْ سُيُوفُ الله مَسْلولةً   مِنْ غَرْبِها تَفْتِكُ بالغَادِرِ
تُجَرِّعُ الأعْداءَ ماجرَّعوا   عَشِيرَةَ الصَّادِقِ والبَاقِرِ
قل لبنى العبَّاسِ أصْبَحْتمُ   مالكم فى الأرضِ مِنْ ناصرٍ(1)
قد انْقَضَتْ دَوْلةُ أوْثانِكم   وأصْبَحَتْ مَقْطوعَةَ الدَّابِرِ
أيْبَسْتُمْ عُود الهُدَى بُرْهَةً   فَعادَ غَضًّا نُزْهَةَ النَّاظِرِ
مَنابِرُ الإسْلامِ قَدْ طُهِّرَتْ   مِنَ سِمَةِ الطَّائِعِ والقَـــادِرِ
فَلَيْسَ يَعْلوُها لَهُمْ خاطِبٌ   مِن فاجِرٍ يَنْمى إلى فاجِرِ
عادَتْ إلى آلِ أبى طالِبٍ   تَسْتَبْدِلُ الغامِرَ بالعامِرِ
مَنَّ على مُسْتَضْعِفِى قومِهِم   وحاقَ سُوءُ المَكْرِ بالماكِرِ
وأوْرثوا الأرْضَ بِرَغْمِ العِدَى   فما لَهُمْ فى النَّاسِ من قاهِرِ
قد وضح(2) الصُّبْحُ وجَلَّى الدُّجى   فهلْ لضَوْءِ الصُّبْحِ من ساتِرِ

(1) ل : بالناصر . — (2) ح : قد أوضح .

يابنَ رَسُولِ الله يا خَيْرَ مَنْ   أنشئ مِن بادٍ ومن حاضِرِ
مَنْ ذا يُباريك وضَوْءُ الضُّحى   مُقْتَبَسٌ من نورِكَ الباهِرِ
أمْ مَنْ يُباهيك وعز الوَرى   مُكْتَسَبٌ من عِزِّكَ الوافِرِ
عِزٌّ سَنِيٌّ مِنْ لدُن آدم   يتركه الأوَّلُ للآخِرِ
ماضِيكُمُ أشرفُ من قد مَضى   كذلك الغابِرُ فى الغابِرِ
يا ظاهرا ، وَجْهُ التُّقى ناضِر   مستبشر من وجهِهِ النَّاضِرِ
يا غيثَ راجيـــه ويا غَوْثَهُ   وجارُهُ مِنْ دهْرِه الجائِرِ
يا مَلجأ الضُّعَفا ومَنْجاهُمُ   ويا مُقيلًا عَثْرَةَ العاثِرِ
أنتَ الذى قد قمت من أحمدٍ   حَقًّا مَقامَ القَلبِ والنَّاظِرِ
سَيْبُكَ عيش للموالى كما   مَوتُ العِدَى من سيفِكَ الباتِرِ
أنتَ الثُّريّا والوَرَى كالثَّرَى   وأنتَ قُصْوَى مَفْخَرِ الفاخِرِ
عِلْمُكَ بَحْرٌ ، وعلومُ الوَرَى   كقطرةٍ مِنْ بَحْرِكَ الزَّاخِرِ
يا صَفْوَةَ الأبرارِ ، يا خَيرَ مَن   قَدْ قامَ مِنْ ناهٍ ومِنْ آمِرِ
يا « بَلَدَ الله الأمين » الذى   قد زاغَ عنه بَصَرُ الكافِرِ
يا جابرَ الحقِّ الذى كسَّروا   ويا مُزيلًا دَوْلةَ الكاسِرِ
وكاسِرا باطِلَ ما أبدعوا   نَفْسى فِداءُ الكاسِرِ الجابِرِ
صَلَّى عليكَ الله سُبْحانه   ما يُسْمَع(1) التغريدُ مِنْ طائِرِ
وابنُ أبى عمرانَ إن كان فى   مدحك عَيْنُ العاجِزِ القاصِرِ
غيرَ مَلومٍ إنَّما مَدْحكم   تَضيقُ عنهُ سَعَةُ الخاطِرِ

(1) ل : ماسمع .

القصيدة الخامسة عشرة

يا أنيسَ الفؤادِ بُعْداً وقُرْبا لمْ يَذَرْ لي الفِراقُ عقلاً وقلبا
كان حرُّ الأهوازِ عندي بَرْدا وشَراباً عذابُه لِيَ عذْبا
٣ ورياحُ السَّمومِ رَوحَ جِنانٍ وسوادُ السِّباخِ نَوْراً وعشْبا
حين كان المُرادُ منك قريباً نَلْتقي دائباً وأقصاهُ غِبّا
نتَجارَى ويُؤنِسُ البعضُ بعضاً ونُقَضّي وقتاً ونطرُدُ كَرْبا
٦ ترتعُ النفسُ في حدائقِ قُربٍ منكَ، قد أشبهتْ «حدائقَ غُلبا»
فافترقنا، وفرّقَ الدهرُ شملاً لِسُروري، وصَبَّ دمعِيَ صَبّا
شُقَّ[1] منّي الفؤادُ شقّاً، وأشْتَقَ بالضّنا شيّقاً إلى الوصلِ صَبّا
٩ لستُ أنساهُ طالعاً لي من البا بِ حبيباً أتى يزورُ مُحِبّا
قلت: أهلاً بنورِ عيني وإن كا نَ إهابي منهُ لمّا آن عَتْبا
قال: ذا العَتْبُ كلُّه والتجنّي لِمَ؟ قُلْ لي فلستُ أعرفُ ذنْبا
١٢ قلت: بالأمسِ لمْ تَجُدْ بلقاءٍ ولقدْ كان لي من الطولِ حُقْبا
قال: وسْوسْتَ إذ تراخيتُ يوماً وجعلتَ الشّجا لنفسِك تِرْبا
فلئن غبتُ فكيفَ تصنعُ بعدي؟ أم مِنَ الشِّعبِ كيف تسلك شِعْبا؟
١٥ ولقدْ جئتُ قاصداً لوداعـ ـك كي أنثني والحقُّ صَحْبا
ثمَّ ولّى وقال: استودعُ اللّـ ـهَ مُحِبّاً ما شابَ بالحبِّ حُبّا

(١) ف : سقط هذا البيت .

فرأيتُ الدموعَ تنهلُّ سكبا جزَعاً والحياةَ تُستلبُ سلبا
ورأيتُ الحريقَ بينَ ضلوعي ينهبُ الصبرَ والتماسُكَ نهبا ١٨
فلوَ انّ امرأً بصدمةِ همٍّ كان يُردَى، قضيتُ للحالِ نحْبا
في حمى الله راحلٌ يُرحِل الأنـ ـسَ ولم يُبْقِ سالماً ليَ جَنْبا
قُلْ لمن ضامَني بصدرٍ وأزكى نارَ وجدٍ بينَ التراقي وشبّا ٢١
أتَرى[1] إذْ لمْ أستطعْ منك صبْرا أفلا أستطيعُ في الأرضِ ضرْبا
إنْ تكنْ لي شيرازُ داراً ومنها نشأَ الجسمُ لي وليداً وشيبا
فحقيقٌ مَقْتي لها، فهْيَ عُشٌّ لعتيقٍ ولأدلمِ الرِّجسِ نُصْبا ٢٤
قد بدا لي منَ الإيابِ إليها ضاقَ بي شرقُكُم فيمّمتُ غرْبا
قاصداً مِنْ حمى معدٍّ جنابا حُفَّ بالرُّشدِ والمساعِدِ رحْبا
الامامُ المستنصرُ العائذُ الدّيـ ـنُ بلُقْياه[2] اخْضرَّ العودُ رطْبا ٢٧
ردَّ نحسَ الأيامِ من نقلةِ الظا هرِ سَعْداً، وسودُها ردَّ شُهْبا
فغدا ضاحكَ المباسمِ دينٌ كان يذري الدموعَ غرْباً فغرْبا
وغدا ماضيَ الغرارينِ سيفٌ للهدى، كَلَّ فقدُه منه غرْبا ٣٠
وبه عالمُ الملائكِ أمسى مُستقِلّاً، وأمرُه مستتِبّا
واستقامتْ أفلاكُهُ دائرات بمَعدٍّ إذ قام منهنّ قُطْبا
وبه الأرضُ أنبتتْ باهتزازٍ بعدَ فرْطِ الهمودِ حبّاً وأبّا ٣٣
وبه ماءُ رحمةِ الله أمسى فائضاً في الأنامِ سكْباً فسكْبا
حبّذا مِصرُ بالإمامِ معـ ـدٍّ سيدِ العالمين عُجْماً وعُرْبا
يا مسيحاً يُكلّمُ الناسَ طِفلا ضلّ في شأنه أخو اللُّبِّ لُبّا ٣٦
لستَ دون المسيحِ، سمّاه ربّا أهلُ شِرْكٍ، ولا نُسمّيكَ ربّا
تُربُ نعليك ليته[3] كُحْلُ عيني أم لِنَعليكَ ليتني كُنتُ تُرْبا

(١) ح : يروى هذا البيت بعد الذي يليه . — (٢) ح : (على الهامش) بلقياه .
(٣) ل : ليت .

٣٩ لِىَ نَفْسٌ تَشِيمُ بَارِقَ خَطْبٍ مِنْكَ قد يُبْهِرُ النَّوَاظِرَ خَطْبا
فى ظَلامٍ تَجْلو ونورٍ تُجَلِّى وبِجَدْبٍ عنه تُعَوِّضُ خِصْبا
وبحارٍ مِنَ المَقَانِبِ تَسرى أَلِفوا النَّصْرَ فى المقَاصِدِ رُعْبا
٤٢ يَخْطَفونَ الأَرْواحَ بالرُّعْب خَطْفاً قبْلَ أنْ يَشهدُوا لدَى الحربِ حَربا
يَنْفذون الأَطواد فى الطَّعْن طَعنا ويَشُقُّونها لدَى الضَرْبِ ضَرْبا
فَتَرَى النَّقْعَ فى حِمَى الحربِ ليلا وبِرَاقَ الحِرَابِ والبيضِ شُهْبا
٤٥ والعِدَى كالغُثَاء يَحْمِلُهُ الرِّيــــحُ بأَدْنَى أَجْزَائِها حينَ هَبَّا
حَكَمَ الله أن يَرُدَّ إليْكم مُلْكَ دنْيَاكُم الذى نِيلَ غصبا[1]
ويُذِلُّ الصِّعابَ للفاطميـــينَ ويَصْفِى لهمْ من الدَّهر شِرْبا
٤٨ ويُذِلُّ العدى فيَلْقَوْنَ خَسْفا ومَضِيقا فى مَدْرَجِ العيْشِ صَعْبا
هِبَةُ الله فى قُلوبِ الأعَادِى بِنَظيم الألفاظِ يَثْقبُ ثَقْبا
هُو فى حَوْمة الجهادِ مَدى الدهــــرِ يُلاقِى الطُّغَاةَ حِزْباً فحِزبا
٥١ عِرْضُهُ عُرْضَةُ المَهالِكِ فى اللّــــه فلا بأسَ لوْ تَقَطَّعَ إرَبا
فَعَلى ذاك بَايَعَ الله قِدْماً وبه باع منـــه مالاً وسِرْبا

(١) ف : غضبا .

القصيدة السادسة عشرة

أهْلا بِمَنْ حلُّوا الفُؤا دَ وإنْ هُمُ بالشَّرْق حلُّوا
فالقلبُ بَيْتُهُمُ على بُعْـــدٍ وَهُمْ ولِلبَيْت أهْلُ
ودُمُوعُ عَيْنِىَ بَعْدَهُمُ فى صَحْنِ خدِّى تَسْتَهِلُّ ٣
والجِسْمُ مِنْ طُولِ الضَّنا والشَّوْقُ يُوشِك يَضْمَحِلُّ
رَبِّى حَسِيبُك يا زما نُ أما فَعَلْتَ بِنَا يَحِلُّ
فَرَّقْتَ شَمْلَ سُرُورنا منْ بَعْدِ ما قد ضُمَّ شَمْلُ ٦
أنَّى — بِعَدْلِ إمامِ حَقٍّ عَمَّ مِنْه الخلقَ عَدْلُ
تَغْشاكَ سَطْوَتهُ لَعَلَّــــكَ بَعْضَ ما أسْلَفْتَ تَبْلو
بِفِنَاءِ مَوْلانا مَعَدْ دٍ عَنْ فِنَاءِ الخلق أسْلو ٩
أفْدِيه ، كمْ لِى وابِــلٍ مِنْ صَوْب نُعْماهُ وطَلٌّ
والأَهْلَ أفْدِيهِ بِهِـــمْ والمالَ ، فهْو لِذاك أهْلُ
نَجْـــلُ النَّبىِّ المُصْطَـــفَى مَوْلًى بِهِ العَشْواءُ تجْلو ١٢
أكْرِمْ به فَرْعاً مَعَدْ دُ ، والنبىُّ الطُّهْرُ أصْلُ
وابن الأُولى بِهُـــدَاهُمُ فينـــا بَدَا حَرَمٌ وحِلٌّ
الراكعيـــن الساجديـــن عليهمُ يا قوم صَلُّوا ١٥
الطـــاهريــــن نَجَلٌ مَوْلانا وجَلوا
مـولى ، مُوالِيـــه الأعـــز ، كما مُعـــادِيه الأذل
ذو نســـبة بالمصـــطفى والمُرْتَضَى يَسْمُو ويَعْلو ١٨

بكثيفه ولطيفه فأساسه نفس وعقل
يا من ملوك الأرض ملك يديه والعبدان كل
٢١ وله ملائكة السما ء جميعها خيل ورجل
إنى انسللت من الذين(١) على سيف البغى سلوا
لما رأوا فأسا به عرش ابن عباس يثل(٢)
٢٤ همّوا ببسط يد إلىّ بكل موبقة فغلوا
فأتيت بابك ذا حسا م إن جلاه منك صقل
يفرى ويبرى فى عدا ك فلا يفل ولا يكل(٣)
٢٧ صلى عليك إلهنا ما دام بعد ودام قبل

(١) ل : على السيف التى سلوا . — (٢) ف : يفل . — (٣) ح : يثل .

القصيدة السابعة عشرة

نسيم الصبا ألمم بفارس غاديا … وأبلغ سلامى أهل ودى الأزاكيا
وزر بقعة الأهواز عنى محييا … بها غرر إخوانى ، وأرجان تاليا
وقل لهم : إنى رهين صبابة … صبابة واديها تزيل الرواسيا ٣
وقل كيف أنتم بعد عهدى فإننى … بليت بأهوال تشيب النواصيا
لبست لباس الذل فى أرض غربة … وكم ذا لعز قد سحبت ردائيا
وقاسيت صعبا بين حل ورحلة … يقلب قلب الصخر أدناه واهيا ٦
وعاركت من برد الشتاء معاطبا … بسيرى ، ومن حر الهجير مكاويا
ولابست أقواما غلاظا طباعهم … تظل بنو الآداب فيهم خوافيا
سيبكى على الفضل والعلم إن رمت … بنبلى يد الدهر العسوف المراميا ٩
وبت حبالى عن ديارى وأسرتى … وصير مغنى الدين منى خاليا
وأسكت منى فى حمى الشرق خاطبا … لهم بمزايا الفضل فى الخلق جاليا
وعطل منى مسجدا أسه التقى … لآل رسول الله بى كان حاليا(١) ١٢
وأغمد سيفا طال ما أهلك العدى … بمرهف حديه وأحيى المواليا
وغادرنى فى ظلمة التيه خابطا … فنبه مرعيا ونبه راعيا
وضيع قوما إن دعونى لحادث … ألم بهم يوما أجبت المناديا(٢) ١٥
فلهفى على أهلى الضعاف فقد غدوا … لحد شفار النائبات أضاحيا

(١) ف : لآل رسول الله من كان واليا . (٢) ل : المناحيا .

فياليت شعرى من يغيث صريخهم ... إذا ما شكوا الحادثات العواديا
١٨ وياليت شعرى كيف قد أدرك العدى ... بتفريق ذات البين فينا المباغيا
أإخواننا صبراً جميلا ، فإننى ... غدوت بهذا فى رضى الله راضيا
وفى آل طه إن نفيت فإننى ... لأعدائهم ما زلت والله نافيا
٢١ فما كنت بدعاً فى الأولى فيهم نفوا ... ألا فخر أن أغدو (جندب) ثانيا
لئن مسنى بالنفى قرح فإننى ... بلغت به فى بعض همى الأمانيا
فقد زرت فى (كوفان) للمجد قبة ... هى الدين والدنيا بحق كما هيا
٢٤ هى القبة البيضاء قبة (حيدر) ... وصى الذى قد أرسل الله هاديا
وصى النبى المصطفى وابن عمه ... ومن قام مولى فى (الغدير) وواليا
ومن قال قوم فيه قولا مناسبا ... لقول النصارى فى المسيح مضاهيا
٢٧ فواحبذا التطواف حول ضريحه ... أصلى عليه فى خشوع تواليا
وواحبذا تعفير خدى فوقه ... ويا طيب إكبابى عليه مناجيا
أناجى وأشكو ظالمى بتحرق ... يثير دموعاً فوق خدى جواريا(1)
٣٠ وقد زرت مثوى الطهر فى أرض (كربلا) ... فدت نفسى المقتول عطشان صاديا
ففى عشر ما نال (الحسين بن فاطم) ... ليمثلى مسلاة لئن كنت ساليا
ولى عزمة إن تمم الله خطبها ... كفانى تمام العزم للصدر شافيا
٣٣ حلول بباب القصر يقضى لبانة ... لنفسى وألفى(2) نائى الأنس دانيا
فأونس منه نجم سعدى طالعا ... كما منه ألفى ناجم النحس هاويا
بباب ثوى حيث السماك علوه ... أجل ، بل غدا فوق السماكين عاليا
٣٦ لمولى الورى المستنصر الكاشف الدجى ... وصفوة من أمسى على الأرض ماشيا
ومن ضمت الدنيا ومن وطئ الثرى ... وأشرف من أجرى العتاق المذاكيا(3)
إمام يمد الشمس نور جبينه ... كما جود كفيه يمد الغواديا
٣٩ حوى كفه فيضى نوال وحكمة ... فغدا بهما يحيى العظام البواليا

(1) ل : جواديا . — (2) ق . ح : والقى . — (3) ف : المذاقيا .

ولا يأس من روح الإله بأن أرى ... على جد عزمى فيه جدًّا مؤاتيا
فأنقض عنى(1) كل هم ببابه ... وأختم من أيام عمرى البواقيا
٤٢ فياشامتا بالنفى لى كف إننى ... عقدت به فوق المعالى معاليا
أآل على كم وكم فى ولائكم ... قصدت ، وكم فيكم لقيت الدواهيا
وكم قد طويت البيد فيكم مروعاً ... وكم بت من روحى على اليأس طاويا
٤٥ فلم يثن وجه العزم لى عن ولائكم ... وكيف أرى عنكم لوجهى ثانيا(2)
وأنتم عمادى فى معادى وعدتى ... ومثوى رجائى كى تغيثون(3) راجيا
وأنتم كتاب الله يثبت راشدا ... محققا ويمحو مبطلا عنه غاويا
٤٨ أغيثوا وليا خاض فى بطشة(4) العدى ... بحبكم بحراً من الهم طاميا
وفكوا ابن موسى من ضنى الهم والجوى ... فقد صار من لبس الضنا متلاشيا
وكونوا لمن آذاه خصما فإنه ... على عجل لا شك يلقى المهاويا
٥١ عليكم سلام الله يا آل أحمد ... مدى الدهر ما تبدو النجوم سواريا

(1) ف : عمى . — (2) ف : ثانيا .
(3) هكذا فى جميع النسخ . — (4) ح : من بطشه .

القصيدة الثامنة عشرة

بِنَفسى هادى الخلقِ من ولدِ المهدى   إمام زَمان اوتى الحكمَ فى المهْد
بنفسى معد عُدَّتى عند شِدَّتى   إذا لم أجِدْ نفعاً بمال ولا ولد
٣ عقدْتُ وَلائى للإمامِ الذى به   يصح لِتَوْحِيدى بِتَحقيقِه عَقدى
بنو المصطفى مِنْ جَوْهر الخلق عِقدُه   وهاك معدا منه واسِطة العِقد
أيا أيُّها المولى الذى من سعوده   مَواليه مَكنُوفون باليُمن والسَّعْد
٦ بجدك ، يا مَنْ خاتِم الرسل جدُّه ،   غَدَتْ دَعْوةُ الإيمان عالِيَة الجدِّ
بإرشادك الزاكى ، عبيدُك أصبحَتْ   تُقَطِّع هام الغَىِّ صمصامةُ الرُّشد
لنفسك نفسى فدية ان فرْضَ ما   لنفسك أن تُفْدى ونفسى أنْ تفدِى
٩ بقربك أسلو عن دِيارٍ وأسرة   لأَجْلِكم عنها غدا العبْدُ بالبُعْد
نسيمَ الصَّبا ألْمِم بفارس غاديا   وسلْ أهل وُدِّى كيف حالهم بعدى

القصيده التاسعة عشرة

مَجْدٌ سَما فهو للسماء سَما   أبُو تميم بِتاجه وُسِما
والدَّهْرُ منه مُتَوَّجٌ شرفا   عمَّ البرايا مُعَمَّمٌ كرَما
خَليفَةُ الله ، فَيْضُ رَحْمته   فى الخَلقِ ، روضُ الهُدَى به ابتَسما ٣
من يبرئُ الأَكْمَهَ المحَيَّرَ عنْ   إذنِ إلهى وَيَبْرأُ النَّسما
يا حَرماً آمنا لساكنه[1]   وخائبٌ مَنْ دُخُولَه حُرِما
يا لوْحَ دينِ الهُدَى ويا قَلما   ناسبَ لوْحَ الإله والقَلَما ٦
ومَنْ تلَقَّاه آدمٌ فَنَجا   إنَّكَ قدْ كنْتَ ذَلك الكلِما
وفلكُ نوحٍ جرَتْ كذَاك بِه   فى الماء والماءُ قدْ طغَا وطَما
كما أتى البَرْدُ والسلامُ به   من رَبِّه للخليلِ إذ سَلِما ٩
وباسمه اليمُّ صار مُنْفَلِقَا   لجازَ موسى ومَنْ به اعتَصَما
وعيْنُ داوُد إذ تلاحِظه   خرَّ له ساجدًا إذا حكَما
والرُّوح مِنْ رُوحِه بدَا فغدَا   عِلْماً ليوم النُّشور أو عَلما ١٢
خاتمُ مَجْد الذى بمبْعَثِه   بعْثَ النبيين رَبُّهم خَتما
إن كان يَنْمى إلى الوصى أبا   فالمرتضى مَفْخَرا إليه نما
ما قلت زُوراً ولمْ أقُلْ شَطَطا   بل هُوَ نُورٌ لكل مَنْ فَهِما ١٥
وهُوَ هدَى مُهْتَدٍ ، وذُو لَجج[2]   بالغِشِّ نورَ الهُدَى عليه عمَى

---

(١) ف : ساكنه . — (٢) ف : ذو لطخ .

يا نِعْمَ مَا فى رِيَاضِهَا نعمت … نَفْسٌ ولِىٌّ ، وفَاتَت النِّعَما
١٨ رَمَيْتَ بِالخِزى حَاسِدِيك وما … رَمَيْتَ لَكِنَّما الإله رَمى
قُولا لأحْبَابِنَا غَرِيبُكم … بالغرب يَشْكو إليكم القَرَمَا
يا مُودِعى قَلبى اللهيف كما … أَوْدَعَ جِسْمى فراقُهم سَقَما
٢١ أشكو إلى الله من سطا زمن … علىَّ بالبُعْد عَنْكُم اجْتَرَما
إنى مُذْ زِلْت عن فِنَائِكم … عُرْضَةُ سَهْم الفَنَاءِ لا جَرَمَا
جَفَا جُفُونى الرقاد بَعدكم … وبَزَّ دَمْعى فَدَهْرُه انْسَجَمَا
٢٤ ما صُورَتى الصورة التى عَهِدَتْ … كانَتْ ضِيَاءً فبدلت ظلما
فالطير إن طار صِرْتُ مُرْتَجِفاً … والطيف إن طَاف أَزْوِى أَلَما
والنفس إن قيل لى آب خمدت (١) … والطرف من يَقْظَةٍ يَسِيلُ دَمَا
٢٧ وبعض بَلْوَاى لوْ زَحَمْت به … سر(٢) حديد لراح منهدما
والصبر قصرى الفتى فمصطبر … يصبر طوعا وصابر رَغْما

(١) هكذا فى جميع النسخ ولكن الوزن لا يستقيم إلا بقوله : والنفس إن قيل آب لى خمدت .
(٢) هكذا فى جميع النسخ وربما كان المقصود صرح حديد .

القصيدة العشرون

لَقَدْ عَلِمَتْ مِصْرُ هَا والشام … وقُطْرُ الحجاز وأرْضُ اليَمَنْ
وفارس مِنْ قَبلها والعِرَاقُ … إلى السند عمرانُها والدِّمَن
بأنى سَيْفٌ لآل النبى … صَقيلٌ صُقِلْتُ بماء اللَّسن ٣
فكم مِنْ جوهر لفظ نظمت … ودُرٍّ نَثَرْتُ عديم الثَّمَنْ
مدحت النبى وآل النبى … إلى أن قَدَحْتَ زناد الفِطَن
فكم من غشاوة جَهْل كَشَفْتُ … ورُوح نَفَخْتُ بها فى بَدن (١) ٦
وكم فَتْنَكَه برشاد فتكتُ … وكم قد هتكت لِغَىٍّ جُنَن
فَمَا عَلَمٌ فوقه شُعْلَةٌ … بأشهر من شعلتى فى الزَّمَنْ
فيا راميا لخطيب النبى … وآل النبى بداء اللَّكَن ٩
ويا نافيا عالما ناطقا … بسهميه يضرب فى كل فن
يجىء إليهم بهَدْى القلوب … كما سيق للبيت هَدى البُدن
ولم يُنْفَ عن بابهم طائفٌ … من الشرك طاف ببيت الوثن ١٢
إذا ذُدْتَنى عن حريم الإمام … تسد مَسَدِّىَ عنه بمن ؟
ليهنك أنّ سهاما رميت … أَصَبْتَ (الحسين) بها (والحسن)
(وفاطمةَ) والوصىّ الذى به … فَتَن الله مَنْ قد فَتَن ١٥
هم الخصم يوم يقوم الحساب … وكلٌّ بأعماله مرتهن

(١) ح : البدن .

إلهى ضاق علىّ الخناق　　　ولم تبق لى طاقة بالمِحَنْ
١٨ سأفرش خدى لديك النهار　　　وأشكو وأبكى إذا الليل جَنّ
عسى أن تُفَرِّجَ عنى الهموم　　　حنانا وتذهب عنى الحَزَن
إلهى أجز (١) عبدك المستضام　　　بمنك ، إنك أهلُ المِنَن

(١) ق : أجب .

القصيدة الحادية والعشرون

يا رب أنتَ المُرتَجى　　　ومَنْ سِواكَ ارْتجى
أمْ هَلْ سِواكَ فاتحٌ　　　لكل بابٍ مُرْتَج
أصْبَحْتُ لا أذهب من　　　تَحَيُّرى ولا أجى ٣
شيخاً ضعيفاً جسمه　　　فى صدره قلب شَجى
أتاه فى المأمون ما　　　فى الفكْر لم يَخْتلج
أزْعج فى(١) مَهادِه　　　ظُلْما بلا تَحَرُّج ٦
ميلا على ضعف القوى　　　منه بِصعْب المَدْرَج
مقلقل الأحشاء من　　　مَسيره فى الحدَج
حتى ثوى فى قُدُس　　　مَثْوَى المُهانِ المُحْرَج ٩
مُطَّرَحاً فى مسجد　　　لَقى بصدر حَرج
هذا جزاء من قضى　　　ستينها من حجج
وهو لآل المصطفى　　　مثل الصباح الأبلج ١٢
فى شرقها وغربها　　　يدعو بشافى الحجج
يخوض فى بحر الردى　　　بجهم فى اللجج
يا ربنا اكشف ليلنا　　　هذا بصبح الفرج ١٥

(١) ل : من

القصيدة الثانية والعشرون

هِلالٌ بَدَا من خِلالِ الدُجُنَّه — إمَامُ زَمانٍ من النارِ جُنَّه
إمامٌ هو النارِ للكاشحين — كما أنه للموالين جَنَّه
٣ إمام به عاذ أهْلُ الولاء — من شر ناس ومن شرِّ جِنَّه
إمام يُعَبِّرُ عَمَّا له — من الفضل والمأثرات الأجنه
إمام يرى دائبا دأبه — إقامة فَرْضٍ وإحياء سُنَّه
٦ إمام يُحكِّمُ فى الجاحدين — حِدَادَ السيوفِ وسُمْرَ الأَسنَّه
إمام إذا عنَّ خَطْبٌ غدا — إلى رأيه فيه تُثْنى الأَعنَّه
إمام يؤم صلاح العباد — وما للصلاح سواه مظنه
٩ إمام الهدى والهمام الذى — به قويت لمواليه مُنَّه
ولاية مستنصر بالإله — مطهرة النفس من كل هُجْنَه
سحائب أنمله وكَفٌّ — فنفس[1] الولى بها مطمئنه
١٢ إمام الهدى وأمانُ الردى — وذو المن غير مشوب بمنه
نجا مَنْ تولَّاه صدق الولاء — وويل لمضمر غِلّ وإحْنَه
معاديه عن كَثَبٍ فى السعير — حليفُ زفير وشجو ورَنَّه
١٥ بنفسى وأهلى ولىَّ الزمان — ومالىَ مال وحال ومُكْنَه
متى ليت شعرى يكون الظهور — فيكشف مولى الورى كلَّ مِحْنَه

(١) ل . ف : ونفسى .

ويفتن قوما هُمُ أسسوا — واشياعُهم كل جَوْر وفتنه
١٨ وينزع بالسيف غل الصدور — وينفى سخيمتها[1] المستكنه
هنالك لا فدية تُرْتَجى — قبولا ولا يُرْتَجى عَقْد هُدنه
سيندت فضلك منى اللسان — إذا نعت الغير توريدَ وَجْنَه
٢١ وغير مديحك لهو الحديث — ومدحك دين وفضل وفطنه
فَخُذْها جوابا لِنَجْلِ (المعز) — «أسربُ مهًا عنَّ أم سِربُ جِنَّه»

(١) ل : سخينها .

القصيدة الثالثة والعشرون

ألاَ مَا لهذى(١) السما لاَ تمُورُ — وما للجبال تُرى لاَ تَسيرُ
وللشمس ما كورت والنجوم — تضيء وتحت الثرى لاَ تغُورُ(٢)
٣ وللأرض ليست بها(٣) رجفة — وما بالها لا تفور(٤) البحورُ
وما للدما لاَ تحاكى الدموع — فتجرى لتبتل منها النحور
أنبقى القلوبُ لنا لاتُشقُّ — جوىً ولو أن القلوب الصخور
٦ ليوم (ببغداد) ما مثله — عبُوس يراه امرؤٌ قمطرير
وقد قام دجّالُها أعْوَر — يخُفُّ به من بنى الزُّور عُور(٥)
فلا حدَبٌ منه لاينسلون — ولا بقعةٌ ليس فيها نفير
٩ يرومون(٦) آل نبي الهُدى — ليُرْدَى الصغيرُ ويَفنَى الكبيرُ
لتنهب أنفُس أحيائهم — وتُنبش للميتين القبور
ومنْ نجل (صادق آل العباء) — ينال الذى لمْ ينلْه الكفور(٧)
١٢ (فموسى) يشق له قبرُه — ولمّا أتى حشرُه والنشُور
ويُسْعَر بالنار منهُ حريمٌ — حرام على زائريه السعير
وتقتل شيعة آل الرسول — عتوا وتُهتَك منهم ستور
١٥ فواحسرتا(٨) لنفوس تسيل — ويا غمتا(٩) لرؤوس تطير

(١) ف : لهذا . — (٢) ف : لا تخور . — (٣) ق . ح : لها .
(٤) التكملة عن ح و ق و ف . — (٥) ل : منها . — (٦) ل : يرمون .
(٧) ل : كفور . — (٨) فيا حسرتا . — (٩) ف : ويا غمطا .

وما نقموا منهم غير أنْ — وصى النبى عليهم أمير
كما العذر فى غدرهم بغضُهم — لمن فرض الحبَّ فيه «الغدير»
فيا أمة عاثَ فيها الشقاء — فوجْهُ نهارِ هداها قتيرُ ١٨
وشانِئُها خصمُها فى المعاد — لها الويلُ من ربِّها والثُبُور
قتلتم حسيْنا لِمُلْك العراق — وقلتم أتاكم له يستشير(١)
فما ذنب موسى الذى قد محتْ — معالِمه فى ثراه الدهور ٢١
وما وجه فعلكم ذا به — لقد غرّكم بالاله الغرور
أيا شيعة الحق : طاب الممات — فياقوم : قوموا سراعا تثُور(٢)
فإما حياة لنا فى القصاص — وإما إلى حيث صاروا نصير ٢٤
أآل المسيب ما زلتمُ — عشيرَ الولاء فنعم العشير
ويا آل عوفٍ غيوثَ المُحول — ليوثا إذا كاع ليثٌ هصُور(٣)
أآل النُهى والندى والطعان — وحزب الطلى حين حر(٤) الهجير ٢٧
أصبرا على الخسف ، لا همّكم — دنىٌّ ، ولا الباع منكمْ قصير
أتُهتك حرمة آل النبى — وفى الأرض منكم صبى صغير
وقبر ابن صادق آل الرسول — يُمسّ بسوء وأنتُم حُضُور ٣٠
ولما تخوضوا بحار الردى — وفى شعبِه تنجدوا أو تغُورُوا
لقد كان يومُ الحسين المُنَى — فتُفدَى نفوسٌ وتُشفَى صدور
فهذا لكم عاد يومُ الحسين — فماذا القصور وماذا الفتور ٣٣
فمدوا الذراع ، وحدُّوا القِراع — فيوم النواصب منكم عسير
وولُّوا (ابنَ دمنة) أعمالَه — تبُورُ كما المكر منه يبُورُ
فقتلا بقتلٍ ، وثكلاً بثكل — ذرُوه تجزُّ عليه الشعور ٣٦
لتمسى رحا الحرب طحّانة — تمرّ كبُّها وعليه تدور
فلا تضعفوا إنّ مستنصرا — ولىّ الاله ولىٌّ نصير

(١) ل : يستثير . — (٢) ق : فثوروا . — (٣) ف : حصور . — (٤) ل : بحر .

٣٩ أتُظلَمُ مِنْ رأينا شيعةٌ ... وفينا سِراجُ الإله المنيرُ
وتَحدُثُ في حدِّنا نبوةٌ ... ولله فينا حُسامٌ شهيرُ
ستغضب في عمّهِ عصبةٌ ... فتلقى دِماءُ الأعادي تفور
٤٢ ويلقاهُمُ من سطاه ثُبورٌ ... وشيكا(١) ويُلقى عليهم ثبير
وتُسمَعُ في دارهم صَيحةٌ ... تنوب عن الصّور إذ ليس صورُ
ويُدركهم مدُّ بحر الجيوش ... فلا عاصم منه حصنٌ وسور
٤٥ وتَهمي عليهم سماء الصّفاح ... وسُمرُ الرماح فهلّا مجير
فكم للظُبا(٢) فيهمُ ملعبٌ ... وكَمْ في الوَغَى من شباها هرير
فللسيف في فَلْقِ عظم طنينٌ ... وللرمح في فتقِ جِسْمٍ صرير
٤٨ وللدم إذ سال منهم دويٌّ ... وللروح إذ فاز عنهم خرير
وللهام من وقع ضرب شهيق ... وللقلب من حر كرب زفير
فأرواحُهم في عذاب السعير ... بما كسبوا ولبئس المصير
٥١ وأجسادُهم في الفلا طُعمةٌ ... تقاسمها وَحشُها والطيور
فقل لبني البغي لا تعجلوا ... فقد آن للأرض منكم طهور
وقل للطغاة : بإدباركم ... تهبُّ الصَّبا بعد ذا والدَّبور
٥٤ حياتكم بعد هذا ممات ... وظلكم بعد هذا حرور
ودائركم بعد هذا الردى ... ببغيكم والجحيم المزور
لقد نفر الدينُ عن بقعة ... سكنتمُ ، فللسعد منها نفور
٥٧ إلى الله وابن نبي الهدى ... إمام الزمان تصيرُ الأمور
إليكم بني المصطفى خدمة ... توخّى بها الفوزَ عبدٌ شكور
وإن «ابن موسى» لِمن حبّكم ... أنيسٌ نهارا ، وليلا سمير
٦٠ وليس له غيره متجرا ... فأرجو تجارته لا تبور

(١) ف : ويشق . — (٢) ف . ق : للصبا .

القصيدة الرابعة والعشرون

مَنْ ذا لِجسمٍ بالجوى مهزولِ ... وعن الكرى في طرفهِ معزولِ
مَنْ للهزيل ، عزاؤه في نفسه ... مَنْ للجسيم الهمِّ غيرِ هزيل
مَنْ للوحيد بدار(١) غُربته بلا ... أهلٍ ولا سكنٍ بها وخليل ٣
مَنْ للذي أكلَ الضّنا أحشاءه ... فغدا كهيئة عصفِها المأكول
يا مَنْ يَشُدُّ إلى العراق مطيةً ... والركبُ قد نادى ضُحىً برحيل
قُلْ «لابنِ عباس» لِيَهنِك إنني ... حيث اعتززتُ به أذلّ ذليل ٦
ولطالما رهقتْكَ مني ذلةٌ ... من قبل يُدني للحمول حمولي
ورمى(٢) بنا قوسُ النوى عن عهدكم ... كم لي هنالك من أخ وعديل
أسرى ، وأسرى مركبي ، وندامتي ... زادي ، وخوفي في الفلاة دليلي ٩
وشققتُ جيبَ الأرض شقاً نحو من ... وقفتْ لديه ، ركائبُ التأميل
فرأيتُ نيلا فائضاً ، تماسحه ... متشمّرٌ يحمي حريمَ النيل
لا تأسفوا إن كان قتلي فاتكم ... إني بسيف الذل شرُّ قتيل ١٢
وقْعُ الضنى لأشد وقعاً بالفتى ... مِنْ قتلهِ بالصارم المصقول
هذا كذا(٣) وجميع ذلك هين ... في حب أهلِ الوحيِ والتنزيل
لو أنني قُطّعتُ إرْباً ما رمى ... حدَّ الولا مني لهم بفلول ١٥
ولمّا ثنى عن حبّهم عزمي ولا ... شايعتُ غيرَ قبيلهم بقبيل

(١) ف : من للوحيد غربته . — (٢) ل : وما ربنا قوس . — (٣) ل : هذا وكذا .

يا للرجال غَدَا (ابنُ دمنة) موريا — قدحا يباعِ منه غيرِ طويل
١٨ مستنصراً (للقيروان) وكلها — كيد يَرُدُّ الكَيْدَ فى تضليل
مستنفرا لهم على ابن نبيهم — ذى البيت والتحريم والتحليل
ذاك «ابن اسماعيل» حافظ كعبة — رُفِعَتْ قواعِدُها «باسماعيل»
٢١ قام (ابن دمنة) إذ رآنا نُوَّماً — يختال جُبْناً فى ثِيَاب صَؤُلِ
أنسَتْه غِرَّته مُجاوَرتى له — وَغَرامُه فى رَنَّةٍ وَعَويل
يَخْشى مُغافَصَتى بأخذ خناقه — فى دَيْلم أُسْدِ الهياج وجيل
٢٤ إنى شهاب قد أُعِد لرَجْمه — إن يَلْقَه(١) يُنْكِله كل نكول
انقض من مصر عليه فجاءة — كالموت يَفْجؤه بغير رَسول
أسْرِى بقلب غَضَنْفرٍ لِلقائه — وأذيقه بأساً كبأسِ الفيل
٢٧ وأسومه سوم العذاب كعادتى — فيه ، وأسلمه لشر مقيل
مستظهرا بسعود مولانا على — تدميره والله فيه وكيلى

(١) ف : يلقنى .

القصيدة الخامسة والعشرون

من ذا لشيخ للفَنَا — حَنَاهُ دَهْرٌ فانحنى
وفعلُه فِعْل الخنَا — والموت منه قد دَنَا
٣ ما يستوى(١) بل يَلْتَوِى — فَجَهْلُه داءٌ دَوِى
حتى متى لا يَرْعَوى — لا يَنْتَهى عَمَّا جَنَى
قولاً تَنَبَّه يا شقِى — كم قدر عُمْرٍ قد بَقِى
٦ والبس لباس المُتَّقِى — من قبل يغشاك الفَنَا
جاوزت نِصفا للمية (٢) — فكم وكم ذا مُخْزِية
أفق وقم للتعزية — فالعمر مهدود البنا
٩ سيف المنايا جارحك — قُدَّتْ به جَوَارِحُك
أقْسَم لا يبارحك — بالجرح حتى تُدْفَنَا
فى الجهل يا من قد وَحِل — عما قليل ترتحل
١٢ فعدٍّ عما تنتحل — من مدٍّ أطْنَاب المنى
قد وطئ اللحدُ القدم — فآن أن تبكى بدم
يقرع سِنًّا من ندم — وانٍ على ما قد وَنَى
١٥ فى(٣) واجب قد أهمله — فى دينه لا أمَّ له
ومستحيل امَّله — فعاد مُرَّ المجتنى

١) ق . ح : لا يستوى . — (٢) فى جميع النسخ للمائه . — (٣) ل : وواجب .

إبنك فلا باكى لك ... غداة تقوّضى أجلك
١٨ قالوا غريب قد هلك ... فردا بزفرات ثَنى
يا رحمتا للغربا ... سعدُهم قد غَرَبا
فاغتربوا واغتربا ... فارق كلٌّ وطنا
٢١ قلوبهم منكسره ... والحال جدا عسره
دموعهم منهمره ... جسومهم نِضْو الضنا
يا نازحا عن بلده ... مدافعا عن جَلَده
٢٤ اذاه من كسب يده ... غدا به مرتهنا
فقلبه نهبُ الحُرَق ... وعينه رهن الأرق
من مائها يخشى الغرق ... يغشى الرُّبا والدِمَنا
٢٧ قُمْ فادَّرع دِرْع الأسى ... صُبْحُكَ قد عاد مَسَا
لم يبق حتى وعسى ... ما فى التعالِيل غِنى
ماسحْ مَسيح الأُمَم ... واحىَ بمحيى الرِّمَم
٣٠ ودِنْ بدينٍ قيم ... فنعم ذاك المُقْتَنى
ووال شمعون الصفا ... وأوله منك الصفا
تَحْظَ بخُلدٍ قد صفا ... نعيمُها من العَنا
٣٣ وفى الصليب الأعْظَم ... تَشْرٌ لميت الأعْظُمِ
يَرْوى فؤادا قد ظَمى ... عارضُه إذ هَتَنا
فاعرف له حدوده ... مجملة محدوده
٣٦ محلولة معقوده ... ترزق رزقا حسنا
واجهد لكى تُعْمَدا ... إنْ شئْتَ تَبْقى سَرْمَدا
تنال مَجْدًا لا مَدَى ... له ، وعزا وسنا
٣٩ وليكن المعمَّدُ(١) ... مَنْ جدُّهُ محمَّدُ

(١) ف : المعتمد .

دون الذى لا يُحْمَد ... عليه من مُمْتنٍ ثنى
الخير فى التبصُّر ... لا خير فى التَّنَصُّر
٤٢ فاقصد حِمَى المستنصر ... تُهْدَ مما العانى(١) عنا
فى بيته يؤتى الحكم ... فأت به « بيت الحكم »
تُطْلقُ من قيد البكم ... فى المشكلات الألْسُنا
٤٥ ترى على الشرائع ... له من الطلائع
نوعا من البدائع ... نوعًا يروق الأعْيُنا
فحظه منها الزُّبَد ... وحظ أهليها(٢) الزَبَد
٤٨ لخلفهم إلى الأبد ... يواقعون الفتنا
لهم عن الحقائق ... فى الدين كل عائق
فاسأل عن الدقائق ... تكفى(٣) العمَا والأكَنَا
٥١ خُص بها آل النبى ... يأخذها ابنٌ عن أب
أفدى بأمى وأبى ... ذاك الجناب والفِنَا
أهلةُ الخلق(٤) هُمُ ... أدلةُ الصدق هُمُ
٥٤ لملة الحقِّ هُمُ ... قُوَّامُها والأُمَنا
منابع العلم هُمُ ... مراجع الحلم هُمُ
مرابع الفهم هُمُ ... وللقران القُرَنا
٥٧ معاقل الفكر هُمُ ... منازل الذكر هُمُ
مناهل البر هُمُ ... وللنجاة الضُّمَنا
من أوجه الفضلِ الغُرَرْ ... من صدف العدل الدرر
٦٠ من شجر العقل الثمر ... مجدهم الله بَنَى
لهم معانى الزُّبُر ... وفضلُ آى الزُّمُر

(١) ق . ح : لما . — (٢) ل : أهلها . — (٣) ح . ق : تلق .
(٤) ل : الحق .

مقـــامه والمشـعر   ومروتيـــه ومِنَى
٦٣ من نور ربي خُلِقُوا   طابوا وطاب الخلـق
فالجـود فيهم خُلُقٌ   دينـا لهم وديدنـا
ذخر «ابن مُوسَى» في النجا   حبهـم والمرتجَى
٦٦ فكم بهم خاض الدُّجى   من كيـد أولاد الزنا
هذى عروس تُجْتَلى   جمالها زان الجلا[1]
للهم مرآها جلا[2]   من برق آدابي سنا

(١) ق . ح : الحلى . — (٢) ق : لهم مرآها جلا

القصيدة السادسة والعشرون

إلهي دَعَوْتُكَ سراً وجَهْرَا   أيا مالِكَ المُلْكِ خَلْقاً وأمْرَا
ويا مَنْ يُصرِّفُنا كَيْفَ شاء   حَيَاةً ومَوْتاً وحَشْراً ونَشْرَا
إلهي شَدَدْتُ رِحَالَ الرَّجاء   إليْك فَعَفْواً إلهي وغفْرا ٣
إلهي لو اني مَلَكْتُ العدوَّ   مَدَدْتُ عليه من العَفْو سِتْرا
وما قدر مِثْلِيَ بين العبيد   فأملك نَفْعاً لغيري وضَرَّا
ومن أين لي قدرة ، بَحْرُها   تَغَطْمَطَ مرسى لفُلْكي ومَجْرَى ٦
فإن كان مِثْلي على قِلَّتي   وكَوْني أقل الأقلِّين قَدْرَا
أمُنُّ بعَفْو إذا ما قدرت   فإنك بالمن أحرى وأحرى[1]
ولست عَدُوًّا ، فإني شرحت   وحقك يا رب للدين صدرا ٩
وتوحيد ربيَ بين الحشا   غدا سِرَّ أسرَاره المُسْتَسَرَّا
ووليت وجهي لآل الرسول   ولاءً ، وولَّيْتُ ذا البغض ظهرا
فمالي وللنار ، طولى يديْ   رشادي تَرُدُّ يَدَ النار قُصْرا ١٢
وأصْبَحْتُ تبْراً لشمس الهدى   وهيهات أن تأكل النار تبْرا
إلهي لقد حَسُنَتْ نيتي   فجُد بالتي حَسُنَتْ مُسْتقرا
ويسر لي اليُسر[2] من عسرتي   فقد قلت (إنَّ مع العسر يسرا) ١٥

(١) ل : احرى وما احرى . — (٢) ق . ل : العسر .

القصيدة السابعة والعشرون

إلهى إنى لأرجو النجاة   بواسع رَحْمَتِهِ وَهَّابِها
فإنى تَحَرَّمْتُ ياذا الجلال   بمَسْجِدِها وبمِحْرابِها
٣ نبى الهدى والوصى الذى   إذا افترت الحرب عن نابها
تلفح صارمُه بالطُّلَى   تلفح نار بأقصابها
وعترته عترة قد عَلَتْ   بأنسابها وبأحسابها
٦ ولايتهم لرجال الولاء   عَلامةُ طُهْرٍ لأنسابها
إلهى إنى بآل النبى   دَهَتْنى الليالى بأوصابها
فكم جرّعتنىَ من صابها   وكم أنصبتنى بتَنْصابها
٩ فَغُفْراً إلهى فإنى امرؤ   «دخلت المدينة من بابها»
وجاهدت فى الله حق الجهاد   وُجِدْتُ بنفسى لأربابها
وعذب عُداتَهُمُ التابعين   لأزلامها ولأنصابها
١٢ وقطّع من النار أثوابهم   فقد آن تقطيعُ أثوابها
فنارك يا ربى أولى بهم   وهم يا إلهى أولى بها

القصيدة الثامنة والعشرون

يا رب أشكُو سوء حالى   أبداً وأخلِصُ فى ابتهالى
كيما تجود بنظرة   أكْفَى بها ضيمُ الليالى
٣ فيعود لى حر الهجير   بضيمها بردَ الظلال
وأرى كمثل السد ما   بين الإجابة والسؤال
فلئن رددتَ يدا ، إليك   مَدَدْتُها ياذا الجلال
٦ أسواك لى رب أشد   إليه يا أملى رحالى
أنسىء رب إجابةً   مثلى كَسُوئى فى فعالى
ما ضاق عفوك عن ذنوبى   لو حوتْ ثِقَلَ الجبال
٩ حاشا لحلمك أن يخف   لدى خطاياى الثقال
إنى على دعواك رب   أقيم ما يبقى خيالى
وتوسلى بالطاهرين   الفاطميين الموالى
١٢ آل النبى المصطفى   عِصَمِ النجاة من الضلال
قوم بحبل ولائهم   مذ لم تزل علقت حبالى
حتى تحلّ عقودُ همى   منعما حل العقال

القصيدة التاسعة والعشرون

أقسم بالله لا شريك له   وإن هذا لأعظم القسم
إن كان حق لنجل «فاطمة»   أو حرمة عند بارئ النسم
٣ قوم هم عدتي الذين لهم   طنبت في مفرق السهى خيمي
لحرمتي عنده بطاعتهم   وحرمة الدين أعظم الحرم
وقسمتي من نفيس ما كسبوا   من أنعم الله أنفس القسم
٦ وكم إلى حتفها سعت[1] قدمي   فيهم ، وكم فيهم أبحت دمي
وما سيوف الملوك رافعة   من مجدهم ما رفعته بفمي
وعين «بغداد» ما رأت أبدا   نقعاً كنقع أثاره همي[2]
٩ من بعد كفي أكفة طاغية   قلم أظفار شرها قلمي
ما قبس قد أضاء[3] من علم   أشهر من رايتي ومن علمي
إن نجاة النفوس في حكمي   والعقل فيما أسوقه حكمي
١٢ وما كلوم السيوف في جثث   مثل كلوم النفوس من كلمي
تباً لدهر صروفه انتكست   حتى علت أرجل على القمم
وكان من حقهم لو احتشموا   إن ذكروا يوم كونهم حشمي
١٥ فالعهد دان وما الأنام[4] عموا   عما رأوه وأنهم خدمي
سئمت هذي الحياة معرفة   مني بأن الوجود في عدمي
ريحانتي الموت كي أشق به   إلى حمى النور عالم الظلم

(١) ف : سعد . — (٢) ف : هيمي .
(٣) ف : ما قبس من قد أضاء . — (٤) ومالانا عموا .

القصيدة الثلاثون

ونفس حلاها نقش توحيد ربها   فنعم الحلي[1] التاج والقرط والشنف
تضيء كمصباح بدا في زجاجة   خلافاً لأقوام قلوبهم غلف
وآل النبي المصطفى كهفها الأولى   لها بالولا في طود مجدهم كهف ٣
نقي[2] بها عرض من العار والخنا   وضيء بها وجه حمي بها أنف
أيخشى عليها لفح نار جهنم   وللنار عنها في ولايتها صرف
ففي أسفل من سافلين محلها   وتلك على السبع الطباق لها سقف ٦
وتلقى غدا في السابحات سبيحها   وتسبيحها ، والإلف يألفه الإلف[3]
تصف إذا صفت وتتلو إذا تلت[4]   إذا جسمها يثوى ومن ثوبه تصفو[5]

(١) ل : الحلي والتاج . — (٢) ل : تقي . — (٣) ف : والالفه الالف .
(٤) ف : يصف إذا صفت ونيل إذا بلت .
(٥) ل : ومن يثوبه تصفوا : ق : إذا جسمها يثوى ومن صوبه .

القصيدة الحادية والثلاثون

يا صاحبيَّ جعلتُمَا مما ألاقي في أمانِ
بلغ العدى فوق المنى منا بصرف يد[١] الزمان
وكفوا[٢] المهم على يديه فما لهم فيه يدان ٣
وَلَوْ انَّهمُ علموا بحالي وارتهاني وامتحاني
نثروا على صحن الخدو دِ دُمُوعَهم نَثْرَ الجمان
وإذا العدو بكا علي ، فبالحرَى لو تبكيان ٦
قل[٣] للجديدين اللذيـن لكل خَلْقٍ يَخْلقان
لا دَرَّ دَرهما فإنهما لبئس المركبان
قل فاحملا[٤] كل السلا ح عليَّ حملة غير وانِ ٩
فالموت ميقات النجا ة من الأذى والموت داني
وأمام وجهي جُنَّتا ن من الأذى بل جَنَّتَان
وبدان لله العظيم لبسطتي مبسوطتان ١٢
كلتاهما حقا يمين في قضيّات البيان
وهما النبي وصنوه يد[٥] نعمة نعم اليدان
ميم وعين منهما عينان عندي تجريان ١٥
إني من البلد الأمين وركني الركن اليماني

(١) ف : يدى . — (٢) ل . ق : وكفى . — (٣) ل : للجدين .
(٤) يحملا . ق . ح : فليحملا . — (٥) ف . ح . ق : يد بنعمة . ل : يدا نعمة .

القصيدة الثانية والثلاثون

أبَحْتُ حِمَى دَمِي فيهم وفيهم خَسرتُ شَبيبَتي ورَبيعَ عُمْري
وفيهم سِرْتُ عن وَطَني غريبا أجُوب الأرض قَفْرا بعد قفر
فَلمَّا جِئْتُهم طَبًّا عَرُوفًا بَعُرفٍ حين يأتيه ونُكرِ ٣
قؤولا في ولائهم فعولا بَذُول النُّصح في سِرٍّ وجَهْر
« أضاعوني وأيَّ فتى أضاعُوا ليوم كريهة وسَدَادِ ثَغرِ »
ولو لم يَبْخَس المقْدارُ حَظِّي إذا ما أنكروا حَظِّي وقدري ٦
بَلَى عَلموا بأنِّي طوعُ دين وغيري طَوعُ جَبَّات وطِمْر
فلو شَهَرُوا حُسَامي شاهدوه لأوْدَاج العدَى يَفْري ويَبْري
وقُمْتُ مُطرِّيًا في جسم دين لبَاسا لا يُطرِّيه المُطرِّي ٩
لأكشِفَ قَحْطَ «مِصْرَ» وذاك بدع وهذا «يوسف» في أرض «مصر»

القصيدة الثالثة والثلاثون

قصرٌ يفوقُ الفرقدَين مكانه   سَكَنَ (1) السموات العُلا سُكّانُه
العَدْلُ ساحته المضيئة بالتُّقى   والمكرُمات، وسَقْفُه إحسانُه
٣ وحياطة الله المحيطة (2) دائما   بجَميع مَنْ تحْويهم حيطانه
قصر به يَصْلَى السعيرَ عَدُوُّه   وإلى الوَلىِّ له تحن جِنانه
قَدْ حلَّه وَجْهُ الإله وَجنْبُه   ولسانُ صِدقِ محمد وَجَنانُه (3)
٦ وابنُ الوصي المُرتضى ويَمينُه   وحسامُه يوم الوغى وسِنانُه
من نوره لما تجلّى نورُه   حقاً، ومن بُرْهانه بُرْهانه
إنسان عين زمانه بولائه   يسطو على غُرَرِ الزمان زمانه
٩ ذاك الامام معدُّ مَنْ يسمو به   فَخْراً مَعَدُّ وباسمه عَدْنانُه
مستنصرٌ بالله قام بحقّه   فى الخلق فَهْو لقسطه ميزانه
مَلِكٌ ملائكةُ السماء جنوده   ومُلوك مَنْ فوق الثرى عُبْدانه
١٢ البدْرُ هذا والأئمة أنجُمٌ   والبحر ذا وجميعهم غدرانه (4)
كان الهدى خَبَرا لنا حتى بدا   ميمون طلعته فقام عِيانُه
أيصحُّ تَوحيدٌ بغير ولائه   وولاؤه لكتابه عُنْوانُه
١٥ أمْ هلْ لقرآن كريم مُنْزَل   فى بيته إلا عَلَيْه بَيانه
يَفْديه مملوكٌ أتى مُستأمنا   مِنْ صَرْفِ دهْرٍ عَمَّهُ عدْوانه

(1) ل. ق: سكنى. — (2) ف: المحيط.
(3) ف: جنابه. — (4) ف: يروى سابقاً لما قبله.

فأزاحه (1) عن أهْله ودياره   من غير جُرْمٍ، جُرْمه إيمانه
فالشوق نحو دياره غَلاَّبُه   والصبر (2) عن إخوانه خَوّانه ١٨
وجوار مولانا المنيع جواره   وحريم حضرته المعظم شانه
أهْل ابن موسى إن تَغيَّب (3) أهلُه   أو غاب عن أوطانه أوطانه
وعبيد مولانا بسامى بابه   إن غاب عن إخوانه إخْوانُه ٢١

(1) ف: فأراحه. — (2) ل: والبصر. — (3) ق: تغير.

القصيدة الرابعة والثلاثون

ألا يا بنى طه بنفسى أنتم ... فؤادى بكم مغرى وقلبى مغرم
فديتهم طوعا وإن كنت فيهم ... أراقب دهرى أن يراق لى الدم
٣ أناس لهم جسمى لكل كريهة ... محل ، وقلبى للهموم مخيم
زوى الدهر عنى فيهم سهم[1] خيره ... وللشر منه بين[2] أحشاى أسهم
تصرم يوم من «امية» جائر ... وعنى يوم الجور لا يتصرم
٦ لئن كان منهم مظاما زمن مضى ... فأظلم منه ذا الزمان وأظلم
وإن كان شيعى يهضم تارة ... فها أنا ذا طول المدى متهضم
أعاين حتفى باسطا لى ذراعه ... كما رام فتكا بالفريسة ضيغم
٩ وأرقب أنى ساعة بعد ساعة ... لأنيابه ملقى وللفم ملقم
إذا ما طويت اليوم أحسبه غدا ... وإن مر شهر الحج قلت المحرم
وأضرب فى الآفاق ضرب مشرد ... غدا ليس يدرى أى صقع يؤمم
١٢ فليس له من حيرة[3] متأخر ... وليس له من حيرة متقدم
أقضى نهارى فى ظلام من[4] الجوى ... يكاد له يرتد ليلا فيظلم
كما الليل أقضيه سمير نجومه ... فتبكى لما بى إن بكيت وتألم
١٥ وما لى من ذنب سوى أننى امرؤ ... لآل رسول الله نفسى مسلم
رضيت بحكم الله فى حبهم ... وهل دافع أمرا به الدهر يحكم

(١) ق : بسهم . — (٢) ل : منهم .
(٣) ق : حياة . — (٤) ف : فى الظلام .

فإن سلمت نفسى فتلك إلى منى ... أبلغها لطفا من الله تسلم
وإن هلكت فازت فطوبى لها اذن[1] ... وذاك لأن القتل فى الله مغنم ١٨
كفانى فخرا أن أكون لأحمد ... وعترته طعم المنية أطعم
ألست الذى بالعز جسمى مدرع ... بهم ، وبفخر العلم رأسى معمم
ألست الذى أجلو الظلام بمقولى ... بيانا إذا المنطيق بالعى ملجم ٢١
ولى منهم فوق السموات مسرح ... وفى الملأ الأعلى مقام وموسم
بنورهم أمشى ، وفى الظلم الورى ... وأحيا ، وهم موتى النفوس ، وأنعم
أمن هو يهدى فى الخطوب ويقتدى ... كمن هو حيوان أصم وأبكم ٢٤
أروح بهم ريان ، والناس حوم ... وأغدو بهم يقظان ، والناس نوم
لقد نقموا منى الهداية والتقى ... وذو العرش منهم للضلالة أنقم
وقد منعونى جنة يسكنونها ... فهانوا وهانت إنها لى جهنم ٢٧
أمنت الردى فى حب آل محمد ... ولو انما أمواجه لى تلطم
أيخشى الردى من ليس إلا إذا غدا ... به نازلا من خشية وهو يسلم
ومن دينه حب النبى وآله ... وذلك دين لا محالة قيم ٣٠
نجوم الدجى[2] بين الورى يقتدى بها ... رجوم بها كل الشياطين ترجم
عليهم سلام من سلام مهيمن ... يصلى عليهم دائما ويسلم

١) ف : فطوبى إذن لها . — (٢) ل : دجى .

القصيدة الخامسة والثلاثون

مَلَّت وأيم الله نَفْسى نفسى — وقَـلَّ والله بعيشى أُنْسى
أصْبحُ فى مَخْمَصةٍ وأمسى — أمْسى كيومى ، وكيومى أمسى
٣ يا حبـذا يوم حـلولى(١) رمسى — فذاك يوم مخلصى من حبسى
يوم سعـودى وزوال نحسى — مبـدأ سعدى وختـام نحسى
إذ كل جنس لاحـق بالجنس — من صَدَف يبقى بدار الحِس
٦ أو جوهر يلحق رُوحَ القدس — يا قوم بَسِّى من حياتى بَسِّى

(١) ل : حلول . ورويت هذه الأبيات فى تفسير الألوسى المعروف بروح المعانى ج ١ ص ٣٨٠ غير منسوبة إلى أحد بهذه الصيغة :

من وأيم الله نفسى نفسى — وطال فى مكث حياتى حبسى
أصبح فى مضاجعى وأمسى — أمسى كيومى وكيومى أمسى
يا حبذا يوم نزولى رمسى — مبدأ سعدى وانتهاء نحسى
وكل جنس لاحـق بالجنس — من جوهر يرق بدار الأنس
وعرض يبقى بدار الحس

القصيدة السادسة والثلاثون

بِمَحَمد هديت طُرُقَ مَعَادى — وله قد مَنَحْتُ صفْوَ وِدَادِى
ففؤادى مَنْ(١) لاذ منـه فؤادى — بولاء يكون فى الحَشْر زَادِى
وفؤادى إن بَانَ منـه نفيرا(٢) — بِنْتُ والله جَهْرَةً عن فؤادى ٣
الامام المستنصر الطُّهْر مولىً — هُوَ لله حُجَّةٌ فى العبـاد
جـده المنذر الذى بعث اللـه إلى الخَلْقِ عِصْمَةً للرشاد
ولآبائه عَنَى الله إذ قـا — ل تعالى « لكل قوم هـاد » ٦
يا ولى الاله انى فيكم — بفؤادى والأهل والمـال فادى
لم يزل عبدك ابن موسى حريقا — نازلا فى فروق أهـل العنـاد
خائضا غمْرَةَ المنايا ، جوادا — لك بالروح صفـوة الأجْواد ٩
ولئن كنت عن بلادى فريدا — وطريدا لطـارفى وتـلادى
فمعـد ذخرى وأهـلى ومالى — وعمـادى وعدتى وعتـادى

(١) ق . ف : إن . — (٢) ق ف : نفير .

القصيدة السابعة والثلاثون

أيا صاح قدِّم للرحيل الركائبا … نجُوبُ إلى شيرازَ هذى السَّبَاسِبا
نُقَضِّى بها أفكارَنا عن قلوبنا … سِراعًا ونَقضِى للنفوس مآربا
٣ نُجَدِّدُ عَهْدًا للحبائب إنه … حَبِيبٌ إلينا أن نزور الحبائبا
غدا الصبر بعد اليوم منفصم العرى … فَسِرْ واطّرح عنك التعَلُّلَ جانِبا
متى ليت شعرى أشتفى بلقائهم … وأشكو إليهم ما لقيت مصاعبا
٦ وأخبِرُ أن البين هدَّ لى القوى … وغادَرَ رأسى فى الشَّبيبة(١) شائبا
إلى كم أرانى للأحبة تاركا … وفى الأرض ذات الطُّول والعرض ضاربا
أما ساعة تأتى فتقضى تودعا … ويومٌ يُواتى لا يُرينى المتاعِبا
٩ هو الدهر ما صافى بنيه وما صفت … مَشَارِبُه يوما لمن جاء شاربا
تَرَى عُرْفه نُكْرا، وجِدَّتَه بِلى … وأقواله خِبًّا(٢)، وراجيه خائبا
فلا تَفرَحنْ إنْ كان يَوْمًا مقاربا … ولا تَجزَعَنْ إن كان يوما مجانبا
١٢ وصاحِبْه معروفا بجسمك، واخش أن … تكون له من حيث نَفْسِك صاحبا
لجسمك من دار الطبيعة بَدْؤه … ويُمْسِى إليها بالتحلل سائبا
ونَفسُك من دار البسيطة بَدْؤها … وتلك لِعَمْرو الدين أعْلى مَرَاقِبا
١٥ وكلٌّ ليبغى ما يكون مناسبا … له القرب، لا ما لا يكون مناسبا
لجسمك مما تُنْبِت الأرض يغتذى(٣) … ونفسك من نور يُجَلِّى الغَياهِبا

(١) ل : الشيب . — (٢) ل : وأقوال جنبا . — (٣) ل : يقتدى .

وذاك إذا ما مات فات، وهذه … إذا امتَنَعتْ من أن تشوبَ الشوائبا
ووالَتْ ولىَّ الله فى الأرض وانتحت … له حَدَبًا فى الحق أبلَجَ لاحِبا ١٨
غدت مَلَكا فوق السماء مقربا … سلاما إلى دار السلامة آئبا
فوجِّهكَ نحو الدين(١) ولٍّ ووالِ من … تَنَالُ به إن نِلْتَ تلك المَراتبا
وذاك هو المستنصر الطاهر الذى … به عاد مغلوبٌ من الخلق غالبا ٢١
معدٌّ أمير المؤمنين الذى بدا … شهابا يُضىء الشرق والغرب ثاقبا
صراط الاله المستقيم لذى النُّهَى … ويُثْبِت ذا جهل عن الحق ناكبا
زلازل أرواح العدى وسكينة … يَخُصُّ بها أهل الهُدى والأطايبا ٢٤
يقوم مقام الله بين عباده … متيحا(٢) لهم رُوحَ الحياة وسالِبا
ويخلق من طين ملائكة لها … ذوائبُ مجد قد علَوْنَ الذَّوائِبا
امامٌ، إمامٌ للمدائح مدحه … مناقبه تكسو الجمال مناقبا ٢٧
تلاحظ منه الحق فى الخلق ماشيا … وتُؤنس روح القدس فى الإنس راكبا
وتلق النبى المصطفى إن لقيته … خلائق لاهوتية وضرائبا
ترى، منه إن صلى، النبىَّ مصليا … وتحسبه، إذ قام يخطب، خاطبا ٣٠
وإن كنت لم تشهد مقامات حيدر … ولم تدر أنَّى كان يثنى الكتائبا
ولم تره فوق المنابر خاطبا … يُبَيِّنُ مِنْ غيب الأمور عجائبا
فشاهد مَعَدا نجله الطهر تلقه … له فى العلى خِدْنا وفى المجد نائبا ٣٣
هوَ الليل مستخف به من أراده … وضوء صباح للذى كان ساريا
هوَ الشمس مولى شَمْسَ دنياه ضوؤها … وموسع نُور بدرها والكواكبا
وهل فاتح باب السماء بمائه … سواه إذا ما الماء أصبح ناضبا ٣٦
وهل كاشف للسُّوء غيرُ دعائه … إذا السوء يوما ظل الذيل ساحبا
ومن ذا إذا المضطر(٣) يدعو يجيبه(٤) … سواه بحق(٥) حين يدعو المصاعبا
ومن ذا الذى الدهر العبوس يَهابُه … سواه، ولَمَّا كان للناس هائبا ٣٩

(١) ف : فوجهك الدين ول . — (٢) مبيحاً . — (٣) ل . ق : الذى .
(٤) حذفت هذه الكلمة من (ل) . — (٥) ق : يحل .

متى ليت شعرى تُدْرِكُ النفسُ سؤلها ... وقد قاد من مصر إليه الركائبا
وتلقّى العدى الأرجاس فى سبل الردى ... يتيهون مقتولا طريحا وهاربا
٤٢ ومستأسرا يخشى المنية حاضرا ... ومستنفرا لا يأمن السيف غائبا
هنالك يَشْفِى المؤمنون صدورَهم ... هنالك ، ويضحى الدينُ لله غاضبا (١)
هو الدين موهوب لأعظم واهب ... فعظّمه موهوبا ومَجِّده واهبا
٤٥ وكن (هبة الله بن موسى) مواظبا ... على شكر من أولاك فيه المواهبا
ولا تجزعن إن كان أمر قد التوى ... عليك ، ولا تذهب هناك مغاضبا
فإن إله العرش يكفى بفضله ... ويحسن صنعا من لدنه العواقبا

(١) ل : غاضبا .

القصيدة الثامنة والثلاثون

لو كُنْتُ عاصرت النبىَّ محمدا ... ما كنت أُقصِر عن مَدَى «سَلْمَانِه»
ولقال «أنت من أهل بيتى» مُعْلِنًا ... قولا يُكَشِّفُ عن وُضُوحِ بَيانِه
٣ مشهورُ آثارى بصحن عِراقه ... هذا ، وفارسه إلى كرمانه
وعبوسُ يومٍ لابن عباس به ... لاقَى الرَّدَى مُتَشَخِّصًا لعَيانه
إذ بات يَعْثُرُ فى ذُيول مَذَلّة ... يعتاض ضِيقَ الحَبس عن إيوانه
٦ ورأى(١) على الصارى «ابن مُسْلمة» الذى ... ضَجَّت فَمُ الإسلام من عدوانه
فَسَقى الإلهُ سِجَال رحْمَتِه ثرَى ... قبر ثوى فيه أبو عمرانه
إنّ ابنه كم من مقام قامه ... صعبا بثَبْتِ(٢) جَنَانه ولِسَانه
٩ فى رفع رايات النبى وآله ... وضرابه لعُداتِهم وطعانه
ولكم يَشُدُّ قوى بنى هارونه ... ولكم يهد بنا بنى هامانه
هل فى البسيطة فى مساعيه له ... مِثْلٌ فَيَبْغِى الجَرْىَ فى ميدانه
١٢ فرد الزمان بدينه وولائه ... للفرد مولاه(٣) إمام زمانه
هُوَ فى عباد الله عَيْنُ عباده ... جَمْعًا وإنى العين من عبدانه

(١) ف : وارى . — (٢) ل : يثب . — (٣) ل : مولانا .

القصيدة التاسعة والثلاثون

رَضيتُ من العَيْش المَريرَ المنكدا   وصيَّرتُ جِسْمَ الحِرص منى مُصفَّدا
وَخلَّيْتُ أسباب الولايات للأولى(1)   يخرون للأذقان للناس سجدا
كفانىَ أنّى أعبد الله مخلصا   وما أنا دون الله أعْبُدُ أعْبُدا ٣
وأى يد لم تستقل(2) دونها يدى   لتأخُذَ منها ما ترَشَّفتها(3) يَدا
وان لم يسوِّدنى شفيعُ فضائلى   أبَيْتُ بأنواع الشوافع سؤْدُدا
غدا باع آمالى قصيرا من الورى   جميعاً وفى عفو(4) الإله مُمَدَّدا ٦
وأيْقَنْتُ أنى بعد خمسين حجة   من العمر قَرَّبتُ المنية مَقْصدا
فليس يُرى باللوم عرضى مُدَنَّساً   وليس يُرى بالسُّحْت(5) نابى مُحَددا
لئن كنتُ مَثْنِىَّ(6) الخلاعة(7) مرّةً   لقد رَدَّ ناهى الشَّيْب مَثْنَاىَ موحدا ٩
فأصبحتُ زَوجاً للندامة إذ مضى   زمانى من الطاعات فردا ومفردا
يطاردنى يأسى(8) فيطرده الرجا   بعَزْم يرد الشملَ منه مُبَددا
إذا نصَبَتْ أيدى العِدَى لى حبالة   تفَلَّتُّ(9) بجهْواة العدَى شَرَكَ العدى ١٢
فإن ضاق بى يوما خناق وضاق بى   سبيلُ النجاة ناديت يا آل أحمدا
أغثنى ، أغثنى يابن عم محمد   فخُذْ بيدى مولاى ، رُوحى لك الفدا
فألحظ جيش البغى عنى مُفرّقا   وأشهد سيف النصر دونى مجردا ١٥
همُ الذخر فى الدارين(10) لاذخر غيرهم   همُ مستجارى اليوم همُ عدتى غدا

(1) ف . خ : الديانات . — (2) ل : تسفل . — (3) ف . ح : ترشتها .
(4) ل : غفر . — (5) ل : بالسحن . — (6) ف : شق . — (7) ق . ح : الخلاعة .
(8) ف : بأسى . — (9) ح : نقلت . — (10) ل : للدارين .

القصيدة الأربعون

طَرْفى بدمعى جائد   والقلب همٌّ هامد
إذ كان رَبْعى فارسا   والآن رَبْعى آمِد
ما الشوق ألْفِى أبدا   فالجسم فيه بائد ٣
فالجسم أضحى ناقصا   والشوق جدا زائد
لهفى على أيامنا   والدهر عنا راقد
والشَّمل منا جامع   والخير فينا رائد ٦
والدهر إما راكع   لى صرفه أو ساجد
والآن أمْسى هابطا   يا صاح نجمى الصاعد
فاليُسر(1) عنى صادر   والعسر نحوى وارد ٩
والدهر موتور الحشا   منا وفينا حاقد
يرمى بنا عن قوسه   كفُّ النوى والساعد
من قاعة فى قاعة   والشوط شوط واحد ١٢
حتى كأن الدهر لى   من وجه أرض طارد
(2)أسرى وأزْوادى الجَوى   والطرف منى ساهد
والذل أمسى رفقتى   طُوبَى لَوَ انِّى فارد ١٥

(1) ل : فالسير .
(2) سقطت هذا البيت فى نسخة ف وفى ل : أسرى وأزواى .

ليس اختباطي(١) هكذا الا لأني ماجد
مالي وأولاد الزنا كلٌ إلينا قاصد
١٨ كل ببغضي دائن ، كل بروحي كائد
يحدو بهم خُبثُ البِنَا منهم وأصلٌ فاسد
بغض الوصي وآله فيه عليهم شاهد
٢١ ما البغض لي إلا بهم يُبْدي الكَنُودُ العاند
فبهم لقيت ، وفيهم ألقى الأذى وأكابد
سل عن مقامي فارسا من كان ثَمَّ يجاهد
٢٤ من معلنٌ دينَ الهدى والنور منه خامد
من مانعٌ منه الحِمَى حين استباح محادد
من ساق إذ لا سائق من قاد إذ لا قائد
٢٧ من ذا الذي حَسُنت له عند الشهود مشاهد
من ذا له خطب غدت كالدر وهي فرائد
يجلو(٢) بها آل العبا هي للقلوب مصائد
٣٠ أمعد يا من جده الهادي وحيدر والد
تالله إن(٣) مناحسي أدت اليك مساعد
قد هان عندي ما مضى إني إليك مصاعد
٣٣ إني لبابك قاصد وعلى جنابك وافد
لي فيك صنع لم ينل قبلي بجهد جاهد
سل بقمة الأهواز عن فعلي تجبك معاهد
٣٦ وحقوق آبائي فما ناف لها أو جاحد(٤) ،
خدموا ولما نُشِّرَتْ للفاطمين(٥) مطارد

(١) ق : احتياطي . — (٢) ح : يجلي . — (٣) ق : ما .
(٤) ف : جاهد . — (٥) ل : للفاطميين .

وَفَدَوْا نفوسهم لكم والخوف ليل راكد
٣٩ أأبا تميم من به يرجو القبولَ العابد
اني امرؤ ينحو(١) بكم نحو القلوب الراشد(٢)
الله يُمْهِد ملككم كرما فنعم الماهد
٤٢ صلى عليك الله ما يسري بركب راكب

(١) ق . ف : يرجو . — (٢) ل : راشد .

القصيدة الحادية والأربعون

سلام على العترة الطاهرة ... وأهلا بأنوارها الزاهرة
سلام بديا على آدم ... أبي الخلق باديه والحاضرة
سلام على من بطوفانه ... أديرت على من بغى الدائرة
سلام على من أتاه السلام ... غداة أحفت به النائرة
سلام على قاهر بالعصى ... عصاة فراعنة جائرة
سلام على الروح عيسى الذي ... بمبعثه شرفت ناصرة
سلام على المصطفى أحمد ... ولي الشفاعة في الآخرة
سلام على المرتضى حيدر ... وأبنائه الأنجم الزاهرة
سلام(1) عليك فمحصولهم ... لديك أيا صاحب القاهرة
بنفسي مستنصرا بالإله ... جنود السماء له ناصرة
شهدت بأنك وجه الإله ... وجوه الموالي به ناضرة
وانك صاحب عين الحياة ... وعين خصومهم غائرة
بحار الندى كفه والعلوم ... مدى الدهر في قرن زاخرة
لاحياء أرواحنا الباقيات ... وإنشاء أجسامنا البائرة
وأسياف مقوله والنصال ... لأعمار أعدائه باترة
ألا بشرا في حمى فارس ... أناسا قلوبهم طائرة

(1) ل : عليك السلام

لبعد مزاري عنهم فهم ... دوائر في الدمن الداثرة
بأني نجوت من الظالمين ... وبدلت ظلا عن الهاجرة
وهاجرت نحو إمام الزمان ... وسابقت قومي إلى الساهرة
فنفسي سارحة في النعيم ... وعيني إلى (ربها ناظرة)
(1)عليك السلام سلام امرئ ... أحل بأعدائك الفاقرة
عليك السلام ابن بنت الرسول ... سلام ملابسه فاخرة
وجاهد في الله حق الجهاد ... فأخباره في الورى سائرة
فسل عن مقاماته فارسا ... لتاتي شواهده حاضرة
تركت ببغداد طاغوتها ... وأجفانه فرقا ساهرة
وانشأت في داره دعوة ... بذكرك مكشوفة ظاهرة
وذاك باقبالك المستفيض ... فأين تنال يدي القاصرة
أتى العبد بابك مستفتحا(2) ... سحائب رحمتك الغامرة
وأن ابن موسى وآباءه ... معاهد حقهم عامرة
فقد خدموكم وما نشرت ... لواء الفتوح يد ناشرة
فدمت(3) مدى الدهر مبسوطة ... لك الأرض تحت يد قاصرة
ودام جنودك الغالبين ... واعداؤكم في الورى صاغرة

(1) هكذا وجدت في جميع النسخ ولكن المعنى لا يستقيم إلا إذا تأخر هذا البيت عن الذي يليه .
(2) هكذا في جميع النسخ ولعلها مستمطرا . — (3) ف . ق : قدمت يد الدهر .

القصيدة الثانية والأربعون

يا سائلا تسألني عني ... اعلم بأني رجل سني
أحبُّ أصحاب نبي الهُدَى ... ديني على حبهم مبني
٣ صِدّيقُنا الطُّهر وفاروقنا ... مثلُ سواد العين فى عيني
أبْرأ ممن قال من جهله ... « إنى امرؤ يَعْرِض لى جنى »
والْعَنُ الأدْلَمَ إذ لم تَزل ... صهاكة فيما مضى تزنى
٦ دعنى من الرفض وأصحابه ... إنى برىء منهم دعنى
هذا طريق الرشد لا غيره ... إن كنت تبغى الرشد فاتَّبِعْنِى

(١) ل : ق .

القصيدة الثالثة والأربعون

يا من يرى مَدَّ البعوض جناحها ... فى ظلمة الليل البَهيم الأليَلِ
ويرى مَناطَ عُرُوقِها فى نحرها ... والمخَّ فى تلك العظام النُّحَّلِ
ويرى ويسمع كلَّ ما هو دون ذا ... فى قَعْرِ بَحْرٍ زاخر أو جَنْدَل[1] ٣
ما إن يغادره فلا يخفى له ... من خلقه مثقال حبة خردل
الا ليعلمه ويعلم وَصْفه ... سبحانه من ماجد متفضل
امنن علىَّ بنظرة أحيا بها ... كانت قديما فى الزمان الأول[2] ٦

(١) لا توجد الأبيات ٣و٤و٥ فى نسختى ق.ف. وفى الكشاف للزمخشرى (ج١ ص ٢٠٦ طبعة بولاق سنة ١٣١٨) رويت الأبيات الآتية منسوبة للزمخشرى نفسه :

يامن يرى مد البعوض جناحها ... فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عرق نياطها فى نحرها ... والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ... ماكان منه فى الزمان الاول

(٢) فى نسخة «ل» يأتى هذا البيت الثالث لا الأخير .

القصيدة الرابعة والأربعون

برئت من الهُبَلِ الأوَّلِ ... ومن أدلم بعـــده أحول
ومن نعثَلٍ وبنى جنســه ... جميعا ومِنْ ربَّة المَحْمَل
٣ ومِنْ ناصِبٍ غاصبٍ للحقوق ... ورافضة قد طَغَوْا فى (عَلِى)
رضيتُ التستر لى مذهبا ... وما أبتغى عنــه من مَعْدِلِ
وحب الصحــابة لى معقــل ... فما دونه لى من معقل
٦ ولائىَ صدْقٌ لصــدِّيقنا ... وفاروق أمَّتِنا الأفضــل
أرى الخــير والشر من ربنــا ... وأعرض عن حجة المبطــل
فمن يهـده الله ما إن يضــل ... ولن يهتــدى الدهرَ من يضــلل
٩ برئت من الرفض والاعتزال ... وصرت من النصب فى معزل
فيارب زدنى هُدًى مَعْ هُداى(١) ... بجـــاه محمـــدٍ المرســل

(١) ق : هدى .

القصيدة الخامسة والأربعون

أبا حَسَنٍ يا نَظِيرَ النَّذيرِ ... ولولا وجودك فَات النَّظــيرا
ويا قَمَرًا بعــد ذاك السراج ... مُنيراً بَدَا للــدَّياجى منيرا(١)
ويا صاحب البَيِّنَــات الذى ... يُرينا « نعــيما وملكا كبيرا » ٣
أجِرْ عَبْدَك المُسْتَضَام الذى ... أتى بك مَوْلَى الورى مستجيرا
وأُخْرِجَ من أرضه فيكم ... لجــاب البرارى إليــكم فقــيرا
فكن لى معينــا ولىّ الإله ... على الظــالمين وكن لى نصيرا ٦
وخَرِّبْ ديار الطغــاة البغــاة ... ودَمِّر كبيرَهم والصــغيرا
إلهى شفعت بهـــذا الوصى ... فشفع شفيعى(٢) السميع البصيرا

(١) ح : مبيرا . — (٢) ف . ق : شفيع .

القصيدة السادسة والأربعون

هَلـُمَّ إلى الأرض المُقَـدَّسةِ التى بساحتها سُكـَّانُـها أمنوا المَـوْتَـا
إلى علم الإيمـان والقِـبْـلَـةِ التى عليها بلا شك دُلِـلْـتَ وَوُجِّـهْـتَـا
٣ وميزانِ رب العـالمين الذى به تُـوَفـَّى الثواب الجَـزْل إن أنت وفَّـيتا
وعروتهِ الوُثـقى المُـوصَّل سردها فليس ترى فيها انفصاما ولا أمْـتَـا
إلى من ترى فى كل شىء دلائلا عليـه واشهادا له كيف ما شِئْـتَـا
٦ أتقليـدك الآباء دينـًا ظننته ؟ بل المِـلَّـةُ الجهلاء فيما تَـقَـلَّـدْتَـا
هلم أريك البيت تُوقن أنـه هو البيت بيت الله لا ما تَـوَهَّـمْـتَـا
أبَيْـتٌ من الأحجار أعظمُ حرمة أم[1] المصطفى الهادى الذى نصب[2] البيتا
٩ تعَـبَّـد بأعلامٍ ، تَـعَـبَّـدَ خَـلْـقُـه بهم، فاجْـتَـنِـب أجبـاتها والطواغيتا[3]
أجب داعىَ الله المنادى إلى الهدى[4] والا فمن ياذا الضلال تلبيتـا[5]
أقُـلْـتَ بأن الرُّسْـلَ لله حجة[6] ولا رُسل بعـد الأولين فناقضتا
١٢ تعالى الذى قد صان أسرار دينـه فَـلـبَّـسَها سَـتْـرا وجَـلَّـلَـها صَـمْـتا
ألست ترى نوحا وقـد ضَمَّ أهله إلى ذاتِ ألواح وأتـقَـنَـها نَـحْـتَـا
وقد زَخَـرَ الطُّـوفان والأرض لُجَّـة وأى رَواسيها اعْـتَـصَـمت بها اعتضتا

(١) ف : امام . — (٢) هامش جامع الحقائق ج ١ ص ٢٧٣ : الذى قد بنى البيتا .
(٣) لا بد أن تقرأ بسكون الياء حتى يستقيم الروى .
(٤) ق : للهدى . — (٥) ق : الضلال له لبيتا .
(٦) ف : بأن الرسل حجة .

فإن لم تـكن من حزبه مع أهله تردَّيْتَ فى أمواجها وتـكفنتا ١٥
وهذا خليـل الله قام مقـامه فنادى بأهل الأرض طَبَّـقَها صوتا
يقول ألا إن الإلٰه بحكمه تعَبَّـدَكم طرا بحجكم البيتـا
فآتوه ركبـانا ورجلا وصـيروا لـكم شطره أنَّى تبـوأتم بيتا ١٨
فهات لى البرهانَ إن كنت جئته فاتْبَـعْـتَ فيه ازاكمين فتُـبِّـعْـتا
فما بال طيب الركن ليس بساطع ولا فائح من فيك إن كنت قَبَّلْتَا
وهذا الـكليم والعصا بيمينه يُبين بها الآيات ظاهرة المـأتى ٢١
وتوراته زَهْـراء[1] تخـبر أنه أباحك أياما وأنذرك السَّـبْـتَـا
كذلك عجـل القوم أجثم رابضـا يخور ، فمن أصغى له استوجب المقتا
ويوشع قد ردت عليه وأنت إذ رأيت غروب الشمس قد كنت آيستا ٢٤
وأوحى إليـه أن يُحَـذِّر قومه ختـانا فهلا يا جهول تختنتـا
وهذا المسيح اليوم فى الأرض سائح وإن كنت قد صدقت ذاك وآمنتا
فهل لك علم بالمحـل الذى أتى بأن يتبوا غيره مَنْ صـفا بيتا ٢٧
وأوحى إليـه الله روحا بأمره[2] فَبَـصَّرَ عميانا وأحـيا به المـوتا
وقد قال : أنَّى بعد يا قوم ان أرى فقيدا بلا شك فهل تعرف الوقتا
وهذا رسول الله أفضلُ مُرْسَلٍ وليس يطيق النـاعتون له نعـتا ٣٠
ومن هو خير الخلق أصلا ومحْـتدا وأكرمهمْ نفسا وأطهرهم نبتـا
أقام عمود الدين والرشد والهدى وَحَـتَّ سـنام الـكفر بالحق فانحتا
وكم كم له من آية وعلامة وباهر علم كان يبهتهم بهتا ٣٣
وقد يسر الله الهـدى بلسانه لمن كان ذا قلب فألاّ تذكرتا
وآيات دين الله تزهر كلهـا بنـور تراه ساطعا إن تأملتـا
وتأويله مستودع عنـد واحد وإن لم تسائله فزورا تأولتـا ٣٦
وأحمـد بيت النـور ، لاشك بابه أبو حسن ، « والبيت من بابه يؤتى »

(١) ق : زهرا . — (٢) ف . ج : من أمره .

ومثلاها لله فى كل أمة — وقد أفصحا طورا كما استعملا الصمتا
٣٩ أتحسب[1] أن الله بدّل دينه — وشرعته ؟ هيهات هيهات ما رُمْتَا
وأين بميعاد النبى محمد — بقائمه المهدىّ الذى كنت بشرتا
تَشَيَّع تُوالِ المرسلين جميعهم — وتشرب غدا من حوضهم إن تَشَيَّعتا
٤٢ وَدِن بوصال أكَّدَ الله فرضه — ففى ذاك[2] تأليف الذى كنت فرقتا
فلو دِنت بالإسلام كنت مُسلِّما — وكنت إلى أعلى العلى قد ترقيتا
فأعدد ليوم الحشر انك عنده — ستسأل عما قد وراءك خلفتا
٤٥ أتحسب أن الله يرضيه كل ما — حويت من الدنيا حطاما وجمعتا
ألا إن مَنْ أعلامُهم وأصطفاهم — حوى النعمة العظمى[3] التى كنت خولتا
أيحصى عليك الله مثقال ذرة — وتغفل[4] إن يسألك عمن توليتا
٤٨ فإن عَلِقَتْ كَفَّاك حَبْلَ ولائهم — نجوت ، وإلا فالجحيم تصليتا
وهاك قريضا فيه علم وحكمة — وفيه ضياء الرشد أنَّى تأمَّلْتَا
فلا تبده إلا لمن كان صائنا — مِنْ أهل التقى والدين ممن تَخَيَّرْتا

(١) ل : وتحسب . — (٢) ل : ذلك . — (٣) ج : الذى . — (٤) ح . ق : ويغفل .

القصيدة السابعة والأربعون

يا صاحب الكَيْدِ كِدْ ما شئتَ مجتهداً — فالله يُطفِئ نارًا أنتَ تُوقِدُها
أعقدة حلَّها البارى بقدرته — من حيث لم تحتسب قد جئت تعقدها
أم الزروع التى الرحمن زارعها — تظن أنك يا مغرور تحصدها ٣
مَهلاً فذا البيت ممنوع الحمى أبدا — يحمى مبانيهُ[1] ربٌّ يشيدها
بيت بنو المصطفى الهادى له عُمُدُ — فهل سوى الله معروف مُعَمِّدُها
إن كنت تبغى له هدما فكم أمم — بَغَتْ عليه سبيل الرشد يرشدها ٦
والله أركس منهم أمس طائفة — وها كم غدها دانٍ ومعهدها
فابسط لها خطة قد عز مصدرها — جدا وشَقَّ ، ولكن هان موردها

(١) ل : مبانيها .

القصيدة الثامنة والأربعون

ظهر العدل فى مَحَلٍّ إمامٍ وَبَدَا فى شرائع الأنعام
وعلا الحق واستهلت نجوم الــصدق تَعْلُو على[1] جميع الأنام
٣ بمعد أبى تميم تسامت همتى فى الورى وَجَلَّ اهتمامى
يا ولىَّ الاله يا حجة اللــه على خلقه غداة الخصام
أنت ذخرى وعدتى لمعادى ونجاتى حين اقتراب حمامى
٦ قد تبرأت من جميع الأعادى وبحبل الوَلاَ جعلت اعتصامى
بإمام الولا[2] به يُدْحَضُ البا طل كالنور معدمٌ للظلام
خصك الله بالرضى، مثل ما قد خص آل النفاق بالإرغام
٩ يابن بنت النبى، يابن علىٍّ أنت عن حَوْزَة الإله تحامى
إنَّ قوما ينازعونك فى حقــك أضحوا فى ضِلَّةٍ وتعامى
وغَدَوْا مثل (جبتر بن صهاك)[3] فى زمان مضى ومثل الدلام
١٢ فعلوا بعد أحمدٍ كفعال الــجبت ثم الطاغوت فى الأقوام
وأباحوا الدماء فى طلب الملــك ولم ينتهوا عن الآثام
كم حلال قد حرموا، وحرام جعلوه للناس غير حرام[4]
١٥ رغبوا فى اقامة النجس البا طل فاستقسموا إلى الازلام
وتخلوا عن الحقائق والديــن وأموا عبادة الأصنام
عذبة اللفظ والمعانى عروس حليت فى مفاخر الأقوام

(١) ق : تعلوه. — (٢) ل : الولاية.
(٣) هكذا فى جميع النسخ ولم نستطع ضبطها ولا معرفتها.
(٤) يروى هذا البيت فى نسخة «ق» بعد الذى يليه.

القصيدة التاسعة والأربعون

حسبى حبى لاحمدٍ وعلى حِرْزًا روحى[1] إذا دَنا أجلى
وصفوة العالمين بعدهما أبو تميم معدٌّ بن على
مستنصر بالإلــه ينصره وقبلة الحق[2] أشرف القبل ٣
وَلِىُّ دين الهدى، بماء ندى تحيى بوسمى غيثها وولى
هم أملى ما سواهم أملى أنجو به إذ يخوننى عملى

(١) ل : لروحى. — (٢) ق : الحى.

القصيدة الخمسون

لقد راحوا بقلبي يومَ راحوا فَبَعْدهم حِمَى دمعى مباحُ
فيا للبين ليتك لم تقدر وسابَقَ يومك القدرُ المتاح
فما رَوْعٌ كروعك فى فؤادى ولا كجراح سيفك بى جراح ٣
غدا بهج الشباب الغض منى هشيمَ الزرع تذروه الرياح

القصيدة الحادية والخمسون

لحَظتْكَ حيثُ حللتَ عينُ الله منْ آمرٍ فى الخافقين وناهى
يا مالكا ملك الزمان بملكه فغدتْ به الأرضُ السماءَ تباهى
يا منْ كسَى التاجَ الجمالَ، وطالما قد كان زَيْنَ مفارقٍ وجباهِ ٣
وإذا بدا فوق السرير جبينُه وسَمَ الملوكُ له الثرى بشفاهِ
وله أقرُّوا مُذعِنين بأنّه مولاهمُ طرا بلا إكراه
عجبًا لطرْف منه أصبح خاملا كلُّ البرية طرفُه التياه ٦
يا منْ إليه كلُّ مجْدٍ ينتهى طرا ومجدُك ليس بالمتناهى
أسكنْتَ أهل الأرض عدلا جنّةً محفوفةً بملاعب وملاهى
وفقأت عين الدهر عن أكنافهم فالدهر عنهم فيك عينُ اللاهى ٩
والأرضُ ما لم يحم سيفك شاغر والأمر ما لم يرع رأيك واهى
إنى اعتصمت بحبل آل محمد فى الدين والدنيا بشاهنشاه
ملك الملوك يمينُ آل محمد غوثُ العباد عماد دين الله ١٢
سعدَيْنِ ذلك آجلا خلفى، كما ذا عاجلا فى العالمين[1] تجاهى
لا زال جلاّبَ الميامن رأيُه السـعالى وجلاء الخطب داهى
يا أيها الملك الذى أنشاه فى علْيائه ربى[2] بلا أشباه ١٥
ضيَّعْتُ عمرا قد تقضى لى ولم أعلق بخدمته وإنى ساهى
والعذر انى كنت فيه مفزعا زورا ببطشة ساخط جباه
ما المال همى بل بقاؤك سرمدا موفور مالى ما بقيت وجاهى ١٨

(١) ل: الخافقين وعلى الهامش: العالمين. — (٢) ف: يزكى. و ل: يربى

القصيدة الثانية والخمسون

بمولانا الإمام أبي تميم   هُديت إلى (الصراطِ المستقيمِ)
قَسِيمُ النار مولانا معد   وَجنّاتُ العُلى وابنُ القَسِيمِ
٣ هُوَ المستنصِرُ المنصور مَوْلَى   هُوَ القَسَمُ العظيمُ من العظيم[1]
ونَجْمُ السعد للتالين ذِكْرًا   وعَرّاف[2] المواقع للنجوم
نجوم في ظلام البر تَهْدِي   وَلُجُّ البحر في الليل البهيم
٦ نجومٌ يُسْتَضَاءُ بهم رجوم   لشيطان يعاديهم رجيم
هو « الذكر الحكيم » الحي قامت   دلائله من (الذكر الحكيم)
هو « البلد الأمين » عليه دلت   معاني (الركنِ) منه (والحَطِيم)
٩ (ورحمة ربنا) فينا تجلت   وذاك الفَضْلُ من رب رحيم
وليس سواه يُسْأل عن نعيم   إذا وقع السؤال عن النعيم
أتى (رَجبٌ) يؤم منك شمس السعادة   بدرها بَدْرُ العلوم
١٢ ويأتي بعده[3] (شعبان) شَهْرُ النبي   الطاهر الطهر الكريم
وشهر الله يتلوهُ ، وكلٌّ   يَدُل على أخي شَرَف جسيم
وأنتم في الأنام كمثل هذا   كما الأيام بالشرف العميم
١٥ فجَدُّك خيرهم وأبوك تلو   له في العز والشرف الصميم
وإنك ثالث في كل فخر   وذلك مقتضى الدين القويم
بأهلي فرقة فارقت أهلي   فَهُمْ والله أنضاء الهموم
١٨ وإن عشيرة فقدوا «ابن موسى»   لقد وجدوا اتساعا في الوجوم
ولي الله إن أكُ مِنْ وَلي   ودود قد خلوت ومن حميم

(١) ف : هو القسم العضيم من العضيم . — (٢) ف : وعرف . — (٣) ف : ويأتي بعد شعبان .

القصيدة الثالثة والخمسون

حسبي الله وحده   وعليه توكلي
أملي المصطفى الذي   هو لي بالمُنَى يلي[1]
وعليّ وفاطم   والموالي بنو علي ٣
وإمام الزمان مَنْ   هو في الدين لي وَلي
هم عمادي لشدتي   بهم الهمُّ ينجلي

(١) ل : هو لي بالملي .

القصيدة الرابعة والخمسون

إنِّى امْتَطَيْتُ رَكائِبَ الآ مال ضاحكةَ المبـــاسم

إنِّى عـلى ربع مَهيدِ الـــعزِّ والبنيان قادمْ

فَقَدِمْتُ مجهولا وقـــد نقض الجناحان القوادمْ

فرأيتُ ربعـا قد عَفَتْ منـه المواسم والمعـــالم

أخْنَى عليـه زمانـــه فغـدا حَصيدا كل قائمْ

يا ربع(١) دمعى ساجم حزنا وقلبى فيـك هائمْ

أنَّى تَخَوَّنَك الزما ن فصرت مهدود الدعائم

إنى قَصَدْتُ لـكى انعَّـــم(٢) فى حِمـاك مع النواعم

فلقِيتُ قَصْمَ الظهر إذ نَزلَتْ بِسَاحَتِك القواصم

أبكيك شجوا فابكنى إنَّـا معـا عرض المحـارم

(١) ف : يا رب دمعى . — (٢) ف : لكل نعم فى .

القصيدة الخامسة والخمسون

رأتنى وصبح الشَّيْب أسفر من شعرى ولَيْلُ الأسى والهَمِّ جَنَّ على فكرى

وجففنى ضُرِّى فصرت كخامة من الزرع قد جَفَّت بعادية الضيْرِ(١)

وقد غاض منى ماءُ حُسْنِى وبَهْجتى كما فَاضَ ماءُ العين يَجْرِى على نحرى

فلما رأتْنى أنكرتنى ، وأقْبَلَتْ تسائل عنى إذ طَلَعْتُ يد النكر

تسائل من ذا الرث حالا ومركبا فنفسى له ترثى فقالوا « أبو النصر »(٢)

فَرَنَّتْ وأنَّتْ من شجاها وأسْبَلَت من العين ماء فار من فورة الصدر

وقالت : فدتك النفس مالك هكذا تَبَدَّلتَ بعدى ، ما دهاك من الدهر

تبدلت بعدى منظرا غَيْرَ منظر عَهِدْتُ ، ونورا فى البهاء وفى القدر

وقدًّا سوى قَدٍّ رأيتُ ، وطلعةً سوى طلعةٍ كالبدر فى ليلة البدر

فصرتَ ضئيلا ، شَيِّبَ الرأس ، واهن الـــعظام ، نحيل الجسم مُحْدَوْدَبَ الظهر

فقلت انبرى لى من أمية كلُبها(٣) وثار لنيل الثأر منى بنو صخر

وأسلمنى مَنْ كنت مستسلما له وأظهر لى العُدْوانَ من صفحة الغدر

وَوَلَّانِىَ الأعْوَانُ طرا ظهورَهم وأوْلَوْنِىَ الخذلان فى موقع النصر

وهَاج علىَّ الناصِبُون بأسرهم(٤) تموجُ بهم شيراز هَيْجَ ذوى الوِتر

وأجلبَ من بغداد طاغوتَ دينهم علىَّ بِخَيْلِ الشك والشرك والكفر

(١) ح : الضر . — (٢) ف . ل : العنبر .
(٣) ف : كلها . — (٤) ف . ح : جميهم .

وصار دمى يَغلى لِنَذْرِهم دمى ... وأحشاؤهم تغلى ببغضى غَلى القدر [1]
فلو لاحظتْ عيناك إذ أنا فيهم ... رَهينُ وثاق الذل والعَجْزِ والأسرِ
١٨ أرى الليل يردينى إذا مد ظله ... وأحسب من أسرى بى الصبح قد يسرى
أروح إلى خوف ، وأغدو إلى جوى ... وأخبط فى جمْرٍ ، وأغرق فى بحر
وأشكو إلى غير الحريز وأرتجى ... ليكشف ضُرِّى من يضاعف فى ضرى [2]
٢١ وإذ أنا فى قطع من الليل مظلم ... خِطارا ، لها تنشق أفئدة الصَّخْر
لأعجبتِ إذ صادفتِ حُسْنَ تثبُّتى ... وأكثرتِ لأشك التعجب من صبرى
ومن كان ذا حال كحالى فإنه ... إذا ما اكتسى ثوب البلى واسع العذر
٢٤ فقالت : أرى فى كل يومين خطة ... رمتك بها الأيام رمى أخى غُمْر
وأنت مقيم تحمل الضيم هكذا ... وتوسع جلدا للمهانة والصغر
فقل لى : ما معنى قيامك فيهما ... وقُل ويْكَ مامعنى قعودك عن (مصر)
٢٧ فقلت قيامى طاعة وتباعة ... لأمرِ ولىٍّ الله فى الخلق والأمر
وحفظ لدين فى عمارة داره ... بُليتُ وأبليتُ الجديد من العمر
(وستر) على قوم ضعاف مَدَدْتُه ... يُوارون قبل القبر إنْ غِبْتُ فى القبر
٣٠ أقارب هلكى بالإضاعة فى غد ... كما اليوم هم صرعى المجاعة والفقر
فقالت لأن تنأى وأنتَ مُسلمٌ ... فقد أمنوا أن يصبحوا منك فى خسر [3]
أحق وأولى أن يكون تفوُّقٌ ... إلى الحشر ما فيه تلاق إلى الحشر
٣٣ فقلت : كفانى أن يصافحنى الردى ... بحب بنى طه كفانى من فخر
نذرت فداء الروح نذرا أفى به ... لمن فيهم قد جاء «يوفون بالنذر»
وفيهم أغر المدح من «هل أتى» أتى ... بنى [4] المرتضى والمصطفى السادة الغُرِّ
٣٦ و«والنجم» إذ فيها نجوم مدائح ... تلوح من العلياء فى الأنجم الزُّهْر
هُم عدتى فى شدتى وهم الأولى ... أُرجيهم فى العسر منى وفى اليسر
إذ كنت من حالى ومالى مُعْدِما ... فانى من عقد الولاء لهم مُثرى

(١) ل : القد . — (٢) ف : لى .
(٣) ف : خبر . — (٤) ق . ح : بنى المصطفى والمرتضى .

هم مشتكى حزنى إذ الحزن هدَّنى ... ومأمن نفسى حين تخبط فى ذعر ٣٩
ومسلك روحى فى الخلاص إذا غدت ... بما كسبته النفس فى مَسْلك وعر
أأنسى لمولانا (على) خطابه ... لدنياه «غرّى الغَيْرَ لستُ بمغتر»
وقول (سلونى قبل فقدى ظاهرا ... لأظهر ما فى الغيب من غامض السر) ٤٢
وصى رسول الله حقاً وصنوه ... وصمصامه القطاع جمجمة الكفر
ومَنْ فى (حنين) قد فداه بنفسه ... وبادر نكّاسَ الفوارس فى بدر
بنى المصطفى إنى شددت إليكم ... رحال رجائى كى أشد بكم أزرى ٤٥
وإن كنت مقصوداً من الناس فيكم ... فإنى على قصد السبيل بكم أجرى
أطهر نفسى حين أفديكم بها ... فتطهيرها أن تقتدى لبنى الطهر
وللكوكب الدرى فيكم ولينا ... (معد) سليل المصطفى صاحب العصر ٤٨
عليكم سلام الله ما مَحَقَ الدجى ... عن الجو [1] فى إشراقه طالعُ الفجر
بكم يسأل الله (ابن موسى) خلاصه ... من الأسر فى شر المنازل والحصر
ليدخل ظلا فى فناء وليه ... ظليلا ويثوى [2] آمنا فى حمى القصر ٥١

(١) ل : الحق . — (٢) ل : يضحى .

القصيدة السادسة والخمسون

خليليّ طال البين فينا فمزّقتْ … يدُ البين فى صدرى قميصَ عزائى
وصار البكا إلفى الذى أشْتفِى به … وحَسْبُكم من يشتفى ببكاء
٣ سقى الله كأس البين ساقينا بها … وفجّعَهُ بالأهل والقرباء
فإنى جعلت البيد صفْراً لظالمة … أمامى وخلفت الفؤاد ورائى
أهيم على وجهى وقلبى هائم … بفَرْط الجوَى والشوق بين حشائى
٦ غريب كساه الدهر ثوبَ مذلّةٍ … وما الذل إلا كسوة الغرباء
فيارب عطفا بى[1] وغوثا فإننى … بعطفك مولائى عقدت رجائى

(١) ل : لى .

القصيدة السابعة والخمسون

يا أمة جعلتْ طاغوتها الحكَما … لا غرْو أنْ تجْهَلين العِلمَ والحِكما
عميان قد مسح المسيح عيونَها[1] … صُمٌ أتاح لها فى دينها الصَّمما
يا قوم طالوت هذا الماء دونكم … فلا تموتوا عِطاشا وانهلوا البَشَما[2] ٣
يا قوم أنوار دين الله ساطعة … فلم تخوضون فى أديانكم ظلما
للعلم قوم به خُصوا ، أقامهم … رب الورى للورى فى أرضه عَلما
أو سلما يُرْتقى نحو السماء بهم … فمن أتى لهم[3] مستسلما سلما ٦

(١) ح . ف : أعينهم . — (٢) ف : الشبما . — (٣) ح : بهم .

القصيدة الثامنة والخمسون

تكاليفُ ذا الدّهر عُسْرٌ ويُسْرُ   وأحوالُه(1) هى حُلْوٌ ومُرُّ
فإن جاء طَوْرًا بحال تسوء   فيأتيك طورا بأخرى تَسُرُّ
فكم منه كَسْرٌ تَلَقَّاهُ جَبْرُ   وكم منه غَدْرٌ تَلَقَّاه عُذْرُ
وكم رمَّ منه فَسَادًا صَلاحٌ   وكم منه شكوى ، وكم منه شكر
يُداوى(2) بَنِيه ويَدْويهم   وذلك سِحْرٌ له مستمر
وإنى فى ظلمة من ظلام   تَكَنَّفَنِى ليس يحدوه فجر
فما دائر منه لى دائرًا   بما فيه نَفْعٌ سوى ما يضر
وما طالع منه لى طالعا   بعُرْفٍ ولكنه الدهر نُكْرُ
نصيبى منه العناء الطويل   ومثواى من بحر جَدْواه بَرُّ
قرينى عذابٌ ، وجدّى اكتئاب   ويُرْدَى من رَغْدِ العيش صفر
خليع عذارى أجُوبُ البرارى   بها الوَحْشُ جارى فلا أستقر
أما قيل إن مع العسر يُسْرا   فَلِمْ خاننى لى مع العسر يسر(3)
اسرّ الجَوَى والدموع الجوارى(4)   تنم بِسِرِّى فَلَمْ يبق سِرُّ
وإنى أسر ، وسرى الذى   أكاتمه الناسَ للناس جهر
لأنى غريبٌ فؤادى حَريبٌ   عليه الليالى بليل تَكُرُّ

(1) ف ح : أحوالها . — (2) ل : يداويهم بنيه ويدويه .
(3) ق : عسر . — (4) ل : الزوارى .

طريدٌ شريد فريد وحيد   فقيدٌ لإلْفٍ وديدٍ يبر
وإنى فى محفل من عداة   عتاة فكم منهم فىّ غِمْر
طواغيتُ قد لهجوا(1) بالعناد   فكم منهم يتبع المكرَ مكرُ
فمن ذا أُرجى ، ومن لى المنجّى   وكيف السبيل وأين المفر
كفاك شِفَاك لئن كان يشفى   كلام قصاراه(2) حَوْبٌ ووِزْرُ
وحَدِّث(3) بنعمى ولى الزمان   فَسَتْرُك أنعم مولاك كفر
أما أنْ حَبَاك بأقصى مُناك   فطاب لذكرك فى الناس نَشْرُ
ألم يُعْلِ قدرك فى العالمين   فما مثل قدرك للناس قدر
ألم يحم آباءك الأولين   فهل فوق ذلكم الفخر فخر
سلام على شمس آل الرسول   إمامٌ به قام خَلْقٌ وأمْرُ
بنفسى مستنصرًا بالإله   رعاياه سَعْدٌ وفتحٌ ونَصْرُ
له بالسجود تَخِرُّ السماء   كما الأرض من خوفه تَقْشَعِرُّ
إمام الهدى ومبيدُ العدى   سماء الندى من يديه تَدُرُّ
ترى المصطفى منه والمرتضى   إذا ما تَصَدَّرَ قَدْ ضَمَّ صَدْرُ
سلام عليك ولى الزمان   كقطر السحائب ما دام قطرُ
إذا قال فيك (ابن موسى) المديح   غدا الشعرُ عبدا له وهو حُرُّ

(1) ق : شغلوا . — (2) ف : قصاراى . — (3) ل ، ح : لحدث .

القصيدة التاسعة والخمسون

أيا دهرُ كَمْ هذا الأذَى والتحاملُ ... أبَيْنَكَ يا هذا وبينى طَوائِلُ
تُرَدِّدُنى ما بَيْنَ حِلٍّ ورحْلَةٍ ... فلا أنت مُحْيِى لى ، ولا أنت قائلُ
٣ لقد بَسطَتْ فىَّ الرزايا أكفَّها ... وقد فغرَتْ أفواهُها لى الغَوائِلُ[1]
وقد أيْقنَتْ نفسى بأن أقل ما ... أقاسيه منه الطود لاشك زائلُ
فلا حُزنَ إلا نجمه لى طالع ... ولا أنْسَ إلا هابط النجم آفل
٦ ولا نار إلا مِنْ حشاى أجيجُها ... ولا ماء إلا من جفونى سائل
فَقَدْتُ الأولى كانوا المعاقل فى الصبا[2] ... وإذ أنا فى قيد الطفولة حاجل[3]
وأصبحت من بؤس وأسر وذلة ... غريق بحار ما لهن سواحل
٩ وسايرت قوما لم تزل لى[4] صدورهم ... من الغيظ والبغضاء تغلى المراجل
وما زلت أسْعى بين حل ورحلة ... إلى أن أبى مَسْرَاى لى والمَرَاحلُ
أهاجر فى الآفاق والأنسُ هاجرى ... أواصل سَيْراً والجَوَى لى مُواصل
١٢ على ذا مَضَى طِيبُ الشباب ويومه ... وقد نزل الشيب[5] الذى هو نازل
وما كان لى فى الأرض إلا مؤانس ... يصاحِبنى فى العُسر واليسر كافِل
فبتت صروف الدهر عنى حباله[6] ... فقد نصبت للحادثات[7] حبائل
١٥ وبتُّ وما فى الأرض مثلى واجمُ ... وليس كمثلى فى التحرق ثاكل

(١) ل : النوال . — (٢) ل : فى الصبر . — (٣) ل : خاجل .
(٤) ح : فى . — (٥) ل : المشيب . — (٦) ق : الحبائل .
(٧) ح : لى الحادثات. ق. ف. إلى الحادثات . ل : لى للحادثات .

ألا قل لمن واراه فى قبره الثرى ... وأدمعنا حَرَّى عليه هوامل
لئِنْ أقفرت يا صاح منك ديارنا ... فقلبىَ من ذكراك والله آهل
وإن كُنْتَ عنى قد شغلت فانما ... بفقدك لى شغل عن الخلق[1] شاغل ١٨
وإن كُنْتَ قد أغفلتَ ودى هكذا ... فقلبى إلا عن ودادك غافل
أيوجب حسن العهد ما أنت صانعٌ ... ويَفعَلُ أهلُ الود ما أنت فاعل
معاذا إلهى ما عليك ملامة ... وما أنت عن عهد الأحبة حائل ٢١
ولا مشتكى إلا من الدهر إنه ... لتصدر حقا عنه هذى الرذائل
هو الدهر مر حلوه ، ومآتم ... مداعيه طرا ، والمُحَامى مقاتل
خساس عطاياه ، حقار هِبَاتُه ... وأيامه إمَّا اعْتَبَرْت قلائل ٢٤
فإن يك منه الشر عم فإنما ... بأعظمه خُصَّ الرجالُ الأفاضل
له الحكم فى جسمى الذى هو ربه ... ألا فلينل منه الذى هو نائل
ونفسى لها أعلى الذرى[2] فنى ابْتَغَى ... تناولَها بالخسف أعْيَى التناول ٢٧
فإن لها من عالم القدس مركزا ... ومنزلةً تَنْحَطُّ عنها المَنَازل
وإن لها من آل طه وسيلةً ... إلى الله ، يالله تلك الوسائل
فَظِل[3] الإمام الفاطمى يَحُوطُها ... وتَكْنُفُها منه أيادٍ جَزَائِلُ ٣٠
إمام نفوس الخلق طُرًّا تَهَابُه ... وما إنْ[4] له ضِدٌّ سوى الله كافِلُ
إمام كبار العالمين صغاره ... وكل[5] الأعالى من عُلاه أسافِلُ
إمامٌ[6] هو البحر المحيط وكل من ... سواه إليه بالقياس جداول ٣٣
إمامٌ به لاذ البريةُ كلُّهم ... إذا نابَهُم هَوْلٌ من الدهر هائِل
تخر لذكراه الملائك سُجَّدا ... كما لاسْمه فى الأرض تعنو القبائل
رضاه من الرحمن رَوْحٌ ورحمة ... كما الخَسْف حقا سُخْطُه والزلازل ٣٦
هو السيد المستنصر الماجد الذى ... يُحَق به حقٌ ويبطل باطل
هو البيت بيت للآله مقدس ... وسيف لهام الكفر والشرك فاصل

(١) ل : الحق . — (٢) ل : الذى . — (٣) ل : وظل . — (٤) ل : وان .
(٥) ق : فكل . — (٦) سقط هذا البيت من نسخة (ل) .

٣٩ هو الوجه وجه الله ، والجنب جنبه   من الوحى قد قامت عليه الدلائل
أيا ابن رسول الله وابن وصيه   ومَنْ لم تَضَعْ فى الأرض مثلك حامل
ويا من به بأس الهداية صائل   ويا من به ذكر الضلالة خامل
٤٢ ويا عصمة للحق تُفْضِى أواخر   إليها كما تفضى إليها أوائل
لمولاك ريحان وَروحٌ وجنّة   كما للعدى أغلالها والسلاسل
فداك(١)(ابن موسى) غرس إنعامك الذى   له كل يوم منه طلٌّ ووابل
٤٥ أعِنّى أمير المؤمنين بقوةٍ   أدافع عن نفسى بها وأناضل
أناضل دهرا هدّ عزمى صرفُه   فكم ذا لقلبى مِنْ أذاه بلابل
ألا(٢) ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة   خليًّا ، وقد بلغت ما أنا آمل
٤٨ فأشفى غليلا ، أم أرانى راحلا   بغُصّةِ صدرى لم(٣) أنل ما أحاول
عجبتُ لموحٍ لى بحسن تماسك   وبين ضلوعى عِلْمُها وهو جاهل
ولو كان لى قلب يصيخُ لقوله   لكان لىَ البُشْرى لأنى عاقل
٥١ فيا صاحبى ما أنت والله ناصح   ويا عاذلى ما أنت والله عاذل
وما والج فى مسمعى نُصحُ ناصح   ولا قابل قلبى لما هو قائل
عسى أن يَمُدَّ الله لى منه رحمة   فيحمد منها عاجل لى وآجل

(١) ل : فداك . – (٢) تقدم هذا البيت فى نسخة (ل) على سابقه .
(٣) ق : أم أنل .

القصيدة الستون

وقال قدس الله روحه لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين :

أقسم لو أنّكَ توّجْتَنى   بتاج كِسْرَى مَلِكِ المَشْرِق
ونلْتَنى كلَّ أمورِ الورى   مَنْ قد مضى منهم ومَنْ قد بَقِى
وقلت أنْ لا نلتقى ساعة   أجبت يا مولاى أن نلتقى ٣
لأن ابعادك لى ساعة   شَيَّبَ فَوْدَىَّ(١) مع المفرق

فأجابه المستنصر :

يا حُجّةً مشهورة فى الورى   وطودَ عِلم أعجز المرتَقى
ما غُلِّقَتْ دونك أبوابُنا   إلا لأمر مؤلم مُقْلِق
ولا حَجَبْناك مَلالا فثق   بوُدِّنا وارجع إلى الأليَقِ ٣
خفنا على قلبك من سمه   فَصَدُّنا صدُّ أبٍ مُشْفِق
شيعتُنا قد عدموا رشدهم   فى الغرب يا صاح وفى المشرق
فانْشُرْ لهم ما شئت من علمنا   وكنْ لهم كالوالد المشفق ٦
إن كنت فى دعوتنا آخرا   فقد تجاوزت مدى السبَّق
مثلك لا يوجد فيمن مضى   من سائر الناس ولا من بقى

(١) ل : فؤادى .

القصيدة الحادية والستون

يا صباحَ الخميس أهلاً وسَهْلا — زادك الواحد المُهَيْمِنُ فَضْلا
أنتَ عِيدٌ للمؤمنين عتيدٌ — جمع الدينُ منهمُ فيك شملا
٣ نحن نَجْنى ثِمار جنّات(١) عدن — كلما أقبل الخميس وولّى
من رياض أنهارها جاريات — وبها الحور فى المقاصر تُجلى(٢)
تترَوَّى الأرواحُ منها بماء — هو أشفى من الزلال وأحلى
٦ رُتْبَة خصّنا بها صاحبُ العصـر — أمينُ الإله عزّ وجلاّ
(حجة الله) (كعبة الله) (عين اللـه) — خير الأنام فرعا وأصلا
والمقام المحمود، وحامى المو — جود مُفنى(٣) الطغاة بالسيف قتلا
٩ الإمام العدل الولى معد — نجل من كان للنبوة بَعْلا
جده المصطفى ووالده الطهـر — (على) الوصى، بورك نجلا
كيف تخفى مناقب لعلى — وعلىٌّ على الولاية دَلاّ
١٢ وله الرتبة التى قال فيها اللـه — للمصطفى «دنا فتدلى»
وله الحوض فهو يسقى مواليـه — رحيقا، وضده يتقلّى
وله القائمون فيه بالقسـط — هداة كانوا إلى الله سُبلا
١٥ صاحب المعجزات، وظاهر الآ — يات فى العالمين قولا(٤) وفعلا

(١) ل : جنة . — (٢) ق : [illegible] .
(٣) ح : يفنى . — (٤) ل : [illegible]راً .

وصديق مثل العدو مداج — لا أراه إلا عدوا مضلا
جاءنى حائراً فقال بجهل — ما أرى للمسيح فى الناس شكلا
١٨ إن (عيسى) قد كلم الله فى المهـد — صبيا وكلم الناس كهلا
قلت : هذا مولى الأنام (معـد) — قد حوى الملك والإمامة طفلا
قال : (عيسى) أحيى الموات جهارا — قلت : مهلا يا ناقصى الفهم مهلا
٢١ إن هذا مولى الأنام معـد — هو يحيي بالعلم من مات جهلا
قال : (عيسى) أبرأ العمى قلت : مولا — ى (معد) يجلو العَمَى إن تَجَلى
قال : حسبي أجبتني بجواب — باطنى بَيَّنْتَ لى فيه عقلا
٢٤ ثم ولّى عنى مقرّا بفضل — لإمام الهدى ورُحْتُ مُدِلا
أنا رضوان عبد (معـد) — لست عن طاعتى له أتَخَلى

القصيدة الثانية والستون*

وقال يخاطب الملك أبا كاليجار البويهى :

باسمك يا الله يا رحمن ويا رحيم يبدأ اللسان
ثم يُثنى بعده بالحمد لك يا عادلا فى حكمه ما أعدلك
٣ وبالصلاة دائما(١) على النبى مثلث الطهر الهمام العربى
محمدٍ أشرفَ من ضمَّ حشا وخير مخلوق على الأرض مشى
وبعده على البطين الأنزع نجلِ أبى طالب السميذع
٦ زلزلة الساعة مولاى (علىّ) ومن به للدين برهان جلى
طَوْدُ الهدى ومنبع السعاده ومن له لو ثنيت وساده
قضى من التوراة فى أهليها فصلا يزيل اللبس والتحويلا
٩ كما من الانجيل فى أهليه كشف عنهم عشوات التيه
واستخلص المستور من مسطور مترجما عن صحف الزبور
وبالقران الحق فى الناس نطق نطقا يجلى صبحُه كلَّ غَسَق
١٢ كذاك(٢) قال المرتضى والمنبر من نورِه لَمَّا عَلاه أنور
من ذا على ما قاله يعترضُ إلا الذى فى القلب منه مرضُ
صلى عليه وعلى أبنائه ربٌ(٣) هم صفوة أوليائه
١٥ قوم هم لله فينا نِعَمُ جاحدهم أفضل منه نَعَمُ

(*) لم تثبت هذه القصيدة فى نسخ الديوان التى بين يدى وقد نقلتها عن نسختين خطيتين من السيرة المؤيدية إحداهما رمزت إليها «ك» أى النسخة التى كتبت بأجرات. والثانية «د» أى نسخة الدكن (راجع كتاب سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة — من مطبوعات دار الكاتب المصرى) .

(١) ك : بعده . — (٢) د : كذلك . — (٣) ك : ربهم .

وإذ مضى هذا (فأما بعد) فإننى لآل طه عبد
مشتهر فى حبهم إخلاصى مجردا أرجو به خلاصى
كم قد دهتنى فيهم من داهيه وحقدت فىّ قلوب قاسيه ١٨
فكلما للحرب نارا أوقدوا أطفأها ربى فربى أحمد
وأكثر الشيعة أهل الدعوى لم يهو غيرى منهمُ فى مَهْوى
ما أحد فى أهل طه قُصدا غيرى ولا من أرضه قد طردا ٢١
ما فيهم من لحقته ضغطة يوما ويَوْماً عارضته خطة
وإنهم على اختلاف الفرَق وقلة الثبات عند الفرَق
لا يجدون قُدْوة من عُلَما قد نَصَبوا لآل طه عَلَما ٢٤
بين قرون عُصْبة النُصّابِ فى دَوْلَة الأزلام والأنصاب
أجل فكلٌّ بى قد استجنا إذا رأى ليل اغتساق جَنَّا
أعرب فى الخوف إذا ما أعْجَموا أصدق الإقدام حين أحجموا ٢٧
ثم إذا ما الخوف يوما ذهبا اتخذوا ثَلْبِى وَسَبِّى مذهبا
وسلقو(١) بألسُنٍ حداد أثبتَّهم جأشا لدى الجلاد
لو اننى تركت بالكفاف عددته من أكبر الإنصاف ٣٠
ما أن أرى الزمانَ لى بالمنصف والموقف الأشرف بى لم يَعْتَف
ولم تعد لعيشتى الحلاوة بِعَوْدِ ذاك البر والحفاوة
ولم يعد لى النظرُ الشريفُ كما بدا والكرم المألوف ٣٣
يا مالكا فى الجسم والنفس ملك إنك أنت الشمس والمُلْكُ فلك
يا طلعة الخير ويا شخص الكرم وطالع السعد ومصباح الظلم
من ذا رأى طلعتك الميمونة فلم ير السبع الطباق دونه ٣٦
عماد دين الله أنت المنتهى فى كل ما باهى به ذوو النهى
خَلْقا وخُلُقا تبعا أسنى الحسب كالدر ما بين اللجين والذهب

(١) د : سالقوا .

٣٩ جعلت شاهنشاهنا المعظما من نائبات الدهر لى مُعْتَصَما
يا كاليجار فالإله جاره وفى ذراه وحماه داره
المرزبان والزمان عبدُه كما الكرام الكاتبون جنده
٤٢ والمصطفى وآله عماده حقا كما ولاؤهم عتاده
يا مالكا مطهر الأخلاق مشتهرا بالفخر فى الآفاق
يا غاية السؤدد والنفاسه انظر فأنت صادق الفراسه
٤٥ هلا ترانى فيك إلا غاليا يُفْرط فى حبك لا مواليا
فما لحق عندكم يُضَيَّع وما لقولى صار ليس يسمع
أخادم مثلى يضاع هكذا كيما يطول نحوه باعُ الأذى
٤٨ لقد نبا بى مقعدى ارجافا يجحف بى طول المدى اجحافا
من قائل يقول كيف شانه أما علا فلم هَوَى مكانه
وقائل يقول قد تنكرا سلطانه لكفره إذ ظهرا
٥١ وقائل يقول قوم ما رضوا فعللوا قصته وأمرضوا
كل بنا من حيث يهوى يشمت فبعضهم يمحو وبعض يثبت
هذا الذى يلسعنى من خارج من ناصبى كاشح وخارجى
٥٤ وأن لى من داخل البيت ضنى يَسْألُ عنى البعض بعضًا ما جَنَى
يا ليت شعرى ما الذى منه بَدَر من خلل نَفّر عنه من نفر
ألم يكن حُسْنُ القبول قابله فما الذى قد قطع المعامله
٥٧ إنى لفى أمثال هذا مرتبك فنجنى إلى بالله وبك
يا مالك الآفاق عطفاً عطفا تثنى به عنى الأعادى عطفا
إن كنت أذنبت فأنت تعرف وليس ما تعرف عنه مصرف
٦٠ إن كان ذنبى ما جرى (ببسا) ألم أقم عذرى فطبت نفسا
خلال أيام لنا بالعسكر فى المجلس الشاطئ فوق المَنظر
والمثل المضروب بالاسكندر وبابنه عَلامةً فاذكر
٦٣ إذ قلت ما جاوزت فيه واجبا فلا تكن من واجب مغاضبا

وإنه إن كنت ترضى المعذره وتقتضى لما نقمت المغفره
فاغفر ، وإلا فاعذر المعلما إذا رأيت عقله منثلما
وإننى كما ترى معلم وها كم فى العقل منى لِمَم ٦٦
وإن تكن إذ قلت كاتب مِصْرا تحمل من ذاك علىّ إصْرا
فعَدْلُك الشامل حسبى من حَكم وليس لى إلا الرضا بما حَكم
أكان قولا منكرا أو زورا أو كان حجرا ذاكم محجورا ٦٩
أم كان لى غير الصلاح من غرض ام لسوى رضاك فيه معترض
إن قلت كاتب حضرة ابن فاطم واسلك بما فيها سبيل الهاشمى
فليس مثل المرتضى عباس ولا ابنه إلى ابنه يقاس ٧٢
وإن آباءك أيضا كاتبوا وأظهروا الود له واقتربوا
لاسيما وربعه قد أشرقا بخبر منى إلى مصر ارتقى
فيما له الرأى العلى وافقا دَام نظام سعده متسقا ٧٥
وهو الذى أرسلت فيه رسلا من بلد «الأهواز» عاما أولا
وجئت فى بابه مستأمرا فقلت دمت ناهيا وآمرا
ووجهك الميمون ذو تهلل ما تكتب الآن خلاف الأول ٧٨
فقلت فضلا من إله مفضل ويُمْن جد لمليك مقبل
وقلت إن بعض هذا نكتب بما به للود يقوى السبب
وإننى الآن على انتظار لعودهم بمنتهى الإيثار ٨١
وبالجواب بالدعاء الصالح وشكر مجدود من المنائح
لآل طه من أجل ناصر لهم ووجه للزمان ناضر
الملك الصاعد نجم الديلم بملكه فى الأفق فوق الأنجم ٨٤
فإن عددت هذه الجنايه فقد بلغت فى العقاب الغايه
أرى نزولا عوضا عن ارتقا لا البِشْر ذاك البشر بى ولا اللقا
ولا الكلام ذلك الكلام ولا المقام ذلك المقام ٨٧
وأين ما أسلفتُه من خِدم وخلتنى قدمت فيه قدمى

أصبح نسيا كله منسيا — حتى كأنا ما صنعنا شيا
٩٠ وليس ذاك بالذى يضاع — فمثله فى السوق لا يباع
مصدره عن مشفق نصوح — جاد به وهو شقيق الروح
لا منعة تمنع حين يمنع — ولا غنى ينفع يوم ينفع
٩٣ فما لأعمالى غدت مختلة — من أجل أن سياءتك منها خله
وحسناتى قد عفت آثارها — لخصلة منها يرى إنكارها
ألم أكن أنطق بالبيان — فى الجمع بين العقل والقرآن
٩٦ ألم أكن جلاء كل ظلمة — من مشكلات الدين مدلهمة
ألم أكن أحل كل رمز — عنه الدهاة تنثنى بعجز
أغذو العقول بالعلوم الشافيه — لكى تنال فى المعاد العافيه
٩٩ فلم منعت عقلك الشريفا — يا ذا النهى غذاءه اللطيفا
هلا منعت ما اشتهاه الجسم — فمنعك العقل الغذاء ظلم
أصرت تأبى نفعه لضرى — تمنعه الخير لقصد شرى
١٠٢ كم قد جمعت للهوى من عدة — ومن عتاد بامتداد المدة
فمن ترى لعقلك المجرد — من مرشد هاد له مسدد
يكسبه عزا من القران — يفنى الزمان وهو غير فان
١٠٥ ويعقد المجد له معبدا — إذا مضى المجد شعاعا بددا
لا تطرحنى إننى ذاك الرجل — سابق آثارى على هذا يدل
ولا تبع تحقيق شىء يعرف — بشبهة يأتى بها محرف
١٠٨ يا ملك الملوك يا زين الزمن — لا تطرحنى إننى غالى الثمن
أنا الذى من فضل آل أحمد — فى العلم تعلو كل ذى يد يدى
أطب فى مصالح المعاد — ما طب جالينوس فى الأجساد
١١١ قد شيبت منى العذار العفه — مازلت من[1] ميزانها فى الكفة
ما شاق قلبى وتر أو زمر — ولم تدب فى عروق خمر

(١) د : بمن .

عبادتى كل الزمان عادتى — ما ملكت يد[1] الهوى مقادتى
أعاند الحرص الخبيث والطمع — ما لهما طبعى مذ[2] كان انطبع ١١٤
فلا يغرنك قول الحسد — من كل أفاك أثيم معتد
وقول من يقول من أهل السفه — إنا نقول قول أهل الفلسفه
وها هم فاسألهم لتعلما — هل ينصبون فى القران سلما ١١٧
لقصة واحدة أو دونها — بموجبات العقل يوردونها
فكيف ما لم يعلموه علموا — جار الأولى أفتوا بما لم يعلموا
يا ضعف ما بالجهل أسسوه — أعلموناه[3] وهم نسوه ١٢٠
إن القران عندنا أسنى نسب — والفلسفى ما له فيه نشب
نجمع بين فضله والعقل — ونقمع الجور بسيف العدل
يا أيها الهمام هذى قصه — مما يضم الصادر لى من غصه ١٢٣
رفعتها تلبس لبس النظم — والغرض المقصود فيه همى
تكفير سيئاتها بطولها — وبعث حسن الرأى فى قبولها
فاسمع وأنصف فالزمان أنصفا — فيك[4] الورى ومن قذاه قد صفا ١٢٦
إنك إن فتحت لى عين الرضا — لم تلف إلا خدمة لى غرضا
يقصر عنها شأو من دونى عسى — تميز اليقظان ممن قعسا
ولم تجدنى فى وجوه الخدمة — من غير ذا إلا وكيد الحرمة ١٢٩
حاشية فى زمر الحواشى — لا أستحى فيهم ولا أحاشى
كويتب ما أن أقول كاتب — فإن قدر كتبتى مقارب
وخاطب إن ذكر الخطاب — من خطبتى[5] لا يأنف المحراب ١٣٢
وأن أدل واحد ببأسه — فى شعره وعدة من ناسه
لجدك الميمون مضمون له — طول الزمان النصر من عند الله
وبأسنا محصوله قليل — منه لسان نحرنا كليل ١٣٥

(١) د : يدى . — (٢) د : ما . — (٣) د : اعلونا :
(٤) د : لك — (٥) ك : خطبي .

وان يكن مع ذا يحق الفخر   به فإنى فى الظلام الفجر
فعنده لا شك ناسى أكثر   لطفا من الله وبأسى أقهر
١٣٨ هذا كذا وانى إلى ورا   حرمت بين النظراء النظرا
من غير ما ذنب قد اقترفته   ودون عيب هو لى عرفته
يا زمنى لو لم تكن خوّانا   ما كنت أغلو هكذا مجانا
١٤١ ويشتوى بالجمر يا شر الزمن   من فيهم أزرى بمن إذ قلت من
فالغير فى جانب بر يسلم   وأنا فى وادى الجفاء أسقم
يا مالك الأرض لسان ربّنا   عن واصب بقلبه إذ أنّا
١٤٤ ثم إليك هاجرا واستأمنا   ابلغتهما من القبول(١) المأمنا
آمنك الرحمن مما تحذر   ودام وجه الأرض منك يزهر
والعدل فيك مشرق آفاقه   والتاج منك دائما اشراقه
١٤٧ والملك فيك عاليا مناره   والدين منك لامعا أنواره
ودام لى ظلك ذخرا باقيا   كما دعائى لك حرزا واقيا
والحمد لله ولىّ الحمد   ذى الطول عز جاره والمجد
١٥٠ والصلوات الطيبات أجمعا   على الأولى قدرهم قد رفعا
محمد وآله الأبرار   والأكرمون الصفوة الأطهار
أئمة العدل هداة الخلق   معادن الفضل شموس الحق
١٥٣ منابع العلم مفاتيح الحجى   مرابع الفهم مصابيح الدجى

(١) فى د : قولهم.

القصيدة الثالثة والستون (١)

إلٰهى أحاطَ اليأسُ من كل جانب   بنا، وبنا ضاقتْ جميع المذاهب
غدونا بجور الدهر مأكلَ آكل   وصرنا بمس الضُّر مَشْربَ شارب
غدتْ دعوةُ الأطهار من آل فاطم   شموس الهدى الشم الكرام المناسب ٣
مبلبلة من قصد ناس مغالب   مزلزلة من كيد رجس المناصب
أترضى لدين الحق يارب إنه   غدا كرة تلهو بها كف لاعب
أتترك أتباع الهدى هكذا سدى   لتفترس الآسادَ جروُ الثعالب ٦
وتترك نور الله يطفأ بعد ما   ثوى ما ثوى فى مدلهم الغياهب
كفى ما اشتفى من أهل (طه) (أمية)   كفى ما دهاهم منهم من مصاعب
لقد أمطروهم من حريق صواعق   كما حكموا فيهم رقيق قواضب ٩
وفى دون مالاقوه يارب مقنع   فمحنتهم ليست بضربة لازب
فياربنا احفظ دعوة الحق، حافظا   لمنكبها فى الأرض كل المناكب
وصُنْ أهلها طراً، وصب على الذى   يكيد بها فى الناس صوب المصائب ١٢
وخذ ما ابتغى أخذ القوى انه انبرى   كمثل (ابن حرب) حرب أولاد طالب
وجرد عليه سيف نقمتك التى   ترى خزى داريه له فى المضارب

(١) هذه القصيدة وجدت فى جامع الحقائق منسوبة للمؤيد فى الدين. ولا نستطيع أن نقطع برأى فى نسبتها إليه.

تعليقـــــات

القصـــــيدة الأولى

٦ — ٩ فى المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١١٢ : العقل أداة فى الانسان باطنة فيه يبصر بها ما بطن، كما أن العين أداة فيه ظاهرة يبصربها ما ظهر ، وعمل هاتين الأداتين — العقل والعين — مقيد بشرط هو أنه كما لا سبيل للعين على الابصار إلا بنور خارج مثل الشمس والقمر والنور والنار ، فكذلك لاسبيل للعقل على تبصره إلا برسول أو وصى أو إمام هم للعقول بمنزلة الشمس والقمر والنجوم للبصر .

وفى المجالس ج ٢ ص ١٢٠ : وقد رأينا العين على كونها صحيحة سليمة لا تعمل عملا ولا تبلغ فى قصدها من النظر عرضا إلا بمرافدة نور لها من خارج كشمس أو قمر أو سراج فمهما التقيا استبان صورة المبصر وحققت منها حقيقة النظر ، فكذلك العقل وإن كان صحيحاً سليما يبصر مبصراته ولايحيط من جهة الدين بمعلوماته إلا بمد رافدة ذوى التأييد من عند الله الذين هم أنبياؤه ومن أقاموه من بعدهم الذين هم الأنوار الحقيقية ، وكما أن الأنوار كلها سماوية فكذلك قوتهم سماوية .

١٧ — ١٨ هذان البيتان فى غير موضعهما .

٢٨ فى المجلس الثامن عشر : وأما الكلام فى القرآن ووقوع النقص منه والتحريف فيه كتحريف أهل الكتاب الذين هم اليهود والنصارى لكتبهم فقد يقع القطع على أنه حرف الكلام عن مواضعه فى القرآن لا من حيث يعتقد أنه نقص شئ من مسطوره بل أدخل عليه التحريف من جهة المعنى الذى هو الغرض والمغزى لا من حيث اللفظ .

١١٦ فى المجالس ج ٢ ص ٦٩ : ومما يدل على اختصاص قوم بمعالم الدين وتميزهم بها فى العالمين قول الله تعالى حكاية عن موسى حين ناجى الخضر وهو يصاحبه قال «هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا ... الخ فاذا كان مثل موسى بن عمران يرد عليه من علم الملكوت مالا يقوم لاحتماله ويضعف عنه قوة نهوضه

واستقلاله فلأن يكون العامة الطغاة عن احتمال ذلك أضعف وأقصر، فمن عاب علينا إخفاء الدين فهل عاب الخضر على كتمان موسى حقيقة ما عنده .

١٣٥ فى المجالس والمسايرات للقاضى النعمان (ورقة ٨٣ ب) قال المعز لدين الله إلى ابن واسول : أليس فيما بلغنا أنه انتهى إليك عنا أنا ندفع نبوة محمد وندعى النبوة بعده وندفع سنته وشريعته وندعو إلى غيرهما . فسكت فقال له المعز : ويحك قل فقد بلغنا أن ذلك مما قيل لك عنا ونسب إلينا . قال : نعم . قال المعز : فلعن الله من قال بهذا أو انتحله وادعاه ومن تقوله علينا ورمانا به ونسبه إلينا فكيف نقول ذلك أو ندعيه وشرفنا الذى جلببنا الله جلبابه وفخرنا الذى ألبسنا أثوابه بجدنا محمد (صلع) منه علونا على الأمم وبه فخرنا على العرب والعجم فكيف ندفع نبوته أو ننكر فضله ، فاذا كنا نحن ندعو إلى البراءة من شريعة جدنا محمد (ص) فمن يدعو إلى الاعتصام والتمسك به .

١٣٩ فى المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦٣ : وتأملنا حال اليهود فاذا هم أوسع الناس شراً ، وأكثرهم غلبة خبثاً ، وللنبى إيذاء وإعناتاً ، ولرسالته ردا ، وقد كان اسم النبى فى التوراة ثابتاً وحق نبوته مؤكدا فمحوا من التوراة اسمه وجحدوا حقه، وتأملنا شبههم من هذه الأمة فوجدنا قوما أخروا علياً عن مقام الوصاية كما أخر اليهود النبى عن مقام الرسالة واعتمدوا على المكر والخديعة به مثل ما اعتمده اليهود مع النبى .

القصـــيدة الثانية

٢٣ فى أرجوزة الداعى أبى تمام (هامش المجالس ج ١ ص ٢٨٤) :

وإنما لفظة كن حرفان وفيهما كنز من العرفان

١٧ فى المجالس المؤيدية (المجلس ١٦٢) والحق معرفة اللوح والقلم فمن تصور فيهما أنهما جماد فقد لبسه بالباطل .

٢٤ يشير إلى الحديث « مثل أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » وفى سرائر النطقاء : (هامش المجالس ج ٢ ص ٢٤) وركبوا فى السفينة أى دخلوا دعوة الامام الذى أقامه الناطق ونصبه وأوجب طاعته وأمرهم بالدخول فى دعوته .

٥٤ — ٥٩ فى المجالس ج ١ ص ٢١٢ — ٢١٣ : نقول إن الشريعة أعطتنا العلم بأن الله تعالى أبدع قلما ولوحا وأنه جرى القلم على اللوح بما كان فيه وبما هو كائن وأن

جميع المصنوعات ظهرت من تخطيط القلم على اللوح ولما لم ينفذ لمخالفى الدعوة بصيرة فى هذا المعنى قالوا إنها قلم من ياقوت حمراء ولوح من زمردة خضراء إذا كان ذلك عندهم من الجواهر الثمينة ذلك بأنهم ما ميزوا الجواهر الحية من الجوهر الجماد .

١٢٧ — ١٣١ جاء فى السيرة المؤيدية ص ٤٢ (مخطوط الدكن) وإنما هذه ثلاث طاعات خارجة مخرج الاطلاق والعموم ولم تتعقب واحدة منها بتقييد ولا خصوص .

القصـــيدة الثالثة

١١ — ١٨ فى المجالس ج ١ ص ٥٥ : الزور فى وجه من وجوه المعانى دار الدنيا وهى دار الكذب التى وعدها مكذوب وخيرها مسلوب .

٣٢ فى تأويل دعائم الاسلام ص ١٢١ البيت أو المنزل مثل صاحب الزمان .

٥٤ فى تأويل دعائم الاسلام ص ٥٢ إن الله جعل حياة الأرواح بالعلم ومن لم يكن له علم فهو ممن قال الله تعالى « أموات غير أحياء » .

القصـــيدة الرابعة

١٥ فى المجالس ج ٢ ص ٨٣ إن أعلى فلك فى الأفلاك هو فلك زحل .

١٨ فى المجالس ج ٢ ص ٨٣ عن بعض الصادقين مثل الذى لا يتم صلاته كمثل حبلى حتى إذا دنا نفاسها أسقطت فلا هى ذات حمل ولا هى ذات ولد .

٢٧ تذهب فرق الشيعة إلى أن الله تعالى أنزل فى على بن أبى طالب « هل أتى على الانسان حين من الدهر » سورة ٧٦ آية ١ .

٤٨ فى عيون المعارف ص ٤١ : روى عن النبى « تطلع الشمس من مغربها على رأس ثلثمائة سنة » أى أنه بشر بالمهدى الذى ظهر بالمغرب ولذلك نجد الشعراء يمدحون الأئمة بأنهم الشمس التى تطلع من المغرب من ذلك قول الحربى (وكان من شيوخ قرية من قرى تونس) يمدح العلويين :

وتطلع شمس الله من أرضه فلا توبة ترجى هناك لتائب

وقول محمد بن رمضان من شعراء المغرب

كأنى بشمس الأرض قد طلعت لنا   من الغرب مقروناً إليها هلالها

(عيون المعارف ص ٤٣٤)

القصـــيدة الخامسة

٢٥ فى المجالس ج ٢ ص ١٣٦ روى عن أبي بكر الصديق أنه قال : لى شيطان يعترينى فاذا زغت فقومونى

٢٩ — ٣٠ جاء فى تأويل دعائم الاسلام ج ١ ص ٣٣٦ : روى عن على أنه قال : لا يؤم الاعرابى المهاجرين ولا المقيد المطلقين ولا المتيمم المتوضئين ولا المجبوب الفحول ولا المرأة الرجال ولا يؤم الخنثى الرجال .

القصـــيدة السادسة

٢٩ يقصد بالعسكرى أبا الحسن العسكرى الامام الحادى عشر من أئمة الاثنى عشرية فالمؤيد هنا يتهكم بهم .

٣٠ نلاحظ أن المؤيد استعمل الاصطلاح الفلسفى « لا فى الكيان » وهو بمعنى غير موجود فى طبيعة الشئ .

القصـــيدة السابعة

أنشدت هذه القصيدة سنة ٤٢٧ هـ لأنها فى رثاء الخليفة الظاهر بن الحاكم وتهنئة المستنصر بالامامة .

٦ فى السيرة المؤيدية ص ٢٤ : روى عن ابن عباس : ما رأيت علمى فى علم علىّ إلا كقطرة فى الثعنجر .

٧ ذهب الفاطميون إلى أن فلك زحل وفلك المشترى لهما أكبر أثر فى تدبير أمر الجسم (المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٧٣) .

٩ انتقال الامام إلى عالم الروح جعله يستقر إلى العقل العاشر الذى يدبر العالم

فصار الامام روحا مجرداً مسئولا عن تدبير العالم الجسمانى ومؤثراً فيه . (كنز الولد ٩٤ . الذخيرة ٤٦ والمشرع السادس من السور الرابع من راحة العقل) .

١٧ تولى المستنصر الخلافة وهو فى السابعة من عمره ولذا شبهه المؤيد بالنبى عيسى ابن مريم الذى أظهر المعجزات فى طفولته .

٢٥ يريد بالدجال الأعور الخليفة العباسى القائم بأمر الله المتوفى سنة ٤٦٧ هـ وقد سمى كل خليفة من خلفاء الأمويين أو العباسيين بالدجال الأعور لأنه لم يبصر إلا بعين الظاهر فقط دون عين الباطن .

٣١ — ٣٣ فى أساس التأويل للقاضى النعمان ص ١٦ : وقيل فى سورة الكوثر إن عمرو بن العاص قال لكفار قريش اصبروا على ما أنتم عليه فان محمداً لا ولد له فان مات انقطع ذكره وأمره فبلغ ذلك رسول الله فغمه فأنزل الله هذه السورة . والكوثر قيل إنه نهر فى الجنة ومثل النهر مثل العلم العظيم وهو ما أعطاه الله من علم التأويل الباطن وقوله «فصل لربك وانحر» أى أقم الدعوة لله باطنا وهى باطن الصلاة وأقمها فى الظاهر وقوله وانحر أى خذ عهد الأساسية على أساسك وانصبه للبيان فيبتر أمر شانيك وقائل ذلك فيك . وفى عيون المعارف ص ٣٦٤ أن الكوثر إشارة إلى الوصى .

القصـــيدة الثامنة

١٥ الجبار : الجرح الذى لا دية فيه وأخذ المؤيد هذا المعنى من قول الفقهاء جرح العجماء جبار ومثل هذا قول أبي العلاء :

ووجـــدت الزمان أعجم فظا   وجبـــار فى حكمها العجماء

١٧ يشير إلى المتنبى .

١٨ هذا البيت من شعر المتنبى من قصيدة قالها فى مدح أبي على هرون الأوراجى الكاتب وأولها :

أمن ازديارك فى الدجى الرقباء   إذ حيث كنت من الظلام ضياء
قلق المليحة وهى مسك هتكها   ومسيرها فى الليـل وهى ذكاء

٢٢ الابلاء والانشاء أو البلاء والنشوء اصطلاح يقابل اصطلاحات الفلاسفة

المتأخرين (الكون والفساد) ونجد البيرونى فى كتابه ما للهند يذكر هذا الاصطلاح أيضاً .

٣٢ روى الفاطميون أن النبى (ص) قال : شعبان شهرى ورمضان شهر الله ورجب شهرك يا على . ومن ناحية أخرى قالوا إن شهر رمضان هو الشهر التاسع من السنة وتلك إشارة إلى فضل الوصى على بن أبى طالب لكونه تاسع الأوصياء (من رسالة البيان لما وجب) نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ٢٥٧٤٠ .

القصيدة التاسعة

البين بالفتح من الأضداد يقال على الوصل والقطع وهنا بمعنى الوصل .

القصيدة العاشرة

أرجح أن تكون هذه القصيدة من أوائل شعره فى مصر قبل أن يقابل الامام .

١٦ القبلة فى التأويل مثل صاحب الزمان من نبى أو إمام (تأويل دعائم الاسلام ص ٢٤١) .

١٧ الحج فى الظاهر القصد إلى بيت الله الحرام للحج فى العمر مرة لمن استطاع إليه سبيلا وفى الباطن زيارة صاحب الدولة الكلية وهو إمام الزمان فى العمر مرة مع الاستطاعة من العلم والمال (مجموع التربية ص ٢٥) .

القصيدة الحادية عشرة

٤٠ فى سرائر النطقاء (على هامش المجالس ج ٢ ص ٩) قال النبى (ص) لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى ما خلقت خلقاً هو أحب إلىّ منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب . وأن العقل مثل على آدم فكان ذلك إعلاما من الله أنه لا يقبل عملا إلا من جهة آدم ولا يثيب ولا يعاقب إلا به وآدم لقب واقع على كل ناطق فى زمانه وكل إمام فى عصره فلا يقبل عملا إلا من جهتهم ولا يسمع دعوة إلا بهم ولا يقبل شفاعة إلا منهم .

القصيدة الثانية عشرة

من هذه القصيدة نستطيع أن نعرف أنه قالها وهو فى نحو الأربعين من عمره فى أواخر أيام الخليفة الظاهر الفاطمى المتوفى سنة ٤٢٧ .

٢٥ — ٢٧ يشير إلى قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم » سورة (٧٥ — ٧٦) وفى المجالس ج ١ ص ١٠ . اعلم يا أخى أن النجوم مصابيح تنير بها مسافة ما بين هذه السماء العليا إلى هذه الأرض السفلى وما لنورها إلى ما فوق السماء مرتقى ولا إلى ما تحت الأرض منتهى ، فأين أنت من المصابيح التى أعربت عن فضيلة إمامها ورئيسها سورة والنجم إذا هوى حيث قال العلى الأعلى ثم دنا فتدلى وما محل النجوم هاهنا أما تعلم يا أخى أن رباط قلوب العارفين من قبل أوهامها تركت رباطات النجوم موطئ أقدامها وما تعلم أن أنوار قلوب العارفين باخلاص التوحيد يستضئ بها الملأ الأعلى كما يستضئ بأنوار السماء دار الدنيا .

القصيدة الثالثة عشرة

١٤ — ١٥ فى القرآن الكريم « طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض » ومن الطريف أن محمد بن عبد الله النفس الزكية ذكر هذه الآية فى خطابه إلى أبى جعفر المنصور .

٣٢ فى عيون المعارف ص ٢٠٣ . كان المهدى الذى ظهر بالمغرب يلقب بالجابر لأن الله هداه للحق وأنه يجبر قلوب أمة محمد أو لأنه يجبر أو يقهر الجبارين الظالمين .

القصيدة الخامسة عشرة

٢٤ لقب أبو بكر بعتيق قيل لجمال وجهه وقيل لقول النبى له « أنت عتيق من

النار » ورقة ٥٥ من مختصر فى التاريخ للقضاعى رقم ١٤٩٠ بالمكتبة الأهلية بباريس وقد ذكر فى الشعر بهذا اللقب من ذلك قول كثير :

ومن عمر برئت ومن عتيق   غداة دعى أمير المؤمنينـا

القصيدة السابعة عشرة

٢١ جندب بن جنادة هو أبو ذر الغفارى الذى نفاه عثمان بن عفان إلى الربذة وقال الشيعة إن نفيه كان بسبب تشيعه لعلى .

القصيدة الثالثة والعشرون

قيلت هذه القصيدة سنة ٤٤٣ هـ لأن المؤيد هنا رجل صاخب ثائر لما بلغه نبأ نبش قبر موسى الكاظم . (راجع ابن الأثير ج ٩ ص ٣٤٠ . مرآة الزمان ج ٢ ص ٥ نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٥٠٦) .

القصيدة الرابعة والعشرون

أنشدت هذه القصيدة عام ٤٤٣ هـ عند ما قطع المعز بن باديس الصنهاجى الدعوة للفاطميين وأقام الدعوة للقائم العباسى .

القصيدة الخامسة والعشرون

٣٣ جاء فى الفترات والقرانات ورقة ٣ ب : قال بعض الحكماء المتقدمين أول الكون خطان أحدهما على الأخرى فى الوسط ولذلك ركب المسيح عليه السلام الصليب على مثال ذلك فكان دليلا على الأصلين أى السابق والتالى .

٦٢ فى تأويل دعائم الاسلام ج ٢ ص ٧١ : الصفا والمرو مثلهما فى الباطن لأهل كل حد من حدود المعرفة مثل مفيدهم الذى يستفيدون منه ومثل مفيده الذى يستفيد

هو منه فمثل المفيد الأعلى مثل الصفا ومثل الذى يستفيد منه ويفيد من دونه من أهل الطبقة التى هو مفيدها مثل المروة . وفى (١٨١ ا) باطن منى فى وجه من التأويل الداعى إلى دعوة الحق فهو أول حدود المستجيب إلى دعوة الحق وعنه يأخذ أمر دينه فلما كان أول منزل ينزله من خرج من مكة يريد الحج منى فاذا وقف بمواقف الحج عاد إليها وأقام بها حتى يقضى حجه وكذلك المستجيب إذا وقف على معالم دينه وعلم أسباب ولى زمانه لزم داعيه .

وفى (٨٣ ب) أن مثل منى مثل الداعى وقيل مثل الحجة وقيل مثل أحد الأئمة وكل هؤلاء دعاة إلى الله عز وجل وإلى دعوة الحق التى تعبد العباد بالاستجابة إليها على مراتبهم فى ذلك .

القصيدة السادسة والعشرون

حدثنى أحد البهرة أن الطائفة يقرأون هذه القصيدة بعد صلاة النوافل ليلة ١٧ رمضان بعد العشاء .

القصيدة السابعة والعشرون

حدثنى أحد البهرة أنهم يقرأون هذه القصيدة كل يوم بعد صلاة التهجد .

القصيدة الحادية والثلاثون .

١٦ جاء فى تأويل دعائم الاسلام ج ٢ ورقة ٦١ ا : مثل الركن مثل حجة الامام وأن الدعوة المستورة يكون للحجة . (٦٢ ب) والكعبة فى اللغة البيت المربع ومثل أركانه الأربعة مثل موسى وعيسى ومحمد والقائم من ولده ، ثم أدار الحجر على ركنين من أركان البيت الأربعة وجعلا ذلك مثلا لانقطاع النبوة عن ولد اسحق بعد الناطقين من ذريته اللذين هما موسى وعيسى وهما مثل الركنين اللذين حجر الحجر عليهما ، والحجر فى اللغة المنع وذلك مثل المنع بعد نبوة محمد (ص) من الترك بشريعتهما ولذلك لا يطاف بهما وإنما الطواف من وراء الحجر ويطاف بالركنين الباقيين الركن الذى فيه الحجر

الأسود والركن اليمانى ومثل الركن الذى فيه الحجر مثل (محمد) صلى الله عليه وسلم والحجر الذى ذكرنا مثل الأوصياء من ذريته ومثل الركن اليمانى مثل القائم من ولده خاتم الأئمة لا حجر فيه ومثل ذلك أنه لا وصى له ولا إمام من بعده يتلوه وهو صاحب القيامة .

القصيدة السادسة والأربعون

٢٢ فى التوراة أن الأعمال أبيحت فى جميع الأيام ما عدا يوم السبت الذى يختم به الأسبوع ويوم السبت عند الفاطميين إشارة إلى قائم القيامة وهو بمثابة المهدى المنتظر . جاء فى الفترات والقرانات (ص ٤٨) الجمعة مثل على محمد (ص) وهو يوم ظهوره ورسالته ونبوته وسمى جمعة لأن الله تعالى جمع فيه علم من مضى من أولى العزم من الرسل والأوصياء عليهم السلام وعلم من بقى من الأئمة إلى يوم القيامة ، وهو يجمع الله شمله و يملكه شرق الأرض وغربها ويظهر على الدين كله بظهور صاحب السبت القائم من نسله وهو الذى يختم الله به أمور الدنيا كلها وينتج به الأحكام كلها ودار الآخرة .

٢٣ العجل هنا إشارة إلى عجل السامرى وفى التأويل الباطنى أن العجل هو أبو بكر ، والسامرى هو عمر الذى نصب العجل وهو سامرى دور محمد (المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٠ وسرائر النطقاء فى قصة موسى) .

٢٥ فى تأويل دعائم الاسلام ج ١ ص ١٧٢ : الختان فى الباطن مثل كشف الظاهر عن الباطن بالقول لمن يستحق ذلك ولأن خلق الباطن كان هو الأول ثم خلق الظاهر ستراً له كذلك مثل الصبى ما لم يختن مثل من لم يفاتح بالباطن فاذا وجبت مفاتحته وفوتح كان ذلك أيضاً له مثل الختان .

٥٠ فى المجالس المؤيدية (المجلس ٥١) قال بعض الأئمة لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم .

القصيدة الثانية والخمسون

١٠ فى المجالس والمسايرات ص ١٨ : وسئل الصادق عن قوله تعالى : « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » فقال نحن والله النعيم الذى أنعم به عليهم وعنا يسألون فيما عرفوه من حقنا وافترض عليهم من طاعتنا .

الفهـــــارس

معجم الأعلام

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

معجم أسماء الكتب

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

معجم البلدان

فهرس دليل الآيات القرآنية الشريفة

صفحة	نص الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية
٧٢	يا أيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس	٥	المائدة	٦٧
١٣٤	فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين	٦	الأنعام	٧٦
١٤٠	فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين	٦	الأنعام	٧٧
١٤٢	فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون	٦	الأنعام	٧٨
٨٧	وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه	٦	الأنعام	١٥٣
٨٥	والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون	٧	الأعراف	٣٦
١١٦	إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش	٧	الأعراف	٥٤
١٤٥	إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون	٧	الأعراف	٨١
١٠٢	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين	٧	الأعراف	١٧٢
٩٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون	٧	الأعراف	١٨٠
١١٢	وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون	٧	الأعراف	١٩٨
٨٠ ، ١٤١	يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون	٨	الأنفال	٢٤
١٣٠	يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا	٩	التوبة	٧٤
١٤٤ ، ١٤٥	وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات، قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد	١١	هود	٧٨
٩٩	وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق إن ربك عليم حكيم	١٢	يوسف	٦

صفحة	نص الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية
١٤٩	وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا	١٢	يوسف	٢١
٩٩	وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث	١٢	يوسف	٢١
١٤٩	وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى	١٢	يوسف	٢٣
١٤٨ ، ١٥٠	ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء	١٢	يوسف	٢٤
٧٤	ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، إنما أنت منذر ولكل قوم هاد	١٣	الرعد	٧
٥٠	له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه	١٣	الرعد	١٤
٨١	والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار	١٣	الرعد	٢٢
١٣٨	ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء	١٤	ابراهيم	٢٤
٥٠	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن	١٦	النحل	١٢٥
١٠١	قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا	١٧	الاسراء	٨٨
١٤٨	هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا	١٨	الكهف	٤٤
	قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا	١٨	الكهف	٦٦
١٠١	قال إنك لن تستطيع معى صبرا	١٨	الكهف	٦٧
٣٢٥	وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا	١٨	الكهف	٦٨
	قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمرا	١٨	الكهف	٦٩
٩٩	قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا	١٨	الكهف	٧٨
١٤٢	واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا	١٩	مريم	٤١
١١٤ ، ١١٥	الرحمن على العرش استوى	٢٠	طه	٥
١٢٦	وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين	٢١	الأنبياء	١٦
٧٥	وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون	٢١	الأنبياء	٥٠

صفحة	نص الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية
١٤٣	قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين	٢١	الأنبياء	٦٨
١٤٣	قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم	٢١	الأنبياء	٦٩
٧٦	ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون	٢١	الأنبياء	١٠٥
٨٥	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	٢١	الأنبياء	١٠٧
٥١	ولدع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم	٢٢	الحج	٦٧
١٥١	ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين	٢٣	المؤمنون	١٢
	ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين	٢٣	المؤمنون	١٣
	ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين	٢٣	المؤمنون	١٤
١٣٠	يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا	٢٥	الفرقان	٢٨
٧٣	ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا.	٢٥	الفرقان	٣٥
١٤٥	أتأتون الذكران من العالمين	٢٦	الشعراء	١٦٥
	وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون	٢٦	الشعراء	١٦٦
٢٣١	طسم	٢٨	القصص	١
	تلك آيات الكتاب المبين	٢٨	القصص	٢
	نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون .	٢٨	القصص	٣
١٤٣	فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون	٢٨	القصص	٢٩
٨١	ولا تدع مع الله إلهاً آخر ، كل شئ هالك إلا وجهه..	٢٨	القصص	٨٨
١١٢	من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت ، وهو السميع العليم	٢٩	العنكبوت	٥
١٤٠	وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم	٣١	لقمان	٢٣
١٣٢	النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين	٣٣	الأحزاب	٦
١٥٠	وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين من حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا .	٣٣	الأحزاب	٣٧

صفحة	نص الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية
٥٠	يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً	٣٣	الأحزاب	٤٥
	وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا	٣٣	الأحزاب	٤٦
١٢٠	إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، إنه كان ظلوماً جهولا	٣٣	الأحزاب	٧٢
٩٥	إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون	٣٦	يس	٨٢
١٤٦	وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب	٣٨	ص	٢١
	إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط	٣٨	ص	٢٢
	إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب	٣٨	ص	٢٣
١٤٨	قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب	٣٨	ص	٣٥
١١٤	قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، أستكبرت أم كنت من العالين	٣٨	ص	٧٥
١٠٧	ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون	٣٩	الزمر	٢٧
٨٢	أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين	٣٩	الزمر	٥٦
١١٧	الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا	٤٠	غافر	٧
١١٩	ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم	٤٠	غافر	٧
١٠٠	سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.	٤١	فصلت	٥٣
٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء	٤٢	الشورى	٥١
٧٩	وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا	٤٢	الشورى	٥٢
٧٤	وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون	٤٣	الزخرف	٢٨
٧٥	وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون	٤٣	الزخرف	٤٤
٧٥	هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون	٤٥	الجاثية	٢٩

فهرس الأحاديث المنسوبة للنبي

صفحة — نص الحديث

صفحة — نص الحديث

صفحة	نص الحديث
١٢١	من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مخلصاً دخل الجنة . قيل وما إخلاصها يا رسول الله ؟ قال معرفة حدودها وأداء حقوقها .
٧١	من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية

(ن)

٧٦	النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتى أمان لأهل الأرض .

(ى)

١٠٢	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الجاهلين ، وانتحال المبطلين وتأويل الغالين .

استدراكات

وقعت أثناء الطبع عدة أخطاء نعتذر عنها أشد الاعتذار ، وها هى :

صفحة	سطر	الخطأ	التصويب
١	٧	نعثر لها	نعثر له
	١٤	عبد القادر	عبد القاهر
	١٥	ابن تيمة	ابن تيمية
٢	٥	لا برجع قهقرى	لا يرجع القهقرى
	٢٧	لأبى الحسين	لأبى الحسن
٥	٢	الذى بنى البيتا	الذى قد بنى البيتا
٦	٣	فأزادوها	فزادوها
٨	٢٣	سنين	سينين
	٢٢	ثانى أبناء	أكبر أبناء
١٠	٦	عالم الاسلام	علم الاسلام
١٩	٢٣	ليسدنا	لسيدنا
٢٠	١١	فذاك	فداك
٣٥	١٦	أبا سعد	ابا سعيد
٣٨	٨	الجرجائى	الجرجرائى
٤٢	٤	الفاطمين	الفاطميين
	١٨	مؤامر	مؤامرة
٤٤	٧	امرء	امرئ
٤٨	١٦	جبت	أجبت
٤٩	٧	الدعاء	الدعاة
٥٢	١١	لخلاْلة	لخالأة
٥٣	٧	ونون	و ن
٥٤	٢٢	مذهه	مذهبه
٦١	٨	أبطال	إبطال
٦٢	١	تحتلف	يختلف
٦٤	١٦	قانعقد	فانعقد
٦٥	١٦	المناظرة	بالمناظرة
٧٢	١	الصلال	الضلال
٧٨	٣	السبيل	السبل
٨٤	٢٤	(٢) :	(٣) :

صفحة	سطر	الخطأ	التصويب
٨٥	٨	سبغ	إسباغ
٨٦	١٢	نجوى الله فينا	نجوى الله فينا
٨٧	١	طلبه	طلبته
		وأن يسأل عما لايعرفه	وأن لا يسأل عما يعرفه ويعلم به
	٣	باتى	بالآتى
٩٠	٨	بكثيفة	بكثيفه
	١٣	أولى	أول
٩٢	٢٢	نلاحظ أن هذا الحديث أخرجه البخارى مع إبدال العقل بالقلم ، وأنكر ابن تيمية حديث العقل .	
١٠٠	٢٦	الزاريات	الذاريات
١٠١	٤	القرآن	القران
	٥	صادقتهم	صادقتم
	٢٠	صبرا	صابرا
١٠٢	٥	بازاء	باءزا
	٢٠	والبعيث	والبعث
١٠٥	٢٥	الآذان	الأذان
١٠٦	١٥	الأخرى	الآخرة
١١٣	١٨	المشتبهة	المشبهة
١١٦	١٥	فكأن	فكان
١١٧	٢١	يرد	برد
٢٠	١٩	تنفاوت ثقافتهم	تتفاوت بتفاوت ثقافتهم
١١٧	٢٢	التأويله	التأويل
١١٨	٤	التجهدون	المتهجدون
١١٩	٢٤ ٢٥	المخازن	الخازن
١٢٣	١٠	أقسام	إقسام

صفحة	سطر	الخطأ	التصويب
١٢٤	٨	منيعة	منبعه
١٢٥	١٠	المحقين	المحققين
	١٧	للتائلن	للقائلين
١٢٦	١٩	الـكلام	الـكلاب
١٢٧	٥	أجازوا	فأجازوا
١٢٧	١٥	المرؤ	المرء
١٢٨	٧	خص	رخص
١٣١	١١	نعشل	نعثل
	٢٧	النعشل	النعثل
١٤١	٢٣	إن	أنْ
١٤٣	١٦	طفى	طغى
	١٧	طفى	طغى
	٢٠	طفى	طغى
١٤٦	٣	نفزع	نفزِع
	٤	واهدانا	واهدنا
	١٠	نبى محبته	بنى محبة
	١٩	من	عن
	٢٣	أنها	إنها
١٤٧	٢١	متهياة	مهياة
١٤٨	٢٥	التأيل	التأويل
١٤٩	١	الهيمان	الهميان
	٨	ينفعْنا	ينفعَنا
	٢٠	من	منَ
	٢٣	الهمان	الهميان
	٢٣	الختان	الخنا
١٥١	٩	اجتمت	اجتمعت
١٦٠	١١	المرهفات	والمرهفات
١٦٣	١٤	حكيتهن	حكيتُهنّ
	١٥	»	»
	٢٠	ألم	أم
	٢١	ألبابكنه	البَنـاءُ كنَّـه
١٦٤	٢٦	يبتغ	يتبع
	٢٦	يعد	يغد
	١٠	أخته	أكنّـه
١٦٧	١٣	لفسافته	لفلسفته

صفحة	سطر	الخطأ	التصويب
١٧٠	١٠	هو	وهو
١٧٢	١٣	إزره	أزره
	٩	تتلو	يتلو
١٧٥	١٣	حظر	حذر
١٨٥	٤	رابع	رائع
١٩١	٥	قدْرهْ	قدَرهْ
١٩٢	١١	فكان	فكَن
١٩٤	١٩	كذِبتم	كذّبتم
		القرآن	القُرآن
١٩٥	١٣	الغطاء	الغِطاء
	١٧	لَوْ	لُو
١٩٦	٥	حيثهمْ	حيثهمَ
	٢٠	الخضرا	الخَضرا
١٩٨	٧	منكَب	منكب
١٩٩	٥	شَهاب	شِهاب
	٦	مَهادا	مِهادا
٢٠٠	٧	جسمائى	جسمانى
٢٠٣	٩	النقص	النَّقص
	١٢	طِلبه	طَلبه
	٢٠	للصلوات	للصلاة
٢٠٤	٩	تحيي	تُحيي
	١٦	حقهم	حقهمُ
	١٨	عميت	عمّيت
	١٩	حكمة	لحكمة
٢٠٨	٣	يِسرها	يُسرها
	٢٠	تُذل	تَذل
٢٠٩	٥	يشُنها	يشنها
٢١١	٦	هبْ	هبَ
٢١٢	٥	أعرَف	أعرِف
	٦	مودّع	مودِّع
	١٥	منجيق	منجنيق
٢١٣	٤	الهُبل	الهَبل
٢١٤	٤	تعَبّدها	تعبُدُها
٢١٥	٤	والقلبَ	والقلبُ
	١٦	الجميعُ	الجميع

صفحة	سطر	الخطأ	التصويب
٢١٦	١٥	الغَل	الغِل
٢١٨	٥	اللروم	الروم
	١٠	رَشد	رُشد
٢٢٠	١٥	عذبَ	عذب
٢٢٠	٨	ادهُم او أشقُر	ادهَم او أشقَر
٢٢٤	٧	ما لى النجاء	ما لى فى النجاء
	١١	جزّاء	جذّاء
٢٢٥	٥	تَلقاء	تِلقاء
٢٢٦	٥	مستأسَرا	مستأسِرا
٢٣٠	١٢	يُحفّ	يَحُفّ
٢٣١	٥	كتْب	كتَب
	١٠	شَهاب	شِهاب
٢٣٣	١٠	لَسعدى	لِسعدى
	١٧	نَهايات	نِهايات
٢٣٤	١٩	الهَياج	الهِياج
٢٣٧	٧	مساء	مَساء
	٥	الصُّغار	الصَّغار
	١٥	ظُاء	ظِاء
٢٣٩	١٨	عينُ	عينَ
٢٤٠	١٤	فكيف	كيف
٢٤١	١	تنهل	تنهلّ
	٥	وأزْكى	وأذْكى
٢٤١	٥	وَشْبا	وشبًّا
	١٣	يذْرى	يُذْرى
٢٤٢	١	يَبهر	يُبهِر
٢٤٣	٣	وللبيت	للبيت
٢٤٤	٤	فاسًّا	فأسًا
٢٤٧	٦	يُثن	يَثن
٢٥٠	٦	فنائكم	فِنائكم
٢٥١	٥	جوهر	جواهر

صفحة	سطر	الخطأ	التصويب
٢٥٧	١٣	همّكم	همكم
٢٦٠	١	يباع	بياع
٢٦٦	١١	وُجدت	وجُدت
٢٦٧	٣	ضيمُ	ضيمَ
٢٧٠	٨	يَخلقان	يُخلقان
٢٧١	٨	جبّات	جُبّاب
٢٧٢	١٧	عمّه	عمّه
٢٧٦	١٠	حسبى	حسبّى
٢٧٩	٢١	للسوء	للسُّوء
٢٨٦	١٤	قِرْن	قرّن
٢٨٧	٢	وبدلَت	وبدلْت
٢٩٢	٧	الملة	الملةُ
٢٩٣	٣	أن	إن
٢٩٤	٩	أن	إن
	١٠	أن	إنْ
٢٩٥	٦	فهل...بيت...	بيت... فهل...
٢٩٦	١	القصيدة الامنة والأربعون	القصيدة الثامنة والأربعون
٢٩٨	٤	غدى	غدا
٢٩٩	٣	زينُ	زينَ
٣٠١	٣	يلي	ملى
٣٠٢	٩	فلقيتْ	فلقيت
٣٠٤	٢٣	إن	إذا
٣١٠	٦	فلا حَزن	فلا حُزن
		ولا الس	ولا أنس
٣١٢	١٢	يصيغ	يُصيغ
٣١٧	٥	الدعوة	الدعوى
٣٣١	١٤	أن	ان
	١٥	ان	إنه

المراجع

أثبت هنا أهم المراجع التى أفادتنى، ولن أذكر المخطوطات الفاطمية التى كانت عماد هذا البحث فقد تحدثت عنها فى المقدمة :

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء للمقريزى — طبع بيت المقدس سنة ١٩٠٨ .
أخبار الدول المنقطعة للخزرجى — نسخة فوتوغرافية بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ .
الاشارة إلى من نال الوزارة لابن منجب — طبع القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
انباء الزمن فى أخبار اليمن ليحيى بن الحسين — طبع برلين سنة ١٩٣٦ .
الانتصار لابن الخياط — طبع القاهرة .
الانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق ج ٤ و ٥ — طبع بولاق سنة ١٣٠٩ ه
بحار الأنوار للمجلسى — طبع حجر بتبريز .
بدائع الزهور لابن إياس — طبع بولاق سنة ١٣١١ ه .
تاج العروس .
تاريخ ابن الأثير .
تاريخ ابن خلدون .
تاريخ مصر لابن ميسر .
تاريخ ابن صالح الأرمنى — طبع اكسفورد سنة ١٨٩٤ .
تاريخ الاسلام للذهبى — نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .
تجارب الأمم لمسكويه .
التمهيد فى الرد على الملاحدة والشيعة والمعتزلة للباقلانى — (نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٦٠٩٠) .
تفسير الآلوسى .
تفسير الخازن .

تفسير الطبرى .
تفسير القرطبى .
التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع لأبى الحسن الملطى — طبع استامبول سنة ١٩٣٦ .
الجمع بين آراء الحكيمين للفارابى .
حسن المحاضرة للسيوطى .
دستور المنجمين (لا يعرف مؤلفه ويظهر من الكتاب أن المؤلف أحد رجال الطائفة النزارية فى القرن السادس للهجرة) — نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس ٥٩٦٨ .
دمية القصر للباخرزى — طبع حلب سنة ١٩٣٠ .
ديوان ابن هانىء الأندلسى — طبع القاهرة .
ديوان المتنبى — طبع القاهرة .
ذخيرة الأعلام بتواريخ خلفاء مصر — نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٨٥٠ .
الرد على الباطنية للغزالى — طبع ليدن سنة ١٩٢٦ .
رسالة الرشد والهداية تحقيق : محمد كامل حسين طبعت فى مجلة *Collectanea*, Vol. I, 1944
رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر — نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥ .
صبح الأعشى — طبع القاهرة .
عيون المعارف ورياض لكل متبصر عارف لمؤلف هندى من طائفة البهرة — طبع بمبى سنة ١٢٩٧ هـ .
الفاطميون فى مصر — للدكتور حسن ابراهيم حسن .
فرق الشيعة للنوبختى — طبع استانبول سنة ١٩٣١ .
الفرق بين الفرق للبغدادى — طبع القاهرة .
الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم — طبع القاهرة .
فضائل مصر لابن زولاق — نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٨١٧ .
الفهرست لابن النديم .
فهرست كتب الشيعة للطوسى — طبع كلكتا سنة ١٨٥٥ .
فوات الوفيات لابن شاكر .
القاموس المحيط .
الكشاف للزمخشرى .
كشف أسرار الباطنية وأخبار القراسطة لمحمد بن مالك اليمنى — طبع القاهرة سنة ١٩٣٩ .

كنوز الفاطميين للدكتور زكى محمد حسن .
لسان العرب .
المجالس المستنصرية للداعى ثقة الامام علم الاسلام (تحقيق محمد كامل حسين) — طبع دار الفكر العربى .
المخصص لابن سيده .
مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى — نسخة خطية بدار الكتب المصرية .
مقالات الاسلاميين للأشعرى .
المقفى الكبير للمقريزى — نسخة خطية بباريس رقم ٢١٤٤ .
الملل والنحل للشهرستانى .
معجم الأدباء .
معجم البلدان .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى — طبع القاهرة .
نقد العلم والعلماء لابن الجوزى — طبع مطبعة السعادة .
النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى — طبع سالون سنة ٨٩٧ والأجزاء المطبوعة بدار الكتب المصرية .
نهاية الارب للنويرى — نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٥٧٧
كتاب الهمة فى آداب أتباع الأئمة للقاضى النعمان تحقيق الدكتور محمد كامل حسين — طبع دار الفكر العربى .

مراجع ومصادر أجنبية

FYZEE (Asaf A.A.), *Qadi An-Nu'man*, J.R.A.S., Part I, 1934.

— *Al-Hidayatul-Amiriy* ...y 1938.

— *Ismaili Law of* I... 1933.

GUYARD (M.S.), *Fragments relat... à la doctrine des Ismailis*, Paris.

DE GOEJE, *Mémoires sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides*, 1886.

HAMADANY (H.F.), *The History of the Isma'ili da'wat and its literature during the last Phase of the Fatimid Empire*, J.R.A.S., Part I, 1932.

IVANOW (W.), *A Guide to Ismaili Literature.*

— *Ismaili Mss. of the Asiatic Museum*, in the Bulletin of Russian Academy of Sciences, 1917.

— *The Organisation of the Fatimid Propaganda*, vol. 15, 1939, Journal of the Bombay Branche of the R.A.S.

— *Kalami Pir*, Bombay 1935.

— *The Creed of the Fatimide*, Bombay.

— *The Alleged Founder of Ismailism.*

— *The Rise of Fatimide.*

LANE-POOLE, *History of Egypt in the Middle Ages.*

MAMOUR, *Origin of the Fatimite Dynasty.*

MASSIGNON (L.), *Salman Pak*, Société des Études Iraniens, 1934.

— *Esquisse d'une bibliographie Qarmate*, 1922.

O'LEARY, *A Short History of the Fatimide Khalifate*, 1923.

QUATREMERE, (N.), *Mémoires Historiques sur la dynast... des Khalifs Fatimid*, J.A., III Série, Août 1836.

— *Vie du Khalife Fatimite Moèzz-li-din-allah*, J.A. Novembre 1836 et Jan. 1837

SILVESTRE DE SACY, *E... de la religion des Druzes*, Paris 1838.